

في القرن التاسع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلة المشرق

ومدرّس الآداب العربية في المكتب الشرقي اللاهوتي بكلية القديس يوسف

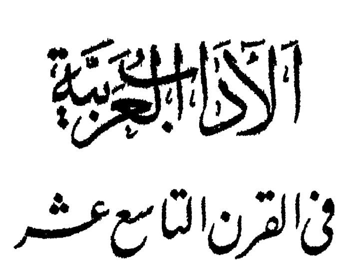
الجزء الاول

من السنة ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

نقلاً عن مجلة المشرق

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت

سنة ١٩[illegible]١



للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الآداب العربية في الكثيب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الأوّل

من السنه ١٨٠٠ الى ١٨٧٠

[illegible]

[illegible]

المقدمة

تحيا الامم بآدابها لانّ الآداب ترقّي المرء فوق الحياة المادّية وتسمو بهِ الى المدارك الشريفة وتقرّبهُ الى عالم الارواح والى الجمال الذي منهُ يستعير كل مخلوق جمالهُ وعليهِ فان اراد العاقل ان يعرف درجة التمدّن التي بلغها شعب من الشعوب بحث عن انتشار الآداب بين اهلهِ ولذلك ترى المؤرخين يقدّمون في تاريخهم تاريخ الآداب على تاريخ الوقائع وربّما افردوا للآداب تاريخًا قائمًا بذاتهِ يثبت ما يختص بالعلوم والمعارف في كل ملّة مخبرًا عن نشأة الآداب بينها واتساع نطاقها واسباب ترقيها ونتائجها الطيبة في اصلاح القوم وتحسين اخلاقهم ودفعهم الى المشروعات الاثيرة والمساعي الخطيرة

ومن عجيب امور اللغة العربيّة انك لا تجد حتى اليوم تاريخًا لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُّد مصنفاتها في كل ابواب العلوم واتساع دائرة نفوذها الى حدود الهند والصين ومجاهل افريقة وسواحل اوربّا وقد احسّ بهذا النقص فئة من المستشرقين المحدثين في فرنسة والمانية وانكلترة وروسيًا وايطالية فارادوا نوعًا سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي اودعوها اوصاف العلوم العربيّة وتراجم اصحابها وقائمة كتبهم التي صنفوها

على ان تلك التآليف مع فوائدها ليست سوى بواكير اعمال اوسع واكمل لا نزل اليها في حاجة ماسّة تستدعي ان تتألف فرقة من الادباء تقوم بهذا المشروع الجليل فتتبع آثار اللغة العربية في كل اطوارها مباشرة بعهد الجاهلية وبين القبائل المتفرقة في انحاء الجزيرة ثمّ تدوّن نشأة تلك اللغة و[illegible] طرأ عليها من الطوارئ في اوائل [illegible] وفي زمن الخلافتين الامويّة والعبّاسية مع وصف الاسباب التي ردتها [illegible] المدارس وانشاء المكاتب ونوادي العلوم وتنشيط الملوك [illegible] اشتهروا في كل زمن وكل بلد واختصوا بكل صنف [illegible]

الآداب في القرون الاخيرة مبيّنةً لعللها ومعلولاتها ثم تختم ذلك بفصل مطوّل عن النهضة الادبية التي حدثت في القرن الاخير

فلا غروَ ان كتاباً مثل هذا يتهافت عليهِ الادباء ويتخذونهُ كدستور دروسهم واساس ابحاثهم . وذلك ما حدا بنا ان نكتب في المشرق فصولًا في الآداب العربية في القرن الاخير رجاء ان تمهد الطريق لمن يتوخى ذلك التاريخ الذي يتوق اليهِ المستشرقون . فلمَّا انسنا في جمهور القرَّاء اقبالًا على مطالعتها وطلبوا الينا جمعها في كتاب مستقلّ تسهيلًا لمراجعتها لبّينا الى ملتمسهم وطبعنا على حدة القسم الاوَّل الذي يتناول تاريخ الآداب العربية من غرَّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٧٠ وسوف نردفهُ قريباً ان شاء الله بقسمهِ الثاني

هذا ونحن نعلم حق العلم انَّهُ فاتتنا اشياء كثيرة من احوال الآداب التي أردنا وصفها والادباء الذين قصدنا تعريفهم وما كنا لنجترئ على مباشرة هذا العمل لولا خوفنا بان يتلف القليل ممَّا جمعناه عن آداب القرن المنصرم فتأخذه ايدي الضياع واملنا الوطيد بأن يتلافى غيرنا ما يجدوه في هذا المجموع من الخلل بابراز ما عندهم من الذخائر المصونة والكنوز المدفونة وقد ختمنا هذا الجزء بفهارس المواد واعلام الادباء الشرقيين والمستشرقين الذين مرَّ ذكرهم في مطاوي الكتاب لتتم بها الفائدة وتزيد العائدة . ان شاء الله

الآداب العربيّة

في

القرن التاسع عشر

توطئة

انَّ الآداب كصرحٍ منيف لا تزال ايدي الافاضل تفرغ المجهود في بنائهِ فكلٌّ منهم يأتيهِ بحجرهِ ليزيدهُ علوًّا وجمالًا . على انهُ يطرأ على هذا الصرح طوارئ شتَّى فطورًا يبسق ويتعالى وطورًا يتخلَّف بناؤهُ فيصيب بُناتَهُ الخمول ولعلَّ صروف الدهر تتحامل عليهِ فتتقوَّض اركانهُ او تسقطُ بفعل الزمان بعض حجارتهِ

وكلٌّ يعلم ما كان للآداب العربيَّة في القرون السابقة من الرونق والبهاء فترقَّت الى اوج عزّها وماست بمفاخرها مدَّة اجيالٍ متوالية الى أن خمدت همَّة بُناة صرحها حينًا على وفق سُنن الطبيعة التي لا تبقى على حالٍ واحدة كما قال الشاعر :

لكلّ شيء اذا ما تمَّ نقصانُ

وهذه الدنيا لا تُبقي على احدٍ ولا يدوم على حالٍ لها شأنُ

لكنَّ هذا الخمول والحمد لله لم يدم زمنًا طويلًا بل كان سباخًا بين بقعتين طيّبتين او شتاء بين ربيعَين كما سترى فازدهرت شجرة الآداب بعد جفافها وراجت اسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراهُ اليوم من امرها في ظلّ الذات الشهانيّة ايّد الله شوكتها

الفصل الاول

الآداب العربية في الشرق في بدء القرن التاسع عشر

لما تنفَّس القرن التاسع عشر كانت احوال اوربَّة في هرج ومرج والحروب قائمة على ساق بين دولها فلم تحطّ اوزارها الّا بعد نفي بونابرت الى سنت هيلانة . وكان الشرق راصدًا لحركات الدول يتحفَّظ ويتصوَّن من كل سوء يتهدَّدهُ فيستعدُّ للحرب ذبًّا عن حقوقهِ . فكانت هذه الحالة لا تسمح بصرف الفكر الى العلوم والآداب وقد قيل في مثل « انّ الحرب والعلم على طرفي نقيض فان رجح الواحد خفَّ الآخر » . وممَّا قض حبل الآداب في ذلك العهد قلَّة المدارس يتخرَّج فيها الاحداث فغاية ما كان يُرى منها بعض الكتاتيب الابتدائيَّة لا سيَّما قريبًا من اديرة الرهبان وكان في الحواضر كدمشق وحلب والاسكندريَّة والقاهرة مدارس اعلى رتبةً لكنَّها في الغالب كانت محصورة في العلوم الدينيَّة وما يُحتاج الى اتقانها من المعارف اللسانيَّة كمبادئ الصرف والنحو

امَّا الكتب فكانت عزيزة الوجود اكثرها من المخطوطات الغالية الثمن التي لا يحصل عليها الّا القليلون . وكذلك الطباعة العربيَّة كانت اذ ذاك قليلة الانتشار فانَّ مطبوعات اوربَّة العربيَّة لم يكن يعرفها الّا الأفراد من اهل الشرق فضلًا عن انَّها كانت موضوعة لمنفعة العلماء اكثر منها لفائدة الدارسين . اما المطبوعات في الشرق فلم يكن يوجد منها الّا في دار السلطنة العليَّة وكانت في الغالب تركيَّة (اطلب مقالتنا في الطباعة . المشرق ٣ : ١٧٤—١٨٠) وفي لبنان كانت مطبعة واحدة عربيَّة وهي مطبعة الشوير وكانت اكثر مطبوعاتها دينيَّة لا مدرسيَّة (المشرق ٣ : ٣٥٩—٣٦٢) . اما مطبعة قزحيا فكانت سريانيَّة ولم تتجدَّد الّا بعد ثماني سنوات بهمَّة الراهب اللبناني سيرافيم حوقا (المشرق ٣ : ٢٥١—٢٥٧) . وكذلك مطبعة حلب التي كان انشأها البطريرك اثناسيوس دبّاس (المشرق ٣ : ٣٥٥—٣٥٧) فانَّها كانت بطلت بعد وفاة منشئها سنة ١٧٢٤ . اما مصر فانَّها حصلت على اوَّل مطبعة عربية قبل القرن التاسع عشر بثلاث سنوات فقط . فانَّ اللجنة العلميَّة التي كانت في صحبة نابوليون كانت أتت بادوات طبعيَّة

تولّى ادارتها المسيو مرسال (Marcel) وممّا طبعهُ بادئ بدء كتاب التهجئة في العربيَّة والتركيَّة والفارسية (١٧٩٨) ثم كتاب القراءة العربيـــة ثم معجم فرنسوي وعربي ثمَّ غراماطيق اللغة المصريَّة العاميَّة. وفي سنة ١٨٠٠ عاد مرسال الى باريس وجلب مطبعتهُ معهُ ولم يستأنف المصريُّون فنَّ الطباعة الَّا في ايام محمَّد عليّ سنة ١٨٢٢. وسنعود الى الكلام عنها

ومع قلَّة هذه الوسائل لتحصيل العـــلوم وُجد قومٌ من الكتبة الذين خدموا في الدواوين المصريَّة والشاميَّة وكانوا يتولَّون قلم الانشاء فيهـــا عند عمَّال الدولة العليَّة فينالون في الكتابة بعض الشهرة منهم ابراهيم الصبَّاغ واولادهُ الذين اثبتنا ترجمتهم في المشرق (٨: ٢٤) وصار ابنهُ حبيب كاتب القلم العربيّ عند احمد باشا الجزَّار فتسلَّم دائرتهُ ثم تغيَّر هذا عليهِ فحبسهُ ومات محبوسًا. واشتهر المعلّم عبُّود البحري واخواهُ جرمانوس وحنًّا عند ابراهيم باشا اوزون القطراغاسي في حلب وفي دمشق ثم عند خلفيه عبدالله باشا العظم ويوسف آغا كنج كما ذكرنا في ترجمة والدهم ميخائيل البحري (راجع المشرق ٣: ٢٠-٢٢) وذكرنا هناك ما كان لكل واحد منهم من الهمَّة في خدمة الدولـــة العليّة واصحابها. اما ابوهم ميخائيل فكان معتزلًا عن الاشغال في بيروت منقطعًا فيها الى العبادة حتى توفي في اوائل القرن التاسع عشر سنة ١٨٠٣. وقد روينا في ترجمتهِ شيئًا من شعرهِ فانهُ كان رُزق من القريحة والذكاء ما حبَّبـــهُ الى رجال الدولة وقدَّمهُ في الاعمال وهو لا يزال يُفرغ كِنانة الجهد في القيام بالامور وصدق الخدمـــة ونشأ اولادهُ على وتيرتهِ وترقَّوا في الرُّتب الديوانيَّة الى ان انتقلوا نحو السنـــة ١٨٠٨ الى مصر ونالوا الحظوى لدى امرائهـــا (المشرق ٣: ٢١-٢٢) ومن آثارهم رسائل ومكاتبات واشعار قد تبدَّد اكثرها

وكان في صور ايضًا المعلم حنا عورا من جملة الكتَّاب اخذ عن ابيه ميخائيل الذي كان فريدًا في الكتابة يحسن الانشاء في العربية والتركية والفارسيـــة فلمَّا توفّي ميخائيل في سنّ الاربعين نال ابنهُ حنا رتبتهُ في ديوان الجزَّار ثم عنـــد سليمان باشا واستخدم معهُ ابنهُ ابراهيم الذي توفّي بعد سنتين بالطاعون وبقي حنا بعدهُ زمنا طويلًا في الاعمـــال الديوانيّة. وممّن خدموا ايضًا في دواوين الانشاء في ذلك الوقت الاخوان ابراهيم وخليل النحاس ابنا عم حنَّا عورا كتب الاوَّل في عكا والثاني في صور

واشتهر ايضاً بالكتابة في الوقت عينهِ غير هؤلاء كميخائيل سكروج واخيهِ بطرس وابراهيم ابي قالوش ويوسف مارون والياس بن ابراهيم اده الذي دوّنّا سيرتهُ وشعرهُ في المشرق (٢ : ٦٩٣ و٧٣٦) وكذلك فضّول الصابونجي واخوهُ . خدموا كلهم احمد باشا الجزّار وذاقوا حلوهُ ومرّهُ . وفي عهدهم اشتهر عند الامير بشير الشهابي جرجس باز واخوهُ عبد الاحد كما حظي عند الامير يوسف الشيخ سعد الخوري

وكان في مصر قوم غير هؤلاء يشتغلون في الدواوين في غرّة القرن التاسع عشر . الّا انّ شهرتهم في الكتابة كانت دون شهرة السوريين . وممّن امتازوا اذ ذاك المعلّمان القبطيّان جرجس الجوهري وغالي . فكان الاوّل رئيس الكتبة في ايّام ابرهيم بك وحظي لدى محمّد باشا خسرو ثم نُكب . وقد ذكرهُ الجبرتي في تاريخهِ عجائب الآثار وجعل وفاتهُ في شعبان السنة ١٢٢٥ هـ . (١٨١٠) . وقام من بعدهِ المعلم غالي وكان زاحمهُ في حياتهِ فصار في خدمة محمّد علي باشا وابنهِ ابراهيم متولّياً رئاسة الكتابة . وكان من جملة كتّابه قومٌ من نصارى السوريين وغيرهم كجرجس وحنّا الطويل والمعلّم منصور صريمون وبشاره ورزق الله الصبّاغ والمعلّم فرنسيس اخي المعلّم فلتاؤس . وقد تضعضع امرهم بموت المعلّم غالي الذي قُتل سنة ١٨٢٠

وممّا ساعد اهل مصر على صيانة الآداب العربيّة في ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلّم فيها نخبة من العلماء المسلمين . نريد المدرسة الازهريّة التي مرّ في المشرق وصفها (٤ : ٤٩) . وكان متولّي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولدهُ في شرقيّة بلبيس سنة ١١٥٠ هـ . (١٧٣٧) درس في الازهر وانتقلت اليهِ مشيختهُ سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاتهِ في ٢ شوّال سنة ١٢٢٧ (١٨١٢) ولهُ عدّة تصانيف دينيّة في التوحيد والعقائد والتصوّف . ومن تآليفهِ مختصر مغني اللبيب في النحو ولهُ في التاريخ كتاب طبقات فقهاء الشافعيّة المتقدّمين والمتأخرين وكتاب تحفة الناظرين في من ولي مصر من الولاة والسلاطين وقد طُبعت هذه التحفة غير مرة

وممّن اصابوا لهم سمعةً في ذلك الوقت من الازهريين الشيخ محمّد الخالدي المعروف بابن الجوهري فكان اقرأ الدروس في الازهر وطار صيتهُ ووفدت عليهِ الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام . توفّي في ١١ ذي القعدة ١٢١٥ (١٨٠١) وتركتهُ العلميّة كثيرة وانّما مدارها على الفقه ومتعلّقاتهِ خاصّةً

ومن أدباء الازهريين في ذلك العهد الشيخ مصطفى بن احمد المعروف بالصاوي لزم شيوخ الازهر وبرع في العلوم الدينيّة واللسانيّة وكان لطيف الذات مليح الصفات محبًّا للآداب لهُ النثر الطيّب والشعر الحسن روى منهُ الجبرتي شيئًا في عجائب الآثار (٣:٣١٣-٣١٥) من ذلك قولهُ في وصف دار ابتناها الجبرتي المذكور:

بناءٌ يروقُ العينَ حسنُ جمالهِ ورونقهُ يشفي الصدورَ صدورُهُ
سما في سماء الكون فانتهج العلا برفعتهِ وازداد سرًّا سرورُهُ
ومن مجد بانيهِ تزايد بهجةً وقُلّد من درّ المعالي نحورُهُ
فلا زال فيهِ الفضلُ تسمو شموسهُ وتنمو على كل البدور بدورهُ
ودام بهِ سعدُ السعود مؤرخًا حمى العزّ بالمولى الجبرتيّ نورهُ (١١٩٢)

ومنهم الشيخ حسين بن عبد اللطيف العُمري الشهير بابن عبد الهادي القادري الدمشقي الخلوتي لهُ تأليف في تراجم اسلافهِ العلويين سمّاهُ المواهب الاحسانيّة في ترجمة الفاروق وذريّتهِ بني عبد الهادي. توفي سنة ١٢١٦ (١٨٠١)

*

وممّن ساعدوا على النهوض الادبيّ في اوائل القرن التاسع عشر رؤساء الطوائف الكاثوليكيّة الاجلّاء. فكان يسوس الطائفة المارونيّة البطريرك يوسف التيان الذي كان تخرّج في مدرسة الموارنة في رومية وبرّز بين اقرانهِ في العلوم فلمّا صار اليهِ تدبير امور الطائفة سعى بتنشيط المعارف بين رعيّتهِ لاسيّما الاكليريكيين. ومما عُني بهِ توجيه نظرهِ الى مدرسة عين ورقة التي كان انشأها خلفهُ البطريرك يوسف اسطفان فصارت هذه المدرسة بهمّته منارًا استضاءت بهِ الامّة المارونيّة في القرن التاسع عشر ومنها خرج العدد العديد من بطاركة واساقفة وكهنة وادباء كانوا فخرًا لوطنهم بعلومهم فضلًا عن برّهم وسوف يأتي عنهم الكلام. ولهذا البطريرك آثارٌ لا تزال تدلُّ على طول باعهِ في الآداب الكنسيَّة. توفي في ٢٠ شباط سنة ١٨٢٠ وكان تنزّل قبل ذلك بعشر سنوات عن البطريركيَّة

وكان الروم الكاثوليك خاضعين ايضًا لبطريرك يحبّ العلوم ويهتمّ بترقيتها بين طائفتهِ نريد البطريرك اغابيوس مطر وهو الذي انشأ مدرسة عين تراز [illegible] بناء

ملته في العلوم الاكليريكية سنة ١٨١١ وقد اثبتنا في المشرق (٨ : ٥٠٨) الرسالة التي وجّهها الى طائفته في هذا الصدد

وكان السريان الكاثوليك في بدء القرن التاسع عشر فقدوا بطريركهم ميخائيل جروه الطيّب الذكر في ١٤ تموز سنة ١٨٠٠ (اطلب ترجمة حياته في المشرق ٣ : ٩١٣) ولهُ الفضل في وضع اساس مدرسة الشرفة وفيها جمع مكتبة حسنة هي الى اليوم من اغنى مكاتب لبنان . ثم خلفهُ اغناطيوس بطرس جروه وكان متضلّعاً بالعلم وهو الذي عرّب مختصر كتاب اللاهوت النظري والعملي لتوما دي شرم في مجلّدين وكتب ترجمة عمهِ ميخائيل جروه ولهُ مواعظ لا تزال مخطوطة (المشرق ٩ : ٦٩٧)

وكان يرعى الارمن الكاثوليك منذ ١٧٨٨ غريغوريوس الاوّل وكان رجلاً عريقاً بالفضل والقداسة يعرف ما للعلوم من المنفعة لخلاص النفوس فلبلوغ هذه الغاية انشأ في لبنان لطائفتهِ مدرسة في بزمّار كانت بمثابة المدارس التي ذكرناها للطوائف الاخرى وهي لا تزال منذ مئة سنة مورداً يستقي منهُ المرشّحون للكهنوت من الارمن الكاثوليك وقد ساعدهُ في هذا العمل الخطير القس اندراوس شاشاتي فنظّم معهُ مدرسة بزمّار ورتّب قوانينها (اطلب المشرق ٩ : ٣٦٦)

وفي اوائل ذلك العصر عينهِ ازداد عدد الكلدان الكاثوليك في العراق على عهد البطريرك يوحنّان هرمزد وقد اتاح الله لتلك الطائفة رجلاً غيوراً يُدعى جبرائيل دنبو كان من تجّار ماردين المعتبرين فانشأ في الجبال المجاورة للموصل قريباً من القوش ديراً جعلهُ كمقام للعيشة النسكيّة والعلوم معاً . وفيهِ تخرّج كثيرون من الذين اشتهروا في القرن التاسع عشر بتقاهم وآثارهم العلميّة بين الكلدان

فترى ممّا سبق انَّ الله جعل في انحاء الشرق كخميرة بها اختمرت عقول أهل الاوطان فلم تزل تترقّى الى ان جرت في مضمار الآداب جري المذكيات السوابق

الفصل الثاني

الآداب العربيَة في اوربّة في بدء القرن التاسع عشر

هلمَّ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الآداب العربيَّة بين الاوربيين في مفتتح

القرن التاسع عشر ليظهر للقرّاء كيف تمّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً امرًا مستحدثًا بين علماء اوربّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجّه الى احراز معانيها والتقاط لآليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيّة ولو تتبّعنا الآثار المنبئة ببيان هذه القضيّة لتعدّدت لدينا الشواهد لاسيّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنّ تلك الحركة زادت قوّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكيّة كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية فممّن اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيّة واعتنوا بنقل الآثار العربيّة الى اللاتينيّة او بنوا ابحاثهم على احوال الشرقيين رئيس دير كلوني بطرس المكرَّم (١٠٩٢—١١٥٦م) وكان رحل الى الاندلس ورقب شؤون العرب فيها فأُعجب بآدابهم فلمّا عاد الى ديرهِ عُني بانتقاد كتبهم. وفي عهدهِ عُرف جيرَرْد دي كريمونا (١١١٤—١١٨٧) وكان مولعًا بنقل تآليف العرب في فنون الحكمة وكان أتقن درس العربية فترجم الى اللاتينيّة نحو ستين مصنّفًا جليلًا لمشاهير الكتبة كالرازي وابن سينا في الرياضيّات والهيئة والطبّ طُبع منها قسمٌ صالح وفُقد منها الكثير

ولما أُنشئت في ذلك القرن رهبانيّتا القديسين دومنيك وفرنسيس الاسيزي صرف من ابنائهما عددٌ يُذكَر عنايتهم الى درس العلوم الشرقية. فانّ الدومنيكي النابغة البرتوس الكبير (١١٩٣—١٢٨٠) لمّا كان يفسّر كتب الفيلسوف ارسطاطاليس في كليّة باريس كان يستند في شروحهِ الى ترجمة منقولة عن العربيّة ويستعين في تحصيل معانيها بما كتبهُ في ذلك الفارابي وابن سينا والغزّالي. وجاراهُ في حبّهِ لآثار الشرق احد اخوتهِ في الرهبانيّة الدومنيكيّة الاسباني ريمند لول (R. Lull) (١٢٣٥—١٣١٥) وكان من اكبر انصار اللغات الساميّة في كليّة اوربّة. واهتمّ رؤساء الدومنيكان منذ السنة ١٢٥٥ بانشاء مدرسة منظّمة يعلّمون فيها العبرانيّة والعربية والسريانيّة في باريس وبلاد كتالان. امّا الرهبان الفرنسيسيّون فلم يكونوا اقلّ غيرةً في تخصص بعض طلبتهم بدرس

العربيّة . اشتهر بينهم ميشال سكوت (M. Scot) الذي انكبَّ في طليطلة على اتقان اللغة العربيّة سنة ١٢١٧ ونقل عددًا وافرًا من تآليفها . واشهرُ منهُ الراهب الانكليزي روجار باكون (R. Bacon) (١٢١٤—١٢٩٢) فريد عصرهِ ونسيج وحدهِ في العلوم الفلسفيّة والطبيعيّة فانهُ سعى ما امكنهُ بنشر الدروس الشرقيّة وعلى الاخصّ العربيّة

امّا الاحبار الرومانيون فسبقوا كلّ ملوك اوربّة في تنشيط درس اللغات الساميّة التي منها العربيّة . وممّا يُذكر فيشكر انّ البابا هونوريوس الرابع كان تقدّم بفتح مدرسة للغة العربيّة في باريس في العشر الاوّل من القرن الرابع عشر . ولمّا عُقد في فيِنّة المجمع المسكونيّ سنة ١٣١١ كان احد قوانين الآباء ان تُنشأ مدارس للغات العبرانيّة والعربيّة والكلدانيّة في رومية على نفقة الحبر الاعظم وفي باريس على نفقة ملك فرنسة وفي بولونية واكسفورد وسلمنكة على حساب الرهبان والاكليروس . وممّا يدلُّ على انَّ هذه اللغات كانت تُعلَّم في كليّة باريس براءةٌ للبابا يوحنّا الثاني والعشرين تاريخها سنة ١٣٢٥ يحتم فيها على قاصدهِ هناك بان يراقب تدريس العربيّة

ولمّا اكتُشف فنّ الطباعة في اواسط القرن الخامس عشر كان كبير الاحبار يوليوس الثاني اوّل من سبق الى طبع كتاب عربيّ (اطلب المشرق ٣ : ٨٠) ووليهُ اسقف نابيو من اعمال كورسكا اغوسطينوس جوستنياني الذي طبع كتاب الزبور في اربع لغات منها العربيّة سنة ١٥١٦ . وفي النصف الثاني من القرن السادس عشر فتحت الرهبانيّة اليسوعية مدرسة للعبرانية وللعربيّة في رومية علّم فيها الاب حنّا اليانو الشهير وانشأ مطبعةً طبع فيها بعض الكتب الدينيّة كان نقلها الى العربية منها التعليم المسيحي واعمال المجمع التريدنتينيّ . ثمَّ زاد اهتمام الكرسيّ الرسولي بتعليم العربيّة والعبرانيّة والسريانية لمّا أُنشئت المدرسة المارونيّة ونقل المرسلون الى مكتبة الفاتيكان عددًا لا يُحصى من كنوز الشرق الادبيّة بينها المتون من تآليف العرب اقتنوها بايعاز الباباوات كما أشرنا الى ذلك (المشرق ١٠ : ٢٥) . ثمَّ اتّسعت تلك النهضة في كلّ اقطار اوربّة فتوفَّر عدد الدارسين للّغات الشرقيّة وحفلت المكاتب بآثار العرب والسريان لاسيما خزائن كتب باريس ومجريط وليدن واكسفرد ولندن ونُشرت تآليف عربيّة جليلة لأعظم أدباء العرب واشهر كتبة الشرق

ولم يكتفِ المرسلون بذلك بل انصبّوا على دراسة العربيّة انصبابًا بلَغ بهم الى أن

أتقنوا اصولها وألّفوا فيها التآليف المتعدّدة منها دينيّة ومنها ادبيّة ونقلوا اليها عددًا دثرًا من طُرف المصنّفات الاوربيّة. وهو بحثٌ نستوفيهِ يومًا ان شاء الله

لكنَّ هـذه الحركة مع سعة نطاقها لم تتجاوز حدودًا معلومة بل خمدت في آخر القرن الثامن عشر بعض الخمود لما طرأ على انحاء اوربّة من الدواهي بنشوب الحروب واستشراء الفساد وكثير من المدارس الشرقيّة أُقفلت لسوء احوال الزمان

وما عتّمت فرنسة ان ادركت حاجتها الى علماء يحسنون لغات الشرق وخصوصاً اللغات الحيّة وفي مقدّمتها العربيّة فانشأ اربابُ امرها في باريس في ٢٩ نيسان من السنة ١٧٩٥ مدرسةً لتعليم اللغات الشرقيّة الحيّة اعني العربيّة والفارسيّة والتركيّة وهي المدرسة التي اضحت مثالًا لما أُنشئ بعدئذٍ على هيئتها من المدارس الشرقيّة العمليّة في عواصم شتّى من الممالك الاوربيّة. وتلك المدرسة لم تزل تترقّى في معارج التقدُّم الى يومنا هذا خرج منها عددٌ لا يُحصى من العلماء المستشرقين من فرنسويين والمان وايطاليين وسويسريين وغيرهم نذكر فيما بعد لمعةً من اخبارهم . وقد أُقيمت للمدرسة المذكورة اعيـاد شائقة قبل ١٢ سنة بانسبة يوبيلها المئويّ وطُبعت بعدئذٍ المطبوعات المفيدة لتسطير تاريخها مع عدَّة آثار من قلم اساتذتها وتلاميذها. وممّا اضافتهُ هذه المدرسة الى تعليمها لغـات الشرق الاقصى اي الصينيّة واليابانيّة والانّامية . وكذلك ادخلت في جملة دروسها الارمنيّة والهندستانيّة وفيها يدرس الذين يترشّحون للمناصب القنصليّة في الشرق

وكان اعظم السُّعاة في فتح هذه المدرسة رجلان هُمامان احدهما يُعرف بكبير المستشرقين وإمامهم البارون سلوستر دي ساسي الذي سنعود الى ذكرهِ الطيّب قريباً والآخر لويس لنغلاي (L. M Langlès ١٧٦٣—١٨٢٤) وكان من اساتذة اللغات الهنديّة ألّف فيها التآليف المفيدة التي نُشرت بالطبع وله رحلةٌ الى بلاد الشام وفلسطين ومصر طُبعت سنة ١٧٩٩

وممّا ساعد على نهضة الآداب الشرقيّة في اواخر القرن التاسع عشر بعـد هبوطها الجمعيّاتُ الاسيويّة كان الفضل في تشكيل اوّل جمعية منها في باتافيا من عمل سند الهولنديّة سنة ١٧٧٨ لكنّها كانت تقتصر على ما يختصّ بالمستعمرات الهولنديّة . ثمّ انشـأ احد الانكليز وهو سير وليم جونس (١٧٤٣—١٧٩٥) جمعية اسيويّة عموميّة في

كلكوتة سنة ١٧٨٤ فنجحت نجاحاً عظيماً. وكان منشئها من افاضل المستشرقين له عدّة تآليف في فنون العلوم الشرقيّة من جملتها شرح المعلّقات في الانكليزيّة. وعلى مثال هذه الجمعيَّة عُقدت محافل اسيويّة أخرى في الهند لاسيما محفل بنغالي سنة ١٧٨٨. وهذه النوادي العلميّة لم تبلغ ما بلغتهُ محافل القرن التاسع عشر الوارد ذكرها لكنها افادت بما نشرتهُ من المصنَّفات الادبية والصناعيّة والتاريخيّة والعلميَّة في مجلّات كانت تظهر في اوقات معلومة والبعض منها لم يزل طبعهُ جاريًا حتَّى الآن

امَّا المستشرقون الذين نالوا لهم بعض الشهرة في خاتمة القرن الثامن عشر فكانوا من الافرنسيين يوسف دي غيني (J. de Guignes) (١٧٢١—١٨٠٠) مدرّس اللغة السريانيّة في مكتب باريس العلميّ ومؤلف تاريخ واسع للتتر والمغول والترك في خمسة مجلّدات ضخمة. ثمَّ انكتيل دوپرون (Anquetil-Duperron) (١٧٣١—١٨٠٥) درس وهو شاب اللغات الشرقيّة ثمَّ ساح في اطراف الشرق وجمع المخطوطات الهنديّة الجليلة ونشر تآليف عديدة في اخبار الهند وآثار الهنود والفرس والعرب وهو اوَّل من نقل كتاب زرادشت المعروف بزند أوِستا الى الافرنسيَّة وبعض كتب البدّ (Védas) ولهُ مقالات عديدة في مجلّة العلماء. ومنهم المستشرق هربان (A. Herbin) (١٧٨٣—١٨٠٦) كتب في اصول اللغة العربيَّة العامية وألف معجمَين عربي فرنسويّ وفرنسوي عربي وكتب في الموسيقى عند قدماء العرب وفي آداب الفرس

وكان قبل ذلك بعشر سنوات توفّي مستشرق كبير من كهنة فرنسة الخوري جان جاك برتلمي (J. J. Barthélemy) (١٧١٦—١٧٩٥) اشتغل في آثار الفينيقيين والتدمريين ولهُ مقالات لا تُحصى في كلّ ضروب المعارف. وهو الذي كتب «رحلة اناكرسيس» الشهيرة ضمّنها اخبار اليونان القدماء وآثارهم. وقد حذا حذوهُ المرحوم جميل مدوَّر في كتابهِ حضارة الاسلام في دار السلام

وممّا زاد الفرنسويين ترقيًا في الآداب الشرقية ان نابوليون لما قصد مصر سنة ١٧٩٨ اخذ في صحبتهِ بعضًا من العلماء المعدودين الذين انتهزوا الفرصة لتعلُّم العربية بين المصريين. وكانت فئة من السوريين اجتمعوا بهم بصفة تراجمة منهم ميخائيل صبَّاغ ونيقولا الترك وغيرهما. فاستعان اولئك العلماء بهم لدرس العربيَّة ولمَّا عادوا الى فرنسة نشروا تلك اللغة بين مواطنيهم

وكان ايضاً في اواخر القرن الثامن عشر بعض العلماء من الفرنسويين الذين كانوا انقطعوا الى درس العربيّة وألّفوا فيها التآليف منهم في المانية جان جاك رَيسك (J. J. Reiske) (١٧١٦—١٧٧٤) نشر عدداً كبيراً من كتب العرب ونقلها الى اللاتينيّة وعلّق عليها التعاليق كمقالات الحريري وتاريخ ابي الفداء ومعلّقة طرفة · ومنهم جان داود ميكائيليس (J. D. Michaelis) (١٧١٧ — ١٧٩١) علّم اللغات الساميّة في غوطا وصنّف التصانيف المفيدة في العبرانيّة والسريانية والعربية منها كتب في اصول هذه اللغات وآدابها · واشتهر تيكسِن (O. G. Tychsen) (١٧٣٤—١٨١٥) لهُ تآليف شرقية من جملتها تأليف واسع في النقود الاسلاميّة

واشتهر غير الالمان السويسريّ بوركهرت (J. L. Burckhard) (١٧٨١—١٨١٧) الذي طاف في بلاد النوبة وبادية الشام وجهات الحجاز وعُرف بالشيخ ابراهيم ولهُ تآليف جليلة في وصف رحلاتهِ الى الشام ومصر وبلاد العرب · ومن جملة كتبهِ تأليف في الامثال العربية وتوفي في القاهرة

وكانت العربيّة في خاتمة القرن الثامن عشر لا تزال معزّزة في انكلترّة في كليّتي كمبردج واكسفرد · وكان في اكسفرد مطبعة عربيّة شهيرة نُشرت فيها كتب شرقيّة متعدّدة نخصّ منها بالذكر تآليف ادورد بوكوك (E. Pocock) (١٦٠٤—١٦٩١) وابنهِ توما · وكان ادورد رحل الى الشرق وسكن مدّةً في حلب ثمّ درّس في اكسفرد ونشر تاريخي ابي الفرج ابن العبري وسعيد بن بطريق · ونال الشهرة بين الانكليز في الشرقيّات في خاتمة القرن الثامن عشر كَرْليل (J. D. Carlyle) (١٧٥٩—١٨٠٤) ساح في بلاد الشرق ثمّ تولّى تدريس العربية في كليّة كمبردج · لهُ كتاب في آداب العرب وشعرهم في الانكليزيّة ونقل الى اللاتينيّة قسماً من مورد اللطافة لجمال الدين ابن تغري بردي · وكذلك اشتهر معاصرهُ يوسف وَيت (J. White) (١٧٤٦—١٨١٤) من علماء اوكسفرد الذي نشر لاوّل مرّة كتاب عبد اللطيف البغدادي في الامور المشاهدة بمصر سنة ١٧٨٩ ثمّ نقلهُ الى اللاتينيّة سنة ١٨٠٠ ولهُ غير ذلك

امّا الهولنديّون فكانوا في ذلك العهد يمشون في درس العربيّة على آثار اسلافهم الافاضل كغوليوس (Golius) (١٥٩٦—١٦٦٧) وارپنيوس (Erpennius) (١٥٨٤—١٦٢٤) وشولتنس (A. Schultens) (١٦٨٦—١٧٥٠) وبنيهِ جان جاك

(J. J. Schultens) (١٧١٦—١٧٧٨) وكلهم من المبرّزين جعلوا مدينة ليدن كمنار الآداب الشرقيّة وابرزوا في مطبعتها المؤلفات العديدة التي اصبحت اليوم عزيزة الوجود يتزاحم العلماء في اقتنائها كتاريخ جرجس ابن المكين المعروف بابن العميد وسيرة صلاح الدين الأيوبي لابن شدَّاد وتاريخ تيمور لنك لابن عربشاه وامثال الميداني ومطبوعات اخرى جليلة · وممَّن اشتهروا من الهولنديين في اواخر القرن الثامن عشر هيتسما (A. Haitsma) نشر سنة ١٧٧٣ مقصورة ابن دريد ونقلها الى اللاتينيَّة وذيّلها بالحواشي · ومنهم شَيْد (J. Scheid) (١٧٤٢—١٧٩٥) نقل صحاح الجوهري الى اللاتينيَّة والَّف كتاباً في اصول العربيَّة ونشر منتخبات ادبيَّة شتَّى

وبرّز بين النمساويين في نهاية القرن الثامن عشر في درس الآثار الشرقية فرنسوا دي دومباي (F. de Dombay) (١٧٥٦—١٨١٠) نشر تاريخاً للعرب ثم انقطع الى درس احوال مرَّاكش فابرز عدَّة آثار مختصَّة بتلك البلاد كتاريخ ابن ابي زرعة ونقود مرَّاكش وغير ذلك · واصاب الكاهن جان ياهن (J. Jahn) (١٧٥٠—١٨١٦) شهرة في تدريس اللغات الشرقية في ڤينة ولهُ من التآليف غراماطيق عربيّ ومعجم عربي لاتيني ومجانٍ ادبيَّة

وكان الدنيمركيُّون ايضاً قد وجَّهوا بانظارهم الى الشرق فاشتهر منهم في آخر القرن الثامن عشر نيبوهر (C. Niebhur) (١٧٣٣—١٨١٤) الذي طاف في انحاء جزيرة العرب ودوَّن ملحوظاتهِ واخبار رحلتهِ في ثلاثة مجلَّدات اضاف اليها مقالات حسنة في عادات الشرق واحوالهِ · ومنهم جرج زويغا (G. Zoëga) (١٧٥٣—١٨٠٩) خرج من بلاد دنيمرك وتوطَّن رومية العظمى وصار كاثوليكيّاً وانقطع الى درس الآثار الشرقية لاسيا آثار مصر

ولم ينطفئ منار العلوم الشرقية بين الاسبانيين والبرتغاليين وخصوصاً الرهبان · وممَّن عُرف منهم الراهب الفرنسيسيّ كانيس (Fr. Canes) (١٧٣٠—١٧٩٥) عاش مدَّةً في فلسطين والشام ودرَّس العربية لمرسلي رهبانيَّتهِ وقد صنَف كتباً مدرسيَة في الاسبانيَّة لتعليم العربيَّة · اخصُّها غراماطيق ومعجم كبير المفردات ومختصر التعليم المسيحيّ · وفي عهدهِ كان الراهب حنَّا سوزا (J. Souza) (١٧٣٠—١٨١٢) ولد في دمشق من ابوين برتغاليين وتخرَّج على يد المرسلين ثمَّ رحل الى وطنهِ ودخل الرهبانيَّة

الفرنسيسيَّة وعلَّم اللغـة العربية في لشبونة · ومن مطبوعاتهِ كتاب الالفاظ البرتغالية المشتقَّة من العربية · وكتاب نحو العرب ونصوص عربية لمؤرخي العرب في امور البرتغال

وكذلك الايطاليُّون فانَّهم لم يسهوا عن درس لغـات الشرق ومآثرهِ فربح منهم شكر العموم غريغوريو روزاريو (R. Gregorio) الكاهن الپالرمي (١٧٥٣—١٨٠٩) الذي تفرَّغ لدرس آثار صقلّية وتاريخها واحوالها لاسيَّا في ايَّام العرب فالَّف في ذلك التآليف الواسعة في عدَّة مجلَّدات ضخمة نخصّ منهـا بالذكر كتابهُ « الآثار العربية في تواريخ صقلّية » ضمَّنهُ كتابات ونقوشًا بديعة واوصافًا غاية في الفائدة — وعُرف الكاهن الرحالة ج · ماريتي (G. Mariti) (١٧٣٦—١٨٠٦) زار بلاد فلسطين والشـام ومصر ودوَّن اخبار رحلتهِ وعنها نقلنا في المشرق (٨: ١٥٨ و ١٢٠) وصفةُ لدير القلعة وكذلك كتب في تاريخ الصليبيين وغير ذلك

ولا يجوز لنـا في هذا النظر الاجماليّ عن حالة العلوم الشرقية في ختام القرن الثامن عشر أن ننسى ما كان لمواطنينا من الفضل في نشر الآداب الشرقية في اوربّة · فان ذلك القرن هو قرن السماعنة الذين أُشير اليهم بكل بنـان فصار اسمهم مرادفًا للنشاط في تذليل العقبات واحيـاء مفاخر الشرق · اوَّلهم وإمامهم المونسنيور يوسف سمعان السمعاني (١٦٨٧— ١٧٦٨) رئيس اساقفـة صور صاحب المكتبة الشرقية وتآليف أُخرى لا تُحصى(١ · ثمَّ اسطفان عوَّاد السمعانيّ نسيبهُ (١٧٠٩—١٧٨٢) · ثمَّ يوسف لويس السمعاني (١٧١٠—١٧٨٢) ثمَّ شمعون السمعاني ١٧٥٢—١٨٢١) وكان كلّ هؤلاء تلامذة المدرسة المارونية في روميـة واثمارًا طيّبةً من دوحتها الفاخرة تعدّ تآليفهم بالمئات بين مطوَّلـة وقصيرة · وكان جلّ اهتمامهم في نشر الآثار السريانية لكنَّهم ايضًا اخرجوا من زوايا النسيان عدّة تآليف عربية لاسيَّا في التاريخ والمآثر الدينية والادبية · وسنعود الى ذكر الاخير منهم الذي يدخل في دائرة مقالتنا اذ لم يمت الَّا في العشر الثاني من القرن التاسع عشر — ومن هؤلاء الشرقيين الذين شرَّفوا الآداب في اواخر القرن الثـامن عشر القس ميخائيل الغزيريّ وهو ايضًا من تلامذة الآباء

١) اطلب ترجمتهُ وجدول تآليفهِ في برامج اخويَّة القديس مارون للاديب يوسف افندي خطَّار غانم (ص ١٠٥-١١٣) · اطلب ايضًا كتاب سفر الاخبار في سفر الاحبار لحضرة يوسف الدبس (٢٠٩-٢٢١)

اليسوعيين في المدرسة المارونية رافق السمعاني وحضر معهُ المجمع اللبنانيّ سنة ١٧٣٦ ثمّ درّس اللغات الشرقيّة وتعيّن ترجماناً لملك اسبانيا كرلوس الثالث ومن اعمالهِ الاثيرة وصف المخطوطات العربية في مكتبة الاسكوريال قرب مجريط وهذا التأليف مجلّدان كبيران يدلّان على سعة معارف صاحبهما طُبعا من سنة ١٧٦٠ الى ١٧٧٠ باللاتينيّة والعربية — واشتهر منهم ايضاً في ڤينَّة عاصمة النمسا الخوري انطون عريضة الطرابلسي وعلّم فيها اللغات الشرقية ولهُ من التآليف كتاب علم صرف العربيّة ونحوها وضعهُ لتلامذتهِ في اللاتينية وطبعهُ سنة ١٨١٣ في ڤينّة

وفي هذا النظر العموميّ كفايةٌ ليعرف القرّاء حالة الدروس العربيـة في منتهى القرن الثامن عشر وانّما يترتّب علينا الآن ان نقتصّ آثار الكتبة الذين زيّنوا الآداب بحلية معارفهم واغنوها بثمرات اقلامهم ومصنّفاتهم . وانّنا نقسم ذلك فصولًا ليسهل على المطالع تتبُّع التفاصيل التي نثبتها فيحرزها دون عناء ويعرف ما لكل كاتب من المزايا والاعمـــال

الفصل الثالث

الآداب العربيّة في غرّة القرن التاسع عشر الى السنة ١٨٣٠

كان افتتاح القرن التاسع عشر في ايّام السلطان الغازي سليم خان الثالث وكان من افضـــل ملوك عصرهِ دمث الاخلاق مغرماً بالآداب محبّا لترقية رعاياه في معارج الفلاح . ثمّ صار الملك الى ابن اخيهِ السلطان مصطفى خان الرابع الذي لم يملك اكثر من سنة فضبط من بعدهِ سنة ١٨٠٨ زمام السلطنة اخوه محمود خان الثاني فطالت مدّتهُ وكان كالسلطان سليم هائماً بترقّي شعبهِ ساعياً في اسباب نجاحهِ في فنون الآداب وللشاعر نقولا الترك قولهُ يوم جلوسـهِ :

تولّى التخت سلطان البرايا وايّدهُ الالـهُ بارتقاهُ
فصاح الكون لمّا ارّخوهُ نظـام الملك محمودٌ حماهُ

ومن مساعي السلطانين سليم ومحمود المشكورة تعزيزهما لفنّ الطباعة في دار السعادة فطُبعت فيهـا عدّة تآليف عربيّة فضلًا عن المصنّفات التركية . ويبلغ عدد المصنّفات

العربيّة التي نُشرت بالطبع في هذه الثلاثين سنة نيّفاً واربعين كتاباً كقاموس المحيط للفيروزابادي (١٨١٤) مع شرحهِ في التركيَة وكحاشية السيلكوتي على مطوّل التفتزاني (١٨١٢) ومراح الارواح لاحمد بن علي بن مسعود مع مجموع تآليف أخرى نحويّة وصرفيّة (١٨١٨) وكافيّة ابن حاجب (١٨١٩) وغير ذلك مما مرّ لنا ذكرهُ في مقالتنا عن فنّ الطباعة في الاستانة (المشرق ٣: ١٧٤– ١٧٩) وفي ملحق تاريخ تركيا للمؤرخ الالماني هامّر (J. de Hammer) جدول هذه المطبوعات كلها في ٩٧ عدداً (اطلب الجلد ١٤ ص ٤٩٢–٥٠٧) . وكان الولاة يساعدون السلاطين العظام في ادراك غايتهم الشريفة في جهات المملكة كسليمان باشا في عكّا ويوسف باشا كنج في دمشق وداود باشا في بغداد وغيرهم

وكذلك في مصر كان محمّد علي باشا راغباً في نشر المعارف فاستعاد الادوات الطبعيّة التي كان الفرنسويّ مرسال اتّخذها في ايّام بونابرت وانشأ مطبعة بولاق الشهيرة سنة ١٨٢٢ وكان اوّل كتاب طُبع في تلك السنة قاموس ايطالياني عربي وأردف في السنة التالية بكتاب قانون صباغة الحرير. ومطبوعات بولاق الى سنة ١٨٣٠ تربي على الخمسين في اللغات الثلاث العربيّة والتركيّة والفارسيّة (١ الّا انّ الكتب العربيّة المهمّة لم تُطبع الّا بعد هذه المدّة وانّما جُدّدت في الغالب المطبوعات المنشورة قبلًا في الاستانة

وما يُقال اجمالًا في هذا القسم الاوّل من القرن التاسع عشر انّ الذين اشتهروا فيهِ كانوا ابناء انفسهم لم يتعلّموا في مدارس منظّمة بل نبغوا بشغلهم الخاصّ تحت نظارة بعض الافراد الذين سبقوهم في دواوين الكتابة ودوائر الانشاء

ونبتدئ هنا بذكر الكتبة الذين خصّوا نفوسهم في تصنيف التاريخ فنقول: انحصر التاريخ بين ادباء المسلمين في بعض الافراد الذين لا يتجاوز عددهم اصابع اليد فذكرنا منهم (ص ٢٤٤) الشيخين عبد الله الشرقاويّ وحسين ابن عبد الهادي . وممّن يضاف اليهما السيّد اسماعيل بن سعد الشهير باحشّاب المتوفى في ٢ ذي الحجّة سنة ١٢٣ (١٨١٥) كان مولعاً بالدروس الادبيّة و خبر الجبرتي في تاريخهِ (٤: ٢٣٨) انّ الفرنساويّة عيّنوهُ في كتابة التاريخ حوادث الديوان وما يقع فيهِ كلّ يوم لانّ القوم كان

١) اطلب المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (Journ. As. 1843, II, 21–38)

لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليوميَّة في جميع دواوينهم واماكن احكامهم ثمَّ يجمعون المتفرّق في ملخَّص يُرفع في سجلّهم بعد ان يطبعوا منهُ نسخًا عديدة يوزّعونها في جميع الجيش حتى لمن يكون منهم في غير المصر من قرى الارياف فتجد اخبار الامس معلومة للجايل والحقير منهم . فلمَّا رتَّبوا ذلك الديوان كما ذُكر كان هو المتقيّد برقم كلّ ما يصدر في المجلس من امرٍ او نهيٍ او خطاب او جواب او خطأ أو صواب وقرَّروا لهُ في كل شهر سبعة آلاف نصف فضَّة فلم يزل متقيدًا في تلك الوظيفة مدَّة ولاية عبدالله جاك منو (Menou) حتى ارتحلوا من الاقليم » . فهذه كما ترى جريدة يوميَّة وهي اوَّل جريدة ظهرت في العربيَّة وكان الجبرتي رأى منها عدَّة كراريس . وذكر ايضًا لاسماعيل الخشّاب ديوان شعر صغير الحجم جمعهُ صديقهُ الشيخ حسن العطّار

واشهر من هؤلاء في التاريخ العلّامة عبدالله بن حسن الجبرتي وُلد في مصر ١١٦٧ (١٧٥٣—١٧٥٤) كما ذكر في تاريخهِ (١: ٢٠٣) وروى هناك بعض ما حدث لهُ في صباه وكان من طلبة الازهر . جعلهُ بوناپرت من كتبة الديوان فاحرز لهُ عند الجميع اسمًا طيّبًا . وانقطع الى الكتابة والتأليف . وفي آخر حياتهِ قُتل احد اولادهِ في حيّ شبرا فبكاهُ بكاءً مرًّا افقدهُ البصر ولم يلبث ان تبعهُ في القبر . وقال كاتب فهرست مخطوطات المكتبة الخديويَّة (٥: ٨٣) انهُ توفي مخنوقًا في رمضان سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢) . وقد جعل المسيو هوارت في تاريخ الآداب العربيَّة (١ مولدهُ سنة ١٧٥٦ ووفاتهُ سنة ١٨٢٥ وفي كليهما غلط . اما تاريخهُ فيُدعى عجائب الآثار في التراجم والاخبار ضمّنهُ حوادث مصر التي جرت في اواخر القرن الثاني عشر واوائل الثالث عشر جاريًا في ذلك على سياق السنين منذ فتوح السلطان الغازي سليم خان الاوَّل القطر المصريّ الى غاية سنة ١٢٣٦ ذاكرًا للوقائع المعتبرة مع تراجم الاعيان المشهورين وقد ادخل فيهِ قسمًا كبيرًا من تاريخ آخر وصف فيهِ وقائع بعثة بوناپرت الى مصر دعاهُ « مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس » كتبهُ سنة ١٢١٦ (١٨٠٢) . وتاريخ الجبرتي قد نُقل الى الفرنسيَّة منذ عهد قريب بهمّة بعض افاضل نصارى مصر وهم شفيق منصور بك وعبد العزيز كحيل بك وجبرائيل نقولا كحيل بك واسكندر بك عمون . وقد ترجم الفرنسوي كردين (A Cardin) تأليفهُ الآخر مظهر التقديس

(١) اطلب (Ch. Huart : *Littérature arabe*. 415-416)

وممّن كتبوا في التاريخ الشيخ ابو القاسم بن احمد الزيّاني كان من عمّال مراكش متوليًا على مدينة وجدة . ثمّ اعتزل الاشغال في تلمسان وألّف سنة ١٨١٣ كتاب الترجمان المُعرِب* عن دُول المشرق والمغرب طبع الاستاذ هوداس (O. Houdas) الفرنسويّ قسماً منهُ يحتوي تاريخ مرّاكش من السنة ١٦٣١ الى ١٨١٢ . والباقي لا يزال مخطوطاً . ولهُ كذلك كتاب « البستان الظريف في دولة مولاي عليّ الشريف »

وللكتبة النصارى في هذه الاثناء بعض التواريخ يترتّب علينا ذكر اصحابها . واوّل من اشتهر في ذلك القس حنانيًّا المنيّر احد رهبان الرهبانيّة الحنّاويّة الشويريّة . ولد المذكور في زوق مصبح سنة ١٧٥٧ . وترهّب سنة ١٧٧٤ . اما بقيّة اخباره في الرهبانيّة فلا نعلم منها شيئاً كما أنّنا نجهل سنة وفاته . ومما يظهر من مآثره ومصنّفاته انهُ كان رجلًا اديبًا كثير الاطّلاع سليم الذوق نشيطاً في جمع الآثار والاخبار عارفاً بفنون الكتابة يُحسن النثر والشعر . وكان ذلك نادرًا في زمانهِ . وقد نعت نفسهُ في كتابٍ لهُ عن الدروز بالطبيب ما يدلّ على انهُ كان يتعاطى الطبّ . امّا اخصّ تآليفهِ فتاريخان الاوّل مدنيّ سبق لنا وصفهُ في المشرق (٤ : ٤٢٨ و ٩٧٢) وهو تاريخ « الدرّ المرصوف في حوادث الشوف » أثبتنا منهُ مقدّمتهُ وبعض فقراتهِ . وهذا التأليف يتناول الوقائع التي جرت في لبنان من السنة ١١٠٩ هـ . (١٦١٧ م) عند ظهور الامراء الشهابيين الى السنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) وهو يتّسع خصوصاً في حوادث الجبل والساحل في الاربعين السنة الاخيرة . ومن هذا التاريخ قد استفاد الامير حيدر الشهابيّ في تاريخهِ الشهير المعروف بالغرر الحسان في تاريخ حوادث الزمان والشيخ طنّوس الشدياق في كتاب تاريخ الاعيان في جبل لبنان

امّا التاريخ الثاني فهو تاريخ دينيّ قد جمع فيهِ المؤلف اخبار الرهبانيّة الحنّاويّة منذ اواسط القرن الثامن عشر الى نهاية السنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) . وليس هذا التاريخ كلهُ دينيًّا فانّ فيهِ ايضاً اموراً عديدة تختصّ باخبار الامراء واحوال لبنان وبلاد الشام والقطر المصريّ . والكتاب عبارة عن ٢٠٠ صفحة تقريباً وكلا التاريخين نادر قد امكنّا الحصول على نسخة منهما فاستنسخناهما لمكتبتنا الشرقيّة . ولابن المنيّر ما خلا ذلك تآليف شعريّة وادبيّة نذكرها في باب الأدب

واشتهر ايضاً في التاريخ من نصارى الملكيين الكاثوليك رجلان من بيت الصبّاغ

كانا حفيدين لابراهيم الصبّاغ طبيب ظاهر العمر (اطاب المشرق ٨ : ٢٦) اسم احدهما عبود بن نيقولا بن ابراهيم والآخر ميخائيل. وكان اهلهما بعد وفاة جدّهما ابراهيم سنة ١٧٧٦ هربوا الى مصر حيث نشأ الولدان وتخرّجا بالآداب على اساتذة القطر المصري(١. ثمّ لمّا قدم نابوليون الى مصر ومعهُ عدد من مشاهير العلماء اتّصل عبود وميخائيل بهؤلاء الكرام وصارا في خدمتهم الى ان انتقلا معهم الى فرنسة. وقد اتّسعنا في المشرق (٨ : ٣١-٣٣) عمّا خلّفهُ ميخائيل من التركة العلميّة الثمينة اجلُّها قدرًا تآليف تاريخيّة لا تزال مخطوطةً في مكتبتي باريس ومونيخ منها تاريخ اسرتهِ بيت الصبّاغ وبيان احوال طائفتهِ الملكيّة الكاثوليكيّة. ولهُ ايضًا متفرّقات ضمّنها تاريخ قبائل البادية في ايّامهِ وتاريخ الشام ومصر. هذا فضلًا عن كتبهِ اللغويّة والادبيّة كالرسالة التامّة في كلام العامّة ومسابقة البرق والغمام في سُعاة الحمام وكلاهما قد طُبع في اوربّة. ولهُ مآثر من النظم نذكرها في الادبيّات. امّا عبُّود فانّ لهُ في مخطوطات باريس تاريخًا (Fonds arabe, *Paris*, 4610) جمع فيهِ اخبار ظاهر العُمر دعاهُ «الروض الزاهر في تاريخ ضاهر (كذا)» وطريقة عبُّود وميخائيل في تدوين التاريخ سهلة الالفاظ واضحة المعاني حسنة السبك تدلُّ على ضلاعتهما في الكتابة هذا مع ضعف في التعبير لاسيّما في تاريخ عبُّود الذي يشبه كلامهُ بركاكتهِ كلام العامّة. وتوفّي ميخائيل سنة ١٨١٦ اما عبُّود فلا نعلم سنة ومكان وفاتهِ

وقد عُرف في عهد الصبّاغين المذكورين كاهن من اسرتهما كما نظنّ نضيفهُ اليهما وهو انطون صبّاغ من تلامذة رومية يستحقُّ الذكر بما عرّبهُ من التآليف المتعدّدة البالغة نحو ٥٠ مجلّدًا منها كتاب تاريخ الكردينال اورسي في ٢٤ جلدًا كبيرًا انتهى من تعريبهِ نحو السنة ١٧٩٢ وكانت وفاتهُ في العشر الاوّل من القرن التاسع عشر (المشرق ٩ : ٦٩٥)

ومن ادباء الروم الملكيين الذين احرزوا لهم فخرًا في التاريخ نيقولا بن يوسف الترك كان اصل والدهِ من الاستانة العليّة ثم سكن دير القمر حيث ولد ابنهُ نيقولا سنة ١٧٦٣ وفي وطنهِ مات سنة ١٨٢٨. كان نيقولا محبًّا للآداب منذ حداثتهِ فلم يزل يتعاطى النظم والنثر الى ان نال فيهما نصيبًا صالحًا. وقد خدم الامير بشير الشهابيّ زمنًا

---

١) اطلب ترجمة ميخائيل الصبّاغ التي اثبتناها في المشرق (٨ : ٢٩-٣٣)

طويلًا وقصائدهُ فيهِ شهيرة نعود الى ذكرها عند وصف ديوانهِ . اما التاريخ فلهُ فيهِ مصنَّفان احدهما تاريخ الامبراطور ناپوليون من سنة وفاة الملك لويس السادس عشر الى موت ناپوليون ١٨٢١ في نحو ٤٥٠ صفحة كتبهُ بانصاف وحُسن ذوق مع تعريف اسباب الحوادث وعواقبها والحكم في جيّدها وسيّئها . وهذا الكتاب قد طُبع نصفهُ الاوّل في باريس سنة ١٨٣٩ بهمّة المسيو ديغرانج (M. Desgranges) الذي نقلهُ الى الفرنساويّة وألحقهُ بعدَّة حواشٍ وهو يحتوي تاريخ نابوليون الى آخر بعثة مصر سنة ١٨٠١ . امّا النصف الثاني فلا يزال مخطوطاً . ولنيقولا الترك تاريخٌ آخر ضمّنهُ اخبار احمد باشا الجزّار منهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة في ١٢٦ صفحة وهو غاية في الافادة لتعريف احوال الشام من السنة ١١٨٥ هـ الى السنة ١٢٢٥ (١٧٧١—١٨١٠) وانشاء الكاتب بسيط مطبوع خالٍ من التعقيد والتقعير كما يليق بالتاريخ

والغالب على ظنّنا انَّ المعلّم نيقولا الترك هو مؤلف تاريخين آخرين لم يُذكَر اسم كاتبهما فالاوَّل هو « مجموع حوادث الحرب الواقع بين الفرنسويّة والنمساويّة في اواخر سنة ١٨٠٥ مسيحيَّة الموافقة لها سنة ١٢٢٠ لتاريخ الهجرة » وهو تاريخ واسع في ٣٠٦ صفحة من قطع الربع طُبع في باريس سنة ١٨٠٧ وُصفت فيهِ وقائع تلك الحرب التي انتهت بانتصار نابوليون في أُستِرْلتس . والتاريخ الثاني من مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة (Fonds arabe, nº 1684) اسمهُ « نزهة الزمان في حوادث لبنان » في ١٤٨ صفحة يحتوي تاريخ الامراء الشهابيين منذ اول قدومهم من الحجاز الى حوران ثم الى لبنان مع تفصيل اخبارهم الى ايّام الامير بشير الشهابيّ ونهايتهُ بالحوادث التي جرت سنة ١٢٠٥ (١٧٩٠)

ويلحق بهذا التاريخ تاريخٌ آخر لاحد الموارنة كتبهُ مؤلفهُ « انطونيوس ابن الشيخ ابي خطّار الشدياق من بيت الحاج عبد النور من قرية عين طورين في جبّة بشرّاي من اعمال طرابلس » سنة ١٨١٩ دعاهُ « مختصر تاريخ لبنان » وهو كتاب في ١٥٠ صفحة ضمّنهُ المؤلف عدّة امور تاريخيّة دينيّة ومدنيّة على غير ترتيب كما حضرتهُ او كما اقتطفها من تواريخ أُخرى او سمعها من اهل زمانهِ منها فصلٌ واسع نقلهُ عنهُ في المشرق (٤: ٧٦٩, ٨٣٠) عن اصل الامراء والشيوخ في لبنان

وممّا كُتب في هذا العهد من الأسفار رحلةٌ لاحد الحاجّين « فتح الله ولد انطون

ابن الصائغ اللاتيني» الذي رحل في خدمة احد الاجانب اسمهُ تيودور لسكاريس في اواخر سنة ١٨١٠ من حلب الى انحاء الشام فجهات العرب وقد وصف ما جرى لهما من الاخبار وضمَّن رحلتهُ اشياء كثيرة عن احوال المدن التي زاراها وعن قبائل العرب وبلاد الوهابيين. وقد كتب ذلك بعبارة رائقة الّا انَّها قليلة التهذيب لا تكاد تخالف لغة العامَّة والكتاب يُصان في خزانة باريس (Fonde arabe, n° 2298). وقد وقف الشاعر الفرنسويّ لامرتين على هذه الرحلة فاستعان ببعض المستشرقين ونشرها مترجمة الى الافرنسيَّة في كتابهِ الشهير «سفرٌ الى الشرق» (Voyage en Orient) في القسم الرابع من طبعة باريس ١٨٣٥ (ص ٥٥—٢٨٥). اما المؤلف فعاش بعد ذلك زمنًا طويلًا وسيعود اسمهُ في مطاوي مقالتنا ثانيةً

ونختم هذا النظر في مؤرخي الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر بذكر احد مسلمي طرابلس الغرب وهو الشيخ محمد بن عبد الكريم ولد في طرابلس الغرب وتلقَّى العلوم عن اعلام عصرهِ وفحول مصرهِ وكان واسع العلم كثير الحفظ تولَّى النيابة في وطنهِ بعد والدهِ وحسنت سيرتهُ وألَّف كتابًا سمَّاهُ «الارشاد بمعرفة الاجداد» ضمَّنهُ ذكر اسلافهِ الكرام وكان اصل اجدادهِ من الاندلس ثمَّ انتقلوا الى طرابلس وعُرفوا بآل النائب وكان ابوهُ فقيهًا شاعرًا توفي سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥م) اما ابنهُ محمَّد فكانت وفاتهُ سنة ١٢٣٢هـ (١٨١٧م)

الشعر والادب

انَّ الشعر والادب كما التاريخ كانت سوقهما كاسدةً في اوائل القرن التاسع عشر لم يشتهر فيهما الّا بعض الافراد في مقدَّمتهم بين المسلمين الاديب السيّد احمد بن عبد اللطيف بن احمد البربير الحسنيّ البيروتيّ وُلد سنة ١١٦٠ (١٧٤٧) في ثغر دمياط وتوفّي في دمشق في ١٨ ذي الحجَّة ١٢٢٦ (١٨١١) لهُ تآليف ادبيَّة ومنظومات اخصُّها مقاماتهُ التي منها نسخة خطّيَّة في المكتبة الخديويَّة (انظر قائمتها ٤ : ٣٢٨) يبتدئ اوَّلها بقولهِ «حكى بليغ هذا الزمان والعصر من حديث الذّ من سلافة العصر» . وقد طُبع من هذه المقامات مقامة «المفاخرة بين الماء والهواء» في دمشق سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣) . ولهُ بديعيَّة علَّق عليها شروحًا مصطفى بن عبد الوهاب بن سعيد الصلاحي تُصان بين

مخطوطات براين (ع ٧٣٨٨) ولهُ «كتاب الشرح الجليّ على بيتي الموصليّ »وهو تأليف واسع طُبع في بيروت سنة ١٣٠٢ (١٨٨٥) اودعهُ صاحبهُ فنونًا من الآداب وفصولًا في كلّ علم من العلوم. والموصليّ المذكور هو عبد الرحمان بن ابراهيم الصوفي الموصلي من ادباء القرن الثامن عشر. امّا البيتان اللذان شرح البربير رمزهما فهذان:

ان سرَّ والمرآة يومـاً في يدي   من خلفهِ ذو اللطف أسما مَنْ سما
دارت تماثيلُ الزجاجِ ولم تزلْ   تقفوهُ عدوًا حيثُ سار وءيًّا

اما منظومات السيّد احمد البربير فكثيرة لكنَّها متفرّقة. وكنّا قد نشرنا منها شيئًا في المشرق (٣ : ١٤—١٨) مما دار بينهُ وبين مخائيل البحريّ من المراسلات الادبيَّة. ثمَّ اتحفنا جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف بنُخبـة أُخرى من اقوالهِ الشعريَّة تجدها في مجلّتنا (٤ : ٣٩٦) ولعلَّ السيّد احمد البربير نظم ديوانًا كاملًا لكنَّنا لم نقف له على اثر ومما قرأنا من لطائفهِ قولهُ في طبيب:

رأيتُ طبًّا لـهُ نفارُ   يتيهُ في مشيهِ دلالا
فقلتُ من انت يا حبيبي   هل راحمي انتَ قال لا لا

ولهُ في التوحيد:

لقد آمنتُ باللهِ   واصبحتُ بهِ آمنْ
هو الاوَّل والآخر   م والظاهرُ والباطنْ

وقال: خرجتُ من سجن نفسي   ومن حظوظي والجـاهْ
وفي جميع اموري   اسلمتُ وجهي للهْ

وقال في كبح الشهوات:

انَّ الذين يجاهدو   نَ النفسَ شبَّانًا وشيبا
منَّ الالهُ بنصرهم   وأتاهم فتحًا قريبا

وقال في تاجر سها عن الآخرة:

يا تاجرًا لا يزالُ يرجو   ربحًا ويخشى من الخساره
عبادَةُ الله كلَّ حينٍ   خيرٌ من اللهو والتجاره

وقال يصف دار اسعد باشا وكان حلَّها ابو السعود محمّد بن علي فقال يصفها:

يا دارَ اسعد باشا لكِ النعـيمُ المخلَّدْ   بطلعة ابن عليٍّ ابي السعود محمَّدْ
بدرٌ يزيد كمالًا من النجـوم تولَّد   ذو همَّةٍ غار منها حدُّ الحسام المجرَّد

أما ترى السيف منها في جفنهِ بات مُغمدْ ولطفهُ في البرايا ممَّا فشا وتأكَّدْ
حتَّى غدا كلُّ شخصٍ بـه يقرُّ ويشهدْ كانهُ من نسيم الـمقبُول بات مجسَّدْ
أما ترى ورد خدّ الـريـاض منهُ تورَّدْ والبحر لمَّا رآهُ يجودُ ارغى وازبدْ
والدهر بات غلامًا لمن عليـهِ تردَّدْ فتًى بهِ ابيضَّ حظّي من بعد ما كان اسودْ
يا سيّدي عش سعيدًا فانَّ جدَّك اسعـدْ وسوف ترقى لأوجٍ من الكواكب ابعدْ
فاحفظ نشارة عدلٍ بها الفراسةُ تشهـدْ واسلمْ ودم في سرورٍ ما طائر الصبح غرَّدْ

ومن مراثي السيد احمد البربير قولهُ في الامير منصور الشهابي لمَّا توفي سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧ م):

سقا هذا الضريحَ سحابُ فضلٍ وعمَّم بالرضى مَنْ في ثراه
اميرًا كان في الدنيا شهـابًا ومنصورًا على قومٍ عصـاه
فان يكُ من عيوني قد توارى فحسبي ان قلبي قد حواهُ
فلمَّا سـار للفردوس فورًا وقرَّبهُ المهيمنُ واصطفـاهُ
أتى تاريخهُ في بيت شعرٍ يودُّ البـدرُ أن يُعطى سناهُ
فهملهُ ومعجمهُ وكـلٌّ من الشطرين تاريخًا تراهُ
شهابُ الرحمة المولى عليـهِ هوى للترب بدرٌ من رُبـاهْ

وكان لاحمد البربير تلامذة أخذوا عنهُ اخصُّهم السيد عبـد اللطيف بن علي المكنَّى بفتح الله المفتي البيروتي الحنفي وكان شاعرًا الّا انَّ شعرهُ مفقود وممَّا يروى عنهُ قولهُ يمدح ميخائيل البحريّ لما جاء بيروت في أيَّام الجزَّار:

ولمَّا أتى البحريُّ بيروت زائرًا الينا فكم أهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدع أنْ أُهدي لهُ الدرَّ ناظمًا فناهيكَ انَّ الدرّ يبدو من البحرِ

فأجابهُ البحري بابيات رويناها في المشرق (٣: ١٧: ١٨٠) . ومن الشعراء المسلمين الذين نظموا الشعر الجيّد في اوائل القرن التاسع عشر الشيخ الوفاء قطب الدين عمر ابن محمَّد البكري الدمياطي الاصل واليافيّ المولد ولد سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) في يافا ودرس على مشاهير شيوخ زمانهِ في وطنهِ ورحل إلى مصر وأخذ عن ائمَّتها. ثمَّ عاد الى غزَّة وتجوَّل في انحاء الشام والحجاز وتوفي في دمشق في غرَّة ذي الحجَّة سنة ١٢٣٣ (١٨١٨ م) وقد رثاهُ شاعر زمانهِ الذي نترجمهُ في اوانهِ الشيخ امين الجندي بقصيدة رنَّانة اوَّلها:

قسيُّ المنـايا ما لأسهمها ردُّ فما حيلتي والصبرُ قد دكَّهُ البُعدُ
دُهيتُ برُزْءٍ لا يُطاق عنـاؤهُ وكربٍ وحزنٍ ما لغايتهِ حدُّ

وهي طويلة · ومن لطيف ما قالهُ فيهِ الشاعر نقولا الترك وقد ضمَّن فيهِ اسمهُ عُمر :

شمس العلوم تبدَّى   نورًا الى كلّ راء
مقرُّها ضمن ميمٍ   ما بين عين وراء

اما تآليف السيد عُمر اليافي فاخصُّهـا ديوانهُ وبعض مخاطبات أُلحقت بديوانهِ (ص ٢٤١–٢٨٤) وقد عُني بطبع هذه الآثار حفيدهُ السيد عبد الكريم بن محمَّد ابي نصر في المطبعـة العلميَّة سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) وهو مجموع واسع فيهِ قصائد متعددة دينيَّة على منهج المتصوّفين وكان السيد عُمر على الطريقة الخلوتية ولهُ في هذه الطرائق عدة رسائل منها رسالة في الطريقة النقشبنديَّة ورسالة في معنى التصوُّف والصوفيّ وغير ذلك · ومن ادبيَّاتهِ رسالة لهُ في الحضّ على برّ الوالدين · اما شعرهُ فهو رقيق اللفظ رشيق المعنى كثير التفنن فيهِ قسمٌ للموشَّحات والأدوار الغنائيَّة والخمريَّات وها نحن نورد منهُ طُرَفًا تنويهاً بفضلهِ · قال في الاعتصام والثقة بالله :

انا بالله اعتصـامي   لا ارى في ذاك شكَّا
موقنًا ان لا سواه   كاشفٌ ضرًّا وضنكا
راجياً فيـهِ نوالا   ورشادًا ليس يُحكى
لم ازل لله عبـدًا   وبهـذا اتزكّى
ربِّ وفّقني لرشـدٍ   ثم هبْ لي منك ملكا
واحمني من كلِّ سوءٍ   وقِني شرًّا وشركـا
واصرف الاعداء عني   وامحُهُم هتكًا وفتكا
واغفر الذنب بلطفٍ   وافككِ الاكدار فكًّا
وأنلني كلَّ فضلٍ   من ضياء الشمس اذكى
وأذِقْـني يا الهي   لذَّةَ القربِ المزكّى
في رياض الأمن ممَّا   اختشي فعلًا وتركا
انَّ ألطـاف إلهي   ليَ قـالت خلِّ عنكا
لا تدبِّرْ لك امرًا   نحن أولى بك منكا
فاتركِ التدبير تنجو   فأولو التدبير هلكى (١

ولهُ مستغيثًا مبتهلًا من قصيدةٍ :

الهي الهي ليس الّاك يُرتجـى   وحقّكَ ما وافيتُ غيركَ راجيـا
ومن ذا الـذي اشكو لهُ سوء فاقتي   ويعلمُ قبل المشتكى سوءَ حـاليا
لقد دكَّ دهري طودَ قصري فأصبحتْ   منازلُ قصري بالخطوب خواليـا
وفوّقَ لي الخطبُ المـبرّح اسهمًا   من الوحدِ والتبريح فيها رمانيـا
وشنَّ ليَ الغارات تعدو وقد غدتْ   عليَّ بعادي الجور تعـدو العواديا
فيا ربِّ ما للعبدِ في الدهر ملتجًى   سواكَ فاني بالتضرُّع لاجيـا

(١ مرجع هذا قولهم في المثل السائر: المرء في التفكير والله في التدبير

تدارك بألطافٍ وأسعفهُ بالمنى وحقّقْ لهُ فضلًا لديك الامانيا

ومن جيّد قولهِ ما كتبهُ في برّ الوالدين :

كم جرَّ برُّ الوالدَيْن فوائدًا للمرء جمَّه
منها رضى الله الذي يكفي الفتى ما قد أهمَّه
واخو العقوق كميّتٍ قد صار في الأحياء رُمَّهْ
والكلبُ احسنُ حالةً منهُ وأحفظ منهُ ذمَّه

ومثلهُ ما قال :

فاز بالدارَيْن حاوي الحسنيَيْنْ طاعة الله وبرّ الوالدينْ
فاغتنمْ برَّهما واصبرْ لهُ فهما في الدهر ليسا خالدَيْنْ
طالما جادا باحسانهما لك والاحسانُ عند الحُرّ دَيْن

وقال من قصيدة يمدح فيها سليمان باشا لمَّا وُلّي دمشق :

هي دولةُ المولى سليمان الزما نِ ومن حوى في عزّهِ تقديما
فكأنّ جلقَ اصبحت ذاتَ العما دِ الى العبادِ وجنّةً ونعيما
لاحت كواكب سعدها من دولةٍ قد خيَّمت بسعودها تخييما
بدرٌ بدولتنا العليّة لاح من فلكِ السعود متمّمًا تتميما
ولهُ السعادةُ في منازلِ جلّقٍ ولهُ الامارة سُلّمت تسليما
ساس الورى بسياسةٍ وفراسةٍ وحماسةٍ وغدا بذاكَ حكيما
الله اكبرُ جلَّ ناصرهُ الذي اعطاهُ عزًّا في الانام جسيما
بشراهُ سوف يرى مقامًا فوق ذا وينالُ سعدًا في الوجود عظيما

ولهُ تاريخ في جلوس السلطان محمود الثاني سنة ١٢٢٣ (١٨٠٨)

جلوس سلطاننا المسعودُ طالعهُ عيدٌ كبيرٌ لهُ في الملك تأييد
أبشر وبشّر اذا ما أرَّخوهُ وطِبْ فالدهرُ اشرقَ والسلطان محمودُ

ومن محاسنهِ قولهُ في نوفرة على رأسها ليمونة :

ونوفرةٍ تبدي من الماء قامةً زهت بكمال الصفو حسنًا ومنظرا
عمودٌ من البلّور من فوقِ رأسهِ زُمرُّدةٌ خضراء تنثر جوهرا

ومن أوصافهِ قولهُ يذكر دير عطيَّة من قرى الشام بين النبك والقريتين :

حاديَ الرَّكب سرْ وحثَّ المطيَّه لديار العطا بدير العطيَّه
فبتلكَ الربوعِ تلقي ربيع الـ أنس فاحت ازهارها العبهريَّه
جنَّةٌ قد تزخرفت في رباها بثمارٍ من البهاء جنيَّهْ
تجري من تحتها المياهُ بأنها ر التهاني للواردين مريَّهْ

وجواري المياه ترقصُ لمَّا … شبَّبَ الريحُ يشجي منها الشجيَّهْ
وغصون الرياض هـتزُّ تيهاً … حيثُ غنت نسائم سَحَريَّهْ
حبَّذا حبَّذا معـاني الاغاني … لتهاني المعـالم الانسيَّهْ
وبها للبهـا لوامعُ نورٍ … بضياء من الجمال جبيَّـهْ

وقد اشتهر بين المسلمين غير هؤلاء في الشعر والادب لكنَّ قصائدهم وتآليفهم لا تزال في خزائن الخاصَّة او اخذتها ايدي الضياع نذكر منهم من اتصل بهِ علمنا بمطالعة مخطوطات مكتبتنا الشرقيَّة

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمعان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات شتَّى كتبهـا بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاتهِ ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك :

أتت بسحر بيـانٍ … ابانَ فضـلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي … عقدًا بديعًا جميـلا
صحيح معنـاهُ يروي … عن الصحـاح نقولا
يا درَّ درّ قوافٍ … ترتَّلت ترتيـلا
قسّ الفصاحة فيهِ … سحبـانُ اضحى ذهولا
لم يـترك الاوَّلون … الى الاواخر قيـلا
عنهُ التواريخُ تُروى … براعـةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا … بين الانام جليـلا
للهِ يومٌ اتانـا … منهُ التنا مستطيـلا
وطال ما كان سمعي … سماعَها مستنيـلا
حتَّى تشنَّف منها … وهـام فيها عمولا

وجاء في الديوان عينهِ ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روي له قصائد منها قولهُ يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال :

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ … عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كمَّل الله عزَّها … وشرَّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيّ البشير تشامخت … جبالٌ بها تعلو المجرَّة طولا

فتًى ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسمٍ حاز الكمال جميلا
هام اذا ما الحرب شدَّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفات سَلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوّ نحولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
بهِ شرُفت مختارة العزّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكّرنا جنَّاتِ عدنٍ قصورُها وانهارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلّلها من صيّب السما اكليلا
وبابن عليّ عظّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك:

هاتِ زدْني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلّـةً ونُقولا
حيثُ جئنا لنشهر الفضلَ منهُ وبما نال ينبغي ان نقولا
عيسويٌّ حوى اللطافة حقًّا صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والادب فمنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ القلماوي مصطفى بن محمَّـد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر دينيّ سمَّاهُ اتحاف الناظرين في مدح سيّد المرسلين (٢. وُلد سنة ١١٥٨ وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمَّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والـدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمَّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدَّم في المناصب

١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤: ٢٢٧)

وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ ﻫ (١٨١٢) وتوفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م). لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستنيم الناعس. وخدم البعثة الفرنسويّة العلميّة لمّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمَّد الدسوقيّ وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت. قال الجبرتي (٤: ٢٣١) «لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل» وعدَّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيَّة والفقهيَّة. توفي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأُدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلّغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أُمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ ﻫ (١٨٠٨ م) روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية. وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit. Mus., n° 1266)

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثمارًا جنيَّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلَّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيَّة

١) اطلب الجبرتي (٤: ٣٣٣) وكتاب الاداب العربيَّة لهوارت (Cl. Huart *Littérature arabe*, 417)

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناهُ سابقاً في المشرق (٣ : ٩—٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنناً بالآداب العربيَّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ :

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانُ معانٍ في البديع من الشعرِ
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحرِ

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنّا روينا في المشرق (٣ : ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمَّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً :

لكَ الرحمات يا لحدًا ثواهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ امسى ... ويا اسفي لدرٍّ في ثرائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريَّ علماً ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمَّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلمَّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخ ناطَ فوزًا ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّيّة كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبُّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلُّبهُ في المناصب العالية عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدَّة رسائل دوليَّة واهليَّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبُّود البحريّ قال الترك في موشَّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق :

كم تاهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ ونثارْ
وبدتْ من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ الصفي الّا البحارْ
زُمَر الكتَّاب طرًّا والملا ... من أُولي الألبابِ توليهِ الوقارْ
كم تراهُ حاذقًا ان رَقَما ... معدنَ الارواحِ كالمَغْنيطس
بل وكم يسبي عقولًا حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقَ الطرسِ

وممَّن مدحوا عبُّود من الشُّعراء سليمان صوله قال فيهِ :

مولًى أبي الفضلُ الّا ان يلازمَهُ ... فلم يقمْ بمكانٍ فيهِ لم يَقُمِ
لله منهُ ملاكٌ يرتقي فرسًا ... وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تُخجل الابحار بالكرم الـ ... ـزخار والذابل الخطَّار بالقلمِ

اضحى لدائرة المعروف والكرم الموفور قُطبَ علًا لولاهُ لم تَدُمِ
اهديكَ ياخلَف البحريّ عاتقةً لعاتق المجدِ تهدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ بها كان القبولُ لها اعلى واغلى من الياقوت في القيمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلة قال فيها :

يا للمنيَّة قد جازت وقد غدرتْ بيدر فضلٍ لهُ الاداب هالاتُ
مولى البراعة عبدالله مَنْ فُقدت لفقدهِ وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ دررًا تقلَّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ تفاخرت ببديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلمًا يومًا اناملهُ الّا كَبَتْ مشرفيّات صقيلاتُ
لمّا اتى الناسَ ناعيهِ بكت اسفًا من البراعة دالاتٌ وميماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرَّةٍ (ص ٢٨٧ ٣٠٢،٢٨٩) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالًا لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحرِ الّا انّهم دررُ العُلَى واهلُ الوفا لكنَّ دأبهمُ البرُّ
وما منهمُ الّا نبيهٌ مهذَّبٌ نراهُ بديوان البراع هوَ الصدرْ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحتْ دفاترهُ الزهراء يعشقها الزهرُ
يريك اذا هزَّت يراعًا بنانهُ عقودَ جماناتٍ معادنها الحبرُ
وفاخرَ يوحنًّا بانشائهِ الصبا فرقَّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوءاباتُ الحسان اذا انتضى ليكتب سطرًا انَّها ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج البراعة والنُّهى وابناءُ بيتٍ مهدهُ النظمُ والنثرْ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت :

تلقَّاهُ الاله يقولُ أرّخْ رِثِ المُلكَ المعدَّ لذي اليمينِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامهِ :

برٌّ بغفران الاله مؤرّخٌ ومُنعَّمٌ في روضة الاملاك

وتاريخ وفاة ابرهيم البحريّ (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢) :

وفي الملكوت صارَ لدي الهٍ مع الأبرار أرخْ خير روضه

وكان ميخائيل الصبَّاغ الذي ذكرناهُ في جملة مورّخي زمانهِ شاعرًا وسطًا استحبَ

الاوربيُّون شعرهُ العربيّ فنقلوهُ الى الفرنسيَّة فمن ذلك ما مدح بهِ البابا پيُّوس السابع لمَّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال :

دهُشتْ لرؤيةِ وجهكَ الابصارُ وأضت لرؤيةِ مجدكْ الامصارُ
هذي العروسةُ ياسليمان انجلت في حسنها ولها الفخارُ عظامُ

ومنها في المدح :

اليوم تحسدنا الملائكُ في السما لمَّا نرى ممَّا العقولُ تُحارُ
سامحُ نواظرنا اذ بكَ كرَّرت نظَراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشَّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوَّل سنة ١٨١١ اوَّلهُ :

هلّلوا في الارض يا كلَّ الامم واهتفوا فيها بألحان النغم

ومنها :

ايها القيصرُ بُلغتَ المنى كلُّنا بالبكرِ نهديكَ الهنا
انتَ منَّا مستحقٌّ للثنا قد حبانا ربُّنا هذه النعمْ

ولهُ غير ذلك ممَّا لا نتعرَّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشَّحات ما يدلُّ على انَّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانَّما تعاطى النظم استعطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين

وممَّن اشتهروا ايضاً بالآداب والنظم بين النصارى في مفتتح القرن التاسع عشر القس حنانيًّا منيَّر الزوقيّ (١ الذي ذكرناهُ في باب التاريخ (ص ٤١٣). فانهُ برع

---

١) افادنا حضرة القس الفاضل جرجس منش المارونيّ انَّ اسرة القسّ حنانيًّا منِّير (بكسر الياء المشدَّدة كما هو المتداول بين الحلبيين او بفتحها كما هو الغالب في لبنان اشارة الى صنعة النير او من بيع النسيج المنيَّر) اصلها من حلب ثمَّ هاجرت الى لبنان فاستوطنت الزوق في تضاعيف القرن الثامن عشر في جملة الاسر التي خرجت من الشهباء في ذلك العهد وفي اوائل القرن التاسع عشر فرارًا من شر الاضطهادات التي اثارها المنفصلون على ما ذكره روفائيل مخلوطا المعروف بالغالي وغيرهُ من كتبة ذلك الزمان . ثمَّ انقرضت اسرة المنيّر من حلب فلم يبقَ منها احد بعد ان كانت نامية متعدّدة الافراد . ويؤخذ من سجلّ مواليد الملكيين الكاثوليك في حلب انَّ هذه الاسرة انقسمت الى ثلاثة بطون عُرف الأول منها بالمنيّر على الاطلاق والثاني غلب عليهِ لقب الحكيم من جدّها ابراهيم المنيّر الحكيم ويظنّ حضرة مكاتبنا انَّ القس حنانيًّا تلقَّب بالطبيب اشارةً الى لقب هذا الفرع بالحكيم ليس كما ذكرنا (المشرق ٤١٤) لمزاولتهِ فنّ الطبّ . والثالث غلب عليهِ لقب ارميا من جدهم عبد الله بن ارميا من بيت المنيّر. وممَّا ذُكر من مواليد هذه الاسرة جرجس بن توما ويوسف بن

ايضاً في الفنون الادبيَّة فمن ذلك مجموع امثال لبنان وبلاد الشام يبلغ نحو ٤٠٠٠ مثل وكتاب مقامات بديعة جامعة بين فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني (المشرق ٤: ٩٧٣) هذا فضلًا عن كتاب في شرح عقائد الدروز طبعهُ المسيو غويس (Guys) في باريس ونقلهُ الى الفرنسويَّة. امَّا شعرهُ فلم نحصل منهُ الَّا على بعض مقاطيع روينا بعضها سابقاً (المشرق ٤: ٩٧٠ — ٩٧٢) منها قصيدتهُ الرَّنانة التي قالها في تهنئة سليمان باشا لما اتى عكَّا ليتولَّاها بعد وفاة الجزَّار. اوَّلها:

لِهوى الاحبَّـة في الفؤاد مخيَّمُ   نيرانـهُ بين الجوانح تُضرَمُ

ومنها: صيدا ابشري عكَّا افرحي حيفا اطربي   والقـاطنون جنًّ فليـترنَّموا

كن يا سليمان الوزير مؤازرًا   للخاضعـين وجارماً من يجرموا

واعظمْ وسدْ وارحمْ وعُدْ وانعمْ وجُدْ   واسلمْ ودمْ بسعـادةٍ لك تخـدم

وختمها بهذا التاريخ:

واذا انتهى شعري بمدحك مرَّةً   ارِّختُ يبدأُ مدحك لا يُختمُ

وممَّا قالهُ في الزهد والدعاء قولهُ في مقدَّمة تاريخهِ الرهبانيّ

اني لفي عظم الوجـلْ   من قُرْب أيـام الأجـلْ

من بعـدهِ لا بُدَّ مـا   يمروني في الدين الخجـلْ

اذ انني قضَّيتُ عمري   بالملاهي والبَجَـلْ

والحكم لم يُقبَـل بـهِ   عـذرٌ ولم ينفع وجـلْ

ألجا لعونـك مريمًا   فأعطفي نحوي النجَـلْ

ونشفَّعي لي يا بتو   لًا وأدركيني بالعجـلْ

ولمَّا توفي الجزَّار سنة ١٢١٩ (١٨٠٤ م) وكان بالغ في الظلم وجنح الى العصيان وضع كلّ شعراء ذلك العصر من مسلمين ونصارى قصائد هجوهُ فيهـا وارَّخوا وفاتهُ

الياس (بن المنيّر) وزينب بنت ابراهيم (المنيّر الحكيم) وعبد الله بن ارميا (من بيت المنيّر) في سنة ١٧٣٥ وجبرائيل بن منصور (١٧٣٦) وكاسيا بنت نعمة (١٧٣٧) وجرجس بن ارميا (١٧٣٨) وسارة بنت يعقوب (١٧٣٩) ويعقوب بن جبرائيل وجرجس الآخر بن ارميا (١٧٤٠) وترزيا بنت توما (١٧٤٢) وسيدة بنت جبرائيل ونعمة الله بن توما (١٧٤٣) ويوسف بن منصور (١٧٥٧). وليس غير ذلك في السجل الملكي. وكذلك عُرف من افراد هذه الاسرة القسّ بولس (ولد عيسى المنير) الذي خدم ابرشيَّة حلب الملكيَّة الكاثوليكية واوقف بعض المخطوطات على مكتبتها في آخر القرن الثامن عشر

(اطلب المشرق ٢ : ٧٣٨) فقال القس حنانيًا ابياتًا اثبتها في آخر تاريخهِ للشوف ورواها الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ (المشرق ٤ : ٩٧٠)

ومن رثائهِ قصيدة قالها في البطريرك اغناطيوس صرُّوف لمَّا قتلهُ اليـــاس عماد سنة ١٨١٢ اوَّلها :

علامَ دمعي من عيوني يُذرفُ وإلامَ لا يرقـــا ولا يتكفكفُ
هل كابدت كبدي لظىً لا ينطفي ام في الحشا جذوةُ نارٍ تنطفُ

ومنها في مدح الفقيد :

يا شمسَ أُفق الشرق ذاع ضياؤهُ في الغرب انَّى شمس فخرك تكسَفُ
يا راس كَهْنة بيعة الله التقي ثِقِ انت ايضًا في الاعالي اسقفُ
اوَّاهُ وا اسفي ولوعاتي على مَنْ كلُّ من يدري بهِ يتأسَّفْ
قسمًا فلو يُفدى لكنتُ فديتهُ بالروح مرتاحًا ولا اتوقَّفُ

وكان القس حنانيًا يتفنن بالنظم ولهُ قصائد بالشعر العـــاّمي غاية في اللطف منها قصيدة في الخمَّارة والعرق لم نحصل عليها . وهو الناظم للقصَّة الشهيرة المعروفة بالبرغوث كنَّا اثبتناها اوَّلًا في كتابنا علم الادب سنة ١٨٨٦ ثمَّ وجدناها كما كتبها القسّ حنانيا وهي اوسع واظرف ممَّا نشرناهُ وهذه هي القصيدة كما وقفنا عليها في كتاب مخطوط من ايَّام المؤلف وفي اخرها اسمهُ :

١ اعدّ بيوت مع قصـــدانْ واخـــبركم بما قد كانْ طول الليل وانا قلقـــانْ
واصبح جلدي كالجربانْ

٢ جا البرغوت وانا نائم وصار على صدري حائم وقال لي من شهرين صائم
في حسابي خلص رمضانْ

٣ قلتلو لا تجـــادِني علامـــك انت تكاربني بالله عليـــك لا تتعبني
كل النهـــار واما تعبانْ

٤ قال لي ليس انا جمسَّك ان كان سرّك او غمَّك عشاي الليـــلي من دمَّك
وبكرا يفرجها الرحمـــانْ

٥ قلت يابرغوت انا بداريك وبين النـــاس انشد فيك روح لغيري يعشيـــك
واتركني الليلي نعســـانْ

٦ قال لي ما هو عا كيفك وهلليـــلي انا ضيفـــك عيْب عليك يا حيفك
اكون عندك وابات جيعان

٧ لا تحسب اني جابك يجي وبدخل في عبابك بدور حول جنابك
ان كنت نائم او سهرانْ

٨ قلت يا برغوت اسمع مني وهلليلي ارجع عني ودَعْني راقد متهني
يبقى لك عندي احسان

٩ قال لي شوارك مرذولة وعندي ما هي مقبولة ومواعيدك هي مجهولة
وعمري ما بصدّق انسانْ

١٠ قلتلُو ويلك يا عقوق لا يا اسود يا ممحوق بتخدعني وما عندك ذوق
وعجزك عن قريب يبانْ

١١ قال انا بالعين صغير ولي في الليل فعل كبير انا ما بفزع من وزير
ولا من حاكم ولا سلطان

١٢ بتميرني بسوادي وانا اليوم لك معادي لأجيك انا واولادي
وبعلمك فعل السودان

١٣ قلتلو ما انا جمك ولا اولادك ولا اولاد عمك لاحرق ابوك مع امك
وبناتكم مع الصبيانْ

١٤ قال بخليك حتّى تنام اجيك انا واولادي قوام لمّا تلبس ثوب لخام
وعن مسكي تبقى عجزان

١٥ وحالّا بتصير تتقلّب وانا في جلدك مكلّب وانت تبقى متملب
بصبع جلدك والقمصان

١٦ قلت يا برغوت ان كنت عائق امتحنّي وانا فائق وضوء الشمس يكون شارق
لننظر من هو الغلبان

١٧ قال انا بالنهار بصوم بقضيها ارتياح ونوم عند غياب الشمس بقوم
وادور حول السيقان

١٨ وان صار لي بالنهار فرصة لا بدّ ما اقرص لي قرصة ولولا خوفي من جرصة
ما كنت بسيّب انسان

١٩ قلت الرهبان لا تقربّهم والترير محارجهم روح عنهم لا تعذبهم
يكفاهم سر الشيطان

٢٠ قال الراهب هو ملزوم بالسهر والصلا والصوم لئلا يتمادى بالنوم
ما هو مليح يكون كسلان

٢١ وانا من يومي بجبّه بجي وبدخل فى عبّه كي يقوم يعبد ربّه
ويطلب للعالم غفران

٢٢ وانت ما فيك تربطني وانا ربي مسلطني ولمّا بدّك تلتقطني
بصير بقفز كالغزلان

٢٣ وبعرف لمّا بتمسكني … ما بتصور تتركني … حالًا بتصير تفركني
وفي قتلي بتبقى شمتان

٢٤ وانا في اول الليل … بتصيّد بقوة مع حيل … وبصير بركض متل الخيل
وعا صدرك بعمل ميدان

٢٥ قلت يا برغوت يا معقور … حقًّا من جنسك مقهور … لا بد ما إعملّك تنّور
واحميه بالشوك والبلان

٢٦ قال لي كلامك كله فشار … قرايبي واولادي كتار … وتربّوا عند الخزّار
وتسلّطوا على البلدان

٢٧ وعلى ايش حتّى تحرقني … حيث ربّي خالقني … وانا الدم يوافقني
وطالب من دمك فنجان

٢٨ قلت يابرغوت بالك فاضي … وعليك ما انا راضي … لا بد اشكيك للقاضي
واخرج في قتلك فرمان

٢٩ قال حكم القاضي انا عاصيه … ومن يومي انا معاديه … وفرمانه لا يعمل في
وعليّ ما له سلطان

٣٠ قلت يا برغوت قلي كارك … واهديني لباب دارك … قصدي اقطع جدارك
واحرق نسلك بالنيران

٣١ قال لي لعشيه بقلك … وعلى باب داري بدلّك … حتّى ادخل في ظلك
وارقّصك رقص السعدان

٣٢ قلت يابرغوت صدقة عنك … عرّفني طريق فنك … وكيف بقدر خلص منك
صرت في امري حيران

٣٣ قال ان كان تعرف فني … طاوعني واسمع مني … انا نصيحتك أمّني
قصدي خيرك يا انسان

٣٤ كلّس بيتك في طيون … ورشّه بزوم الزيتون … وخليه انضف من ماعون
وطيّنهُ بتراب ولمّان

٣٥ وثيابك قبال ان تلبسها … برغتها او شمّسها … وارض الدار كنّسها
كذلك اعمال بالدكّان

٣٦ لمّا يضيمك سنوبك … عند النوم غير توبك … ما احد يجي صوبك
وعلى التخت افرش ونام

٣٧ هذا ما قد صار فيّي … عند السهرا من عشيي … وكان في بدء الصيفي
في آخر يوم من نيسان

(تمّت القصّة من القس حنانيًّا منيّر)

*

وكذلك اشتهر بين شعراء ذلك الدهر المعلم الياس اده وكان مولده في قرية اده من اعمال جبيل سنة ١٧٤١ وتوفي في بعبدا سنة ١٨٢٨ وهناك ضريحهُ وقد صحب الامراء الشهابيين ومدحهم لاسيما الامير يوسف والامير بشير وكذلك خدم مدة احمد باشا الجزار في عكا حتى هرب منهُ خوفاً على نفسهِ. وقد اتسعنا في المشرق (٢: ٦٩٣ و٧٣٦) في ترجمة الياس اده واعمالهِ وشعرهِ فلا حاجة الى الاطالة هنا. ومما وقفنا لهُ بعد ذلك من الآثار الادبية مجموعة ذات ٢٣٥ صفحة ضمَّنها نخبةً من اقوال الادباء والعلماء واللغويين جمعها وهو في حلب الشهباء سنة ١٢٠٧ (١٧٩٢ م) وسمَّاها «الدرّ الملتقط من كلّ بحر وسفط» وجدنا منها نسخة تاريخها ١٢٤٧ (١٨٣١م) وهي عند احد ادباء عينطورة الخواجا جاماتي. وللمؤلف في وصف هذه المجموعة قولهُ:

اذا نظر الرائي اليها يخالُها ... رياضاً بها زَهْرٌ وزُهْرٌ زواهرُ
عرائس يجلوها عليك خدورها ... ولكنَّها تلك الخدورُ دفاترُ

ومما لم نذكرهُ من شعرهِ قولهُ في وفاة الشيخ سعد الخوري سنة ١٧٨٥:

لا ريب بعد السعد لا شيءٌ فاخرُ ... وقد قُرِّحت بالدمع منَّا المحاجرُ
لقد غبت يا شمس الكمال فأُرعدت ... فرائصنا والحزنُ للقلب فاطرُ
وفاضت مياهُ الدمع منَّا فما لنا ... وحقّك قلبٌ بعد فقدك صابرُ
وليل الشقا فينا اكفهرَّ ظلامهُ ... وضاقت علينا بالفراق السرائرُ
لتبكِ المعالي بعد بُعدك حسرةً ... كما لبستْ ثوب الحداد المفاخرُ
أيا لوذعيًّا كان للدهر سيدًا ... ومن كفّهِ للجود هامٍ وهامرُ
عليك من الرحمان اضعافُ رحمة ... ورضوانهُ ما ناح في الروض طائر
وما قال بالاحزان فيك مؤرّخٌ ... فلا ريب بعد السعد لا شيء فاخرُ

ولهُ كذلك قولهُ يصف انواء وزوابع حدثت في ٢٥ كانون الثاني من السنة ١٢٢٨ و(١٨١٣):

هاجت رياحٌ بالشمال تجولُ ... فتعمّدت ريحُ الجنوب تصولُ
ونكافحا حتّى كأنَّ هبوبها ... فرسانُ حربٍ اقبلت وخيولُ
وغدا الضبابُ على الهضابِ معمّماً ... قمم الجبال كانهُ الاكليـ
نحرت سيوفُ البرق اعناق الغما ... م فسال منهُ دمعهُ المهطُولُ
وتزاحمت فرق السحابِ وقد بدا ... للرعد في وسط الغيوم صهيلُ
ما زالت الانواء يخبط جيشها ... حتّى علا نور الضياء افولُ

والشمس قد كُسفت بسلخ محرَّمٍ وعقيب هذه الكسف جاء سيولُ
وتعاظم النوءُ الشديد وقد اتى صفرٌ بشرَّتهِ الرياحُ تدورُ
وبثالث منهُ اتى في جمعةٍ ثلجٌ يعمُّ على البطاح مهولُ
متكبكبٌ متطفٌ يومان مع ليلٍ تواصل هطلهُ الموصولُ
عمَّ الجرودَ وكذا الوسوط سويَّةً وتعمَّمت منهُ الربى وسهول
لله كم من انفس هلكت وكم غصنٍ رطيبٍ قد علاهُ ذبولُ
ولفرط عظمتهِ وشدَّة بردهِ دُهشت بهِ ابصارنا وعقولُ
ولازم الناسُ البيوت مخافةً يومين كلٌّ بالتقى مشغولُ
وتصايحت تلك الخلائق بالدعا لله فهو الحافظُ المسئولُ

وقد خلَّف لنا آثارًا ادبيَّة اوسع من السابقين رجلٌ سبقت لنا ترجمتهُ واطراء فضلهِ في باب التاريخ (ص ٤٧٠) نيقولا الترك فانَّ طول باعهِ في الاداب ليس دونهُ في التاريخ ولدينا من نظمهِ الرائق ونثره المسجع الفائق ما يشهد لهُ بالتقدُّم بين آل عصره . وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسختان من ديوانهِ تنيف النسخة على ٤٠٠ صفحة ترى فيها كل مضامين الكتابة في الرثاء والمدح والوصف والمزح . وقد عارض اصحاب المقامات فوضع منها احدى عشرة مقامة نسبها الى راوٍ دعاهُ الحازم ومسفارٍ فكه سمَّاهُ ابا النوادر . وفي كتابنا علم الادب (١ : ٢٧٨) مقامة منها وهي الاولى المدعوَّة بالديريَّة نسبةً الى دير القمر قدَّمها المؤلف للامير بشير واودعها من حسن التعبير وبديع اللفظ وبليغ المعاني ما يدلُّ على براعتهِ في فنون الانشاء . امَّا شعرهُ فمنسجم سهل المأخذ مطابق لمقتضى الحال مع كثرة التفنُّن في النعوت والاوصاف وفيهِ مع ذلك بعض الضعف اذ نبغ في الشعر بجودة قريحتهِ دون الدرس على استاذ يلقنهُ ومعلّم يرشدهُ . وها نحن نثبت هنا شيئًا من شعرهِ لافادة القرَّاء وتنويهًا بحسن صفاتهِ فمن ذلك قولهُ في مدح الامير بشير وهي اول قصيدة قالها فيهِ :

دنا البشرُ الحميد المستطابُ واشرق في معاليهِ الشهابُ
وتمَّ لنا المنا عزيز أمن بهِ زال العنا والاضطرابُ

الى ان قال :

عزيمته الوفية في الوغا كم بافئدة العدا منها ارتعابُ
وكم رنَّت سامعها ارتعاشًا اذا ما رنَّ في يدهِ القضابُ
تهاب متين همتهِ البلايا ويخشى صوت صولتهِ المصابُ

وترتعد الحوادث منهُ خوفًا ... ويعلو الهول منهُ الارتعابُ
لهُ في المشكلات حميد رأيٍ ... وحزمٍ لم يزُغْ عنهُ الصوابُ
يلي الهيجاء في عزمٍ شديدٍ ... لديهِ لانت الصمُّ الصلابُ
كماةُ الحرب عند لقاهُ فرَّت ... كما فرَّت من الليث الذبابُ
وان خفقت بنور سطاه صاحت ... غشا الضرغام وانقضَّ العقابُ
يُبدِّد شملها منهُ ويفني ... كما يفنى من الشمس الضبابُ
ملاذٌ مقصدٌ حصنٌ منيعٌ ... رجاهُ لا يُرَدُّ ولا يخابُ
اذلَّ الله اعداهُ لديهِ ... وقد خضعت لعزتهِ الرقابُ

ولهُ ايضًا فيهِ من قصيدة قالها بعد واقعة حربٍ:

سواك الى المعالي ليس يدعى ... لانَّ الله احسن فيك بِدْعا
وزانك بالمزايا يا حميدًا ... بهِ الدهر ارتضى واختار قنعا
اميرٌ لا امير سواه يُرجى ... مليك كامل خلقًا وطبعا
بشيرٍ خوَّل الدنياه بشرًا ... بهِ طاب الورى قلبًا وسمعا
شهاب اوعب الافاق نورًا ... على نور الثريَّا فاق سطعا
اذا اعددتهُ يومًا بفردٍ ... من الافراد كنت تراه سبعا
ندى كفَّيه حلّ عن انكفاف ... كأنَّ الله اجرى فيهِ نبعا
فما الفضل ابن يحيى وابن طيٍّ ... وهل معنًى لمن بعدُ يدعى
بصارم عدلهِ كم بتَّ جورًا ... واحيا لانتصار الحقّ شرعا

وقال مهنّئًا قدس السيد اغناطيوس قطَّان بارتقائهِ الى السدَّة البطريركيَّة سنة ١٨١٦ وكان اسمهُ اولًا القس موسى:

خوَّلتَ يا فخر البطاركة الهنا ... للشعب ثمَّ حسمتَ كلّ نزاعِ
لما ارتقيتَ لسدَّةٍ بك شرّفتْ ... يا كامل الاوصاف والاوضاعِ
وأنرتَ يا قطَّانُ قُطانَ الديا ... رِ وفيك باهت سائرَ الاصقاعِ
يا حبرَ احبار البلاد وسيّدا ... ابدًا لهُ عينُ الاله تراعي
وبك استضا الكرسيُّ لمَّا ان رقى ... حسن الدعا لله والاضراعِ
لبَّاه بالافصاح ارَّختْ الهدى ... موسى لشعب الله افضل داعِ

ومن رثائهِ ما قالهُ في الشهيد بطرس مرَّاش سنة ١٨١٨ لمَّا قُتل في حلب بسعي جراسيموس الدخيل مع غيره من الكاثوليك:

كم يشتكي ذلي الموجَّع كلَّما ... قد مضَّهُ الهمُّ الذي قد كمَنا
بل كما تراني عند ما يشتدُّ بي ... حرُّ الجوى الهمي الذي عَنْدَه

ما حَسْرة الثَّكلاء ما الخنساء مذ كانت تشنُّ توجعاً وتألُّما
تبكي نعم لكن على صخر الفلا وانا على صخر العُلى ابكي دما
وافجعتاهُ بهِ ويا اسفي على ذاك الشباب النضّ كيف تحطَّما
شُلَّت يدُ الباغي الذي قد اهرقتْ دمهُ الزكي وحلَّلت ما حُرّما
حيَّاهُ من شهم شجاعٍ باسل بطل الى القتل المريع تقدَّما
بذل الحياةَ الدنيويَّة بالبقا واختار مجدًا سرمديًّا دوَّما
لله فجعة بطرس كم فتَّتت كبدي وألقت في فؤادي اسهما
لله فرقةُ بطرسٍ كم اوحشت تلك الربوع واظلمت ذاك الحما
لله لوعة بطرسٍ كم أجَّجت في مهجتي الحرَّاء جمرًا مضرمًا
ما حيلتي ما طاقتي فنيَت وها جَلَدي وهاك الصبر مني مُعدما
طوباه اذ من بعد اصلح سيرةٍ ومناقبٍ منذ الصبا فيها نما
وافى الى سفك الدما بشهامةٍ وغشي المنايا مسرعًا متقحما
وانضمَّ منحازًا مع الشهداء في جنَّات خلدٍ بالسماء منعَّما
يا طيب مثوًى ضمَّ طاهر جسمهِ يا فوز من وافى اليهِ ميمّمًا
فلذاك قلتُ صِلوهُ تمجيدًا بتا ريخي ففي دمهِ الزكي ورث السما

وهي طويلة. ومن نظمهِ ما قال يهجو بعض القوالين الذين يسرقون ابياتًا وقصائد قديمة وينسبوها لهم :

اصبح الشعر كالشعير مقامًا لا بل الشعر منهُ ارخص قيمهْ
غُرَّ من قد غدا بذا الدهر ينفي حقَّ ما فيهِ من لآل نظيمهْ
حيثما قد غدت بنو الخلط تنشا فيهِ بئس المؤلفات الذميمه
ويحهم كيف جوَّزوا واباحوا هتك ما فيهِ من عروضٍ سليمه
يا لهم من فواجرٍ بنباهم والخطا غوَّروا البحور العظيمه
نقضوا كل كاملٍ موزونٍ ذي احتكام وعوَّجوا مستقيمه
افسدوا جوهر البسيط وفيهِ ركَّبوا اقبح الصفات الذميمهْ
قلَّ ان يُنقذ الخفيفَ فرارٌ منهمُ او تقى السريعَ هزيمه
ضعضعوا الوافر المديد وامست بينهم حالة الطويل مشومه
كلهم كالذئاب قوم لصوص يستحلّون سرقة محرومه
قاتل الله مثلهم من يسطو بافتراءٍ على البيوت القديمه
كم بهم ابكمٌ يقلّد قسًّا فيهِ قد كانت الفصاحة شيمه
بل وكم بينهم ترى مهذارًا فاتحًا شدقهُ كشدق بهيمه
حرفة الشعر يا عبادُ توفَّت فاسكبوا فوقها الدموع الحميمه
رحمة الله والسلامُ عليها حيث راحت، من البنين عقيمه

يدّعون التقول فيها التبني وهي فيما ادّعوا بهِ متهومهْ
عظمها في التراب ما زال يشدو يعلم الله اني مظلومهْ

ومن موشحاتهِ ما قالهُ في مدينة طرابلس ومدح اهلها:

بأبي عهدُ التهاني والصفا زمنٌ مرَّ بطَرَبلُسِ
يا هنا عيش رغيدٍ سلفا لي بذاك المعلم المؤتنَسِ

دور

حبّذا الفيحاء اهنا كل نادْ والحمى المعمور والركن الحصينْ
كتب السعدُ عليها يا عبادْ ادخلوها بسلام آمنينْ
بلدةٌ طيبةٌ خير البلادْ والمقام المشتهى للناظرين
اهلها قوم لطاف ظرفا نعمَ امجادٍ كرام الانفسِ
ما لهم عيبٌ سوى حسن الوفا والخلوص المتنأى عن دنسِ

دور

حيّني يا ريحَ الصبا ذاك الكثيبْ بضواحيهِ وذيّاك المقامْ
وعلى كلّ محبٍّ وحبيبْ اتلي عني يا صبا الف سلام
واذا جزتِ بواديه الخصيبْ بلغي شوقي لساداتي الكرام
خبّريهم انَّ جفني قد جفا بعدهم لذّات طيب النعسِ
وفؤادي راح يشكو الكلفا من هموم حتّى قبضِ النفسِ

وهو موشح طويل . ومما امتاز بهِ الترك مداعباتهُ واقوالهُ الفكاهيّة . فمن ذلك ما رويناهُ لهُ في كتابنا علم الادب (١ : ٢٤٩) مناظرة بين الزيت واللحم . ومنها قولهُ يطلب من الامير بشير شروالًا وعمامة:

وشروالٍ شكا عتقًا واسى يراودني العتاق فما عتقتُ
وكم قد قال لي بالله قلْني وهبْني كنت عبدًا وانطلقتُ
اما تدري باني صرتُ هرمًا وزاد عليَّ اني قد فتقتُ
فدعْني حيث قلَّ النفع بي وعاد من المحال ولو رُتقتْ
ولا تعبأ بتقليبي لانّي بعمر ابيك نوح قد لحقتْ
ولم يبرح يجدّد كل يومٍ عليَّ النعي حتّى قد قلقتُ
وقلت لهُ عُتقت اليوم مني لاني في سواك قد اعتلقتُ
فأشعرتِ العمامةَ في مقالي لهُ فاستحسنت ما قد نطقتْ
فراحت وهي تشدو فوق رأسي ليَ البشرى إذن وانا عُتِقْتُ

ومما نُقش من شعره في معاهد بيت الدين التي ابتناها الامير بشير قولهُ وهو مرقوم فوق باب احدى القاعات:

دارُ المعالي التي فاقت مفاخرها والعزُّ قد زادها حسناً وجمَّلها
تزينت في معاني الظرفِ واكتملت بقاعةٍ ارّخوها لا نظير لها

وكتب على دائرها هذه الابيات استغاثة الى العزَّة الالهيَّة على لسان الامير :

اللهُ الله انت الواحدُ الاحدُ والسرمدُ الازليُّ الدائمُ الصمدُ
حيٌّ عزيزٌ قديرٌ خالقٌ ولهُ من في السماء ومن في ارضنا سُجُدُ
لا ربَّ غيرك يا مولايَ نعبدهُ ولا سواك الهًا فيهِ نعتقدُ
انت الغنا والمُنا والفوزُ اجمعهُ والعونُ والغوثُ والانجاء والمددُ
ما لي سواك غياثٌ لي اطالبهُ كلَّا وغيرك ما لي في الورى سندُ
خوَّلتني يا الهي خير تسمية فكنت فيك بشيرًا انت لي عضدُ
فاللبُّ والروح كلٌّ فيك مشهدهُ والفكرُ والقلبُ والاحشاء والكبدُ
بل كل جارحةٍ مني وعاطفة تصبو اليك ونار الحبّ تتَّقدُ
اذ انت علَّة نفسي انت مركزها يا رب كلٍ ومنهُ الخلق قد وُجدوا
يا ربّ امنن بعفوٍ منك لي كرمًا واغفر جنايات عبد منك يرتعد
وجُد بخاتمةٍ يا رب يعقبها ذاك النعيم السعيد الثابت الوطدُ

هذا ولو شئنا لاتسعنا في ذكر منظومات نيقولا الترك وانما نجتزئ بهذا القليل وفيه كفاية لتعريف طريقة ذلك الشاعر الذي كان من اعظم السُّعاة في النهضة الادبيَّة في مبادئ القرن التاسع عشر وديوانهُ يستحقُ الطبع لان صاحبهُ الاديب نظمهُ في وقت كسدت فيهِ تجارة الاداب فيشفع في ضعف بعض اقسامهِ الكثير من محاسنهِ

وممن نلحقهم بهولاء الشعراء بعض من معاصريهم النصارى ابقوا لنا آثارًا من فضلهم وهي تآليف ومصنفات ادبيّة غير الشعر واوَّلهم جرمانوس آدم الحلبي الذي لعب دورًا مهمًّا في تاريخ زمانهِ . ولد في حلب في اواسط القرن الثامن عشر ونشأ فيها ثم تخرج في الاداب الكنسيَّة والعلوم الدينيَّة والمعارف الدنيويَّة في رومية العظمى حتى اصاب منها قسماً صالحا . وقد عُهدت اليهِ لمقدرتهِ عدَّة مهمَّات قام بها قياماً حسناً وتولى القضاء مدَّة في لبنان ولهُ تآليف متعددة تشهد لهُ بقوة الفهم واتساع المعارف واكثرها دينيَّة منها كتاب ايضاح اعتقاد الآباء القديسين في إلحاد المشاقين وهو سفرٌ كبير وايضاح البراهين اليقينيَّة على حقيقة الامانة الارثذكسيَّة وكتاب المجامع الكباسوطيوس (Cabassut) ولهُ تآليف اخرى شطَّ فيها عن تعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة لكنَّهُ رذلها قبل وفاتهِ نادماً . وتوفي في زوق ميكائيل في ١٠ ت ٢ سنة ١٨٠٩

وفي عهدهِ عُرف راهب من ملّتهِ الروم الكاثوليك وعاش بعدهُ ردهاً من الدهر اعني بهِ سابا بن نقولا الكاتب الشهير بالخوري سابا. كان مولدهُ في حمص وكان ابوهُ من الروم الارثدكس وامّه كاثوليكيّة فنشأ على دين والدهِ مدّةً ثم اهمل نفسهُ لملاذّ الدنيا حتى ارعوى وارتدَّ الى الله بعد ان رأى عيشة الرهبان الكاثوليك في دير المخلّص فتبعهم في دينهم ثم في طريقتهم النسكيّة واخذ العلوم العربيّة عن الشيخين يوسف الحرّ من علماء جباع واحمد البزري. وبعد كهنوتهِ سافر الى رومية حيث اتقن العلوم الفلسفيّة واللاهوتيّة وتعلّم اللغات الاوربيّة ثم رجع الى الشرق وانكبَّ على الاعمال الخيريّة الّا انَّ الامراض دهمتهُ فاحوجتهُ الى لزوم ديرهِ فانقطع الى التأليف وصنّف كتباً عديدة في اخصّ المعتقدات المسيحية اكثرها لا يزال مخطوطاً طبع منها شيئاً الاديب شاكر افندي البتلوني. ولهُ مصنّفات اخرى في معظم الابحاث الفلسفيّة منها رسائل في النفس وجوهرها وخواصّها. ومنها كتاب في المنطق نُشر بالطبع وغير ذلك ممّا عدّدهُ صاحب تاريخ الروم الملكيين (ص ٧٨-٧٩) ورُقّي الى رئاسة رهبانيّتهِ العامّة نحو تسع سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول من السنة ١٨٢٧

وقبل ان نختم تاريخ هذا الطور الاوّل من الآداب العربيّة في القرن المنصرم يجمل بنا ان نذكر المستشرقين الاوربيين الذين استحقّوا ثناء الادباء بما نشروهُ من المصنّفات العربيّة

وممّا يقال بالاجمال انَّ هذه ثلاثة اعشار القرن لم يبلغ احد فيها بين الاجانب مبلغ العلّامة سلوستر دي ساسي لكنّنا نؤجّل الكلام فيهِ الى الطور التالي لأنهُ فيهِ مات. وكان دي ساسي كنقطة المركز لدائرة زمانهِ يشيرون اليهِ بالبنان لتفنّن معارفهِ بل كان منارًا يستضيءُ بنورهِ كلّ من اراد العلوم الشرقيّة في فرنسة وغيرها فيقدمون باريس ليحضروا دروسهُ ويدورون في فلكهِ كالاقمار المستنيرة بهِ .

وقد جاراهُ في علومهِ ولم يبلغوا شأوهُ بعض اهل وطنهِ الذين قدّمنا ذكرهم (ص ٣٧٩) كالعلّامة دي غيني ولنغلاي ودوبرون وهربان وكلّهم الآثار الناطقة بعلوّ هممهم وسعة معارفهم. وممّن تتلمذوا لهُ وفازوا بالشهرة في آداب العرب السيو امانوئيل جوردان (A. L. Jourdain) (١٧٨٨-١٨١٨) كتب تاريخاً للعجم وانتقد تآليف ميرخند وصنّف كتاباً في البرامكة ونقل الى الفرنسويّة نخباً من تاريخ العرب

عن حروب الفرنج في بلاد الشام. لكنَّ هــذا المستشرق مات في مُقتبل العمر

ومن تلامذة دي ساسي ايضاً في هذا الطور انطون ليونارد دي شــازي (Chézy) نبغ في اللغات الشرقيَّة وكتب عدَّة مقالات في آثار العرب والعجم وغيرهم في مجلة العلماء ولهُ تاريخ العجم ومجانٍ ادبيَّة فارسيَّة ومنتخبات من كتاب عجائب المخلوقات للقزوينيّ . توفي سنة ١٨٣١ وكان مولدهُ سنة ١٧٧٣

ومما يُذكر من حسن مساعي الفرنسويين في خدمــة الآداب الشرقيَّة في ذلك العهد نشأة الجمعيَّة الاسيويَّة الباريسيَّة انشأها دي ساسي ورصفاؤهُ وتلامذته سنة ١٨٢١ ثمَّ باشروا بنشر الآثار القديمة والمقالات المستحسنة في كل فنون الشرق وآدابهِ ولغاتهِ لاسيا اللغات الساميَّة منذ السنة ١٨٢٢ ومجلَّتهم تبرز كل سنة في مجلَّدين فيكون مجموع ما ظهر الى يومنا منها بالغًا ١٧٠ مجلَّدًا تحتوي كنوزًا ثمينة في كل آداب الشرق

وحذا الانكليز حذو الفرنسويين في العام التالي سنة ١٨٢٣ فشكَّلوا ايضاً جمعيَّة دعوها باسم جمعيَّة بريطانية العظمى وايرلندة الاسيويَّة الملكيَّة. وكان الساعي في هــذا المشروع بعض كبار الاثريين مثل كولنبروك (Colenbrook) وجُنستون (Johnston) وستونتن (Staunton) وڤين (Wynn) وهوغتون (Haughton) فنشروا ايضاً نشرة علميَّة (Transactions) سنة ١٨٢٤ ثم وسَّعوها سنة ١٨٣٦ ودعوهــا مجلة لندن الاسيويَّة الملكيَّة لكنَّ العلماء الانكليز كانوا يوجّهون اهتمامهم خصوصاً الى الهند والى لغات الهنود وآدابهم. وكذلك نشر الالمان مجموعات شرقيَّة منها «معادن الشرق» للعلَّامة هامّر (Hammer) و «جريدة المعــارف الشرقيَّة» التي طُبعت في بونة من اعمال المانية. امَّا الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانيَّة فلم تنشأ الَّا بعد ردحة من الدهر

ومن مشاهير المستشرقين في تلك الأيَّام غير الفرنسويين رازموسن (Rasmussen) الدنيمركيّ (١٧٨٥—١٨٢٦) درس العلوم الشرقيَّة في باريس ثم عاد الى وطنهِ فتولَّى تدريس لغات الشرق في حاضرة بلادهِ كوبنهاغن. له عدَّة تآليف في تواريخ العرب في الجاهليَّة نقلًا عن ابن قتيبة وابن نباتة والنويريّ مع جدول لتوفيق التاريخ الهجري والتاريخ المسيحيّ. ونقل قسماً من كتاب الف ليلة وليلة. ومن مصنَّفاتهِ كتاب لهُ في المعاملات التي دارت بين العرب والصقالبة في القرون الوسطى

واشتهر بين الالمان ڤلمت (J. Wilmet) الذي نشر معجماً عربيًا لاتينيًا ونقل

معلّقتي لبيد (سنة١٨١٤) وعنترة (سنة١٨١٦) وعلّق عليهما الحواشي الواسعة والتذييلات المهمّة. ومنهم ايضاً كرل روداف پيپر (C. R. S. Peiper) نقل قسماً كبيرًا من مقامات الحريري الى اللاتينيّة وحشّى معلّقة لبيد. وكذلك عُرف بينهم كرل تيودور جوهنسن (C. T. Johannsen) الذي ترجم تاريخًا لمدينة زبيد عنوانهُ « بغية المستفيد في اخبار زبيد » ونشرهُ في بونة سنة ١٨٢٨. وهو تاريخ حسن ألّفهُ في غرة القرن العاشر للهجرة الامام سيف الاسلام ابن ذي يزن الفقيه عبد الرحمان الربيع

وكانت الدروس العربيّة قد ضعفت قليلًا في ايطالية فانهضها احد فضلاء الأُسرة السمعانيّة زيد شمعون السمعاني الذي ولد في طرابلس ودرس في مدرسة الموارنة في رومية العظمى ثم تجوَّل مدَّة في مصر والشام لجمع المخطوطات الشرقيَّة. ولمَّا كانت السنة ١٧٨٥ عهدت اليهِ كليَّة پادوا تدريس اللغات الشرقيَّة فعلَّمها الى سنة وفاتهِ في ٧ نيسان ١٨٢١. لهُ تأليف في عرب الجاهليَّة واصلهم وتاريخهم واحوالهم في مجلَّدين. ووصف الآثار الكوفيَّة في المتحف النانياني والمتحف البرجياني ومتحف السيد مينوني

وفي الوقت عينهِ اكتسب احد كهنة ايطالية المسمَّى جان برنرد دي روسي (١٧٤٢—١٨٣١) شهرة واسعة في المعارف الشرقية. فانهُ كان اولًا ناظرًا على متحف مدينة تورينو ثم تولَّى تدريس اللغات الشرقيَّة في كليَّة پارما نحو خمسين سنة. ومن مشروعاتهِ الطيبة انشاؤهُ في پارما مطبعة شرقيَّة متقنة الادوات جميلة الحروف اصدرت عدَّة مطبوعات بديعة الطبع. وكان دي روسي حاذقًا في اللغة العبرانيَّة لهُ فيها عدَّة مصنَّفات. منها وصف مكتبة واسعة كان جهَّزها بالتآليف النادرة والمخطوطات الجليلة ومنها تأليف في الشعر العبرانيّ. وكان يحسن العلوم العربيَّة كما يدلُّ عليهِ كتابهُ « معجم اشهر ادباء وكتبة العرب » الذي طبعهُ سنة ١٨٠٧

الفصل الرابع

في الاداب العربية من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠

هو الطور الثاني من القرن التاسع عشر وهو يشمل عشرين سنة اصابت في مطاويها الآداب العربيَّة ترقيًا مذكورًا

وممّا امتاز بهِ هذا الطور الثاني انتشار المطابع العربيّة في الشرق · نعم انّ الطباعة كانت سبقت هذا العهد كما بيّنّا الامر في المقالات المتعدّدة التي خصصناها بهذا الفنّ في اعداد المشرق من السنين الثلاث ١٩٠٠ و١٩٠١ و١٩٠٢· لكنّ المطبوعات العربيّة في الشرق كانت قليلةً لا تتجاوز بعض العشرات واكثرها دينيّة كما في مطابع حلب وبيروت والشوير· فلمّا كان القرن التاسع عشر توفّرت الادوات الطبعيّة في الشرق وقد مرّ لنا ذكر مطبعة الاستانة العليّة ومطبعة بولاق (٣: ١٧٤) وكلتاهما وسّعت دائرة اشغالها في هذا الطور الثاني لاسيما مطبعة بولاق التي ابرزت نحو ثلاثمائة كتاب في فنون شتّى بالعربيّة والتركيّة والفارسيّة (Journ. As., 1843², 24-61) وكان اكثرها منقولًا عن الفرنسويّة في العلوم المستحدثة كالرياضيّات والطبّ والجراحة وجرّ الاثقال والفنون العسكريّة امّا الكتب الادبيّة فكانت يسيرةً

ومن المطابع التي جدّدت حركتها في هذه المدّة مطبعة القديس جاورجيوس في بيروت (المشرق ٣: ٥٠١) فانّها بعد خمودها نحو مئة سنة عادت الى اشغالها بسعي مطران الروم الارثذكس بنيامين سنة ١٨٤٨· وفي السنة التالية انشأ في القدس بطريرك الروم كيرلّس الثاني مطبعةً عُرفت بمطبعة القبر المقدّس اليونانيّة (المشرق ٥: ٧٤)· ومعظم مطبوعات هاتين المطبعتين في السنين الاولى لانشائهما لم تتجاوز الموادّ الدينيّة

وفي اثناء هذا الطور اعني من السنة ١٨٣٠ الى ١٨٥٠ استُحدثت ثلاث مطابع كبيرة اعانت على نشر آداب اللغة العربيّة في جهات الشام: الاولى منها مطبعة الاميركان التي نُقلت سنة ١٨٣٤ من مالطة الى بيروت واستحضرت ادوات جديدة وحروفًا مشرقة فاشتغلت مذ ذاك الوقت بطبع مؤلّفات جمّة عدّدنا قسمًا منها في المشرق (٣: ٥٠٤)· والثانية مطبعة الآباء الفرنسيسيّين في القدس الشريف باشرت اعمالها سنة ١٨٤٦· والثالثة مطبعتنا الكاثوليكية كان ظهورها سنة ١٨٤٨ فطبعت اولًا كتبًا شتّى على الحجر ثم طبعت على الحروف سنة ١٨٥٤ (المشرق ٣: ٧٠٦) فهذه المطابع لم تزل منذ نيّف ونصف قرن يجاري بعضها بعضًا في ميدان الآداب كخيل السباق ولا غرو فان بواسطتها تعدّدت المنشورات وقرب جناها على ايدي الاحداث واقبل على مطالعتها القوم

ومن الاسباب التي ساعدت ايضًا في تلك المدّة على اتّساع المعارف الادبيّة وارتقاء اللغة العربيّة ما أُنشئ في الشرق من المدارس بهمّة اصحاب الخير. فما عدا

المعاهد التي سبق لنا ذكرها (ص ٢٤٥) كعين ورقة وعين تراز والشرفة ظهرت مدارس جديدة غايتها ترقية العلوم كان الفضل في انشائها الى المرسلين اللاتينيين. واوّل هذه المدارس التي فتحت لتثقيف الوطنيين بالآداب العصريّة مدرسة عين طورا باشرت بالتعليم سنة ١٨٣٤ وقد سبق المشرق (٣: ٥٤٨ الخ) فاتّسع في تاريخ هذه المدرسة الشهيرة ومن تخرّج فيها من الادباء فلا حاجة الى التكرار

ثم أنشئت بعد تسع سنوات (١٨٤٣) مدرسة للآباء اليسوعيين في كسروان انشأها الاب مارك بلانشه في غزير في الدار التي كان شيّدها الامير حسن يوسف شهاب لسكناهُ. وهذه المدرسة بقيت عامرةً الى سنة ١٨٧٤ حيث نقلت الى بيروت فقامت عوضاً عنها مدرسة القديس يوسف الكليّة. ومن مدرسة غزير خرج رجال افاضل لا يُحصى عددهم منهم بطاركة اجلّاء واساقفة مبجّلون وكهنة غيورون ووجوه وأُدباء وكتبة كانوا كلهم ولا يزال كثيرون منهم الى يومنا سنداً لكل مشروع خيري ولكل مسعىً صالح

وكما اهتمّ المرسلون بفتح المدارس للذكور لم يسهوا عن تربية الاناث فبمساعيهم قدمت راهبات مار يوسف سنة ١٨٤٥ ثم راهبات المحبّة سنة ١٨٤٧ واخذنَ يتفانَينَ في تهذيب الفتيات في الشام وفلسطين. وبعد سنين قليلة انشأ الآباء اليسوعيّون سنة ١٨٥٣ جمعيّة الراهبات المريمات ثم جمعيّة قلب يسوع والفئتان حازتا رضى الاساقفة والاهلين وخدمتا الوطن احسن خدمة بتهذيب البنات ثم اجتمعتا باخوية واحدة عُرفت باسم راهبات قلبي يسوع ومريم يشهد لهنّ الجميع في يومنا الغيرة والصلاح وحسن التربية للشبيبة وخصوصاً في القرى المهملة. وكذلك انتشرت راهبات الناصرة في هذه البلاد وتولّين ادارة مدارس الاناث من كلّ طبقات الاهلين في بيروت وعكا وحيفا والناصرة وشفا عمرو فاحرزنَ لهنّ ثقة الجمهور بفضلهنّ

امّا المدارس الوطنيّة فانّها تعزّزت ايضاً في هذا الطور وزادت نموًّا لاسيما مدرسة عين ورقة التي اكسبها رئيساها الاوّلان المطران خير الله اسطفان والمطران يوسف رزق الجزيني رونقاً عظيماً ماديًّا وادبيًّا. ومن اثار هذه المدرسة حينئذٍ انشاء جمعيّة مرسلين انجيليين انتسبوا الى مار يوحنّا الانجيليّ وخدموا النفوس باعمال الرسالة نحو عشرين سنة ثم خلفتهم جمعيّة مرسلي الكريم التي لا تزال حتى يومنا تشتغل كرم الرب بنشاط وغيرة

وكذلك تقدّمت مدرستان أُخريان للطائفة المارونيّة كان سبق تأسيسهما في ايّام السيّد البطريرك يوحنّا الحلو نريد مدرسة مار يوحنّا مارون كفرحيّ ومدرسة مار مارون الروميّة . فكان الساعي بانشاء الأُولى المطران جرمانوس ثابت في السنة ١٨١١ خصّها بتهذيب بعض احداث بلاد جبيل والبترون وجبّة بشراي ثم اتّسعت بعد ذلك في ايّام الطيّب الذكر المطران يوسف فريفر الذي صرف المجهود في تحسينها وقد حذا حذوهُ رئيسها الحالي المنسنيور بطرس ارسانيوس الذي لا يزال مهتمّا بشؤونها ونجاحها

امّا المدرسة الروميّة فكان انشاؤها بعد ذلك سنة ١٨١٧ وكانت هذه المدرسة ديرًا فقام البطريرك يوحنّا الحلو بتحويلها الى مدرسة وصادق على امرهِ آباء مجمع اللويزة في السنة التالية . ولعائلة بيت الصفير اوقاف وحقوق على مدرسة الروميّة التي اخرجت عددًا وافرًا من افاضل الشبّان المرشّحين للكهنوت

ولمّا قام السيد يوسف حبيش بطريركًا على الطائفة المارونيّة وجّه عنايته الى فتح المدارس لابناء رعاياهُ فَفُتحت اولًا مدرسة مار يوحنا مارون في صربا ١٨٢٧ وكان الساعي بذلك المطران يوحنا العضم . ثم فُتحت مدرسة أُخرى في عرمون وكان هناك لبيت آصاف دير للراهبات فحوّلوهُ بعد امر السيد البطريرك الى مدرسة عموميّة لتعليم شبّان الطائفة المارونية العلوم الاكليريكيّة وصار لهذه المدرسة نجاحٌ عظيم خرج منها اولو فضل ممّن تفتخر بهم ملّتهم حتى اليوم كالسادة الاجلاء المطران يوسف النجم والمطران اسطفان عوّاد والمطران بولس عوّاد والمطران يوسف مسعد وكالخوارنة العالمين العاملين يوسف العلم وكيل سيادة مطران بيروت حالًا ويوحنا رعد الغزيري الشاعر والخوري عبد الله العقيقي وغيرهم

وبعد ذلك بسنتين (١٨٣٢) سعى البطريرك المومأ اليهِ بتحويل دير مار سركيس وباخوس في ريفون الى مدرسة لابناء الطائفة كمدرسة مار عبدا فلبّى دعوته ولاة الدير من بيت مبارك بكل طيب قلب وافرغ رئيس الدير القسّ فرنسيس مبارك كنانة الجهد في تحقيق تلك الامانيّ فلم تذهب مساعيهِ ادراج الرياح كما ترى في تاريخ هذا الدير الذي سبق بتسطير اخباره حضرة الاب الابراهيم حرفوش في المشرق (٨ : ٦٧ و٣٤٧ و٧٥٣)

وفي هذا الوقت ايضًا كان المرسلون الاميركان لا يألون جهدًا في فتح المدارس

اخصّها في بيروت واعبَيْه فنجحوا فيها بعض النجاح لولا أنّهم ناقضوا فيها تعاليم الدين الكاثوليكيّ ليبثّوا في قلوب الاحداث زوان التساهل الدينيّ

وكانت الدروس العربية في كل هذه المدارس راقيةً فانَّ منها خرج معظم الذين اشتهروا بالكتابة في القرن المنصرم وخصوصاً بين النصارى كما نبيّن ذلك

امَّا المدارس خارجاً عن الشام فكانت في الغالب مقصورة على مبادئ القراءة والكتابة واصول الحساب واللغة

بعض مشاهير المسلمين في هذا الطور الثاني

نقدّم عليهم الشيخ حسن بن محمّد العطّار كان اهلهُ من المغرب فانتقلوا الى مصر وولد حسن في القاهرة سنة ١١٨٠ ه (١٧٦٦ م) وكان ابوهُ عطّارًا استخدم ابنهُ اوّلًا في شؤونهِ ثم رأى منه رغبةً في العلوم فساعدهُ على تحصيلها فاجتهد الولد في احراز المعارف واخذ عن كبار مشايخ الازهر كالشيخ الامير والشيخ الصبّان وغيرهما حتى نال منها قسماً كبيرًا. وفي أيامهِ جاء الفرنسويّون الى مصر فاتّصل بأُناس منهم فاستفاد منهم الفنون الشائعة في بلادهم وافادهم اللغة العربيَّة. ثمَّ ارتحل الى الشام واقام مدّة في دمشق وممّا نظمهُ حينئذٍ قولهُ في منتزهات دمشق :

بوادي دمشق الشام جُزْ بي اخا البسط	وعرّجْ على باب السلام ولا تُخطِ
ولا تبكِ ما يُبكي امرءَ القيس حوملًا	ولا منزلًا اودى بمنعرَج السقط
فانَّ على باب السلام من البها	ملابسَ حسنٍ قد حُططنَ من العطّ
هنالك تلقى ما يروقك منظرًا	ويُسلي عن الاحدان والصحب والرهطِ
عرائس اشجارٍ اذا الريح هزّها	تَميلُ سكارى وهي تخطر في مرطِ
كساها الحيا اثواب خطر فدُثّرت	بنور شعاع الشمس والزهر كالقُرْطِ

وتجوّل هذا الشيخ حسن في بلاد كثيرة يفيد ويستفيد حتى كرَّ راجعاً الى مصر فاقرَّ له علماؤها بالسبق فتولّى التدريس في الازهر وقُلد رئاسة هذه المدرسة بعد الشيخ محمّد العروسي سنة ١٢٤٦ فدبَّرها احسن تدبير الى سنة وفاتهِ في آخر سنة ١٢٥٠ ه (١٨٣٥ م) وكان محمّد علي باشا خديوي مصر يجلّهُ ويكرمهُ. وقد خلف عدّة تآليف في الاصول والنحو والبيان والمنطق والطب. ولهُ كتب في الانشاء والمراسلات تكرّر

طبعهُ في مصر . وكان هذا الشيخ عالمًا بالفلكيَّات لهُ في ذلك رسالة في كيفيَّة العمل بالاسطرلاب والرُّبعَين المقنطر والمجيَّب والبسائط . وكان يُحسن عمل المزاول الليليَّة والنهارية. وقد اشتهر ايضًا الشيخ العطَّار بفنون الادب والشعر. وممَّا يُروى عنهُ انهُ لمَّا عاد من سياحتهِ في بلاد الشرق رافق امام زمانهِ في العلوم الادبيَّة السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشَّاب فكانا يبيتان معًا ويتنادمان ويتجاذبان اطراف الكلام فيجولان في كل فنّ من الفنون الادبيَّة والتواريخ والمحاضرات واستمرَّت صحبتهما وتزايدت على طول الايام مودَّتهما الى ان توفي الخشَّاب فاشتغل الشيخ العطار بالتأليف الى موتهِ. ولهُ شعر رائق جُمع في ديوانه فمن ذلك ما رواه لهُ الجبرتي(٤ : ٢٣٣) في تاريخهِ يرثي الشيخ محمَّد الدسوقي المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٥م)

احاديث دهرٍ قد ألمَّ فاوجعا ... وحلَّ نادي جمعنا فتصدَّعا
فقد حال فيا البَين اعظم صولةٍ ... فلم يُخلِ من وقع المصيبة موضعا
وجاءَت خطوبُ الدهر تترى فكلَّما ... مضى حادث يعقبْهُ آخرُ مسرعا

وهي طويلة قال في ختامها:

سعى في اكتساب الحمد طول حياتهِ ... ولم ترهُ في غير ذلك قد سعى
ولم تُلههِ الدنيا بزخرفِ صورةٍ ... عن العلم كيما ان تَغُرَّ وتَخدَعا
لقد صرف الاوقات في العلم والتقى ... فما أن لها يا صاحِ امس مضيّعا
فقدناهُ لكن نفعهُ الدهرَ دائمٌ ... وما مات من ابقى علومًا لمن وعى
فجوزيَ بالحُسنَى وتُوِّج بالرضا ... وقوبِل بالاكرام ممَّن لهُ دعا

وممن مدحوا الشيخ حسن العطار المعلم بطرس كرامة اللبناني فقال فيهِ لما قابلهُ في مصر :

قد كنتُ اسمعُ عنكم كلَّ نادرةٍ ... حتَّى رايتك يا سؤْلي ويا أربي
والله ما سمعتْ اذني بما نظرت ... لديك عيناي من فضلٍ ومن ادبِ

وقام بعد الحسن العطار في رتبتهِ البرهان القويسني فتقلَّد مشيخة الازهر اربع سنوات وتوفي سنة ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨) وكان مكفوف البصر عالمًا لهُ تآليف فقهيَّة قال فيهِ احد شعراء زمانهِ يوم ولي رئاسة الازهر معترفًا بسلفهِ:

ولئن مضى حسَنُ العلوم لربهِ ... فلقد اتى حسنٌ وأحسنُ من حسنْ
انت المقدَّم رتبةً ورئاسةً ... وديانةً من ذا الذي ساواك منْ

واشتهر بالآداب احد تلامذة الشيخ حسن العطار وهو الشيخ حسن قويدر. ولد بمصر سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩) وكان اصل اجداده من المغرب ثمَّ انتقلوا الى مدينة الخليل وتناسلوا بها ثمَّ انتقل علي قويدر والد المترجم الى القاهرة وفيها ولد ابنهُ الحسن . فلما نشأ اخذ عن شيوخ زمانهِ وخصوصاً عن الشيخ حسن العطار. ولم يزل يتقدَّم في العلوم حتَّى نال فيها شهرة عظيمة وكان مع ذلك يشتغل بالتجارة ويعامل اهل الشام ومن تآليفهِ شرحهُ المطول على منظومة استاذهِ حسن العطار في النحو وكان قرَّظها بقولهِ :

منظومةُ الفاضل العطَّار قد عبقت ... منهـا القلوبُ بريَّا نكهةٍ عطرهْ
لو لم تكن روضةً في النحو يانعةً ... لَما جنى الفكرُ منهـا هذه الثمرهْ
في ظلمة الجهل لو أبدت محاسنها ... والليلُ داجٍ أرانا وجهُها قمرهْ
قالوا جواهرُ لفظٍ قلت لا عجبٌ ... بحر البلاغة قد اهدى لنـا دُررهْ

ومن تآليفهِ ايضاً كتاب انشاء ومراسلات ورسائل ادبيَّة . ومنهـا كتاب نيل الارب في مثلثات العرب وهي مزدوجات ضمَّنها الالفاظ المثلَّثة الحركات المختلفة المعاني كمثلَّثات قطرب. وهذا التاليف طُبع في مصر وقد نقله الى الايطاليَّة المستشرق الاديب المرحوم اريك ڤيتُّو قنصل ايطالية في بيروت سابقًا وطبعهُ في المطبعة الادبيَّة. ومما يروى من شعره قولهُ :

يا طالب النصح خـذ مني محبَّرةً ... تُلقى اليهـا على الرغم المقاليـدُ
عروسة من بنات الفكر قد كُسيت ... ملاحةً ولها في الخد توريدُ
كأنَّها وهي بالامثـال ناطقةٌ ... طيرٌ لهُ في حميم القلب تغريدُ
احفظ لسانك من لفظ ومن غلطٍ ... كل البلاء بهذا العضو مرصودُ
واحذر من الناس لا تركن الى احدٍ ... فالخل في مثـل هذا العصر مفقودُ
بواطنُ الناس في هذا الدهر قد فسدت ... فالشر طبع لهم والخير تقليدُ

توفي الشيخ حسن قويدر سنة ١٢٦٢ وقيل انهُ في مرضه الاخير وضع تاريخ وفاته بهذه العبارة « رحمة الله على حسن قويدر » مجموع حروفها سنة وفاتهِ

اما بلاد الشام فاشتهر من علمائها الشيخ محمَّد امين بن عمر بن عبـد العزيز كان مولدهُ بدمشق سنة ١١٩٨ هـ وفيها توفي سنة ١٢٥٢ (١٧٨٣ — ١٨٣٦) برَّز بين ادباء وطنهِ واخذ عنهُ علماء الشام وقد صنَّف في الفقه والتصوُّف نحو خمسين كتابًا

واشهر منهُ في الشعر الشيخ امين بن خالد اغا ابن عبد الرزّاق اغا الجندي ولد في حمص من أُسرة شريفة سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) ونشأ بها في طلب العلوم ثم رحل الى دمشق فامتاز بين اقرانهِ وشهد لهُ الشيخ عمر اليافي بالتقدُّم في الشعر. وقد نظم القصائد المفيدة والقدود الفريدة وتفنن خصوصاً في الموشحات والمواليات والاناشيد الموقعة على آلات الطرب وقد غلبت عليهِ الغزليات. وكان سيّال القلم طيّب القريحة لم يمضِ عليهِ يوم خالياً من نظم او نثر يحرّر في يوم ما يعجز عنهُ غيرهُ في شهر. وكان اهل زمانهِ يتزاحمون على مسامرتهِ ويتنافسون في مواصلتهِ ويتغنّون باقوالهِ. وكانت وفاتهُ في حمص سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) ودُفن قريباً من الجامع الخالديّ. ولهُ ديوان طبع قسماً منهُ بالمطبعة السليميّة الاديب سليم المدوّر سنة ١٨٧٠ ثم طبعه سنة ١٨٨٣ اصحاب المكتبة العموميّة واضافوا اليهِ قسماً آخر لم يُنشر بالطبع. ومنذ عهد قريب تولّى نشر ديوان الجندي بتمامهِ الاديب محمّد افندي كمال بكداش في مطبعة المعارف. وهذه الطبعة لا تقل عن ٤٥٠ صفحة ولشهرة هذا الديوان نكتفي بذكر بعض مقاطيع قليلة منهُ تدلُّ على اساليب ناظمهِ فمن ذلك قولهُ من الرجز يصف فيه الربيع في ربوة دمشق:

يا حبّذا الربوة من دمشقِ ... بالفضل حازت قصبات السبقِ
كم أطلعت بها يدُ الربيعِ ... من كل معنًى زائدٍ بديعِ
وفتّح الوردُ الكفوف اذ دعا ... داعي الصباح للها ورحّما
وفكّكت انامل النسيمِ ... ازرارَ زهر الرّند والشميمِ
وسقطت خواتم الازهارِ ... من فنن الاغصان كالدراري
والتفّ سيفُ البرق في اوراقِ ... مذ شام خيل الريح في سباقِ
ما بكتِ السماء بالغمامِ ... الّا وصار الزهرُ في ابتسامِ

ومن محاسن شعره قولهُ مشطرًا ومخمساً لابيات عرضها عليهِ عبد الله بك العظم في خصام النرجس والورد:

قال لي النرجس حرِّضْ ... لقتال الورد وادحضْ
قلتُ هذا قول مبغضْ ... ايها النرجسُ أعرض
لن تنال الافضليّهْ

عُد الى الحق سريعا ... ولقولي كن سميعا
وأنتِ للورد مطيعا ... وسل الزهر جميعا
من معايبك الرديّهْ

قد جهلت الامر قدمـا وادَّعيت الحسن ظلمـا
فبمن اولاك حلمـا لا تكن للورد خصما
فهو مرفوعُ المزيَّـه
كنت قبـل العجب آمنْ وبظـلّ الروض كامنْ
فـاذا حرّكت ساكنْ انت ربُّ السيفِ لكـن
شوكة الورد قويّـه

ومن قوله في هجو قوم:

وقوم غضّ طرفُ الدهر عنهم فآذَوا كلَّ ذي عرض وعـادوا
وفي ظلمات ظلم الحق سـاروا فسادوا عنـد ما ظهر الفسـادُ
وان قالوا سـنرجع حيث كنَّا مخافـة ان تذمَّهم العبـادُ
وان طلبـوا رجوعهم عنـاداً فما صـدقوا ولو رُدُّوا لعـادوا

ومن مديحهِ قولهُ في وزير من قصيدة طويلة:

رفيع مقامٍ شـامخ العز ضيغمٌ غياث مغيث من ظَلوم اذا اعتدى
يلوذُ بـهِ الجـاني فيبلغُ مامناً ولو كان اهل الخافقين لهُ عـدى
ومن أمَّهُ من فاقةٍ عاد مثرياً ويرجع بعد الذل والفقر مسعـدا
اذا الدهر يوماً جارَّ في حكمهِ سا على الدهر ارسلنـاهُ سهماً مسدّدا
فتىً جمع الدنيا مع الدين والحجى مع الحزم والرأي السديد مع الهدى
فاضحى لارباب الحوائج كعبـةً وكهفاً لمن ياوي اليـهِ وموردا
لعمرك هذا المجـدُ والحسبُ الذي سما فوق اركان المجرَّة مصعـدا
ستغدو لنـا للعزّ داراً وللورى بحضرتهِ باب المراد ومقصـدا
ويبقى لسان الحال فيـهِ مؤرخاً لك الحمد يا ذا الجود لازال سرمدا (١٢٦٢)

وقال سنة ١٢٥٦ مؤرخاً وفاة السيّد نجل الكيلاني:

في جنَّة الفردوس حـلَّ كانهُ بدرٌ ولكن نورهُ لا يُحجَبُ
قد صاد كلّ المكرمات وكيف لا يصطادهـا وابوهُ باز اشهبُ
بوفاتهِ التـاريخ انبا قائـلًا هذا النجيب وليس منهُ انجبُ (١٢٥٦)

وقد اشتهر في هذا الطور الثـاني غير الذين ذكرناهم من أُدباء المسلمين لاسيما في العراق وحلب الّا انَّ اخبارهم قليلة متضعضعة ولعلّ بعض القراء يرشدونا اليها فيحيوا ذكر اولئك الافاضل الذين درست آثارهم مع قرب عهدهم منّا

امّا ادباء النصارى الذين عُرفوا في تلك المدَّة بخدمة الاداب العربيَّة فها نحن نذكر

من اتّصلت بهِ معرفتنا القاصرة مع الرجاء بان يزيدنا اهل الفضل منهم علماً ويسدُّوا ما يجدون من الخلل

استحقّ الذكر بآدابهِ وشعرهِ في الطور الذي نحن في صددهِ نصرالله الطرابلسي وهو ابن فتح الله بن بشارة الطرابلسي ولد في حلب سنة ١٧٧٠ وكان من اسرة كريمة من طائفة الروم الكاثوليك. ولما انتقل ابوه الى طرابلس عُرف بالطرابلسي وكان عريقاً بالدين تحمّل في سبيل ايمانهِ محناً عديدة فنشأ ابنهُ على مثالهِ تقيًّا ورعًا وكان مع ذلك متوقد الذهن محبًّا للعلوم ولدرس اللغات فتعلم منها التركيّة والفرنسويّة وكان مبرزًا في الآداب العربيّة مطّلعًا على فنونها يُحسن فيها الكتابة وينظم الشعر الحسن . وقد ابقى من نظمهِ مآثر عديدة اكثرها متفرق لو جُمعت حصل منها ديوان كامل. وسكن نصرالله الشهباء زمناً طويلًا ومدح وجوه اهلها من مسلمين ونصارى لاسيا نقيبها محمّد الجابري وقد أثبت المشرق (٣: ٤٠٠) قصيدتهُ فيهِ ومدح كذلك الشيخ هاشم افندي الكلّاسي فقال يخاطبهُ :

لمّا سمعتُ مسلسلًا عن سادةٍ	انَّ الفصاحة كلها في هاشمِ
يمّمتُ ناديهُ والقيت العصا	ورجوتُ يقبلني ولو كالخادم
ان جاد لي بالارتضا فبفضلهِ	او لم يجُدْ فلسوءْ حظ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ جوابًا لطيفًا فكتب اليه :

نسيمُ لطفك صابني بألوكةٍ	صيبَ الحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثلهِ اهلًا وسهلًا مرحباً	بمسامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

وكذلك كان الطرابلسي يتردد على عبد الله الدلّال (١ ويجتمع عندهُ بادباء زمانهِ وقد قال في احدهم فتح الله المرّاش قصيدةً يشكر لهُ جميل اياديه ويهنئه بعقد زواجه سنة ١٨٢١ هذا مطلعها :

يا للهوى ما للعذول ومالي	انا قد رضيتُ بكافةِ الاحوالِ

ومنها في المدح:

الندبُ عبد الله فخر اوانهِ	نسل الاماجد من بني الدلّالِ
فهو الذي يشري الثناء بمالهِ	ويزيّن الاقوال بالافعالِ
وهو الذي لم يخلُ قطُّ زمانهُ	من غوث ملهوف وبذل نوالِ

---

١) اطلب السحر الحلال في شعر الدلّال للاديب قسطاكي افندي الحمصي (ص ٢-٣)

وختمها بهذا التاريخ :

واسلم بتاريخي ودمتَ بعِزّهِ متمتعًا باللطف والاقبالِ

وممَّن مدحهم في حلب القنصل الفرنسوي يوسف لويس روُّسو وكان محبًّا للاداب الشرقيَّة (اطلب المشرق ٣ :٣٩٨ و٤٠٠) ٠ وبايعازهِ نظم الطرابلسي تهنئة لنابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية سنة ١٨١١ فقال قصيدتهُ التي اوَّلها (المشرق ٣ :٣٩٩) :

وردَ البشيرُ فسرَّتِ الاقطارُ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ

ومن حسن نظمهِ اياتهُ في شهداء الكثلكة في حلب سنة ١٨١٨ (المشرق ٣ : ٤٠٢ و١٠ : ٦٦٤) فقال :

دعِ العينَ مني تذرف الدمع عَنْدما فحقٌّ لهذا الخطب ان تُسكَب الدما

وفيها ابيات صادرة عن قلب طافح حبًّا متفطر حزنًا ٠ وفي السنة ١٨٢٨ تحامل على الطرابلسي اعداؤهُ فاحبَّ الخروج من وطنهِ ورحل الى مصر فلقي الحظوى عند بني البحري من اعيان طائفتهِ وكانوا متقدّمين في الدواوين فخدمهم وتقرب بواسطتهم في المناصب وقد مرَّت لنا اقوالهُ فيهم (المشرق ٣ :٤٠٣ — ٤٠٥) وتوصل بهم الى محمّد علي باشا خديوي مصر فمدحهُ ونال من احسانهِ ٠ وكانت وفاة الطرابلسي نحو السنة ١٨٤٠ وشعرهُ منسجم بليغ المعاني كثير التفنن اوردنا منهُ ما اوقفنا عليه بعض ادباء الشهباء في اغراض شتى (المشرق ٣ :٤٠٦ — ٤٠٨) وممَّا وجدنا لهُ بعد ذلك مراسلات شعر ونثر دارت بينهُ وبين شاعر عصره بطرس كرامة فقال هذا في مدحهِ :

نشأت نصر الله روحُ صبابةٍ وأبى الفؤادُ لغيرها ان يذكرا
فرعٌ لفتح الله اينع مخصباً بحديقة الاداب شبَّ واثمرا
فاليك يعزى الفضل يا من لاح لي منهُ الودادُ ولن يراني مصرا
قربًا لدار كنتَ فيها وحبَّذا م الشهباء نصر الله فيها قد سرى

فاجابهُ نصرالله الطرابلسيّ من قصيدة ذكر فيها طرابلس بلدهُ وكان بطرس كرامة حينئذ ساكنًا فيها :

فسقى طرابلس السحابُ ولينهُ سحًا وهتانًا يرى متفجّرا
بلدٌ كأنَّ الدهر عاندني بها فاستاقَ اهلي قبل أن اطأ الثرى
لو فاخرتْ كل البلاد بانَّ فيهـا بطرسًا لكفى بذلك مفخرا
الاوحد الندب الفريد الامجد السـندس المجيد لالمعي الأنورا

الى ان ختمها بقولهِ :

واسلم ودم بهناءٍ وكرامةٍ يا موردًا لم ارضَ عنهُ مصدرا
ما سارتِ الركبان تقطع فدفدًا من عاشقٍ ولهانَ تهدي الاسطرا

ولهُ ايضًا من قصيدة اخرى في مدحهِ وذكر بعض رسائلهِ :

شرَّفتنا بكتاب منك قد بزغت انوارهُ فهُدينا واقتبسناها
رسالة أُرسلت للقلب تحفظهُ فيالهُ ضاع مني عند مسراها
فيا لها دررًا من يمِّكم قذفت سفن العلوم فبأسم الله مجراها
وصرتُ ألثمها شوقًا وانشدها توقًا لمن يديع النظم وشّاها
ان اسعد الله عيني ساعةً ورأت عياكُم وجلت بالنور مرآها
غفرتُ للدهر ما اهداهُ من نكدٍ ونلت من واردات العمر اهناها

وكتب لهُ ايضًا :

لقد حكم الزمان عليَّ حتَّى اراني في هواك كما تراني
وان بعدت ديارك عن دياري فشخصك ليس يبرح عن عياني
لقد امكنت حبك من فؤادي مكانًا ليس يعرفهُ جناني
كاملك قد ختمت على ضميري فغيرك لا يمرُّ على لساني

ونُلحق هنا بذكر نصرالله الطرابلسيّ ترجمة صديقهِ بطرس كرامة الذي لعب في ترقي الآداب العربيَّة دورًا مهمًّا قبل اواسط القرن التاسع عشر. وهو بطرس بن ابراهيم كرامة الحمصيّ من اعيان حمص وكان اهلهُ من الروم الملكيين يدينون بالدين الكاثوليكي وهم متحمّسون فيهِ. وكان عمُّهُ ارميا كرامة من الرهبان الشويريين ثم انتقل الى الرهبنة المخلّصية. وفي سنة ١٧٦٣ سُقّف على قلاية دمشق فعُرف بمطران دمشق وقاسى محنًا عديدة من قبل المنفصلين الى أن توفي سنة ١٧٩٥ في دير المخلص. وكان عالمًا غيورًا على ايمانهِ ولهُ مصنّفات دينيّة. امَّا بطرس كرامة ابن اخيهِ فولد في حمص سنة ١٧٧٤ وفيها نشأ وتأدَّب ولهُ في مديح اعيانها اقوال حسنة كقولهِ في الشيخ عبد الرحمان الكزبري :

يا حبَّذا حمص التي ضاءت باعظم نيّرِ
قد اشرق الدرُّ بها وشمس فضل الكزبري

وقال مرتجلًا في الشيخ امين الجندي الذي مرَّ لنا ذكرهُ :

لله عمَّ مهذبٍ تاهت بهِ حمصٌ ونور الفضل عنهُ يبينُ
لا غرو اذ فاق البديعَ انهُ شهمٌ على درر البديع امينُ

ثم قويت شوكة اعداء الملكيين فألحقوا بالكاثوليك ضروب الاذى فاضطرَّ بطرس ان يفارق حمص مع والدهِ متوجهَين الى عكّار وقصد بطرس علي باشا الاسعد حاكم تلك البلاد وامتدحهُ بالقصائد الحسنة فاجازهُ ورغب فيهِ لبراعتهِ ودرايتهِ وحسن ادبهِ وخطّهِ فاستخدمهُ في ديوانهِ ورفع منزلتهُ ورتّب لهُ ما يقوم بكفايتهِ فاقام في خدمتهِ نحو خمس سنوات ثم ذهب الى لبنان واستوطن الجبل واتّصل بطرس بنقولا الترك شاعر الامير بشير فقرّبهُ من مولاه سنة ١٨١٣ وحظي بطرس عند الامير الشهابي لما رآهُ فيهِ من العلم وجودة العقل وفصاحة اللسان مع معرفتهِ للغة التركيَّة فعهد اليهِ بتهذيب ولدهِ الامير امين واتّخذهُ كاتباً للامور الاجنبيَّة لجودة انشائهِ . ثم جعلهُ الامير بشير معتمدًا من قبلهِ في التوجّه الى عكّا فقام باوامر سيّدهِ احسن قيام وحصّل عندهُ مالًا كثيرًا وجاهاً وافرًا وكان الامير يحبهُ ويثق بهِ في جميع اعمالهِ ويعتمد عليهِ في مهمّات اشغالهِ ولا ينهي امرًا الّا برأيهِ . ثم سلّمهُ الامير تنظيم خزينة الحكومة فوضع لها قوانين استحسنها الشهابيّ وامر باجرائها ثم رفع منزلتهُ وعملهُ كتخداه فصارت امور لبنان كلّها في يدهِ يدبّرها احسن تدبير فوقعت هيبتهُ في القلوب وعظمت حرمتهُ وانتشرت شهرتهُ وعلت كلمتهُ وابتنى دارًا كبيرة في دير القمر واقتنى املاكاً واسعة وكان قد سافر بمعيَّة الامير بشير الى الديار المصريَّة واجتمع بفضلائها وعلمائها ولهُ معهم مفاوضات ومباحثات يطول شرحها . ثم رجع الى بيت الدين وبقي في خدمة الامير بشير الى ان خرج الامير بشير من بلاد سوريَّة فسافر معهُ الى مالطة ثم الى الاستانة العليَّة سنة ١٨٤٠ ونال من الالتفات وعلوّ المقام لدى رجال الدولة ما لم يزل مشهورًا . ثم عُين ترجمانًا للمابين الهمايونيّ فاظهر من البراعة ما اكسبهُ ثقة الجميع . وبقي في تتميم اعباء وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ في الاستانة العليَّة سنة ١٨٥١ . ولهُ مع اكابر رجالها مساجلات لطيفة وكان بليغ الكلام وقد ارّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي فقال:

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ واشهر من زهيرِ
فقل يا ابن الكرامة قرَّ عينًا لبطرس ارّخوهُ ختام خيرِ

ولبطرس كرامة مكاتبات ورسائل غير مطبوعة . ولهُ ديوان شعر كبير طبعهُ الاديب سليم بك ناصيف سنة ١٨٩٨ في المطبعة الادبية وقد وجدنا لهذا الشاعر

آثارًا اخرى في بيت حفيدهِ الفاضل . منها مساجلاتهُ مع ادباء الاستانة ومنظوماتهُ في العاصمة وبعضها لم يُطبع في ديوانهِ . وشعر بطرس كرامة اضبط واطبع من شعر آل عصرهِ تراهُ يتصرَّف في المعاني ويخرجها على ابدع طريقة فمن قولهِ في الوصف ذكرهُ لباقة زهر اهداهُ ايّاها الامير بشير:

وباقة زهرٍ من مليك منحتها معطّرة الارواح مثل ثنائهِ
فابيضُها يحكي جميع خصالهِ واصفرها يحكي نضار عطائهِ
وازرقها عين تشاهد فضلهُ واحمرها يحكي دماء عداتهِ

ولهُ تخميس وتشطير على هذه الابيات . ومما لم نجدهُ في ديوانهِ قصيدة قالها مستغفرًا عمّا فرط منهُ ومناقشًا اهل المادة في آرائهم الفاسدة وسماها «درَّة القريض وشفاء المريض» : اولّها:

نأى الوجد عن قلبي وأعيت بلابله وبانت لبانات الهوى وبلابله

وهي طويلة نختار منها احسن ابياتها:

ألا اندب زمانًا قد صرفتَ بكورهُ خلالًا وقد مرّت سفاهًا اصائلهُ
فكم خضتَ بحر المعصيات مفاخرًا وقصَّرتَ رجلًا عن ثواب تقابلهُ
وكم اسمعَتْك الحادثاتُ نصائحًا فلم تنقطع من سوء فعلٍ تواصلهُ
فدع عنك ذكر الغانيات فكم بهِ هوى فاضلٌ كانت تضيء فضائلهُ
وخلِّ الاغاني فالاغاني حبالة يُصادُ بها سامي الذكاء وخاملهُ
ولا تشرب الصهبا فانَّ بشربها سواء تُرى قسُّ البيانِ وباقلهُ
فيا شقوتي ان لم تأجج ندامةً لظى كبدي والطَّرف يهتنُ وابله
ويا لهفتي أن لا اتوب بتوبةٍ أُغاث بها من ويل ذنب انازله
فيا حيُّ يا قيوم يا غافر الخطا لمستغفرٍ يا من يرى الرشد سائله
ويا من وعدت التائبين برحمةٍ وعفوٍ وان ذنبٌ تطاول طائله
ألا اغفر لعبدٍ انتهتهُ مآثمٌ ومن جملة الاوزار قد كلَّ كاهله
فان كان ذنبي قد تعاظم جرمهُ فعفوك بحرٌ ليس يُدركُ ساحله
فيا ويح قوم قد عصوك واركنوا الى الكفر فانصبّت عليهم غوائله
فان اثبتوا فعل الطباعِ ببعضها فبدءُ هذا الفعل من هو فاعله
ويلزم من هذا دوامَ تسلسلٍ وهذا محال لا تصحُّ مسائله
فمن سيَّر الاقمار في درجاتها على دوران لا تخلُّ منازله
فان كان جذبًا مثلما قدَّروا فمن ترى اوجد الجذب الذي هو كامله
فيا ملحدًا اسى على الله منكرًا فانَّ وجود الله صحَّت دلائله
فمن ابدع الكون البديع نظامهُ ومن ذا على ترتيبه الدهر شامله

فان قلتَ انَّ الكائنات عدُّها فقد لزم الدورُ الذي شاع باطلُهْ
فويلك من أنشا العناصر اوَّلا وصيَّرها في مركزٍ لا يزايلُهْ
وان قلت اجزاء قديمٌ وجودها تحرّكها بالطبع كانت تعامله
فوافقَ وقتًا انها قد تألّفت علي هيأة منها نشا الكون كامله
فما هذه الاجزاء هل بارادة تحرّكها ام جاء بالقسر عامله
فان كان قسرًا فهي تحتاج موجدًا يقيم بها فعلًا سريًّا تفاعله
وان كان عن قصدٍ اتى فهي ربكم تقاسمهُ عالي الوجود وسافله
فما قلتموه باطلٌ وكلامكم محالٌ وهزول النتيجة حاصله
فيا واحدًا يا قادرًا يا مهيمنًا تنزَّه عن ضدٍّ وندٍّ يماثله
فهبنيَ عفوًا من لدنك ومنَّة وحسن ختام ارتجيهِ وآملُهْ

ولهُ تاريخ لوفاة الامير بشير حُفر على ضريحهِ في كنيسة الارمن الكاثوليك اثبتناهُ في المشرق (٧: ١٧٦٣)، ومما روينا ايضاً لبطرس كرامة في مجلّتنا (٢: ١١١٦ — ١١١٧) مناظرة فكاهيَّة بين نارجيلة وماسورة

ومن مديحهِ الذي لم يُذكر في الديوان قولهُ يثني على البطريرك الجليل مكسيموس مظلوم:

قُمْ للهناء فنسمة السحرِ جاءت بريًّا عاطرِ الزَّهَرِ
واغنم من العيش الهنيّ طربًا عين السرور لمشرقِ الاثرِ
وارشف كؤوس الصفو من زمنٍ راقت مشاربهُ من الكَدَرِ
ودَعِ النسيبَ وكن على غزلٍ بمديح بدر السادة الغُرَرِ
مكسيموس الحبر المقدس من اضحى طَهُور القول والفكرِ
البطريرك المرتقي شرفًا بفضائلٍ يشرقن كالقمرِ
ملأت قداستهُ الورى منحًا منقودةً بالسمع والبصرِ
مولى تفرّد في الفضائل في هذا الزمان وسالفِ العُصُرِ
راعٍ يقوم على الحفيظة في جِدٍّ جديدٍ غير مندثرِ
ولكم بتصنيفٍ ومعتكفٍ افنى الليالي الدُّهم بالسهرِ
ما زال مجتهدًا بنيل منى ولغير نيل العزّ لم يسرِ
يستلُّ من فمِ التقى صممًا فتّاكةً بالبيضِ والسمرِ
باتت على أمْنٍ رعيتهُ ولطالما باتت على حذرِ
هو غوث ذي فقرٍ وذي نعمٍ بذلًا ورشدًا غير منحصرِ
بشرى لنا آل الكنيسة قد نلنا بهِ مجدًا على وزرِ
يا بدرَ علمٍ ضاء مشتهرًا شرقًا وغربًا ايَّ مشتهرِ

اوضحت من نهج الهدى غُرَرًا للناس كانت قبل لي غَرَرِ
ورفعت شعبًا كان منخفضًا ما بين ناب الليث والظفرِ
وظفرتَ بالنعم السنية من ملك الملوك الواهب الدُّررِ
فاسلَمْ لنا مولى وخير اب يرعى البنين بصادق النظرِ
والى مقامك ان نؤرّخهُ جاء الهنا بعلامة الظفرِ

ومما جاء لهُ في التهاني قولهُ في ولادة الامير عبد الله الشهابي حفيد الامير بشير سنة ١٨٣٥ (لم تذكر في ديوانهِ):

يا سيد العدل والاحسان زد شرفًا قد زادك اللهُ انعامًا وتأييدا
لك الهنا بحفيد كان مولدهُ للسعد عزًّا وللعلياء توليدا
فيا لهُ من كريم ضاء طالعهُ واشرق المجد لمَّا هلَّ مولودا
لهُ السيادةُ من جدّ سما واب اضحت يداهُ تفيضُ البذل والجودا
فلا يزال هو المحمود سؤددهُ مدى الزمان سعيد الدهر مسعودا
ولا تزال لك الايَّام ضاحكةً والعيش رغدًا وطيبُ العمر ممدودا

وقال في فضائل الصيد (وليست هي في ديوانهِ):

للصيد فضلٌ في ثمان فوائدٍ من بعدها عشرٌ نشيد اساسَهْ
سلوان همٍّ ثم ترك بطالةٍ وفصاحة التعبير ثمَّ سياسَهْ
وتزاهة ولذاذةٌ ونشاطةٌ ويقاظةٌ ونباهةٌ وحماسهْ
ورياضةُ الاجسام ثمّ طلاقة م الاصار ثمَّ حلاوةٌ وفراسهْ
وصيانةٌ ثمَّ اكتساب معيشةٍ والعلم بالطرقاتِ ثمّ رئاسهْ

ومما لم نجدهُ ايضًا في ديوانهِ قولهُ في صَقْر كان فُقد ثم رجع:

تلالا البِشْرُ وانجلت الغياهبْ وحلَّ الانس في من كان غائبْ
وردَّ الله ضائعنا علينا وأولانا بذا نِعَمَ المواهبْ
وجاء الصَّقْرُ المفقود منَّا يرفرف بالغنائم والمكاسبْ
فكم طبنا بعودتهِ قلوبًا وبتنا في الحديث لهُ نعاتبْ
وانشدناهُ ما لك غبتَ عنَّا لعلَّك كنت انت منَّا هاربْ
فردَّ مجاوبا ردًّا جميلا معاذ الله لي من ذي الشوائبْ
وحاشا ان اخون العهد يومًا ولي مولى جليل القدر صاحبْ
ولكن قد شعرت بِنَمَّ صقرٌ اعزّ الآل منّي والاقاربْ
أتى ضيفًا جديدًا في حماءا نزيلا والنزيلُ قِراهُ واجبْ
فسرتُ لملتقاهُ وجئتُ معهُ امينًا مطمئنَّ القلب طائبْ

لكنّي قد قضيتُ بذا هموماً وكم قاسيتُ فيهِ من متاعبْ
وكم شاهدتُ اهوالاً ثقالاً واحوالاً رأيتُ بها العجائبْ
وكم كابدتُ في سفري عناءً وكم فيهِ دهتني من مصائبْ
وكم لي وقعةٌ مع كلّ حرّ وكم لاقيت شاهيناً محاربْ
وكم صادفت فيهِ من عُقابٍ شديد البأس قنّاصٍ معاقبْ
وكم من كاسر من كل طيرٍ تعمّدني وجاء عليّ واثبْ
هناكَ أبنت بطشي واقتداري وابديتُ العجائب والغرائبْ
وجرّدتُ الاظافرَ من اكفّ مظفّرةٍ وانشبتُ المخالبْ
وبتُّ بكل ذي جنحينِ اسطو واقهر كلَّ خطّافٍ مضاربْ
فكم شتّتُّ منهم في الفيافي وكم بددتُ منهمْ في السباسبْ
وكم غادرتهم في الجوّ فوضى وكم افنيتُ منهم في الشعائبْ
ولم انفكُّ اسقيهم كؤوساً اجرّعهم بها مرَّ المشاربْ
ولم اترك بهم الّا فراخاً يتامى في العشوش غدتْ نوادبْ
فمثلي من يخوض وغى المنايا ويغزو هكذا ويعودُ غالبْ
انا المجلوبُ من كرمٍ ولكن بعون الله للاحرار جالبْ
فهنّوا سيدي بي في مقالٍ يؤرّخ جاء بعد العزّ كاسبْ

وقال لمّا دخل الاستانة العليّة مع الامير بشير يمدح دار السعادة :

مذ جئتُ اسلمبولَ شمتُ محاسناً دعت المحاسنَ كلّهنّ الى الورا
فملوكها شرفُ الملوك وربعها خير الربوع واهلها نعم الورى

ولولا خوف الاطالة لروينا غير هذا من قصائدهِ التي لم تُطبع في ديوانهِ. فاكتفينا بما سبق. ويحسنُ بنا القول في ختام كلامنا عن بطرس كرامة انّ ادباء عصرهِ عرفوا فضلهُ واقرّوا بهِ الّا البعض منهم. ولما قال قصيدتهُ الخاليّة الشهيرة التي التزم ان تكون قافيتها في جميع ابياتها لفظة « الخال » في معانيها المختلفة واوّلها :

أمن خدّها الورديّ أفتنَكَ الخالُ فسحَّ من الاجفان مدمعك الخالُ

أُعجب بها كثيرون وأثنوا على قائلها. وعارضها الشيخ عبد الباقي العمري الموصلي بقصيدة كتبها في بغداد يمدح فيها داود باشا هذا مطلعها :

الى الروم اصبو كلّما اومض الخالُ فاسكبُ دمعاً دون تسكابهِ الخالُ

وغيرهم خمّسوها كالشيخ ابراهيم يحيي العاملي والشيخ موسى بن شريف المتهدي

وتخميسهما في ديوان كرامة (ص ٣٥١ — ٣٦٠) . لكنّ الشيخ صالح التميميّ لم يستحسنها وكتب في تزييفها قصيدتهُ التي اوّلها :

عهدناك تعفو عن مسيء تعذّرا ألاَ فاعفُنا عن ردّ شعرٍ تنصّرا

فاستاء من ذلك الادباء وكتب الشيخ رشيد الدحداح في قطرة الطوامير انتقاداً مطوّلاً على صاحبها . واجاب عليها بطرس كرامة بقصيدةٍ من البحر والروي اوّلها :

لكل امرئٍ شانٌ تبارك من برى وخصّ بما قد شاء كلًّا من الورى

وقد وقفنا على قصيدة للسيد عبد الجليل البصري حكم فيها بين الشاعرين فقال قصيدتهُ التي افتتحها بقولهِ :

حكمتُ وحكمي الحقّ ناء عن المرا بأنَّ التميميّ الاديبَ تعثّرا
بذمّ قوافٍ في تمامِ جناسها وذلك نوعٌ في البديع تقرّرا

ومنها في مدح بعض شعراء العرب :

وقد قام من اهل الكتابين زمرةٌ جنوا من رياض الشعر ما كان مزهرا
فمن كابن عبّادٍ يجاري مهلهلًا وكان مسيحيًّا تقدّم يشكرا
وكالاخطل المعروف شاعرِ تغلبٍ يسوق بهِ القسّيس في الدير كالفرا (١

ومنها في مدح بطرس كرامة :

كما شاع حرّ الشعر في بيت بطرسٍ وفي نجلهِ بين المداين والقرى
فصيحٌ رقى اوج البلاغة يافعًا فاشمارهُ حلَّي بها ربع قيصرا
لافكاره غرُّ القوافي قريبةٌ وعن غيرهِ بُعد الثريّا من الثرى
اتى منهُ نظمٌ هدّ حجة صالحٍ وان كان في المنظوم قدمًا تصدّرا
وقد كان لي من صالح خير صحبةٍ وعند اتّباع الحقّ ما زلت اجدرا
لكلٍّ تراني قد قضيت بحقهِ واسئل بارينا الهدى والتبصّرا

وقد مدح صاحبَ الترجمة قومٌ من ادباء زمانهِ كنصر الله الطرابلسيّ الذي سبق شيء من قولهِ . وكنقولا الترك وفي ديوانهِ عدة قصائد يطريء فيها محامد بطرس كرامة فيجيبهُ هذا باقوال مستطرفة تجدها في مجموع نظمهِ (ص ١٠٩ — ١٢٨)

وممن مدحهُ ايضًا عبدُ الحميد البغداديّ الشهير بابن الصباغ فكتب اليهِ رسالة اوّلها :

---

١) راجع مجاني الادب (٤:٢٩٥) وهناك اشارة الى هذه القصة

تبسَّم الزهر عن انفاسكم فسرى من طيب ذكركمُ نشرًا فاحيانا
فمن هناك عشقناكم ولم نركمْ والاذنُ تعشق قبل العين احيانا

فاجابهُ بطرس كرامة بكتابٍ افتتحهُ بقولهِ :

عشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ معشوق بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنها من نورها تُعرفُ

وكذلك مدحهُ رزق الله حسون الحلبي وسنذكر قولهُ في ترجمتهِ . واشهر منهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فانَّ ديوانهُ الذي طُبع لاوَّل مرَّة في بيروت مصدَّر بقصيدة في مدح كرامة يقول فيها :

رجلٌ وماذا وصفهُ وكفى بهِ رجلٌ لهُ المفهومُ والمنطوق
حسنُ المعاني والبيان كلامهُ جزلٌ ومعناهُ الرقيقُ دقيقُ

ومنها :

يا بطرسُ الشهمُ الكريم مكانهُ وبنانهُ ولسانهُ المتطيقُ
انتَ الكرامةُ وابنها وابٌ لها نسبٌ كريمٌ في الكرامِ عريقُ

ولهُ ايضًا يعزيهِ بولدَيهِ وهو رثاء بليغ اوَّلهُ :

أجمَلَ الله في فؤادك صبرا وجزى منهَ واعظمَ أجرا

ومنها :

لو يُفيد البكاء والنوحُ شيئًا لأقامت خنساء قبلكَ صَخرا
يطمع المرء في الحياة طويلًا وهو في الموت اوعن الموت فترا
وحياة الدنيا تسمَّى حياةً مثلا تُحسَبُ المجرَّةُ نَهْرا
هكذا الناسُ عاثرٌ إثرَ كابٍ كلُّ عينٍ بدمعة البين سَكرى
يا طريق البقا اذا كنت خيرًا فلك الفضلُ كلَّما زدت قصرا
وحياة الدنيا طريق الى الاخرى فخذ زادها الذي هو أحرى

وقال الشيخ يؤرخ سنة وفاتهِ ١٨٥١ :

مضى من كان اذكى من اياسٍ بحكمتهِ وأشعرَ من زُهيرِ
فقُلْ يا ابنَ الكرامة قرَّ عينًا لبطرس أرِّخوه ختامَ خَيْرِ

وممن اشتهروا في هذا الطور الثاني اديب عاجلتهُ المنيَّة فقصفت غصن حياته النضير. وهو احد نصارى صيداء جرجس بن يوسف بن الياس ايلا الذي روينا شيئًا من شعره في المشرق (٦ : ٢٩٣ — ٢٦٥) وكان هذا الشابّ مكفوفًا وهو شديد الذكاء والنباهة

ول الشعر عن سليقةٍ وكانت وفاتهُ سنة ١٨٤٩ وهو في الربيع السابع عشر من عمره ؤرخهُ بطرس كرامة بقولهِ :

نُنيٌّ لآيلا بذا اللحد قد ثوى بصيرٌ ذكيٌّ شاعرٌ متفرّسُ
ولمّا قضى نودي تنعّمْ مؤرخاً ونلْ فرحاً في جنّة الخلد جرجسُ

وكان جرجس ايلا مع صغر سنهِ يكاتب ادباء عصرهِ فكاتب ابراهيم بك ابن بطرس كرامة فقال فيه ولعلّ هذه الابيات لاخيهِ رفول :

لقد احييتَ فضل ابيك حقّاً بفضلك فقتَ والدك الحكيما
ابوك لقد بنى لك بيت مجدٍ وزدتّ بمجدك المجد القديما

وكاتب الشيخ ناصيف اليازجيّ فمدحهُ بقصيدةٍ لم نعرف غير مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلّ سابحٍ وقصّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فكان جواب الشيخ بقصيدةٍ قال فيها مثنياً على الشاعر الحدث :

هويتُ الذي اعطى العلوم فؤادهُ فاعطتْهُ منها سانحاً بعد بارحِ
تيمّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرء لا يخلو اسمهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعةَ سامعٍ ويا حبّذا لو نلتُ رؤيةَ لامحِ
بهِ حسدت عيناي أُذني وربّما تُخصّص بالاقبال بعضُ الجوارحِ

ومن حسن اقوال جرجس ايلا قصيدة مدح بها السيّد عبد الله الجابري منها :

دُعيتَ بعبد الله انك سيّد وبالجابريّ الالمعيّ لتجبرا
واصبحَ ذو فضلٍ بحبك هائماً واضحى لك الشانئ الظلومُ مكدّرا
حويتَ التّقى والجدّ والمجد والهدى عن الجدّ حتّى طبتَ فرعاً وعنصرا

ولهُ من قصيدة مدح فيها الشيخ يوسف الاسير :

فيوسف يُدعى بالاسير لأنّهُ يسيرُ اليهِ العلم في غاية الأسرِ
فهيمٌ كريم فاضلٌ متأدّبٌ قداستوجب المدح الجزيل مع الشكرِ
قد استوجب العزّ الرفيع مع الثنا لكثرة ما فيهِ من الشيم الغُرِّ

وكان لجرجس ايلا اخٌ اكبر منهُ يُدعى رفّول وكان ايضاً مكفوفاً كشقيقهِ ويشبههُ في توقد ذهنهِ وفصاحة لسانهِ لكنهُ عاش دهراً بعدهُ وكان يقول مثلهُ الشعر وقد عارضهما اهل زمانهما بابي العلاء المعرّي فقيل انهما حكياهُ في ادبهِ كما حكياهُ بفقد بصرهِ . وتأدب على رفول بعض الادباء فاشتهروا بعدهُ بالكتابة منهم فقيد الادب نقولا بك توما المحامي الشهير المتوفى في مصر السنة المنصرمة . ومن شعر رفول ابيات نحت

من ايدي الضياع اثبتناها في المشرق (٦ : ٢٦١) منها قصيدة قالها في احد الادباء اوّلها :

يا نسيم الصبح خُذْ عني السلام نحو قومٍ هيّجوا فيَّ هيامْ

ومن اقوالهِ في الشوق الى بعض الاحباب :

أخبِر الاحبابَ عني انني مذ نُعدي عنهمُ ذقتُ الندمْ
طيفهم ان بعدوا عن مقلتي لم يفارقها دوامًا وهي لَمْ
فعسى احظى برؤياهم وبي رمقٌ كي اشتفي من ذا الالمْ
وعلى الله اتكالي فالذي يُخلص الآمال فيهِ لم يُضَمْ

وفي هذا العهد كان ايضًا الشماس حنّا الماروني المعروف بالقزّي وزّي كان يقول الشعر الحسن بالمواضيع الدينيَّة لكن اكثرهُ قد فُقِد . ومما سلم منهُ تخميسهُ لقصيدة الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات في مريم العذراء وقد عثرنا على نسختين من هذا التخميس احداهما عند الرهبان الموارنة البلديين قال في مطلعهِ :

كلّ النبيّين الذين تقدَّموا في مدح سيدةِ الانام تكلَّموا
فلذا يُناديها الفؤادُ المغرمُ لو كان للافلاك نطقٌ او فمُ
لترنَّموا بمديحك يا مريمْ

وفي هذا الزمان عينهِ كان في الاستانة شاعر آخر من طائفة السريان الكاثوليك اسمهُ فيليب باسيل بنّاء وكان اصلهُ من حلب واستوطن دار السلطنة وعُرف بادبهِ وحسن نظمهِ فمن ذلك عدَّة قصائد قالها ولم يبق منها الّا ثلث طُبعت في برساو من حواضر المانية مع ترجمتها الى الالمانيَّة سنة ١٨٤٤ الواحدة منها قالها في السلطان الغازي عبد المجيد والثانية مدح فيها البرنس دي جوانفيل وكان اظهر مروّة عظيمة في حريق بُليت بهِ بعض احياء استنبول . وقال الثالثة في مدح غليوم الرابع ملك بروسيا . امَّا سنة وفاتهِ فمجهولة

وكذلك نجهل تاريخ شاعر آخر مدحهُ نيقولا الترك وهو نيقولا النحاس نكتفي بتدوين اسمهِ رجاء ان يستدلَّ احد القراء على مآثره

وممَّن نختم بذكره هؤلاء الكتبة والشعراء لهمّته وخدمتهِ للاداب الدينيَّة بطريرك الملّة السريانيَّة اغناطيوس بطرس جروه اشتغل بتعريب عدّة تآليف دينيَّة احدها مختصر

اللاهوت النظري والادبي لتوما دي شرم وكتاب الحياة الالهيَّة للاب نيرمبرغ اليسوعي وله كتـــاب مواعظ وكتب ترجمة عمهِ البطريرك ميخائيل جروه اوَّل بطاركة السريان الكاثوليك بعد انفصالهم النهائي عن اليعاقبة وكانت وفاتهُ سنة ١٨٦١ في ١٢ ت ١ ·
وعارضهُ في هذه التعريبـــات معاصرهُ ووطنيُّه السيد ابراهيم كوبلي مطران الارمن في حلب فعرَّب كتاب الحق القانوني وبعض التآليف الروحيَّــة (المشرق ٩ : ٤٢٠) كانت وفاتهُ سنة ١٨٣١ شهيد محبَّتهِ في خدمة رعيَّتهِ

*

دعنا الان ننتقل الى ذكر شيء من الحركة العلميَّة التي استجدَّت في هذا الطور بين الاوربيين فحملتهم على طلب الآداب العربيَّة واحراز فوائدها · ومن اقوى البواعث التي ساعدت علماء اوربَّا على بلوغ هذه الغاية تشكيل جمعيات علميَّة اسيويَّة يعقد اصحابها جلسات قانونية وينشرون الابحاث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقيَّة · وكانت الجمعيَّة الاسيوية الفرنسويَّة تتقدَّم ما سواها في هذا السباق الشريف فبلغت في ذلك الطور الثاني مقاماً عالياً كما تشهد عليهِ منشوراتها المتعدّدة · وكذلك الجمعيَّة الاسويَّة الانكليزية تجاري شقيقتها في همَّتها وان كان نظرها منصرفاً بالخصوص الى الهند والشرق الاقصى · ومما استوقف من هذه الجمعيَّات الجمعيَّة الاسيوية البنغاليَّة التي باشرت سنة ١٨٣٢ نشر مجلة كالمجلَّات الاسيوية الاوربيَّة وهي لا تزال الى يومنا تواصل اعمالها بنشاط

وفي هذا الزمان نشأت في المانية نهضة محمودة لدرس العلوم الشرقيَّــة ولاسيا العربيَّة · فاجتمع قوم من اصحــاب الجدّ والعمل اخصهم ايفلد (Ewald) وغابلنتس (v. d. Gabelentz) وكوسغرتن (Kosegarten) وروديغر (Roediger) وجعلوا ينشرون مجلَّة لمعرفة الشرق (Zeits. f. d. Kunde d. Morgenlandes) تجد فيها مقالات عديدة في التاريخ والآداب العربيَّة · ومــا لبثت جمعيَّة أُخرى اوسع نطاقاً وارقى علماً فظهرت في المانية باسم الجمعيَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG) كان اول ظهورهــا سنة ١٨٤٥ ونشرت مجلتها سنة ١٨٤٧ فخدمت منذ ذلك الحين الآداب الشرقيَّة خدماً لا تُنسى ومجموع هذه النشرة يُعدّ اليوم كخزانة كتب واسعة تحتوي طُرَفاً جليلة من سائر فنون الشرق ومعارفهِ · وقد احتفلت هذه الجمعيَّة قبل سنتين بيوبيلهــا الخمسينيّ وناهيك بذلك شاهداً على ثباتها وترقي اعمالها

اما الذين اشتهروا بين المستشرقين بتآليفهم العربيَّة فليس منهم احد نال فخرًا كالعلامة البارون دي ساسي (Baron S. de Sacy) فانَّ هذا الرجل العظيم فضلًا عن علمهِ العجيب بلغات الشرق بعث في قلوب آل عصرهِ روح الغيرة والهمَّة فكان كمنار استضاء بهِ طلبة العلوم الشرقيَّة في كل انحاء البلاد وكالقطب دارت حولهُ كل مساعيهم في استخراج كنوز آداب الشرق

ولد دي ساسي في باريس سنة ١٧٥٨ وفيها توفي سنة ١٨٣٨ . ما كاد هذا يميط عنه التمائم حتى نبغ في المعارف ولاسيما في درس اللغات ولم يكتفِ بالالسنة الاوربيَّة بل طلب لغات الشرق فاخذ منها شيئًا عن علماء زمانهِ منهم الراهب البندكتي الشهير دون برترو (Dom Berthereau) فتعلَّم اوَّلًا العبرانيَّة ثمَّ السريانيَّة والكلدانيَّة والسامريَّة ثمَّ العربيَّة ثمَّ الفارسيَّة والتركيَّة وكان يعرف اكثر هذه اللغات معرفة جيّدة كما يلوح من منشوراتهِ وتآليفهِ لكنهُ كان يُحكم آداب اللغتين العربيَّة والفارسيَّة حتى سبق في معرفتهما علماء زمانهِ شرقًا وغربًا . ولو عدَّدنا كل ما قام بهِ هذا الهمام من المشروعات في تعزيز العلوم الشرقيَّة من تعليم وكتابة وانشاء مجلَّات وادارة دوائر علمية وتنظيم مكاتب لاتَّسع بنا الكلام كثيرًا . وحسبنا ان نقول انهُ نشر نيفًا ومئتي تأليف في كل علوم الشرق ولغاتهِ وكثير من هذه المصنفات كبير الحجم واسع المادة نذكر منها غراماطيقهُ العربي في مجلدين كبيرين ومنتخباتهِ العربيَّة في ثلاثة مجلدات وطرائفهُ النحويَّة في مجلد كبير وتاريخه لعرب الجاهليَّة وتعريف ديانة الدروز في مجلدين وكتاب كليلة ودمنة ومقامات الحريري مع شروح مستوفية بالعربيَّة في مجلدين ورحلة عبد اللطيف البغدادي الى مصر . فترى من هذه القائمة ما للبارون دي ساسي من الفضل العميم وكان مع علمهِ كثير الدين حريصًا على كل رصايا الكنيسة متبعًا لتعاليمها

ومات قبل دي ساسي رجلٌ آخر حظي شهرة بمنشوراته عن علوم العرب الفلكيّة وهو جان جاك عمانويل سيديليو (J.-J. E Sedillot) ولد سنة ١٧٧٦ ودرَس في مكتب اللغات الشرقيَّة ثمَّ انقطع الى درس النجوم فنقل الى الافرنسيَّة كتاب الآلات الفلكيَّة المسمى جامع المبادئ والغايات لابي الحسن عليّ المراكشي بتآليف شتى لابن يونس ولابي الوفاء وكتب عدَّة مقالات في تاريخ الشرق وعلومه الرياضيّة . كانت وفاته سنة ١٨٣٢ . وسياتي ذكر ولدهِ في محلهِ

وزاد على سيديليو شهرةً مستشرق افرنسي آخر كوسان دي پرسڤال (J. - J. A. Caussin de Perceval) كان مولدهُ سنة ١٧٥٩ وتوفي سنة ١٨٣٥ . تولى نظارة المخطوطات الشرقيَّة في باريس وعلَّم اللغة العربيَّة في مكتبها الملكي والَّف كتباً عديدة في آداب العرب وتاريخهم منها المعلَّقات السبع وكتاب الزيج الكبير الحاكمي لابي الحسن علي ابن يونس الفلكي وكتاب الصور السماويَّة للشيخ عبد الرحمن الصوفي ونقل الكتابين الى الافرنسيَّة وطبع ايضاً مقامات الحريري وامثال لقمان وملحقاً على كتاب الف ليلة وليلة في مجلدين وتاريخ صقليَّة من عهد الاسلام للنويري وخلَّف ابناً اشتهر مثلهُ في معرفة احوال العرب سنذكرهُ

ومن تلامذة دي ساسي الذين توفَّاهم الله في هذا الزمن جوبار (Pierre Amédée Jaubert) كان درس اللغات الشرقيَّة في باريس ورافق نابوليون الاوَّل في رحلتهِ الى مصر بصفة ترجمان ثمَّ تجوَّل في انحاء ارمينية والعجم وكتب اخبار رحلتهِ وعلَّم في عاصمة فرنسة اللغتين التركية والفارسية وصنَّف فيهما كتباً وكان يُحسن العربية وهو الذي نقل جغرافية الشريف الادريسي (نزهة المشتاق) الى الافرنسية في مجلَّدين طُبعا في باريس سنة ١٨٣٦ — ١٨٤٠ وترجم ايضاً كتاب تاريخ غانة

وممن تخرجوا ايضاً على العلامة دي ساسي جان همبرت (J. Humbert) كان مولدهُ في جنيفة عاصمة سويسرة سنة ١٧٩٢ وفيها درَّس اللغات الشرقية بعد ان تلقَّنها في باريس . وكان عالمًا باللغة العربيَّة ولهُ فيها بعض آثار مشكورة منها منتخبات شعريَّة مع ترجمتها الى الافرنسية وعدَّة كتب مدرسية لدرس العربية صنفها في اللاتينية والافرنسية ومنها مقالات انتقاديَّة ونظريَّة في علوم العرب ولغتهم . توفي همبرت سنة ١٨٥١

وازهر في هذا الزمان بعض المستشرقين الالمان منهم ارنست فردريك روزنمولر (E. F. K. Rosenmüller) من اساتذة اللغات الشرقية البارعين مات سنة ١٨٣٥ وكان مولده سنة ١٧٦٧ . اخذ العلوم الدينيه عن ابيه احد كبار علماء البروتستانت ثم درس في ليبسيك اللغات الشرقية ولمَّا اتقنها صار احد اساتذتها ولهُ مطبوعات متعدّدة تدلّ على براعتهِ في معرفة اللغة العربية منها غراماطيق عربيّ في اللاتينية ومنها منتخبات في ثلاثة اجزاء مع ترجمتها الى اللاتينية وكذلك نقل اليها معلّقة زهير وبعض مقامات

الحريري وطرفًا من امثال الميدانيّ . لكنّ معظم كتاباتهِ كانت في تفسير الاسفار المقدّسة توفي في ليبسيك سنة ١٨٣٥

وفي سنة وفاة روزغولر ١٨٣٥ توفي وطنيُّهُ الشهير كلابروث (H. G. de Klaproth) ولد في برلين من اسرة شريفة سنة ١٧٨٣ وكان ابوهُ احد علماء الطبيعة المعدودين وآثر ابنهُ درس اللغات الشرقية ورحل الى روسية لهذه الغاية وتجوَّل في اقطار اوربَّة ثمّ عاد الى وطنهِ فقلَّدتهُ الحكومة تدريس العلوم الشرقية فقام بمهنتهِ احسن قيام. وهوممَّن سعوا في مقابلة لغات آسيا وبيان ائتلافها فألَّف في ذلك كتابًا كبيرًا ولهُ كتاب آخر في الاصول السامية (Asia Polyglotta) وقد صنف تآليف غيرها في معظم لغات الشرق وفي تاريخ امهِ وآدابها . وبرَّز خصوصًا في اللغات التتريَّة والكرجية

واشتهر في زمانهِ المعلم هابخت (C. M. Habicht) ولد في برسلو سنة ١٧٧٥ وتوفي سنة ١٨٣٩ جاء باريس في عهد دي ساسي ودرس عليهِ وعلى الاب رافائيل المصري اللغة العربية ثمَّ عُهد اليهِ بتدريسها في بلدهِ وقد نشر مجموعًا من الرسائل العربية المكتوبة في مراكش ومصر والشام ونقلها الى اللاتينية ثمَّ طبع نخبةً من امثال الميداني وعلَّق عليها التعليقات الحسنة وهو اول من سعى بطبع كتاب الف ليلة وليلة فباشر بهِ سنة ١٨٢٥ وطبع منهُ ثمانية اجزاء قبل وفاتهِ ثم انجز الباقي منهُ المعلم فلَيْشر ولهابخت ترجمة المانية لهذا الكتاب مع عالمين آخرين من تلامذتهِ هاغن (V. d. Hagen) وشال (Schall) ولهُ ايضًا عدَّة مقالات في المجلَّات الشرقية

ومن افاضل المستشرقين الالمان الذين فقدهم العلم في هذا الطور جزنيوس (H. W. Gesenius) ولد سنة ١٧٨٦ ومات سنة ١٨٤٢ انقطع منذ صغره الى درس اللغات السامية فبرَّز فيها وصار في بلادهِ اماما يقتدى بمثاله ويؤخذ عنهُ . قيل انَّ عدد حضور دروسهِ اربى في مدينة هالّ على الالف. وقد ترك آثارًا جليلة في اكثر اللغات الشرقية كالسريانية والكلدانية والفينيقية والحميريَّة والسامريَّة لكنه كان في العبرانية حجَّة ولهُ المعجم الكبير في ثلاثة مجلدات لا يزال العلماء يرجعون اليهِ وقد طُبع الطبعات العديدة. وكان يحسن ايضًا العربية كما يظهر من مقالاتهِ في المعجمين السريانيين واضعيهما ابن علي وبن بهلول ومن رسالتهِ في اللغة المالطية

واشتهر في هذا الزمان كاتب آخر هو بولس (H. Eb. G. Paulus) من مستشرقي

الالمان درس اللغات الشرقية في كليَّة توبنغ ثمَّ في لندن وفي اكسفرد واشتهر في الدروس الكتابية وشرح الاسفار المقدسة مع كونهِ لم يعتقد بالوحي. ولهُ من الآثار العربية كتاب مختصر في اصولها باللاتينية وسعى بطبع الترجمة العربية للكتب المقدَّسة التي ألَّفها سعدي الفيومي في القرن التاسع للميلاد وعلَّق عليها شروحاً. كان مولدهُ سنة ١٧٦١ ووفاتهُ سنة ١٨٥٠

وعُرف ايضاً في هذا الطور الالمانيُّ فراهن (C. M. Frahen) ولد في روستك سنة ١٧٨٢ وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ كان من كبار المستشرقين الالمان واشتهر خصوصاً في معرفة النقود الشرقية القديمة ولهُ من التآليف نيف و٢٠٠ كتاب وقد نشر عدَّة مصنفات عربية ونقلها الى اللاتينية اخصُّها رسالة ابن فضلان في الرُّوس نقلها الى الالمانية واضاف اليها ما وجدهُ في كتب العرب عن قبائل روسيَّا القديمة ومنها كتاب تحفة الدهر في عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقي انجزهُ بعد وفاتهِ العلَّامة مهرن (Mehren) ومنها مقالة ابن الوردي في مصر اخذها من كتابه خريدة العجائب. ولهُ ايضاً عدَّة مقالات في النقود العربية

امَّا الانكليز فعُرف منهم في هذا الزمان وليم مارسدِن (W. Marsden) كان مولده في دوبلين سنة ١٧٥٤ ثمَّ رحل الى سوماترا وبقي فيها مدَّة ووضع تاريخها وكتب في اللغة المالَيزيَّة واشتهر بكتاباتهِ في النقود القديمة والنقود الاسلامية وكان لهُ مكتبة شرقية كثيرة المخطوطات العربية اهداها الى خزانة المتحف البريطاني. كانت وفاتهُ سنة ١٨٣٦

ولم يبلغ احد في هولندة ما بلغهُ في هذه المدَّة الاستاذ هماكر (H. A. Hamaker) ولد في امستردام سنة ١٧٨٩ وتخرَّج على المستشرق فامت (ص ٨٠٧) وتعلَّم بزمن قليل اللغات السامية فضلًا عن سائر لغات اوربَّة وانتدبتهُ الحكومة الى التدريس في كلية ليدن فعلَّم هناك العربية والسريانية والكلدانية واحرز لهُ شهرةً قلما يبلغها العلماء وابقى آثاراً عربية متعدّدة منها وصف المخطوطات العربية في مكتبة ليدن ونشر قسماً من تآليف بعض مشاهير العرب كالواقديّ والمقريزي ورسالة ابن زيدون وتاريخ احمد ابن طولون. واشتهر كثير من تلامذتهِ

الفصل الخامس

الاداب العربية من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠

كانت حالة الاداب العربيّة في هذا الطور الثالث كحالة الحدَث الذي يدخل في شبابهِ ويشعر بقوَّتهِ فيحوّل افكارهُ الى عالم العلم ومنتدى الآداب وهو الى ذلك الحدّ مشغول البال بشواغل الأَحداث لا يجد كبير نفع بامور العقل والابحاث العلميَّة والاتساع في آداب اللغة واساليب الكتابة

امّا ما امتاز بهِ هذا الطور فانشاء الجرائد في الشرق. والظـاهر انّ اوّل جريدة ظهرت في المالك المحروسة انّما كانت في ازمير انشأهـا المسيو بلاك (Al. Blacque) سنة ١٨٢٥ ودعاها بريد ازمير (Le Courrier de Smyrne) ثمّ استدعاهُ جلالة السلطان محمود الثاني الى دار السعادة فانشأ فيها جريدة افرنسية دعاها البشير العثماني (Moniteur ottoman) سنة ١٨٣١ ثم عقَّبها في السنة التالية بجريدة تركيَّة تُدعى «تقويمِ وقائع» لكنهُ مات بعد قليـل سنة ١٨٣٦ وانشأ السائح الانكليزي شرشل (Churchill) جريدة اخرى سنة ١٨٤٣ سمَّاهـا «جريدئي حوادث» . امَّا الصحافة العربية فنشأت اوَّلًا في مصر بطبع «الوقائع المصريَّة» التي صدرت سنة ١٨٢٨ على عهد محمَّد علي باشا فظهرت سنين عديدة . وكان ظهورها ثلاث مرَّات في الأسبوع . ثمّ توفَّرت الجرائد في المالك المحروسة حتى ان سالنامة سنة ١٢٦٨ (١٨٥١—١٨٥٢) المطبوعة في دار السلام عدَّت منها ١١ جريدة في استانة العلية و٥ في ازمير و٤ في مصر (*Cfr.* Journ. As., 1852^{b}, p. 248) في التركيـة والفرنسويَّة والارمنيَّة واليونانيّة والعبرانية والعربية (١ . وجاء في مجلة الهـلال (٥ :

---

١) جاء في كتاب اوبيشيني (Ubicini: *Lettres sur la Turquie*) انَّ في الاستانة وحدها كانت تُنشر في السنة ١٨٥١ ١٣ جريدة ٤ افرنسية و٤ ايطالية و٢ في التركية و٣ في اليونانية والارمنية والبلغارية وذكر بلين (Belin) انَّ عدد جرائد الاستانة وحدها سنة ١٨٦٣ كان يبلغ ٣٦ عددًا هذا ما خلا سبع جرائد بالفرنسويه والالمانية والانكليزيَّة والايطالية وفي سنة ١٨٧٦ كان عددها في دار السلطنة لا يقلّ عن ٤٧ جريدة ١٣ في التركيَّة و٩ في الارمنية و٩ في اليونانية و٧ في الافرنسية و٣ في البلغاريَّة و٣ في العبرانية و٢ في الانكليزيَّة و١ في العربية

٣٠٠) انَّ رزق الله حسُّون الحلبي انشأ في دار السعادة جريدة عربيَّة وسمَّاها « مرآة الاحوال » والمعلوم انَّ هذه الجريدة كانت تُطبع في لندن. وخلفتها سنة ١٨٥٧ جريدة السلطنة لمحرّرها اسكندر افندي شلهوب. امَّا سوريَّة فكانت اوَّل جرائدها « حديقة الاخبار » انشأها فقيد الاداب المتوفى في العام الماضي خليل افندي الخوري ظهر اوَّل اعدادها في غرَّة كانون الثاني من السنة ١٨٥٨ ولم تزل في الوجود حتَّى وفاة منشئها فانطفأ سراج حياتها معهُ. وفي سنة انشاء حديقة الاخبـــار ظهرت في مرسيلية جريدة « عطارد » كان يديرها المستشرق كَرلتّي (Carletti)

وأُنشئت في اثر تلك النشرات عدَّة جرائد اخصُّهـــا الرائد التونسي وهي جريدة تونس الرسميَّة سنة ١٨٦٠. وفيها في تموُّز انشأ الشيخ احمد فارس الشدياق في الاستانة جريدة الجوائب فبقيت فيها الى السنة ١٨٨٤. وفي ذلك الوقت ايضاً ظهرت في باريس جريدة البرجيس كان يحرّرها سليمان الحرائريّ التونسي. وعقبها في دمشق جريدة سوريَّة الرسميَّة ظهرت سنة ١٨٦٥. ثمَّ وليها في مصر جريدة وادي النيـــل سنة ١٨٦٧

وفي تلك الاثناء شرع المرسلون الاميركيُّون في بيروت بتحرير جريدة دينيَّة دعوها « النشرة الشهريَّة » ثمَّ ابدلوها في غرَّة السنة ١٨٧٠ بالنشرة الاسبوعيَة. فكان ذلك داعياً لنشر جريدة كاثوليكيَّة انشأها الآباء اليسوعيُّون في السنة نفسها ودعوها « المجمع الفاتيكاني » ثم عقبها « البشير » في ايلول من تلك السنة وكان اوَّلا على قطع المجلَّات ثم طُبع على قطع الجرائد ولم يزل في اتّساع وتحسين حتى صـــار كما هو اليوم. ورأت السنة ١٨٧٠ انشاء جرائد ومجلَّات اخرى كالزهرة وكانت جريدة اخباريَّة عُني بنشرها الاديب يوسف الشلفون والنحلة للقس لويس صابونجي السريانيّ وكانت ادبيَّة وعلميَّة والنجاح وكانت اخباريَّة سياسيَّة انشأها القس المذكور مع يوسف الشلفون. ثم صارت ملكاً للمرحوم رزق الله خضرا بشراكة الطيب الذكر المطران يوسف الدبس. وفي تلك السنة ذاتها انشأ العالم بطرس البستاني وابنهُ سليم مجلة الجنان وجريدة الجنَّة فصار لهما رواج

وممَّا امتاز به هذا الطور الثالث ايضاً الجمعيات العلمية في الشرق فعُقــدت جمعية آسويَّة (انجمن دانش) في دار السلام نُشرت قوانينهـــا واسماء اعضائها في المجلّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. VI, 273-285) وكذلك اخذ الما المصريُّون يضمُّون قواهم لنشر الاداب نبهمّتهم طُبعت في بولاق تآليف شهيرة كالاغـــاني لابي الفرج

الاصفهانيّ وامثال الميدانيّ واحياء علوم الدين للغزّاليّ والخطط للمقريزيّ

ولم تخلُ سوريَّة من جمعيَّات علمية نفعت الآداب بمنشوراتها الحسنة فتشكَّلت في بيروت منذ السنة ١٨٥٢ الجمعية السوريَّة وضمَّت اليها عددًا من الذوات كحسين افندي بيهم والامير محمَّد امين والوجوه ابراهيم فخري بك وبولس دبَّاس والشيخ ناصيف اليازجي والأدباء بطرس البستاني وسليم رمضان وسليم شحاده والدكتور سوكه وعبد الرحيم بدران وعالي سميث وموسى يوحنا فريج وحنين الخوري ويوسف الشلفون وحبيب الجلخ. ثمَّ اتَّسعت دائرة اعمالها ونالت من الدولة العلية الرخصة بنشر ابحاث فنُشرت اوَّلًا من حين الى آخر دون وقت محدَّد ثمَّ طبعت قوانينها سنة ١٨٦٨ وصدرت اعمالها في كل شهر بنظام فقال سليم افندي رمضان موَرخًا استئناف فتحها تاريخًا هجريًّا ١٢٨٤

قلتُ للدهر والنجاحُ تبدَّى قمرًا في بلادنا السوريَّهْ
اي يومٍ يتمُّ ذا قال ارّخْ يوم فتح الجمعيَّة العلميَّهْ

وطُبعت هذه النشرة خمس سنوات ثمَّ عُدل عن طبعها. وقد نفعت تلك الجمعية المعارف والاداب بهمَّة اعضائها الذين سنذكرهم في تواريخ وفاتهم. وكان مثلهم موثّرًا في غيرهم لاسيما ان اصحاب الامر وعمَّال الدول العلية كانوا يقدّرون قدرهم وينشطون هممهم وربما شرفوا جمعياتهم الادبية كاصحاب الدولة فوّاد باشا ويوسف كامل باشا ومصطفى فاضل باشا ومحمَّد رشدي باشا واصحاب السعادة قناصل الدول وغيرهم

امَّا المدارس فانَّها زادت في هذا الطور ترقيًا لاسيما مدارس المرسلين الكاثوليك من ذكور واناث ومدارس الاميركان لاسيَّما كليَّتهم التي علَّموا فيها اللغات والعلوم وكانت الدروس تُلقى فيها اوَّلًا بالعربيَّة وطبعوا عدَّة كتب مدرسيَّة في ضروب العلوم كالطبيعيَّات والرياضيَّات والهيئة والكيميا والجغرافيا ثمَّ اتخذوا للتدريس اللغة الانكليزية لتوفُّر اسبابها لديهم

وقد أُنشئت في هذا الطور مدارس جديدة اخصُّها المكتب العسكري الذي ترقَّى بهمَّة اصحابه رجال الامة في انحاء سوريَّة. والمدرسة الوطنيَّة التي فتحها بطرس البستاني سنة ١٨٦٣ في بيروت فجارت في تعاليمها بقيَّة مدارس المدينة بمساعي منشئها وولده سليم. وفي السنة ١٨٦٥ انشأ الروم الارثذكس مدرسة الثلاثة الاقمار

على طرز المدرسة الوطنيَّة . وفي اواخر تلك السنة وضع الطيب الذكر غريغوريوس يوسف بطريرك الروم الكاثوليك اساسات المدرسة البطريركيَّة فذاعت شهرتها واقبل اليها الطلبة من الشام ومصر وقبرس وتخرَّج فيها كثيرون من الادباء فنبغوا في المعارف والآداب العربيَّة . ولم يلبث السيّد البطريرك ان فتح ايضاً في عين تراز مدرسة اكليركيَّة لتهذيب طلبة الكهنوت . ومن المدارس المارونيَّة المنشأة في ذلك الوقت مدرستان في عرمون انشأ الواحدة همَّام مراد سنة ١٨٦٥ وعُرفت بمدرسة مار نيقولا العريقة والاخرى مدرسة المحبة جدَّدها الخوري ميخائيل سباط سنة ١٨٦٧

امَّا المطابع فانَّها في مدَّة العشرين سنةً اصدرت عدداً لا يُحصى من المطبوعات في كل الفنون سواء كان في سوريَّة او في مصر والهند . وقد ذكرنا تاريخ معظم هذه المطابع في الشرق وممَّا استجدَّ من المطابع في هذا الزمان في بيروت المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ وقد وصفنا تاريخها وقائمة مطبوعاتها في المشرق (٣ : ٩٩٨) وفي السنة التالية احدث الدكتور ابراهيم النجار مطبعةً عُرفت بعد ذلك بالمطبعة الشرقيَّة (المشرق ٣ : ١٠٣٢) . وبعدها بثلاث سنوات نال يوسف الشلفون الرخصة بفتح مطبعة دعاها المطبعة العمومية (المشرق ٣ : ٩٩٩) فنشر فيها عدَّة كتب ونشرات وجرائد . ثمَّ ظهرت المطبعة المخلصيَّة سنة ١٨٦٤ فخدمت الآداب العربيَّة نحو ثماني سنوات (المشرق ٣ : ١٠٣٢) وفي السنة نفسها كانت المطبعة السريانيَّة التي نُقلت ادواتها بعد قليل الى الشرفة (المشرق ٤ : ٨٩) وكذلك ظهرت وقتئذٍ المطبعة الوطنية لجرجس شاهين (المشرق ٤ : ٨٦) . ثمَّ انشأ جناب الاديب الفاضل خليل افندي سركيس مطبعة المعارف سنة ١٨٦٧ شركةً مع المعلم بطرس البستاني الى سنة ١٨٧٤ حيث انشأ المطبعة الادبية . وكان آخر ما أُنشئ من المطابع في هذا الزمان سنة ١٨٦٩ المطبعة اللبنانية لحنا جرجس الغرزوزي (المشرق ٤ : ٨٦—٨٧) ومطبعة الجمعية الارثذكسية جرجس يزبك التي لم تطل مدَّتها ولم تتجاوز مطبوعاتها ثلاثة او اربعة كتب دينيَّة

وفي هذا الطور نفسهِ انتشر فنّ الطباعة العربيَّة في لبنان وكان قبلها منحصراً في مطبعة دار يوحنَّا الصابغ في الشوير اما مطبعة قزحيا فكانت حروفها سريانيَّة . واوَّل مطابع لبنان في هذا العهد مطبعة بيت الدين كان الساعي بادارتها حنَّا بك اسعد

الصعب باشر اوّلًا سنة ١٨٥٣ بعض المطبوعات الحجريّة ثمّ طبع على الحروف سنة ١٨٦٢ . ثم ندب المرحوم داود باشا يوسف الشلفون لانشاء مطبعة لمتصرفيّة لبنان فأنشئت المطبعة اللبنانيّة سنة ١٨٦٣ تولى تدبيرها ملحم النجّار ثمّ نقلها الى دير القمر سنة ١٨٦٩ . وفي المطبعة اللبنانيّة طبعت جريدة لبنان الرسميّة كان يحرّرها حبيب افندي خالد (المشرق ٤ : ٤٧٣)

ثمّ ظهرت مطبعة دير طاميش سنة ١٨٥٨ فوق وادي نهر الكلب (المشرق ٤ : ٤٧٣) فاشتغلت عشر سنوات. وأنشأ المرحوم رومانوس يمين سنة ١٨٥٩ مطبعة اهدن فشاركهُ في العمل الخوري يوسف الدبس (المشرق ٤ : ٤٧٣)

امّا الجهات فظهرت فيها ايضاً مطابع اخرى فانشأ المرحوم حنّا الدوماني سنة ١٨٥٥ في دمشق مطبعة انتقلت بعد ذلك بالشراء الى حنّا الحدّاد ثمّ الى محمّد افندي الحنفي. ثمّ جلبت ولاية سوريّة الجليلة سنة ١٨٦٤ مطبعةً نشرت فيها جريدتها الرسميّة « سوريّة » مع عدّة مطبوعات اخرى (المشرق ٤ : ٨٧٩) — وأُنشئت في الموصل سنة ١٨٥٦ مطبعة جليلة بادارة حضرة الآباء الدومنيكان فأدت للدين والعلم والآداب خدماً متعدّدة ولم تزل حتى اليوم جارية على خطّتها (المشرق ٥ : ٤٢٢). وفيها انشئت ايضاً المطبعة الكلدانيّة بهمّة الاديب الشمّاس رافائيل مازجي سنة ١٨٦٣ (المشرق ٥ : ٨٤٠) — وظهرت في كربلاء مطبعة حجريّة سنة ١٨٥٦ طُبعت فيها مقامات الشيخ محمود الالوسي (المشرق ٥ : ٨٤٣) ثمّ استحضر المرزا عبّاس مطبعةً اخرى حجريّة في بغداد فعُرفت بمطبعة كامل التبريزي ونفعت العلوم ببعض المنشورات نحو خمس سنوات (المشرق ٥ : ٨٤٣ — ٨٤٤). ثمّ بطلت تلك المطبعة بظهور مطبعة ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ فأصدرت جريدة الولاية ومطبوعات غيرها (المشرق ٥ : ٨٤٣) — وكذلك حلب فانّ فنّ الطباعة تجدّد فيها في اواسط القرن التاسع عشر. وكان اوّلًا احد الفرنج المدعو بلفنطي السرديني نشر بعض المطبوعات الحجريّة في الشهباء منها ديوان الفارض سنة ١٢٥٧ (١٨٤١) وكتاب المزامير. ثمّ اهتمّ الطيّب الاثر المطران يوسف مطر بانشاء مطبعة على الحروف فطُبع فيها منذ السنة ١٨٥٧ الى يومنا نحو ٥٠ كتاباً بين كبير وصغير (المشرق ٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨)

امّا اوربّة فكانت فيها الدروس الشرقيّة لاسيما اللغات السامية على خطّتها

الشريفة. وكان عدد وافر من تلامذة دي ساسي قد انتشروا في اقطار شتى فبعثوا الهمم لدرس آثار الشرق ولغاتهِ واحيـــاء دفائنهِ فعُقدت جمعيّات جديدة وأُنشئت المدارس وتوفَّرت المطبوعات والخزائن الكتبيَّة. وكانت فرنسة في مقدَّمة الدول لما كان بينها واقطار الشرق من العلائق والمعاملات وخصوصاً بلاد الجزائر

وممَّا ساعد على توفير اسباب الترقي للآداب العربيَّة في هذا الطور الثالث بين نصارى الشرق خاصَّة بطاركة اجلَّاء محبُّون للعلوم وساعون في تنشيطها بين مرؤوسيهم. فكان يسوس طائفة الروم الكاثوليك الملكيين السيّد المفضال مكسيموس مظلوم الذي مع وفرة اشغالهِ في تدبير بنيه ابقى لهم من تآليفهِ او ترجمتهِ نيفًا وخمسين كتـــابا طُبع نحو نصفها في بيروت ورومية والاستانة ومصر وهي في كل ضروب العلوم من لاهوت نظري وادبي وجدل واخبار قديسين وعبادة وطقوس وتاريخ وجغرافية وصرف ونحو وطبيعيَّات. فكان مثال جدٍّ ونشاط لم تخمد همتهُ الَّا مع خمود انفاسهِ في ١٠ آب سنة ١٨٥٥

وقام على الطائفة المارونيَّة غبطة البطريرك بولس مسعد سنـــة ١٨٥٤ وكان من البارعين في معرفة الانساب والتاريخ الشرقيّ والحقّ القانوني خلَّف من كلّ هذه العلوم آثارًا حسنة

وفي هذه الغضون كان على السريان الكاثوليك البطريرك اغناطيوس بطرس جروه وقد ذكرنا في المشرق (٩ : ٦٩٧) ما لهُ من الآثر العلميَّة. ولمَّا دعاهُ الله الى دار الخلود في سنة ١٨٥١ خلفهُ ذلك الرجل المفضال الكثير المبرّات اغناطيوس انطون السمحيري (١٨٥٣—١٨٦٤) الذي عُني بتهذيب اكليروس طائفتهِ في مدرسة الشرفــة وفي مدرسة غزير ومدرسة البروباغنــدا في رومية العظمى فخرج من هذه المدرسة رجال افاضل سنذكرهم في تاريخ وفاتهم

أمَّا الارمن الكاثوليك فكان يدبّرهم البطريرك غريغوريوس بطرس الثامن منذ السنة ١٨٤٣ فما كان لينسى تعزيز الآداب في طائفتهِ فاهتم في بناء مدرسة بزمَّار وتنظيم كهنتها على قوانين خصوصيَّة كما انَّهُ ارسل الى غزير بعض بني جنسهِ ليتلقَّنوا دروسهم ثمَّ اشتهروا في خدمة النفوس ولهم تآليف دينيَّة. ثمَّ قام بتدبير الطائفة [illegible] السيّد انطون حسُّون سنة ١٨٦٦ وكان من رجال الفضل والعلم فجرى على منوال سلفهِ في نشر الآداب بين أبناء امّتهِ

وكذلك الكلدان فانَّ بطريركهم يوسف اودو (١٨٤٨ — ١٨٧٨) سعى في انماء الآداب في ملَّتهِ. وهو الذي انشأ لابناء طائفتهِ مدرسة اكليركيَّة في الموصل وارسل احداثًا منهم الى مدارس اخرى فنجحوا

وقد عُرفت الرسالة الاميركيَّة في هذا العهد بنشاط عظيم اشتهر بينها الدكتور عالي سميث والدكتور طمسن والدكتور ڤان ديك فانكبُّوا على درس اللغة العربية حتَّى اتقنوها. وكان من اثار اجتهادهم ترجمة الكتاب المقدَّس باشر فيها سنة ١٨٤٩ الدكتور سميث بمعاونة المعلم بطرس البستاني فعرَّب قسماً من كتب موسى ثمَّ توفي سنة ١٨٥٧ فقام بتعريبها من بعدهِ الدكتور ڤان ديك ولم يزل يفرغ في انجاز العمل كنانة جهده حتى انتهى منهُ سنة ١٨٦٤ بمساعدة الشيخ ناصيف اليازجي. ثم طُبع الكتاب سنة ١٨٦٧. ولم تُثبَت فيهِ الاسفار المعروفة بالقانونيَّة الثانويَّة. وصار لهذه الترجمة رواج كبير حتى اتت من بعدها ترجمة الاباء اليسوعيين بمساعدة المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجيّ فكانت اضبط نقلًا واشمل موضوعًا وابلغ لسانًا واجود طبعًا

الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور (١٨٥٠–١٨٧٠)

انحصرت الاداب الاسلاميَّة في هذا الطور الثالث اعني من السنة ١٨٥٠ الى ١٨٧٠ في العلوم اللسانيَّة خاصَّةً من صرف ونحو ولغة وبديع وبيان وشعر وادبيات منثورة. امَّا التاريخ والعلوم الطبيعيَّة والهيئة والرياضيَّات فانَّ التأليف فيها كان نادرًا. الَا انَّ بعض الادباء كالشيخ الرفاعيّ الطحطاويّ في مصر وسليمان الحرائري في الجزائر عرَّبوا عدَّة مؤلفات اوربيَّة في العلوم المستحدثة والاختراعات الجديدة فكانت تعريباتهم دليلًا على سعة اللغة العربية ومرونتها وكفايتها للمعارف العصريَّة. فنهج غيرهم منهجهم بعد ذلك لاسيما جماعة الاميركان في بيروت. وها نحن نختصر تاريخ أدباء المسلمين في هذا الطور بذكر مشاهيرهم بلدًا بلدًا مباشرة بالشام ثمَّ مصر ثمَّ العراق وبقية البلاد

﴿ ادباء المسلمين في الشام ﴾ يحضرنا منهم اسماء قليلين ولعلَّ مصنَّفات اكثرهم لا تزال مدفونة في بيوت الخاصة. فممَّن اشتهروا في هذه المدَّة بآدابهم السيد مصباح

البربير اسمهُ محمَّد بن محمَّد البربير وجدُّه احمد البربير الشاعر الذي ذكرناهُ في جملة ادباء الطور الاوَّل من القرن التاسع عشر. ولد محمَّد مصباح سنة ١٢٦١ (١٨٤٥) واظهر منذ صغرهِ نجابةً عظيمة فبعد اتقانهِ اصول اللغة ومبادئ العلوم على شيوخ بيروت في ايَّامهِ كالشيخ عبد الرحمان افندي النحَّاس والشيخ عبد الله افندي خالد البيروتي واخيهِ الشيخ ابراهيم البربير استُخدم في مجلس التحقيق بوظيفة كاتب وكان في شرخ شبابهِ مولعًا بالشعر فينظم في اوقات الفراغ القصائد الرائقة التي تُعرب عن فضلهِ. وقد وافاهُ اجلهُ فقُصف غصن شبابهِ طريًّا في وباء الهواء الاصفر الذي حدث سنة ١٢٧٢ (١٨٦٥م). ولهُ ديوان صغير جمعهُ شقيقهُ الاديب عمر البربير فطبعهُ في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣ م) ودعاهُ البدر المنير في نظم مصباح البربير. فمما نظمهُ مصباح قولهُ مؤرخًا بناء دارٍ لوالدهِ سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢)

لمحمَّد البربير دارٌ قد زهتْ ونجوم مطلع عزّها حرَّاسُها
في بابها كتبَ المؤرخ قُلْ بها دارٌ على التقوى أُقيم اساسها

ومن ظريف اقوالهِ تهنئة بمولد ابن عمهِ محمَّد نجيب ابن احمد البربير سنة ١٢٨٢:

بُشراك احمد قد اتاكَ نجيبُ حَيِيَتْ بمرآهُ نُهًى وقلوبُ
نجلٌ كُسي من كل ظرفٍ حلَّةً فهوَ الحبيبُ بلى ابوهُ حبيبُ
قد لاحَ في افق السعادةِ ساطعًا ان غابت الاقمارُ ليس يغيبُ
في مهدهِ كالعندليب مغرّدًا وكذا اللبيبُ من المهاد لبيبُ
الخيزرانُ حباهُ لين غصونهِ لطفًا ونفحتَهُ حباهُ الطيبُ
نادت علاماتُ السعود بوجههِ يحيى سعيدًا انهُ لأديبُ

ولهُ مكاتبات مع بعض ادباء زمانهِ نخصُّ منهم بالذكر الشيخ ناصيف اليازجي وكان هذا كتب اليهِ:

برعتَ والله في قولٍ وفي عملٍ لفظًا ومعنًى وتهذيبًا وإفصاحا
أَعطاك ربُّك نورًا يُستضاء بهِ فقد اصاب الذي سمَّاك مصباحا

فاجابهُ محمَّد مصباح بقولهِ:

يا من غدا شعرهُ الشعرَى فكان لنا قاموسَ فضلٍ وللتلخيص ايضاحا
لأنت شمسُ علومٍ حين مطلعها كم أخجلت قمرًا يزهو ومصباحا

(محمَّد ارسلان) واشتهر ايضًا في الشام بآدابهِ وتآليفهِ الامير محمَّد ابن الامير

امين ارسلان وُلد في الشويفات سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وطلب العلوم منذ حداثة سنّهِ وتعلّم اللغـات الاجنبية فضلًا عن اللغات الوطنية . ولمّا بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ فوّضت اليهِ الحكومة السنية ادارة الغرب الاسفل فتولّاها تحت نظارة والدهِ حتى مات والدهُ سنـة ١٢٧٥ (١٨٥٨) فقام بعمل والدهِ . ثمَّ انتقل الى بيروت مع اهل بيتـهِ واستوطنها وتفرَّغ للتأليف والكتابة وكان عضـدًا لكلّ طالبي الآداب ساعيًا في ترويج العلوم بجمع في دارهِ محبّي المعارف . وسنة ١٢٨٥ (١٨٦٤) استدعتهُ الدولة العلية الى الاستانة لتعهد اليهِ بعض المهامّ لكنَّ الموت عاجلهُ عند وصولهِ فمات بمرض القلب ولهُ من العمر ٣١ سنة وقد ابقى المترجم عدَّة تآليف لا تزال مخطوطة منها كتاب في اصول التاريخ وتآليف عدَّة في الصرف والنحو والمنطق وكتاب حقائق النعمة في اصول الحكمة والمسامرة في المناظرة وتعديل الافكار في تقويم الاشعار وتوجيه الطلّاب في علم الآداب . والتحفة الرشديّة في اللغة التركية الذي نُشر بالطبع . وكان بين الامير محمّد امين وأدباء زمانهِ مكاتبات تدل على براعتهِ في فنون الآداب . وهو ممن مدحهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ فاهُ في ابيهِ الامير امين وفيهِ اقوال حسنة فقال في الامير امين :

كريمٌ لا يضيعُ لديهِ حقٌّ   فقد سُمّي امينًا بالصوابِ
وليس يخلُّ في الدنيـا بشيءٍ   لغير المال من حفظ الصحابِ
يعيشُ بظلـهِ من عاشَ منّا   ويقضي تحتهُ ميتُ الترابِ
ويدركنا نداه حيثُ كنّا   على حال ابتعادٍ واقترابِ
وتكسبنـا مكارمهُ ارتفاعًا   كصِفرٍ زاد في رقم الحسابِ
فدام نداهُ يقرَعُ كلَّ بابٍ   ويأتيهِ الثنـا من كل بابِ

ومن حسن اقوالهِ في المير محمّد ما كتبهُ اليهِ يعزّيه في ابيهِ بقصيدة كان مطلعها :

ما دام هـذا اليومُ يخلفهُ غـدُ   لا تُنكروا ان القديمَ يُجدَّدُ
لا تُقطَع الاغصانُ من شجراتنا   الّا رأينـا غيرهـا يتولّدُ
هذا الامينُ مضى فقـامَ محمّد   خلفًا فنـابَ عن الامين محمّدُ

وختمها بقولهِ :

خلفٌ كريمٌ أشبه السلفَ الذي   كانتْ له كلُّ الخلائقِ تشهدُ
ما كان يوجدُ كالأمينِ بعصرهِ   واليومَ مثل محمّـد لا يوجدُ

وقد مدحهُ احمد فارس الشدياق بلامية اوّلها:

انَّ الاميرَ محمّدًا مفضالُ   من آلِ رسلانَ ونعمَ الآلُ

وقال يصف معارفهُ:

سيّانِ في نظمٍ ونثرٍ قولهُ   فصلٌ وحكمٌ لا يليهِ عدالُ
قد ألّف الكُتُبَ التي شهدت بأنْ   أصحاب آرسطو عليهِ عيالُ
فاجاد في التاريخ ايّ اجادةٍ   وبكلّ فنٍ لم يَفتْهُ مقالُ

وقال الشاعر المشهور اسعد طراد يعزّيهِ بوالدهِ بقصيدة هذا مطلعها:

الارضُ تخبر والجماجمُ تشهدُ   انّ ابن آدم فوقها لا يخلدُ

ومنها في مدح الفقيد:

غدت بنو رسلانَ نائحةً ومن   فرط الاسى أمست تقومُ وتقعدُ
لك يا امين مع القلوب أمانةٌ   حزنٌ بها اودعتها لا ينفدُ
فارقتَ لبنان الذي مهّدتهُ   عدلًا وكان الظنّ لا يتمهّدُ
اضرمتَ نارًا في القلوب كأنها   نار القرى بحماك ليست تخمدُ

(محمود بن خليل) وممّن نقدّر وفاتهُ في هذا الوقت الشاعر محمود بن خليل الشهير بالعظم الدمشقيّ لهُ في المكتبة الخديوية (٤ : ٣٥٣) ديوان شعر خطّهُ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) الاديب احمد زكية . وكان صاحب الديوان موجودًا سنة ١٢٨٥ (١٨٦٨ م)

ولا نشكّ في انهُ اشتهر في هذا الطور من ادباء المسلمين في الشام غير هذين المذكورين الّا انّ اخبارهم لم تُنشر حتى الان فلم نقف على تاريخهم. ربما وقع في ايدينا منذ عهد قريب مجموع فيه قصائد لشعراء بلاد الشام في القرن السابق بامرها في مدح علي بك الاسعد من البيوتات الشريفة في طرابلس فهنالك اسماء عدّة ادباء مرّ لنا ذكر بعضهم كالشيخ عمر اليافي والسيّد احمد البربير والسيّد [illegible] عبد [illegible] افندي فتح الله مفتي بيروت وبطرس كرامة و[illegible] وآخرين لا نعرف منهم غير اسمائهم كالشيخ عثمان والشيخ عمر البكري والشيخ مصطفى الكردي والحاج علي ابن السيّد البكري والسيّد عمر افندي الكيالي . ولكنهم [illegible] احادبا فيها امكننا نعرض عن ذكرها لجهلنا اخبار قائليها

﴿ أدباء مصر ﴾ خلَّف لنا أدباء المسلمين المصريين مادَّة اوسع من اخوتهم في الشام وممَّا ساعد على حفظها انتشارها بالطبع فسلمت من الضياع . ودونك اسماءهم :

(عليّ الدرويش) هو السيّد عليّ افندي الدرويش بن حسن بن ابراهيم المصريّ الشاعر المفلق اصاب في اواسط القرن التاسع عشر شهرة كبيرة في القطر المصريّ وتقرَّب من اصحاب الامر ومن أدباء وطنهِ فمدحهم وكاتبهم . ولمَّا توفي سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) جمع ديوانهُ واقوالهُ النثريّة تلميذهُ مصطفى سلامة النجاري فطبعهُ على الحجر في مصر في ٤٨٢ صفحة وأرَّخهُ الإشعار في حميد الاشعار (١٢٧٠). وها نحن نورد منهُ بعض امثلة بيانًا لفضل قائلهِ قال مؤرّخًا قصر صديقهِ عرفي افندي :

وقصرٍ كالسماء بهِ نجومٌ مطالعُها السعادة والبدورُ
على اقطاره تبكي عيونٌ اذا ابتسمت لوارده زهورُ
فليس لوافدٍ وافاه فقرٌ وقد نفدت لمدحتهِ البحورُ
لئن اضحى لمبناهُ متونٌ فقد شُرحت لرونقهِ الصدورُ
يقول الروض اني مستعيرٌ شذا عرفي ومن عرفي العبيرُ
اذا سارت مواكبُ كلّ لطفٍ يمن فيها فذاك هو الاميرُ
وحسبك روضةٌ في كل مجدٍ وفضل بالبسال لهُ يشيرُ
تقاصر من سناهُ ذو بناءٍ وحسن القصر ما فيهِ قصورُ
يقول العزّ والاسعاد ارّخ سعود البيت يا عرفي منيرُ سنة ١٢٥٩

وقال شاكرًا :

سُررت بنيل القصد من غير موعدٍ ولا شيء اشهى من سرورٍ مجدَّدِ
سُررت بنعماه ولكن حزنتُ من قصوري بحق الشكر في فضل سيدي
لهُ الحمدُ والشكر الذي هو اهلهُ وقل له حمدي وشكري ومنشدي
فلو كل عضوٍ فيه عدة ألسُنٍ لأعجزني شكر الندى المتعدِّدِ
وهل انا الّا عبد احسان جودكم فاضحى لديه مدحكم كالتعبُّدِ
تعوّدت لولا لطفكم غير عادتي وصعب على الانسان ما لم يعوّدِ
وزدتم نعمي نعمةً [illegible] وردتم مقامي رفعةً فوق مقصدي
وكدّرتم ظنّ الحسود بنعمتي واشفى من الاعدام تكدير حسَّدي
وحمّلتني ما لا اطيق وجودهُ [illegible] حالي عن [illegible]
وانتهي [illegible] تروّج [illegible] [illegible]
وقالي بي حسن السلوك الى [illegible] [illegible]

وهل يُهدى للاملاك تاليفُ جوهرٍ   وهل عَرَضٌ يُهدى لنور مجرّدِ
فيا اسعد الله السَّعيدَ لملكه   ودولته والموكب المتجددِ
فقد اشغل الدرويش شكرًا مؤرخًا   مليك سعيد انجم خير [illegible]

(شهاب الدين) وقد فاق على درويش المذكور شاعر آخر كان يُعاصره وهو الاديب الاريب السيّد شهاب الدين محمّد بن اسماعيل وُلد في مكة سنة ١٢١٨ (١٨٠٣ م) ثمَّ قصد مصر فدرس على مشايخها لاسيما شيخي الازهر محمّد العروسي وحسن العطّار فبرع في الكتابة والشعر. ولمَّا انشأ الشيخ حسن اوَّل جريدة طُبعت في الشرق وهي الوقائع المصريَّة سنة ١٨٢٨ اتّخذ كمساعد لهُ في انشائها شهابَ الدين المذكور ثمّ خلفهُ في ادارتها سنة ١٢٥٢ (١٨٣٦ م) وجُعل مصححًا لمطبوعات مطبعة بولاق الشهيرة وبقي في مهنتهِ الى السنة ١٢٦٦ (١٨٤٩ م) وانقطع الى الكتابة والتاليف. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٧ م) وقد ابقى السيّد شهاب الدين من تآليفهِ كتاب «سفينة الملك ونفيسة الفلك» ضمَّنهُ مجموعًا وافيًا من الزجليات والموشحات والاهازيج والموالي التي يتغنَّى بها ارباب الفنّ في محالي الافراح ومعاهد السرور ولمَّا اتمّهُ سنة ١٢٥٩ قال في تاريخهِ:

هذي سفينة فنّ بالمُنى شُحنتْ   والفضلُ في سرهِ المحاح أجراها
واذ جرت بالاماني فيهِ أرّخها   سفينةُ اجرِ بسمِ الله مجراهـا

ثمَّ طُبع سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) ديوان شعرهِ في ٣٨٠ صفحة وفيهِ القصائد الرنانة في كل فنون العروض ومعاني الشعر. فمن نظمهِ قولهُ يصف مزولة انشأها حضرة سلامه افندي المهندس لجامع القلعة لبيان الاوقات والساعات بحساب البرج الاثني عشر

ومُظهرة للوقت ظهرا وغيرهِ   والبرج ايضا فهي واحدة [illegible]
[illegible] مثلى [illegible] وحسابها   لجامع [illegible] [illegible]

وقال من قصيدة يمدح [illegible] [illegible] اذ زاره يومًا وكان قصد الا [illegible] [illegible]

الى يتجلى كالبدر [illegible]   [illegible] حل في الآفاق [illegible]
فتمَّ ليَ العصرَ الذي [illegible]   يكونُ [illegible] [illegible]
ألا وهو [illegible] [illegible]   [illegible] الكوكبات [illegible]
جميـل السجايا الالمعيّ [illegible]   [illegible]

هشوشُ المحيَّا ضاحك السنّ دائمًا   حليفُ المعاني ذو الجناب المقدَّسِ
بنفسٍ افدّيهِ وقد جاء زائرًا   بتشنيف اسماعٍ وتشريف مجلسِ
يصوغُ لهُ نظمي نفيسَ مدائحٍ   فتثنيهِ غايات الكمال بانفسِ

وقال عن لسان بعض الكاثوليك يمدح كبير ملّتهم وكان المذكور التمس منهُ ذلك:

بابا النصارى مربّي روح ملّتهم   حامي حمى كلّ شمّاسٍ وقسّيسِ
شخصٌ ولكن هيولى روحهِ ملَكٌ   وجسمهُ صورةٌ في شكل قديسِ
اقام وهو وحيد العصر مفردهُ   دينَ النصارى بتثليثٍ وتغطيسِ
تسمي الملوك الى تقبيل راحتهِ   في البحر والبرّ فوق الفلك والعيسِ
احيا الكنائس جسمًا بعد ما درست   وشيّد الروح تشييدًا بتأسيسِ
فعظّموا الربّ فيها بالصلاة لهُ   ومجّدوهُ بتسبيح وتقديسِ

ولهُ في مديح حنَّا البحري من قصيدة:

هو كهفٌ اذا لجأنا اليهِ   في مَخُوفٍ ممَّا نخافُ امنَّا
من أتاهُ مستنصرًا بحماهُ   عاد بالنصر بالغًا ما تمنَّى
كلَّما عنَّ امر خطبٍ مهمٍّ   بك فيما نراهُ عنَّ استغنَّا
يصنعُ المكرمات سرًّا وجهرًا   وهو في عون من يقولُ أعنَّا
كلّ من قد رآهُ وهو بشوشٌ   عنهُ ولَّت همومهُ واطمأنَّا

ولهُ قصيدة طويلة في مدح نصر الله (نصري) الطرابلسيّ الشاعر الذي مرَّ لنا ذكرهُ هذا اوَّلها:

لا رعى الله يوم حان وداعي   انهُ جالبٌ لحَيْني وَداعي
فيهِ قد ازمع الرفاق فراقًا   واصات الشتاتُ شمل اجتماعي
وغدا الدمع سائلًا يتجارى   وفؤادي في موقفِ الايداعِ

الى ان قال:

أترى هل تعودُ اوقاتُ أُنسي   وبقرب المزار تحظى رباعي
واذا ما الزمان جاء بنصري   فبحمدٍ يُجزى وشكرٍ مساعي
هو بحرٌ تُروى المآرب عنهُ   ل هو البرّ في جميع البقاعِ
روضُ آدابهِ العضيض جناهُ   عَطرُ النشر طيّب الايساعِ

وختمها بقولهِ:

رادك الله بهجةً وكمالًا   ما ترجّى حسنَ الختامِ الداعي

ونظم الابيات الآتية لتُرسم على سفرة الطعام:

ايها السيد الكريم تكرَّمْ وتناولْ ما شئت اكلًا شهيّا
وتفضَّلْ بجبر خاطر مَنْ هم أتقنوا صُنْعهُ وخذ منهُ شيّا
وتحدَّث على الطعام وآنسْ واحدًا واحدًا بشوش المحيّا
واستزدهم اكلًا وقل ان هذا طابَ نضجًا وصار غضًّا طريّا
فهلمُّوا بنا ومدُّوا اليهِ ايديًا باعُها ينالُ الثريّا
ثمَّ قلْ يا احبَّتي هل لكم في بعض شيءٍ من النبيذِ المهيّا
ولئن ساغَ شربهُ للتمرّي فكلوا واشربوا هنيًّا مريّا
واذا ما آكلت ضيفًا فارّخْ ان هذا لرزقنا كُلْ هنيًّا (١٢٦٦)

(الشيخ البيجوري) واشهر من السابقين شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري. ولد في قرية البيجور بمديريّة المنوفية سنة ١١٩٨ (١٧٨٤ م) وطلب العلوم في الازهر مدّةً وتتلمذ للشيخين محمَّد الفضالي وحسن القويسني وغيرهما حتى نبغ بين طلبة الازهر وتفرَّغ للتأليف فوضع كتبًا عديدة في التوحيد والفقه والمنطق والتصريف والبيان واشتغل بالتدريس ثم انتهت اليهِ رئاسة الازهر. قيل ان صاحب الدولة الخديوي عبَّاس باشا كان يحضر دروسهُ في الازهر. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٧ (١٨٦٠ م)

(ابراهيم بك مرزوق) ويُلحَق بأدباء مصر احد مشاهير كتبتها ابراهيم بك مرزوق. ولد سنة ١٢٣٣ ﻫ (١٨١٧م) وكان منذ نعومة اظفارهِ مغرًى بالآداب كثير الحفظ من مختار الشعر قيل انهُ كان يحفظ منهُ عشرين الف بيت كما انهُ احرز جملة وافرة من منتخب المتون العاميَّة ومأثور الاخبار وكان كثير التصرُّف في فنون الكتابة ويحسن نظم الشعر. ورحل الى بلاد السودان فكانت وفاتهُ في الخرطوم سنة ١٢٨٣ (١٨٦٦) وقد عُني بجمع قصائدهِ وطبعها الهمام محمَّد بك سعيد بن جعفر باشا مظهر وقسمها الى سبعة ابواب على حسب معانيها ووسم هذا الديوان « بالدرّ البهيّ المنسوق بديوان الاديب ابرهيم بك مرزوق » . وكان طبعهُ سنة ١٢٨٧ (١٨٧٠) وممَّا جاء فيهِ من الحكميَّات قولهُ:

انَّ الفضيلة في الانام تدلّ على شرفِ النفوس الشمّ اقوى حجَّةِ
فاذا ادَّعيتَ بانَّ اصلك يا فتى من سادة الابدال اهل الهمَّةِ
أوضحْ لنا نور الشهامة منهم وعلى رفيع الجد أحسنَ غيرةِ
واذا اردت الفخر فاسهر دائمًا لعلائهِ واهجرْ لذيذ الهجعةِ

فتكونَ ذا شرفٍ فتلك دلائل دلّت على شرفٍ وكلّ فضيلةِ

وقال مستعطفًا لصديق نفر عنهُ :

يا معرضًا متجنبًا حاشاك من نقض الذمامْ
مولاي ما لك قد بخلتَ عليَّ حتَّى بالكلامْ
سلّم عليَّ اذا مررتَ فلا اقلَّ من السلامْ

وقال يرثي اسكاروس افندي الباش كاتب القبطيّ :

لا شكّ عندي في فناء الوجودْ فافضلُ السيرةِ خيرُ الوجودْ
والمرءُ مجزيٌّ باعمالهِ فشأنهُ يومَ تُقامُ الحدودْ
واغنا طوبى لمن قد قضى دنياهُ بالخير وسعد السعودْ
كالبارع أسكاروسَ في فضلهِ باهي الحجا والجدّ غيظ الحسودْ
فقلْ لراجي شأوهِ ارّخوا يكفي ثوى أسكاروسُ دارَ الخلود (١٨٦٠)

وقد عُرف في مصر غير هؤلاء ممن ورد ذكرهم في كتب الادباء كالاستاذ الشيخ احمد عبد الرحيم والشيخ مصطفى سلامة وكان كلاهما محرّرًا للوقائع المصريّة في هذا الوقت. مدحهما صاحب كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (ص١٢١ و١٢٩) . وكذلك في مصنّفات الشيخ ناصيف اليازجي مراسلات دارت بينهُ وبين ادباء مصر من المسلمين كالشيخ محمّد عاقل افندي كاشف زاده الاسكندريّ والشيخ حمد محمود افندي الاسكندريّ والشيخ عبد الرحمان افندي الزيامي والشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ . ولكلّهم قصائد جيّدة اثبتها الشيخ ناصيف في مجموع شعرهِ لكنّنا لا نعرف من تاريخ اصحابها شيئًا . فمّا روى للشيخ محمّد عاقل قولهُ يصف الهواء الاصفر :

دهانا بوادي النيل كالسَّيل حادثٌ لهُ تَذهل الالبابُ حين يخيفْ
دعوهُ بريحٍ اصفرٍ شاع ذكرهُ وما هو الّا هيضةٌ ونزيفْ
بهِ احتارت الافكار والعقل والنُّهى وكم طبيب تاه وهو لعلمٍ موصوفْ
فلم يبقِ دارًا لم يَزُرها ولم يذرْ جنانًا بهِ ركبُ السرور يطوفُ
ثُكلنا رجالًا للزمان نعدُّهم طروسًا وهم للمعضلاتِ سيوفْ
تراهم ليوم اليأس والبأس عُدَّةً وجاههمُ للقاصدينَ منيفَ
وكم فيهم من اهل ذوقٍ وفطنةٍ وفيهم لطيفٌ ألمعي وظريفُ
لقد أقشبت اقطارُ مصرَ لفقدهم وكان لهم روحُ الكمال حليفُ
نأوا وأقاموا بارح الحزنِ في الحشا فليس بديلًا تالدٌ وطريفُ

فشيّعهم عقلي وفكري وفطنتي ولم يبقَ من لبي لديَّ طفيفُ
وناقصُ امثالي صحيحٌ مضاعفٌ ومهموز حزني اجوفٌ ولفيفُ

وقال يمدح بيروت وادباءها وخصوصاً الشيخ ناصيف اليازجيّ :

لقد قصدَتْ بيروت دار اعزَّةٍ لهم تنتمي الآلاء في اللفظ والمعنى
نزيلهمُ قد شكَّ في اصل داره وصار يقين الامر في علمه ظنّا
مدينة ظرفٍ ما بها غير فاضل بسيم وسيم قد حوى الحُسْن والحسنى
تشدُّ لهُ الألبابُ كلَّ مطيَّةٍ مجرَّبةِ الاسعاف في كل ما عنّا
صغيرهمُ في المجد سيّد غيرهم على انَّ ذاك الغير قدوة من اثنى
وما منهمُ الّا وقد شبَّ طوقهُ بنادي نصيفِ اليازجيّ وقد أفنى
مجيد المعاني وهو للقول حجّةٌ لاهل النُهى كم قد اجاد لنا فنّا

ومن اقوال الزيلعي في المدح :

بلغتَ مقاماً لم تنلهُ الاوائل وحزت كمالا تبتغيهِ الافاضلُ
ولستَ براء غير فضلكَ يرتجى لكل مُلمٍّ فيهِ تُدمى الصياقلُ
ولولاك لم تدرِ العلوم بانّها تُجَلُّ وان قد بانَ منها دلائلُ
يطول لسان الفخرِ في فضلك الذي بنيتَ لهُ ركناً ليرجع ثاكلُ
ويقصر باع الدهر عن وصف ماجدٍ لهُ جُمعت في المكرمات الفضائلُ
فيا لك من مجدٍ ويا لهُ من يدٍ تطول اذا مُدَّت وان حال حائلُ

وقال حمد محمود افندي من قصيدة متشوقاً الى اهل الفضل في بيروت :

يا اهل بيروت ان لاقيتمُ كبدي فتّعوا جدركم من قبلُ بالحفرِ
اكبادُ اهل الهوى حرّى وما بردت الّا لترمي من الاشواق بالشررِ
ودونكم حرَّ لبي فهو رقكمُ وارعوا ذمام شجٍ فيكم على سفرِ
ملكتموه بالفاظٍ همُ غررٌ ورابحٌ مَنْ شَرَى الالباب بالغُرَرِ

وللشيخ حسن بن علي اللقّاني الاسكندريّ يصف ديوان الشيخ ناصيف :

بدائع ما فيها سوى السحر منطقٌ حلالٌ وفي اجناسها لا ادافعُ
اذا جرَّ فوق الطرس سُمْر يراعهِ تصافحهُ الآداب وهي رواكعُ
وان راح يشي او بكاتب صحبهُ فغرُّ معانيهِ الحسانِ تسارعُ
كانَّ صرير السمر في روض طرسهِ غناء حمامٍ وهو بالشعر ساجعُ
تآليفهُ قد فصّحت كل اعجمٍ بليدٍ وكم ولّى بليغٌ وبارعُ
لآلئُ من زهر الربيع تناثرت علينا وفي منظومها السرُّ ذائعُ
لئن فاح في ارض الشآم ثناؤه ففي مصرنا منهُ شذا الذكر ضائعُ

﴿ أدباء المسلمين في العراق ﴾ تذكَّر العراق في اواسط القرن التاسع عشر مفاخرهُ السابقة فاراد أن يحييها فنزل في حلبة الآداب وركض فيها جياد الالباب فنال قصبة السبق والغلاب . وها نحن نذكر الذين وقفنا على شيء من اخبارهم نقلًا عن مخطوطات مكتبتنا الشرقية وبعض المطبوعات النادرة مباشرةً بالالوسيين والسويديين

(الالوسيُّون) هم قوم من فضلاء بغداد احبُّوا العلوم والاداب فاوقفوا نفوسهم لخدمتها ونشروا معالمها في وطنهم . واصلهم من ألوس احدى قرى الفرات ثمَّ انتقلوا الى بغداد وامتازوا فيها بحسن الخصال . ولما كانت اواسط القرن التاسع عشر برَّز بينهم أولاد السيد صلاح الدين ابن السيد عبدالله الالوسي . وكانوا ثلاثة رضعوا كلهم افاويق الأَدب وذهبوا في فنونهِ كل مذهب

واوَّلهم ابو الثناء شهاب الدين السيّد محمود افندي المعروف بالشهاب الألوسي . ولد في بغداد في ١٤ شعبان سنة ١٢١٧ (١٨٠٢ م) وهناك توفي في ٥ من ذي العقدة سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) كَلِف بالعلوم منذ حداثة سنّهِ وبذل النفس والنفيس في احراز جواهرها حتى انَّ رغبتهُ في طلب المعارف شغلتهُ عن حطام الدنيا وأنستهُ هناء العيش وملاذّ الحياة وبرَّز بالعلوم الدينية فصار اماماً في التفسير والافتاء وكان مع ذلك كاتباً بليغاً وخطيباً مصقعاً وفي سنة ١٢٦٢ (١٨٤٥) سافر برفقة عبدي باشا المشير الى الموصل ثم الى ماردين فديار بكر فارزروم فسيواس فالاستانة العليَّة واجتمع حيثما دخل بأعلام العلماء وائمّة الادباء وكانوا يتهافتون اليهِ ليقتبسوا من انوارهِ ويغرفوا من بحارهِ . ثمَّ عاد الى وطنهِ معزَّزًا ممدَّحًا بكل لسان مشمولًا بألطاف الحضرة العليّة السلطانيَّة . وكان جلالة السلطان عبد المجيد منحهُ الوسام المرصع العالي الشأن . فلما عاد الى وطنهِ سنة ١٢٦٩ انقطع الى التأليف . وفصَّل اخبار رحلتهِ في عدَّة مصنَّفات منها كتابهُ رحلة الشمول في الذهاب الى اسلامبول طُبع في بغداد سنة ١٢٩١ واتبعهُ بكتاب نشوة المدام في العود الى بلاد السلام ثمَّ كتاب غرائب الاغتراب في الذهاب والاقامة والاياب ويُدعى ايضاً بنزهة الالباب ضمَّنهُ تراجم الرجال والابحاث العلمية التي جرت بينهُ وبين حضرة السيد احمد عارف حكمت بك شيخ الاسلام . وكان السيد محمود سريع الخاطر ونسيج وحدهِ في قوَّة التحرير وسهولة الكتابة ومسارعة القلم قيل انهُ كان لا يقصر تأليفهُ في اليوم والليلة عن اقلّ من ورقتين كبيرتين . وقد ألف كتباً عديدة في التفسير والفقه

والمنطق والادب واللغة كشرح السلّم في المنطق. وكتاب كشف الطرّة عن الغرّة وهو شرح على درّة الغوّاص للحريري. ومن تآليفهِ رسالة في الانسان. ولهُ حاشية على شرح قطر الندى لابن هشام ألفها وعمرهُ لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة. وكتاب المقامات طبعهُ في كربلاء وكتاب التبيان في مسائل ايران وكتب اخرى غيرها. وكان لهُ شعر قليل الّا انهُ غاية في الرقّة كقولهِ يذكر العراق في غربتهِ:

اهيمُ بآثار العراقِ وذكرهِ وتغدو عيوني من مسرّتها عبرى
والثمُ اخفافًا وطئنَ ترابهُ واكحل اجفانًا بتربتهِ العطرى
واسهرُ ارعى في الدياجي كواكبًا تمرُّ اذا سارت على ساكني الزورا
وأنشقُ ريح الشرق عند هبوبها أداوي بها يا ميُّ مهجتيَ الحرّا

وقال في وصف بغداد وفراقهِ لها:

ارضٌ اذا مرّت بها ريحُ الصبا حملت من الارجاء مسكًا أذفرا
لا تسمعنَّ حديث ارضٍ بعدها يُروى فكل الصيد في جوف الفرا
فارقتُها لا عن رضىً وهجرتُها لا عن قلىً ورحلتُ لا متخيرا
لكنَّها ضاقت عليَّ برحبها لما رايتُ بها الزمان تنكرًّا

ومن حسن قولهِ وصفهُ لشاعر سهل الالفاظ بعيد المعاني:

تتحيَّرُ الشعراء ان سمعوا بهِ في حسن صنعتهِ وفي تأليفهِ
فكأنهُ في قربهِ من فهمهم ونكولهم في العجز عن ترصيفهِ
شجرٌ بدا للعين حسنُ نباتهِ ونأى عن الايدي جنى مقطوفهِ

وقال مستغفرًا وقد افتتح بهِ كتاب مقاماتهِ:

انا مذنبٌ انا مجرمٌ انا خاطي هو غافرٌ هو راحمٌ هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثةً بثلاثةٍ وستغلبنْ اوصافهُ اوصافي

وكانت وفاة الشهاب الالوسي في السنة التي ذكرناها فرثاهُ قوم من الفضلاء كما مدحوهُ في حياتهِ وقد جُمعت تلك المدائح في كتاب حديقة الورود في مدائح ابي الثناء شهاب الدين محمود. وكان اولادهُ اغصانًا نضرة لتلك الدوحة الباسقة سنذكرهم في وقتهم. واشتهر في زمانهِ اخواهُ عبد الرحمان وعبد الحميد فعُرف عبد الرحمان بفصاحة لسانهِ وخلابة اقوالهِ في الخطابة والوعظ وكان يدرّس العلوم الدينيَّة في اكبر جوامع الكرخ الى وفاتهِ سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧) وعمره نحو ثلث وستين سنة

امّا عبد الحميد الالوسيّ فكان مكفوف البصر ولم تصدّهُ تلك العاهة عن طلب العلوم فاخذها عن اخيه السيّد محمود الذي اجازهُ في المعقول منها والمنقول والفروع والاصول فجعل يدرّس في مدرسة بغداد المعروفة بالنجيبيّة ويتقاطر لاستماعه الناس حتى علية القوم وفي مقدّمتهم عليّ رضا باشا والي بغداد ولهُ بعض مصنّفات نثريّة بليغة وقصائد غرّاء منها قصيدة في مدح احد مشايخهِ العظام اوّلها:

تنوح حمامات اللوى وانوحُ ... واكتمُ سرّي في الهوى وتبوحُ
وتعجم ان رامت أداء مرامها ... ولي منطق فيما اروم فصيحُ
لها مقلةٌ عند التداني قريرةٌ ... ولي مدمع يوم الفراقِ سفوحُ

الى ان قال مادحاً:

فتى كلّهُ عفوٌ ولطفٌ وعفّةٌ ... وعن زلّة الشاني الحسودِ صفوحُ
حليمٌ وهل كالحلم في المرء زينةٌ ... سموحٌ وذو الشانِ الجليلِ سموحُ
وفارس فضلٍ لا يجاريهِ عارفٌ ... وانّى يجاري العاديات جموحُ
يفوح بأفواه العدى نشر فضلهِ ... كما فاح نشرًا في المجامر شيحُ
لقد عطّر الارجاء منك فضائلٌ ... فوصفك مسكٌ في الانام يفوحُ

ومن نثرهِ قولهُ يصف الاولياء:

لقد فاز قومٌ عاملوا الله بالاخلاص والصدق، وعاملوا الناس بخفض الجناح ورفع المُناح وحفظ الوداد مع اللين والرفق، تحمّلوا من اجلهِ ألم الاذى والمشاقّ، أزالوا بأنوار شهود جمالهِ عن ضمائرهم حجب العوائق الانسانيّة، وتحملوا اذا اذاقهم الورى مرّ المراء والشقاق، فاماط بعذوبة انسهِ ووصالهِ عن رقابهم ربق العلائق النفسانيّة، أعرضوا عن الدنيا وغرضوا في طلب الأخرى حيث علموا بأنّ الأولى والأحرى السعيُ في تقديم الباقية على الفانية. فأنحلوا الاجسام بالصيام والقيام، لمّا أنْ حلا لهم شرب صافي المدام... تزيّنوا بملابس القناعة والصبر، ورضوا عن هذه الدنيا بالقليل النزر. وراضوا زكيّ انفسهم عن ادناس جواهرها واعراضها، ترفّعوا عن الشكوى وتمسكوا بعُرى التقوى، لانّها الركن الاوفى والسبب الاقوى، فانجابت عن قلوبهم غمائم آلامها وامراضها...

وكانت ولادة السيّد عبد الحميد سنة ١٢٣٢ (١٨١٧) وطالت حياتهُ ولا نقف على سنة وفاتهِ

(السويديون) هم من أُسرة فاضلة اصلها من سرّ من رأى او سامرّا فانتقلوا الى بغداد وعُرفوا بين اكابر علمائها. ومنهم الشيخ ابو البركات عبد الله السويديّ صاحب المؤلفات الادبية العديدة كشرح دلائل الخيرات وكتاب مقامات بليغة والامثال السائرة

والرحلة المكيّة توفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦ م) . ومنهم الشيخ ابو الخير عبد الرحمن زين الدين البغداديّ السويدي ابن ابي البركات كان ذا باع طويل في العلوم الدينية واللسانيّة. ولد سنة ١١٣٤ وتوفي سنة ١٢٠٠ (١٧٢٢—١٧٨٦ م) فارّخهُ اخوهُ الشيخ احمد السويدي بقولهِ من ابيات:

وفارقنا فردًا فقلتُ مؤرخًا ابو الخير في ازكى الجنان نزيلُ

وكان الشيخ احمد المذكور اماماً في التصوُّف وقد ردّ على المُلحدين بكتاب سمّاه الصاعقة المحرقة في الردّ على اهل الزندقة. توفي سنة ١٢١٠ وكان مولدهُ سنة ١١٥٣ (١٧٤٠—١٧٩٥)

ومن السويديين الشيخ عليّ ابن الشيخ محمد سعيد السويدي المتوفى سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) لهُ كتاب في تاريخ بغداد وقد رثاهُ شاعر بابيات ختمها بهذا التاريخ:

مذ وُسّد اللحدَ نادانا مؤرخهُ انَّ المدارس تبكي عند فقد علي

ومنهم ايضًا الشيخ ابو الفوز محمَّد امين السويدي احد كبار الكتبة في بغداد لهُ مؤلفات جليلة في عدَّة فنون منها كتاب سبائك الذهب في معرفة انساب العرب الذي نُشر بالطبع وقد مرَّ لنا وصفهُ (المشرق ١٠: ٥٦٦) وكتاب الجواهر واليواقيت في معرفة القبلة والمواقيت. وكتاب ردّ على الرافضة. ورسالة في الواجب والممكن. ولهُ شرح تاريخ ابن كمال باشا مع نظم لطيف. كانت وفاتهُ سنة ١٢٤٦ (١٨٣٠). واشتهر من السويديين في العهد الذي وصلنا اليهِ الملا نعمان السويدي ابن الشيخ محمَّد سعيد ابن احمد وهو خاتمة السويديين توفي في رجب سنة ١٢٧٩ (١٨٦٣)

واشتهر بالاداب العربيَّة في بغداد والعراق غير الالوسيين والسويديين في اواسط القرن التاسع عشر بعض الائمَّة . وها نحن نذكر منهم الذين ابقوا آثارًا من علمهم طبعًا او خطًّا على ترتيب سني وفاتهم

(البيتوشي) هو ابو محمَّد عبد الله بن محمَّد الكردي البيتوشي من كبار ادباء بلادهِ. ولد في بيتوش من قرى العراق سنة ١١٦١ (١٧٤٨) وجدَّ في طلب العلم ثمَّ قدم بغداد طلبًا للمعاش وارتحل منها الى بلدة الأحساء فابتسم لهُ الدهر وحسنت حاله واشتهر صيتهُ وانقطع الى التأليف في الصرف والنحو ونظم كتاب كفاية المعاني وشرحهُ

وذيّل شرح الفاكهي على قطر الندى لابن هشام . ولهُ نظم حسن منهُ قولهُ متشوقاً الى وطنهِ :

أَلا حيِّ بيتوشاً واكنافَها التي ... يكاد يروّي الصاديات سرابُها
بلادٌ بها حلَّ الشبابُ تمائمي ... واوّل ارضٍ مسَّ جلدي ترابُها
لقد كان لي منها عرينٌ وكان من ... مقامي لها سُحبٌ سَكُوبٌ ربابُها
ولم تَنْبُ لي إنْ يَنْبُ يوماً باهلهِ ... مكانٌ ولم ينعقْ عليَّ غرابُها

توفي البيتوشي سنة ١٢١٣ (١٧٩٨). وكان الاحقّ بنا ان نذكرهُ في الابواب السابقة فاثبتنا اخبارهُ هنا مع بقيَّة افاضل العراق وكذا فعلنا بالشيخين الوارد ذكرهما

(الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي) اصلهُ من النجد فسكن البصرة وكان يتردَّد كثيراً الى بغداد واشتغل بفنون لسان العرب وكان لهُ في اللغة باع طويل والف عدَّة تآليف مفيدة منها كتاب في تاريخ بغداد ارَّخ فيهِ ما وقع في زمانهِ من الوقائع وسمَّاهُ مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود وقد طبع مختصرهُ في بمبي سنة ١٣٠٤. ومن تآليفهِ منظومة في علم الحساب ونظم قواعد الاعراب والازهريَّة ومغني اللبيب. ولهُ رسائل ادبيَّة كفاكهة المسامرة وقرَّة الناظر. ونسمات السحر وروضة الفكر. وكانت لهُ شهرة عظيمة في البصرة ونواحيها يُقبل كلامهُ لدى جميع اهاليها. توفي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤).

(الشيخ علاء الدين الموصلي) هو علاء الدين علي افندي الموصلي واحد شيوخ شهاب الدين الوسي زاده . ذكرهُ في كتابهِ نزهة الالباب في غرائب الاغتراب واثنى على آثارهِ الادبيَّة لكنهُ ذمَّ اخلاقهُ وضيقَ صدرهِ وجهلهُ بمداراة الناس قال:

كان لا يدري مداراة الورى ... ومداراةُ الورى امرٌ مهمْ

وروى لهُ شعراً حسناً منهُ :

لئن لم تشاهدني أخافيش أعينٍ ... فلي من عيون الفضل شاهد رؤيةِ
وان انكرتني الحاسدون تجاهلًا ... كفانيَ عرفاني بقدري وقيمتي
فاين لشمس الاستواء من السها ... واين زلالٌ من سراب بقيعةِ
وليس الذي في الناس كالحي ميتٌ ... لفضلٍ وافضالٍ فحيٌّ كميت

وقوله :

وزمان عدت على لياليهِ ... وقصتْني قوادمي وجناحي

ودهتني صروفهُ في شتات وعناء وخيبةٍ وتراحِ
لا لذنبٍ اتيتهُ غير انَّ الــــفضل لم تلقهُ قرين نجاحِ
واذا ما الصلاحُ فيكم فسادٌ ففسادي الذي لديكم صلاحي

وكانت وفاتهُ بالطاعون سنة ١٢٤٣ (١٨٢٧م) وانشد قبل وفاته:

اسفي على فصلٍ قضيتُ ولم أكن ابصرتُ عارفَ حقهِ فيبينُ
ومن العلوم الغامضاتِ ورمزها أملي قضيتُ وللعنون ديونُ
واخذت في كفني علوماً لم اجدْ مستودعاً هي في الدفين دفينُ

(عبد الحميد الموصلي) هو عبد الحميد ابن الشيخ جواد الموصليّ الشهير بابن الصبّاغ احد شعراء العراق الذين شرّفوا تلك الاصقاع بآدابهم وشعرهُ رقيق لكنهُ مفرّق لم يُجمع في ديوان. فمن قولهِ ابيات كتبها الى الشاعر بطرس كرامة والتزم في كل صدورها واعجازها تاريخًا لاسنة المسيحية ١٨٤٤ الّا المصراع الاخير فجعلهُ تاريخًا هجريًا هذا مطلعهُ:

بعثنا اليكم بنتَ رمزٍ من الفكرِ دهاها جوًى أعطتْ بهِ خالصَ الشعرِ
أمنتم صروع الدهر من قيد حادثٍ شهدتم هلال الافق من كامل الشهرِ
ميامن ترعى بطرساً في كرامة الى غاية الدنيا الى اوحد الدهرِ
هديتم بنور الربّ بابًا فأرّخوا هو الله لا ما زلَّ من مشرق الفجرِ

فاجابهُ بطرس كرامة برسالة طويلة نظمًا ونثرًا افتتحها بقولهِ:

عشقتكمْ من قبل لقياكمُ وكلُّ معشوقٍ بما يوصفُ
كالشمس لا تدركها مقلةٌ لكنَّها من نورها تُعرفُ

وقال الشيخ عبد الحميد يمدح الشيخ ناصيف اليازجيّ من قصيدة:

كبش الكتائب والكتاب وانهُ بالنحر ينطحُ هامةَ ابن خروفِ
متوقد الافكار يوشك في الدُّجى يبدو لهُ المستورُ كالمكشوفِ
فطنٌ تمنطق بالفصاحة وارتدى جلبابَ علمِ النحو والتصريفِ

الى ان ختمها بقولهِ وفي البيت الاخير تاريخ السنتين الهجرية والمسيحيَّة (١٢٦٤ — ١٨٤٨):

لا زال محفوفاً بحظ وافرٍ والخطُّ مثل الحظّ بالتصحيفِ
فبهِ صفا عبد الحميد مؤرخاً ناميتُ نظمي في مديح نصيفَ

ولهُ مخمساً لقصيدة الشيخ ناصيف المهملة فجعل تخميسهُ مهملاً كقصيدة الشيخ :

عدوُّ المرء اولادٌ ومالُ   لواسعهم اساودها صلالُ
أُحاول طَوْلهم وهو المحالُ   لاهل الدهر آمالٌ طوالُ
واطماعٌ ولو طال المطالُ

ومنها : مرور العسرِ مَرٌّ مَرَّ كلَّ حالِ   وامرُ الله دمَّر كلَّ حالِ
سرورك والهموم دِلاءُ دالِ   كرورُ الدهرِ حوَّل كلَّ حالِ
هو الدهرُ الدوام لهُ محالُ

وكانت وفاة الشيخ عبد الحمد ابن الصبّاغ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤) فرثاهُ الشيخ اليازجي بقصيدة جميلة استهلّها بقولهِ :

لا عين تثبت في الدنيا ولا اثرُ   ما دام يطلع فيهِ الشمس والقمرُ

الى ان قال :

قد كنت انتظرُ البشرى برؤيتهِ   فجاءني غير ما قد كنت انتظرُ
ان كان قد فات شهدُ الوصل منهُ فقد   رضيت بالصبر لكن كيف اصطبرُ
أَحَبُّ شيء لعيني حين اذكرهُ   دمعٌ واطيب شيء عندها السهرُ
هذا الصديق الذي كانت مودَّتهُ   كالكوثر العذب لا يعتالها كدرُ
لا غرو أَنْ احزنَ الزوراءَ مصرعهُ   فحزنهُ فوق ابنانٍ لهُ قدرُ

فاستحسن اهل بغداد هذه المرثية وقرَّظها السيد شهاب الدين العلويّ بابيات منها :

وافت فعزَّت بتأساء وتعزيةٍ   عليهما يَحْسد الاحياءُ مَنْ قُبروا

وارَّخها بقولهِ :

أَسدَيْتَ سلوة محزونٍ مؤرّخةً   اسدى رثاء بهِ السلوان والصبرُ

(عبد الجليل البصري) هو السيد عبد الجليل بن ياسين البصري ينتهي نسبهُ الى علي ابن ابي طالب ولد في البصرة سنة ١١٩٠ (١٧٧٦ م) ثمَّ ارتحل منها الى الزبارة فسكنها حتى استولى عليها صاحب الدرعيَّة ابن السعود فسار الى البحرين وسكن بها الى سنة ١٢٥٩ (١٨٤٣ م) ثمَّ استوطن الكويت وتوفي هناك سنة ١٢٧٠ (١٨٥٤م) . واشتهر عبد الجليل بالحلم والكرم وكان ذا ادبٍ وعلم كما يشهد عليهما ديوان

شعرهِ الذي طُبع سنة ١٣٠٠ (١٨٨٣م) في بمبي (ص ٢٨٠). واوَّل نظمهِ ابيات قالها مؤرخاً مولد ابنهِ عبد الوهَّاب سنة ١٢١١ (١٧٩٦):

حمدتُ الله إذ اسدى بفضلٍ ... وآلاءٍ تسامتْ أن تُضاهى
كريمٌ مَنَّ فيمن فيهِ اضحتْ ... رياضُ القلب مخضرًّا رباها
وطاب العيشُ وانكشفتْ همومٌ ... كذاك النفس منتفياً عناها
فيا من قد مَننتَ بخير منٍّ ... بمن ساد الورى فخرًا وجاها
أدِمني فيهِ مسرورًا دواماً ... وفيهِ العينُ قرَّ بها كراها
ووَفِّقهُ لِما ترضي وجنِّبْ ... هوى الاهواء واحفظ من غواها
وخيرُ الفالِ قد أرَّختُ لابني ... بطلعتهِ بشير السعد باها

وقال عن لسان فقير من ابناء السبيل طلب منهُ ابياتًا يرتزق بها:

يا ماجدًا ساد عن فضلٍ وعن كرمٍ ... وهمَّةٍ بلغتْ هامَ السماك عُلا
يا من اذا قصد الراجي مكارمَهُ ... نال الاماني وبرًّا وافرًا عجلا
انَّا قصدناك والآمالُ واثقةٌ ... بانَّ جودك ينفي فقر من نزلا
جئنا ظِماءً وحسنُ الظنِّ اوردنا ... الى معاليكَ لا نبغي بها بَدَلا
لقد اضرَّ بنا جَور العُداة وما ... اودى بنا الدهر يا بؤس الذي فعلا
عسرٌ وغُرْبَةُ دارٍ ثم مسكنة ... وذلَّةٌ وفراق قاتلٌ وَبلا
نشكو الى الله هذا الحال ثم الى ... ندبٍ جوادٍ يفيد القاصدَ الأملا
عسى نصادف من حسناك مرحمةً ... تكون رفدًا لنا اذ نقطعُ السبلا
واغنم بذلك منَّا خيرَ أدعيةٍ ... يزفُّها قلبُ عافٍ بات مبتهلا
لا زلت تولي جميلًا كلَّ ذي املٍ ... في رفعةٍ ونعيمٍ دام متَّصلا

ولهُ يذمُّ الغيظ:

للغيظ آفاتٌ يضيقُ بها الفتى ... فاذا استطعتَ لهُ دفاعاً فاجهدِ
منها حجاب الذهن عن ادراكهِ ... امرًا تحاولهُ كأن لم يعهدِ
وبهِ يُرى الفَطِنُ اللبيبُ كأنهُ ... ممَّا بهِ المعتوه او كالأبلهِ
وبه الحليم الى الجهالة صائرٌ ... وجِدٌ عنهُ بهِ منارَ السؤدُدِ
وبهِ تسيءُ لدى الورى اخلاقهُ ... حتى يقال لهُ لئيمُ المحتدِ
لا يرعوي لصحيح قول نصيحةٍ ... ويرى النَّصوح كعائبٍ ومفنِّدِ
من حَبَّ طَبَّ بما تناولَ علمهُ ... واخو النباهة يقتدي بالمرشدِ

وقد سبق لنا حكم السيد عبد الجليل البصري لبطرس كرامة على الشيخ صالح حيِّ وروينا ابياتًا من قصيدتهِ في ١٠ح الشاعر النصرانيِّ فراجعها

(الشيخ عبد الفتّاح شوّاف زاده) اخذ العلوم الادبيّة عن الشهاب الالوسي حتى صار من اكمل الادباء . صنّف تعليقات على كتب عديدة وقد كتب ترجمة شيخه الالوسيّ في جزئين كبيرين ودعاهُ حديقة الورود في ترجمة ابي الثناء شهاب الدين محمود وضمّنهُ دقائق ادبيّة ومسائل علميّة . توفي سنة ١٢٧٢ (١٨٥٥ م) . واشتهر بعدهُ اخوهُ الشيخ عبد السلام ووضع تصانيف عديدة منها كتاب في المواعظ وانتهى اليهِ علم الفقه والحديث . ولا نعرف سنة وفاتهِ

(السيّد عبد الفتاح السلفيّ) هو الشيخ محمّد امين الشهير بالواعظ . كان ذا خبرة تامّة بالمسائل الشرعيّة ونال من فنّ الادب باوفر نصيب . وكان ماهرًا في انشاء الصكوك ودرّس مدّة في المدرسة الخاقونيّة . وصنّف عدّة مصنّفات كمنهاج الابرار . ونظم التوضيح . وكان لهُ النظم اللطيف منهُ قولهُ في مدح السيّد محمود الالوسيّ مخمسًا :

يا سائلي عن بحر علمٍ قد طما   بعلومهِ يروي العطاش من الظما
ان قلتَ صفْ لي من نداك توسّما   انّ الشهاب ابا الثناء لقد سما
قدرًا على اقرانهِ من أَوْجهِ

سعد السعود ببابهِ متقاعدًا   والمشتري برحابهِ متعاقدًا
لا تنكرنّ لأنسهِ يا جاحدًا   ما زارني الّا حسبتُ عطاردًا
في الدار أمسى نازلًا من أَوجهِ

وتوفي سنة ١٢٧٣ (١٨٥٦) فقال السيّد عبد الغفّار الاخرس فيهِ رثاء ختمهُ بهذا التاريخ :

بكى العلم والمعروف أرّخ كليهما   بقبرٍ ثوى فيهِ الامين محمّد

(السيد محمد سعيد) كان ابوهُ محمد امين الشهير بالمدرّس يعلم في بغداد العلوم اللسانيّة ووضع فيها بعض المصنّفات فلما توفي سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) خلفهُ ابنهُ السيّد محمد وقُلد عدّة مناصب كالنيابة والافتاء ثم انفصل وبقي مشغولًا بالتدريس الى سنة وفاتهِ ١٢٧٣ (١٨٥٧ م) وتآليفهُ منها نحويّة ومنها شرعية . وصفهُ السيّد نعمان افندي الالوسي بقولهِ : « انهُ كان ذا تقوى وديانة وعفّة وصيانة لا يغتابُ احدًا ولا ينمّ على احد ابدًا

وكان بشع الخطّ حديد المزاج كثير الوسواس عيّ الكلام ... وكان كثير الصدقات على اليتامى والارامل ». ولما مات رثاه السيد عبد الغفار الاخرس بقولهِ:

في رحمة الله حلّ شيخٌ وجنّةٌ دارها الخلودُ
تفيضُ من صدرهِ علومٌ وقد طمى بحرُها المديدُ
ولم يزل ميّتاً وحيّاً من علمهِ الناسُ تستفيدُ
سار الى ربهِ عن فانٍ بالعزّ وهو العزيزُ الحميدُ
ومذ توفاهُ قلتُ أرّخ مضى الى ربّهِ سعيدُ

(عبد الباقي العمري الفاروقيّ) هو اديب العراق عبد الباقي بن سليمان بن احمد العُمَري الفاروقيّ الموصلي ولد في الموصل سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) انتهت اليهِ رئاسة الشعر والادب في وطنهِ . تغذّى منذ صغرهِ لبان العلم . وانتدبتهُ الحكومة السنية وهو ابن عشرين الى منصب كتخدا ووكيل الوالي فرافق قاسم باشا وعلي باشا الى بغداد وقام باعباء رتبتهِ اتمّ قيام وكذلك سار بالعساكر الشاهنيّة الى قبيلتي الزُكرت والشمرت في النجف فقصّ جناح الفتنة بينهما بحسن درايتهِ وعاد الى بغداد مقروناً باليمن والاسعاد ونال الحظوة من الدولة العليّة . ثمّ انقطع الى الكتابة والآداب فشاع نثرهُ الرائق وشعرهُ الفائق فألّف التآليف التي احرز بها قصب السبق في مضمار ادباء العراق وفاز بين فصحائهم بالقدح المعلّى . وكانت وفاتهُ سنة ١٢٧٨ (١٨٦١) قيل انهُ أرّخ نفسهُ في عام مماتهِ ببيتٍ كُتب على قبرهِ:

بلسانٍ يوحِّدُ اللهَ أرِّخْ ذاقَ كأسَ المنون عبد الباقي

امّا تآليفهُ فكلُّها ناطقة بفضلهِ وتوقّد فهمهِ منها ديوان اهلّة الافكار في مغاني الابتكار وكتاب نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر وكتاب الباقيات الصالحات وكتاب نزهة الدنيا اودعهُ تراجم بعض رجال الموصل في القرن الثاني عشر والثالث عشر . ولهُ ديوان شعر يسمّى بالترياق الفاروقي من منشآت الفاروقي طبع مرّة بمطبعة حسن احمد الطوخي سنة ١٢٨٧ بمصر في ٣٣٦ صفحة ثمّ اعاد طبعهُ الشيخ عثمان الموصليّ بعد توسيع ابوابه وتكملاتهِ سنة ١٣١٦ في ٤٥٦ صفحة . وها نحن نذكر بعض نتفٍ من شعرهِ تنويهاً بدارّ مفاهمهِ في الآداب قال يؤرخ جلوس السلطان عبد العزيز واجاد:

للتلغراف الفضلُ اذ جاءنا بقول بُشراكم بلفظٍ وجيزْ

قد أحرزتْ ملَّتكمْ ارّخوا عزًّا بظلّ الله عبد العزيزْ (١٢٧٧)

وقال في التشبيه:

كأنّ ضوء البدر في دجلةَ حين يشرقُ
والموج في اثنائهِ منهُ العباب يخفقُ
قراضةٌ من ذهبٍ طفا عليها الزئبقُ

وقال في فتح الدولة العليَّة لحصن سيواستبول مع الدولتين الفرنسويَّة والانكليزيَّة:

اقول للدُّول المنصورِ عسكرُها لا زال عسكرها بالله منصورا
لمَّا اتَّفقتم على صدق المحبَّة في ما بينكم واتحدتم صرتمُ سورا
بسطوة دعتِ الاطوادَ راجفةً دمَّرتمُ محصَّنات الروس تدميرا
مدافعٌ غطَّتِ الدنيا غمائمها فغادرت صبح يوم الحرب ديجورا
افواهُها دلعتْ للنار ألسنةً فقرَّرت درس ملك الروس تقريرا
رعدٌ وبرقٌ وغيمٌ من سدًى ولظًى ومن دخان اعاد الكونَ ممطورا
ومن فلزَّاتها غيثٌ تراكمهُ يسحُّ منتظمًا طورًا ومنثورا
أقلُّهم فرَّ لمَّا فرَّ اكثرهم لكونهِ مات مقتولًا ومأسورا
والسيف غنَّى على هاماتهم طربًا حتى حسبناهُ فوق الغصن شحرورا
غادرتمُ البرَّ بحرًا يستفيضُ دما والبحرَ برًّا على الأشلاء معبورا
سيوَستبول التي اعيتْ معاقلُها سخَّرتم حصنها أرّختُ تسخيرا

ولهُ مشطرًا ابياتًا منسوبةً لابي نصر الحكيم الفارابي:

(كمّلْ حقيقتك التي لم تكملِ) وعن ارتكاب النقص كُن في معزلِ
وابغ لنفسك ما ترقّيها بهِ (والجسمَ دَعْهُ في الحضيض الأسفلِ)
(اتكمّل الفاني وتترك باقيًا) تكميلُهُ أولى بحقّ الأكملِ
فهو الذي لا ينبغي لك تركهُ (هملًا وانتَ بأمرهِ لم تحفلِ)
(فالجسم للنفس النفيسة آلةٌ) تقضي المرام بها إذا لم تكسلِ
وبكم عليها من حقوقٍ للعلا (ما لم تحصّلها بهِ لم تحصلِ)
(يفنى وتبقى دائمًا في غبطه) ان فارقتْهُ ودولة لم تنقلِ
وسعادةٌ ابديةٌ لا تنقضي (او شقوةٌ وندامةٌ لا تنجلي)
(أعطيتَ جسدك خادمًا فخدمتَهُ) وأحلْتَ حكمَ معزّزٍ المذلّلِ
وحملتَ من هو فوقَهُ من دونهِ (أتُملّكَ المفضولَ رقّ الافضلِ)
(تتركُ كثيفٌ انتَ في حبلاتهِ) قيد الحياة اسيره تربة [illegible]

منهُ وانت بهِ بأيَّةِ حيلةٍ (ما دام يمكنك الخلاصُ فعجّلِ)
(من يستطيع بلوغَ اعلى منزلٍ) متدرّجاً فوق السماك الاعزلِ
ويرى الثريّا تحت أخمص رجلهِ (ما بالهُ يرضى بأدنى منزلِ)

ولعبد الباقي الفاروقيّ مع ادباء زمانهِ مراسلات لطيفة فمدحوهُ ومدحهم بقصائد لا تُحصى لا يسعنا ذكرها وكثيرٌ منها يتضمَّن الطُّرَف المستطرفة. ونكتفي بذكر بعض ابيات قالها في تقريظ مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجيّ اوّلها:

غُرَرٌ أَمْ دُرَرٌ مكنونةٌ في عُباب البحر بين الصَّدَفَيْنْ

الى ان قال:

قد أتتْني تتقاضى دَيْنَها فوفتْ للمجد عني كلّ دَيْنْ
بمراياها العقولُ ارتسمتْ فمحتْ عن عين عقلي كل غينْ
وتجلّت صُوَر العلم بها فجلت عن كل قلبٍ كلّ رينْ
وعلى الاحسان والحسن معاً طُبعت والطبع مشغوفٌ بذَينْ
رحتُ من راحةِ معناها ومن روح مبناها حليفٌ النشأتينْ
يا لسِفرٍ اسفرتْ الفاظُها بين أُفقَيه سفورَ النيّرَينْ
يا لهُ قاموس فضلٍ قد طوى مجمع البحرين بين الدفّتَينْ

وكان مدحهُ سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨) بقصيدة بائيَّة يقول فيها:

أبلى النوى جسدي النحيفُ كأنّني قلمٌ بدا بيدَيْ نصيف الكاتبِ
حبرٌ حلا في حبرهِ قرطاسهُ كالتبر لمَّا لاح فوق ترائبِ
فسطورهُ وطروسهُ في حسنها حاكت سماءً زُيّنت بكواكبِ

وختمها بقولهِ:

لو قمتُ طول الدهر انشد مدحهُ بين الانام فلم أقم بالواجبِ
وبمدحهِ العُمَريُّ آبَ مؤرخاً ترتيب مدحي في نصيفِ الكاتبِ

فقال الشيخ نصيف يجيبهُ بقصيدةٍ من البحر والقافية:

احسنتَ في قولٍ وفعلٍ بارعاً وكلاهما للنفس اكبرُ جاذبِ
انتَ الذي نال الكمال موفَّقاً من رازقٍ مَن شاء غير محاسبِ
فاذا نظمت فانتَ ابلغ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصح خاطبِ
واذا نظرتَ فمن شهابٍ ثاقبٍ واذا فكرت فمن حسامٍ قاضبِ
هذه رسول لي اليك وليتني كنتُ الرسولَ لها بعرض نائبِ

هذا وقد اشرنا سابقًا الى قصيدتهِ الخاليَّة التي عارض بها خالية بطرس كرامة تجدها في ديوانهِ (ص ٢٤٢—٢٤٣ من الطبعة الجديدة) فدارت بسببها المراسلات بين الشاعرين. وقد هنَّأهُ بطرس كرامة برتبتهِ الكتخداويَّة بقصيدة مطوَّلة يقول فيها:

الشاعر الفرد الذي اهدى لنا ... دُرَرَ البُحور نُظِمْنَ في الاوراقِ
درٌّ بجيدك ام حباك قلائدًا ... من شعرهِ العُمَريُّ عبد الباقي
جمع الفصاحة بالبلاغة مثلما ... قرن الحجى بمحاسن الاخلاقِ

وممن خدموا الآداب بين العراقيين غير المذكورين بعض اهل الفضل ممَّن لم نعلم من احوالهم الَّا النزر القليل فنثبت هنا اسماءهم تتمَّةً للفائدة فمنهم (الشيخ يحيي المروزيّ العمَّادي) اصلهُ من العمَّاديَّة من قرى الأكراد قرب الموصل برَّز في التدريس وصار عليهِ المعوَّل في مذهب الامام ادريس وكان احد مشايخ الشهاب الالوسيّ الذي اثنى على زهدهِ وعلوّ نفسهِ وخصَّهُ ببيتين قيلا في الشافعي:

عليَّ ثياب لو يُباعُ جميعها ... بفلسٍ لكان الفلسُ منهنَّ اكثرا
وفيهنَّ نفسٌ لو تُباع بمثلها ... نفوسُ الورى كانت اعزَّ واكبرا

توفي الشيخ العمَّادي سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤). ومنهم (الشيخ احمد بن عليّ بن مشرف) كان اصلهُ من نجد فانتقل الى العراق وطار صيتهُ فيها ومات بعد السنة ١٢٥٠ وكان اعمى يحسن نظم الشعر فمن قولهِ في المدح ما انشد في آل مقرن:

وهما ذكرنا الحيَّ من آل مقرنٍ ... تهلَّل وجهُ الفخر وابتسم المجدُ
همُ نصروا الاسلام بالبيض والقنا ... فهم للمدى حتفٌ وهم للهدى جندُ
غطارفة ما إن يُنال فخارهم ... ومعشر صدقٍ فيهم الحدُّ والجدُّ

ومنهم (عبد الغنيّ بن الجميل) هو عبد الغني افندي الشهير بابن جميل. ولد سنة ١١٩٤ (١٧٨٠) واتقن الفنون العربية واتَّسع في سائر العلوم. ورحل مرارًا الى دمشق الشام وصاحب فضلاءها كالشيخ عبد الرحمان الكزبري والشيخ حامد العطَّار حتى فوَّض اليهِ رضا باشا افتاء الحنفيَّة في بغداد ثم أُصيب ببعض الآفات والبلايا وتوفي ابن جميل سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢) ولهُ شعر طيب كلهُ في الحماسة فمن ذلك قولهُ:

أيذهب عمري هكذا بين معشر ... مجالسهم عاف الكريمُ حلولها

وابقى وحيدًا لا ارى ذا مودَّةٍ من الناس لا عاش الزمانَ ملولهُا
وكيف ارى بغداد للحرّ منزلًا اذا كان مفريّ الاديمِ نزيلُها
فما منزل فيهِ العداء بمنزلٍ وفي الارض للحرّ الكريم بديلُها

ومنهم (محمَّد الاخفش) هو محمَّد سعيد افندي البغداديّ الشهير بالاخفش. قرأ على العلّامة الالوسيّ وشرح الالفيَّة في النحو للامام السيوطيّ. وكان محبًّا للاداب ولهُ شعر حسن اخذتهُ يدُ التلف وكان كثير المزاح واللطائف توفي سنة نيّف وثمانين بعد المائتين والالف (١٨٦٣). ومنهم الشيخ جمال الدين الكوّاز كان اصلهُ من الحلَّة ويرتزق بحرفة الكوازة الَّا انهُ كان مشغوفًا بالآداب خفيف الروح حسن المحاضرة. ولهُ شعر كلهُ في الغزليَّات وقيل انهُ نظم الشعر قبل البلوغ. توفي في الحلَّة سنة ١٢٧٩ (١٨٦٢). ومنهم (الشيخ عيسى البنديبجيّ) هو ابو الهدى عيسى افندي صفاء الدين البنديبجي اصلهُ من بنديبج على حدود بلاد العجم فسكن بغداد ودرس العلوم اللسانية والفقهيَّة والادبيَّة حتى اشتهر فيها وكان ذا تقوى وصلاح ودرَّس زمنًا في مدرسة داود باشا وجُعل رئيس المدرّسين. ومن تآليفهِ كتاب تراجم مَن دُفن في بغداد وضواحيها توفي سنة ١٢٨٣ (١٨٦٧)

﴿ أُدباء المغرب ﴾ انَّ اخبار المغرب تكاد تكون مجهولة في اصقاعنا فدونك النزر القليل الذي امكننا جمعهُ من تراجم أُدباء تلك الجهات

(سليمان الحرائري) هو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرائري الحسني ولد في تونس سنة ١٢٤١ (١٨٢٤) واصلهُ من اسرة قديمة قدمت من العجم الى المغرب فدرس العلوم الدينية في وطنهِ ثمَّ تفرَّغ لدرس اللغة الفرنسويَّة والعلوم الرياضية والطبيعيَّات والطب. وعهد اليهِ تدريس الرياضيَّات في بلدهِ وعمرهُ ١٥ سنة ثمَّ اتَّخذه باي تونس كرئيس لكتَّاب ديوانهِ. وفي سنة ١٨٤٦ قدم الى باريس فصار احد اساتذة مدرسة لغاتها الشرقيَّة وكان يحرر في جريدة عربية هناك تُدعى البرجيس. ونشر فيها قسمًا من سيرة عنترة وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ثمَّ طبعهما على حدة. وممَّا طبعهُ في تونس كتاب مقامات الشيخ احمد بن محمَّد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر المسيح. ووصف معرض باريس سنة ١٨٦٧ في كتاب سمَّاه عرض البضائع العام. ولهُ رسالة في القهوة دعاها «بالقول المحقَّق في تحريم البنّ المحرق». وعرَّب الاصول النحويَّة

للغوي الفرنسويّ لومون (Lhomond) . وكذلك وضع كتاباً في الطبيعيات والظواهر الجويّة لخّصهُ عن كتب الفرنج وسمّاهُ رسالة في حوادث الجوّ وطبعهُ سنة ١٨٦٢ في باريس . ولا نعرف تاريخ وفاة الحرائري ولعلّهُ مات بعد سنة ١٨٧٠ الّا انّ تآليفهُ كلها قبل هذا العهد

(محمّد التونسيّ) هو محمّد بن عمر بن سليمان التونسي ولد سنة ١٢٠٤ (١٧٨٩ م) وتخرّج على شيوخ الازهر في مصر ثمّ سافر الى درفور والسودان وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ : كتاب تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان . وقد طُبعت هذه الرحلة على الحجر في باريس سنة ١٨٥٠ بهمّة المستشرق الفرنسوي بارون (Perron) الذي نقل مضامينها الى الفرنسوية وذيّلها بالحواشي . ولما عاد التونسيّ من رحلتهِ خدم الاداب في مطبعة بولاق فتولى تصحيح مطبوعاتها . توفي سنة ١٢٧٤ (١٨٥٧)

(محمود قبّادو) هو الشيخ السيد ابو الثناء محمود قبّادر الشريف . كلف باحراز الاداب فنال منها نصيباً وافراً . وكانت لهُ ذاكرة عجيبة لا ينسى شيئاً مما سمعهُ . قيل انهُ سمع يوماً رسالة افرنسية وهو لا يعرف تلك اللغة فاعادها بحرفها . وكان متضلعاً بكل علوم العرب لكنهُ برّز في الشعر وكان يقولهُ بديهيّاً . ولهُ ديوان شعر في جزئين جمعهُ تلميذهُ الشيخ عبده محمد السنوسيّ فطبعهُ في تونس (١٢٩٣ — ١٢٩٦) . توفي السيد محمود ولم يدرك الخمسين من عمرهِ نحو السنة ١٢٨٥ (١٨٦٨) . وكان بينهُ وبين الكنت رشيد الدحداح صداقة ومراسلات . وقد روى لهُ الشيخ رشيد بعض الآثار الدالّة على فضلهِ من ذلك تشطيرهُ لقصيدة بشر بن عوانة في مبارزة الاسد بعد ان افتتحها بابيات حسنة يقول فيها :

أفاطمَ هل علمتِ مضاء عزمي ومطمح همّتي نخوًا وكِبرا
وَجُود يدي واقدامي وبأسي ولا اعمي لباغي العُرف امرا
تلين لمن يسالمني قناتي وتصلبُ ان يَرُمْ ذو الغمزهَصرا
واني لا آعدُّ الوفرَ ذُخرًا ولكنّي اعدُّ الذكر ذخرًا
وما كلُّ الحلال تُذاع بأوًا ولا كلُّ المذاع يصحُّ سبرا
وفي التجريب ما ينفي ارتيابًا ويصدقُ سنّ بكرٍ منهُ فرًا

ثم يليها التشطير الذي هذا اوّلهُ :

(افاطمَ لو شهدتِ ببطن خبتٍ) لهانت عندك الأخبارُ خُبرا
ولو اشرفتِ في جنحٍ عليهِ (وقد لاقى الهزَبرُ اخاكِ بشرا)
(اذًا لرايتِ ليثًا رام ليثًا) وكلٌّ منهما باخيهِ مغرى
يرى كلٌّ على ثقة اخاهُ (هزبرًا اغلبًا لاقى هزبرا)
(تبهنس اذ تقاعس عنهُ مهري) واقبل نحوهُ أُذنَيْهِ ذعرا
فكاد يريبهُ فيخال مني (محاذرةً فقلتُ عُقِرتَ مهرا)...

ومن نظمهِ قصيدة دالية قالها تهنئة للسلطان عبد المجيد سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) ضمّنها عددًا وافرًا من التواريخ وتفنّن فيها على طرائق عجيبة . ومن مديحهِ قولهُ في الكُنت رشيد :

فيا مخبرًا لاحت بمرآة طبعهِ خبايا طباع الدهر فهي لهُ تبدو
بقيت رشيدًا طق وَسْدك مرشدًا تهيّأ من كل الامور لك الرشدُ

أُدباء النصارى

نذكر الذين اشتهروا من النصارى بخدمة الآداب العربيّة في هذا الطور مدوّنين اسماءهم على توالي الزمان

(جبرائيل المخلّع) هو جبرائيل بن يوسف المخلع ولد في دمشق في اوائل القرن الثامن عشر وتفقّه في العلوم العربيّة والتركيّة والفارسيّة ثمّ سافر الى مصر وبقي فيها مدّة يتنقّل في دواوين الانشاء في الاسكندريّة ثمّ عاد الى دمشق ومات نحو السنة ١٨٥١ . ومن مآثره ترجمة كتاب شهير عند العجم يسمّى الجلستان اي روضة الورد لصلاح الدين السعدي . عرّبهُ تعريبًا متقنًا بالنظم الرائق والنثر المسجّع المنسجم ثمّ طبعهُ سنة ١٨٤٦ في بولاق . وهذا مثال من ترجمتهِ (ص ٨٤) :

(حكاية) نظرتُ اعرابيًا في حلقة الجوهرية بالبصرة ، وهو يقول : اسمعوا يا ذوي النقد والخبرة ، كنتُ ضللتُ في الصحراء طريق الحواز ، ولم يبقَ معي من معنى الزاد ولا الجواز ، وايقنت بالهلاك ، وسمحتُ لهُ بالفؤاد اذ ذاك ، فبينما انا في البيداء اتلظّى الضرّ ، واذا بي وجدتُ كيسًا مملوًّا بالدرّ ، فلا انسى ما علاني من الفرح والمسرة ، اذ توهّمت ان اجد قمحًا مقليًا في تلك الصرّة ، فلمّا تحقّقتَ فيهِ وعاينتُ الدرّ والماس ، دهشتَ من الغمّ الذي لا يبرح عن الفكر بحلول الياس

في يابس البيدِ او حرّ الرمال ثنا لظامئٍ قلب يُغني الماسُ والصّدَفُ
العادم الزاد اذ تهوى بهِ قدمٌ لهُ استوى الذهبُ المكنوزُ والخزفُ

(حكاية) كان بعض العرب يُنشد من شدَّة الظما ، وقد علا عليهِ حرُّ البادية وحمى :

يا ليت قبل منيَّتي يوماً افوزُ بمُنيتي
نهرًا يُلاطمُ ركبتي وأظلُّ املا قُربتي

(حكاية) كذلك ضلَّ في قاع البسيطة بعض السفَّار ، ولم يبقَ معهُ قوتٌ ولا قوَّة اقتدار ، ما خلا يسرًا من الدراهم قد ادَّخره في وسطهِ ولم ينفقهُ في الضيق ، ولا اهتدى بعد ان طاف كثيرًا الى الطريق ، فهلك بالمشقة ، وبعد الشقَّة ، فمرَّ عليهِ طائفة من الناس ، فوجدوهُ قد وضع الدراهم عند الراس ، وخطَّ على التراب من عدم القرطاس :

جميعُ نُضار الجعفريّ لمن خلا عن الزادِ لا يغنيهِ شيئاً من الضرّ
ومن يحترقْ في القفر فقرًا فانهُ لهُ السلجمُ المطبوخُ خيرٌ من التبرِ

وفي تقريظ ترجمة هذا الكتاب قال شهاب الدين الشاعر المصريّ :

كواكبٌ اشرقتْ تزهو بانوارِ ام لاح لي روضُ ازهارٍ وانوارِ
كلَّا بل الألمعيُّ اللوذعيُّ بدا منه بدائعُ اسجاعٍ واشعارِ
زهتْ معاني جلستانَ البديعة في ما صاغَ من عربيّ اللفظ للداري
لا غرو أن جاء جبريلُ الكريمُ بما مقروْهُ حيث يُتلى يعجب القاري
معرّب عبَّرت عنهُ براعتهُ عبارةٌ اظهرتهُ ايَّ اظهارِ
منثورهُ دررٌ في سمطهِ نُظمت نظماً ، بلاغتهُ جاءت باسرارِ
واذ زها حسنهُ بالطبع مبتهجاً أرَّختُ ازهى بهيجٌ روضَ ازهارِ

(مارون النقَّاش) هو مارون بن الياس بن مخائيل النقَّاش ولد في صيدا سنة ١٨١٧ ثم انتقل مع والدهِ الى بيروت وانكبَّ على درس اللغات والآداب العربية حتى حذق فيها واخذ عن المرسلين اللاتينيين مبادئ اللغتين الفرنسويَّة والايطالية . وكان مارون مع سعة علمهِ فاضلًا تقيًّا متشبثًا بالدين مثابرًا على تعاليمهِ وقد جعلتهُ الحكومة السنية باشكاتبًا لدواوين (كمارك) بيروت وملحقاتها . ثمَّ تجوَّل مدَّة في القطر المصري واجتمع بادبائهِ ثم ساح في انحاء اوربا ورجع مغرًى بفنّ التمثيل فعرَّب عدَّة روايات وسعى بتشخيصها وكان اول من مهَّد الطريق لهذا الصنف من الملاهي في هذه البلاد . وقد طبع بعد وفاتهِ اخوهُ نقولا المحامي الشهير قسماً من رواياتهِ في كتاب سمَّاهُ ارزة لبنان يحتوي روايات البخيل والمغفَّل والحسود حذا فيها مارون حذو الراوية موليار الفرنسويّ واودعها كثيرًا من العادات الشرقيَّة وجاراهُ في عملهِ اخوهُ نقولا المذكور وسليم ابن اخيهِ خليل فراجت بذلك سوق الروايات وما لبثت كسدت مع كثرة مضارّها وقلَّة من يراعون فيها الآداب الصالحة ثمَّ سافر مارون

النقّاش الى طرسوس للمتاجرة وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٨٥٥ فقال اخوهُ نقولا يرثيهِ :

بدرٌ هوى لا بل ذوى غصنٌ وذا مرقدهُ
نقّاشُ علمٍ سيّد العـلم ارتقى يسعدهُ
يا رحمة المولى على مارونـا تعضدُهُ
ويصبُّ هاطل فيثها أرّخْ وتغمـدهُ

ثم نقل بعد ذلك جسد المرحوم الى بيروت ودفن فيها سنة ١٨٥٦ فقال شقيقهُ :

ناديتُ مذ عاد سؤلي منتهى الامل طرسوسُ لا ناقتي فيها ولا جملي
عودًا كبدرٍ تولّاهُ الخسوف لـذا ها قد أَرختُ سناهُ غير مكتملِ

وكان مارون صديقًا للشيخ ناصيف اليازجي يتنـاوبان على الرسالات الوديّة الادبيّة منها رسالة وجّهها الشيخ ناصيف الى مارون اذ كان في طرسوس اوّلها :

ماذا الوقوفُ على رسوم المنزل هيهات لا يجـدي وقوفك فارحلِ

قال فيها :

يا ايهـا النحريرُ جهبـذُ عصرهِ مـا لي ابثُّك علمَ مـا لم تجهـلِ
انَّ المقدّم الحكيمِ افادة كمقدّمٍ للشمسِ ضوءَ المشعـلِ
بَعُـدَ المزارُ على مشوقٍ لم يَكُن يشفى على قرب المزار الاولِ

وختمها بقولهِ :

ان كان قد بَعُدَ اللقاء لعلّةٍ فابعَث اليَّ بلهنةِ المتعـللِ

فاجابهُ مارون بما مطلعهُ :

وردتْ اليَّ من المقـام الافضلِ غررُ الوشاح من الطراز الاولِ

الى ان قال :

يا من اذا سمح الزمـان بنعمةٍ ابقاك نورًا في الظلام لينجلي
كلُّ الرجال اذا مضوا يُرجى لهم بدلٌ سواك فاست بالمُستـبـدَلِ
جاريتني فقصرتُ دونك همّـةً حتى عجزتُ فقد يحقُّ العُذرُ لي
انَّ الضعيف مقيَّدًا بلسانهِ مثلُ الاسيرِ مقيَّـدًا بالارجلِ

فلمّا نُعي الى الشيخ صديقـهُ بعد اشهرٍ نظم في رثائهِ قصيدتين من اجود مراثيه قال في الواحدة :

مات الحبيبُ الذي مات السرورُ بهِ من القلوبِ وعاش الحُزن والضَرَمُ

قد كنت اشكو بعاد الدار من قدمٍ فحبَّذا اليوم ذاك البعد والقدَمُ

ومنها:

ايُّ الفضائل ليست فيك كاملةً وايُّ عيب تراه فيك يُتَّهمُ
فيك التُّقى والنقا والعلم مجتمعٌ والحلم والحزم والاحسانُ والكرمُ
نرثيك بالشعر يا نقَّاشَ بردتهِ والشعرُ يرثيك حتى تنفد الكلمُ
تبكي عليك القوافي والمحابر والا أقلام والصحفُ والآراء والهمَمُ
وكلُّ ديوانِ شعرٍ كنتَ تنظمهُ وكلّ ديوانِ قوم فيكَ ينتظمُ

وفي ختامها:

ان كنتَ قد سرتَ عن دار الفناء فقد نلتَ البقا حيث لا شيبٌ ولا هرمُ
انَّ السعيد الذي كانت عواقبهُ بالخير في طاعة الرحمان مُختَتَمُ

وقال في المرثاة الثانية:

لا تجزعي يا نفس من حكم الردى ان كان ما لا بُدَّ منهُ ولا فدى
لا خير في هذي الحياة فانَّها تزداد سوءًا كلما طال المدى

ومنها:

والموت يختار النفيس لنفسهِ منَّا كما نختار نحن فما اعتدى
قد نال منَّا درَّة مكنونة كانت لبهجتها الدراري حُسَّدا
كنزٌ ذخرناه لنا فاغتالهُ لصُّ المنيَّة خاطفًا متمرّدا

وختمها بهذا التاريخ:

لو غبت عن نظرٍ فقد خلَّفت بالتاريخ ذكرًا في القلوب مخلَّدا

وكذلك رثاهُ الشاعر المفلق اسعد طراد بقصيدة طنَّانة اوَّلها:

دهرٌ يغرُّ فخذ من دهرك الحذرا أمَا تراه يريك العجب والعبرا

وختمها بتاريخ هذا منطوقهُ:

لو غابَ قُلْ في السما تاريخهُ سيُرى فانهُ في نعيم الله قد حضرا

ولمارون النقَّاش مـا خلا رواياتهِ قصائد متفرقة وفقرات ورسائل جمع اخوه قسمًا منها في آخر كتاب ارزة لبنان منها منظومة في نحو مئتي بيت في علمي العروض والقوافي . ومن اقوالهِ قصيدة تهنئة رفعها الى سعيد باشا خديوي مصر سنة ١٢٧٠ (١٨٥٣) اوَّلها:

لسعد سعودٍ مَن سلفوا حدودُ وسعدُ سعيـدِ مصرَ لهُ خلودُ
اتاه النيل معترفاً بفضلٍ لهُ اذ فاضَ من كفّيـهِ جودُ
فهـذا حكمةُ مدٌّ وجزرٌ وهذا حلمهُ طامٍ مديدُ
فقد بلغت مناقبهُ كمالاً وهما ازداد مدحاً لا يزيدُ

وكتب من الاسكندرية مجيباً على قصيدة للخوري يوسف الفاخوري معلمهِ :

هل هلالٌ هلَّ ام اهلُ الكرمْ نثروا التبر على خط القلمْ

الى ان قال :

اي ابي الروحي ولولا لائمي قلتُ مَن يشبهْ اباه ما ظلمْ
فهو بحرٌ نلت من فيضانهِ وانا تلميـذ ذيّاك العلـمْ
مخزنُ العلم وفي تدريسهِ معدن الحلم وكاّيُ الهممْ
قد كساني ثوب تعليم بما فتح الله عليـهِ وقسمْ
لست انسى جوده حاشـا ولم انسَ اياماً تقضّت في نعمْ

وللمرحوم عدّة تواريخ منها تاريخ على لسان اسعد ابن اخيهِ حبيب ومات صغيرًا سنة ١٨٤٢ :

انّي هلالٌ قد دنوتُ من الثرى قبـل أن أتمَّ فهكـذا ربي امرْ
لكن لعمري لم اغب عن منزلي الّا لاشرق في النعيم كما القمرْ
وكما روى النقّاش نَقْش تأرّخي لأفوز اسعد بالسعادة عن صغرْ

ومنها قوله موءرخاً لوفاة البطريرك يوسف الخازن وارتقاء خلفهِ السيـد بولس مسعد سنة ١٨٥٤ :

في افق كرسيّ انطاكيةٍ عجبٌ بدرٌ توارى وبدرٌ فوقَ سدّتـهِ
ان غاب ذاك واضنـانا بغيبتـهِ فناب هذا واشفانا بنوبتهِ
دعـا الاله لذاك المرتضي خلفاً ارّخت بولس مختـارٌ لدعوتهِ

(ابراهيم بك النجار) ولد في دير القمر سنة ١٨٢٢ وتوفي في بيروت سنة ١٨٦٣ . كان رجلاً هماماً محبّاً للاداب منذ نعومة اظفارهِ فلما قدم لبنـان الدكتور الفرنسويّ كلوط بك رئيس اطبّاء العساكر المصرية سنة ١٨٣٧ نال من محمّد على باشا بان يدخلهُ مع غيره من السوريين في مدرسة القصر العيني في مصر فتلقّى فيها الدروس الطبيّـة ونال الشهادة الموءذنة ببراعتهِ سنة ١٨٤٢ ثمّ سافر الى الاستانة العليّة ودرس على اساتذتها

المتطببين وبقي مدّة هناك يتعاطى مهنتهُ فاصاب شهرةً عظيمة حتى عيّنتهُ الدولة العليّة كطبيب اوّل للعساكر الشاهانيّة في مارستان بيروت العسكري . وفي سنة ١٨٤٩ تجوَّل في انحاء اوروبة وطبع في مرسيلية سنة ١٨٥٠ كتابهُ « هديّة الاحباب وهداية الطلّاب » في المواليد الثلاثة وملخص العلوم الطبيعيّة ثمَّ عاد الى بيروت ومعهُ ادوات طبعيّة فانشأ مطبعتهُ الشرقية (اطلب المشرق ٣ : ١٠٣٢) نشر فيها تاريخ رحلتهِ الى مصر واعقبها بتاريخ السلاطين العظام (سنة ١٢٧٢ — ١٢٧٥=١٨٥٥ — ١٨٥٨) وسمّاهُ مصباح الساري ونزهة القاري فقرَّظه مفتي زاده السيد محمَّد مفتي بيروت بقولهِ :

جزا الله المؤلف كلَّ خيرٍ ... لهذا العقد في جيد الحسانِ
امصباحٌ بدا ام بدرُ سارٍ ... بافق سما البلاغة والمعاني

ومن حسن مساعي ابراهيم بك انهُ عُني باستجلاب ادوات الطباعة لدير طاميش سنة ١٨٨٥ كما ذكرنا سابقًا (المشرق ٤ : ٤٧٣) . وكان للمترجم شعر قليل منهُ قولهُ في مدح السلطان عبد المجيد :

ملكٌ اضا على الانامِ بسبعةٍ ... احيا الزمان بها فماتَ الحُسَّدُ
حزمٌ وعدلٌ رحمةٌ وطلاقةٌ ... حلمٌ وبذلٌ غيرةٌ لا تجحدُ
دانت لباب جلالهِ أُمم الورى ... فغدت بشوكتهِ تسرُّ وتسعدُ
خضع السدادُ لحزمهِ وبعزمهِ ... هزم العدى بالسيف حيث يُجرِّدُ
فاذا الخطوبُ تجمَّعت فاتلوا لها ... عبد المجيد فانها تتبدَّدُ
واذا تصوَّر في الدجنَّة ذاتهُ ... لاح الصباح ونوره يتوقَّدُ

وتوفي ابراهيم بك بعزّ كهولتهِ فقال الشيخ ناصيف اليازجي يرثيهِ :

ضاق الرثاء بنا من فرط ما اتّسعا ... كالماء طال عليهِ الوِرْد فانقطعا

ومنها :

قد كان في طبهِ للناس منفعةٌ ... فاذْ اتى الموت ذاك الطبُّ ما نفعا
وكان يبري من الناس الجراحَ فهل ... يبري جراح فؤَادٍ بعدَه انصدعا
سارت الى الله تلك النفس تاركةً ... جسماً يُرى في تراب الارض مضطجعا
كلٌّ الى اصلهِ قد عاد منقلباً ... فانحطَّ هذا وهذا طار مرتفعا

(طنوس الشدياق) هو الشيخ طنوس بن يوسف بن منصور الشدياق ولد في اوائل القرن التاسع عشر في الحدث من سلالة قديمة اصلها من حصرون يُعرف نسبها

من القرن السادس عشر · درس طنوس مع اخوتهِ في مدرسة عين ورقة وتعاطى التجارة مدَّة ثمَّ انقطع الى خدمة الامراء الشهابيين فارسلوهُ الى عكا ودمشق وقام باعباء خدمتهِ بكل نشاط وأُقيم بعد ذلك قاضياً على النصارى في لبنان · وقد اشتهر طنوس بمعارفهِ التاريخيَّة · وكان كلفًا بتاريخ لبنان فصنَّف كتابهُ المسمى باخبار الاعيان في تاريخ لبنان جعلهُ ثلاثة اقسام في جغرافيَّة لبنان ثم في انساب اعيانه ثمَّ في اخبار ولاتهِ وقد راجع في تأليف كتابهِ عدَّة مخطوطات سرد اسماءها في المقدَّمة · وهو ادقُّ واضبط ما وضع الى يومنا لاسيا في تاريخ الازمنة الاخيرة وساعدهُ في تهذيبهِ وتنقيحهِ ونفقات طبعهِ المعلم بطرس البستاني · وكان نجازهُ سنة ١٨٥٩ بعد شغل نحو خمس سنوات · وقد عُرف صاحب هذا الكتاب بتجردهِ عن الاغراض كما قال :

خلا تاريخنا من كلّ ميلٍ ومينٍ بين اخبار الزمانِ
وجاء بعون مولانا سديدًا مفيدًا ما لهُ في النفع ثانِ

ولم نعرف سنة وفاة الشيخ طنوس · ومما يُذكر من آثاره ايضاً انهُ كان يشتغل بمعجم الالفاظ العاميَّة ولم ينجزه (١

(ابراهيم العوراء) هو ابن المعلم حنا العوراء الروميّ الملكيّ الكاثوليكيّ ولد في عكَّة في اواخر القرن الثامن عشر وتخرَّج بالاداب هو واخوه ميخائيل على ابيهما الذي خدم في ديوان انشاء محمَّد باشا الجزَّار ثمَّ في ديوان خلفه سليمان باشا · فبرع حنا في الكتابة وضُمَّ الى كتَّاب ديوان الانشاء تحت نظارة والده وخالهِ ابراهيم نحَّاس وذلك سنة ١٢٢٩ (١٨١٤ م) · وكان مغرمًا بتاريخ بلاد الشام يدوّن من حوادثها ما امكنهُ ثمَّ جمع ذلك في كتاب ضمنهُ تاريخ سليمان باشا افتتحهُ بمجمل اخبار القرن الثامن عشر ثمَّ اتسع في تاريخ الاحوال التي جرت في آخر ايَّام الجزَّار ولاسيا في عهد خلفهِ سليمان باشا الى وفاته سنة ١٢٣٤ (١٨١٨) ولم يزل يحسّن هذا التاريخ ويهذبهُ حتى اتمَّهُ سنة ١٢٦٩ (١٨٥٣) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة منهُ وهو سفر جليل يحتوي امورًا عديدة وتفاصيل لا تكاد تجدها في غيرهِ روى اكثرها عن ادباء عصرهِ وعن معرفتهِ الخاصة مما عاينهُ بنفسهِ فزادت بذلك خطورتهُ · توفي ابراهيم العوراء سنة ١٨٦٣ فكتب الشيخ ناصيف اليازجي هذا التاريخ على قبرهِ :

---

١) اطلب المجلَّة الاسيويَّة الالمانيَّة (ZDMG. IX : 269) ·

لا تجزعوا يا بني العوراء واصطبروا لقد ذخركم بالامس قد فُقدا
من فوقهِ احرف التاريخ ناطقةٌ في طاعة الله ابراهيمُ قد رقدا

(ناصيف المعلوف) هو احد الذين اشتهروا في هذه المدَّة بين نصارى الشرق بآدابهِ ومعارفهِ اللغويَّة. وقد مرَّ لهُ في المشرق(٨: ٧٧٣: ٨٤٧الخ) ترجمة مطوَّلة بقلم الكاتب البارع عيسى افندي معلوف نقتطف منها ما يليق بالمقام. هو ناصيف بن الياس بن حنا المعلوف. كان ابوه في خدمة الامير بشير الشهابيّ يقطن مع اسرتهِ قرية زبوغة وفيها ولد ابنهُ ناصيف سنة ١٨٢٣ فسلمهُ ابوه الى بعض افاضل المعلمين من كهنة ومرسلين فانكبَّ على درس اللغات والعلوم بكل رغبة ثم رافق في رحلتهِ الى ازمير سنة ١٨٤٣ التاجر الشهير يوحنا عرقتنجي واتمَّ هناك دروسهُ في مدرسة الاباء العازاريين واتقن اللغات التركيَّة واليونانيَّة الحديثة والافرنسية والايطالية حتى امكنهُ ان يصنف عدَّة كتب في كل هذه اللغات (اطاب قائمتها في المشرق ٨: ١٠٤٩) لكنهُ برَّز خصوصاً في التآليف التركيَّة التي اقبل عليها المستشرقون وافاضوا في مدحها ونال بسببها الاوسمة الشريفة والامتيازات الخاصة. وبين تآليفهِ ما يشهد لهُ ايضاً بمعرفة آداب لغتهِ العربيَّة وحسن انشائهِ فيها وكان وجوه الاوربيين واعيانهم يحبُّون ان يتخذوهُ كترجمان في امورهم لكثرة آدابهِ وطلاقة لسانهِ في كل لغات الشرق. توفي ناصيف في وباء الهواء الاصفر في ازمير سنة ١٨٦٥

هذا ما امكنَا جمعهُ من مآثر النصارى في تلك المدَّة ولا غرو انهُ قد فاتنا من اعمالهم شيء كثير كما اننا لم نذكر بعض الذين عُرفوا بآدابهم ولم يصبر على الزمان الَّا القليل من كتاباتهم كالدكتور يوسف الجلخ الذي وردت لهُ بعض خطب في اعمال الجمعية السوريَّة. توفي سنة ١٨٦٩ وقد جُمعت في كرَّاس المراثي التي قالها الادباء في وفاتهِ منها تاريخ للشيخ ناصيف اليازجي:

قِفْ عند تُربَتهِ يوسف الجلخ الذي ما زال يغلبُ دينُهُ دنياهُ
ولذاك نال ختام خيرٍ فائزًا أرِّخْ برحمةِ ربّهِ ورضاهُ

ومنهم الشيخ حبيب اليازجي ابن الشيخ ناصيف توفي سنة ١٨٧٠ وسنذكرهُ مع والدهِ واخوتهِ في تسطير تاريخ الآداب في الطور الرابع ان شاء الله. ومنهم الشيخ مرعي الدحداح (١٧٨٢—١٨٦٨) كان درس في عين ورقة وكتب في دواوين الامراء

وتنقَّل في البلاد ولهُ رسائل وكتابات متفرّقة وقد نُشرت سيرة حياتهِ في كرّاس. قال الشيخ ناصيف في تاريخ وفاتهِ :

مضى الشيخ مرعي راحلًا عن ديارنا ولكن حيًّا في السماء لهُ قصرُ
واولى بني الدحداح حزنًا مخلَّدًا يدومُ كما يبقى لهُ عندهم ذكرُ
همامٌ تلقَّى الحادثاتِ بنفسهِ فتمَّ لهُ من بعدها المجدُ والفخرُ
اذا زرتَ مثواهُ فأرِّخ وقل بهِ عليك الرضى والعفوُ يا ايها القبرُ

المستشرقون الاوربيُّون في هذا الطور

(الفرنسويين) بقي السبق في درس اللغات الشرقيَّة عمومًا والعربيَّة خصوصًا للعلماء الفرنسويين في هذا الطور الثالث الذي بلغنا اليهِ في سياق تاريخنا للآداب العربيَّة. وكان تلامذة العلَّامة دي ساسي يمشون على آثار معلمهم فيخوضون بحر الآداب الشرقيَّة ويستخرجون من اغوارها اللآلىء الفريدة فينظمونها قلائد تزيد يومًا بعد آخر ثمنًا وفخرًا وها نحن نذكر بعض الذين وقفنا على اخبارهم وهي الى اليوم متفرّقة لم تُجمَع في سفر خاصّ

فمنهم فلجانس فرينل (F. Fresnel) ولد سنة ١٧٩٥ وانقطع في شبابه الى درس اللغات الشرقيَّة حتى ارسلتهُ حكومتهُ سنة ١٨٣٧ الى جدَّة وتعيَّن هناك بصفة قنصل لدولتهِ . وفي سنة ١٨٥٢ توجَّهت انظار العلماء الى خرائب بابل فتشكَّلت بعثة علميَّة وكلت فرنسة نظارتها الى فرينل لما عهدت فيهِ من الاهليَّة فسافر الى بغداد وقام باعباء مهمَّتهِ بنشاط مدَّة ثلاث سنوات وكانت وفاتهُ في حاضرة العراق سنة ١٨٥٥ وقد خلَّف فرينل عدَّة آثار تدلُّ على سعة معارفهِ منها ترجمة لاميَّة العرب للشنفري ومنها رسائل واسعة في تاريخ العرب في ايام الجاهليَّة ولهُ ايضًا مقالات أُخرى مفيدة في الكتابات الحميريَّة التي وُجدت في جهات اليمن

واشهر منهُ رجلٌ همام وعالم عامل جارى في فضلهِ امام عصره العلامة دي ساسي نريد بهِ اتيان كاترمار (Et Quatremère) كان سليل اسرة شريفة كثر فيها الادباء والعلماء واصحاب السيف والقلم وزادها هو باعمالهِ شهرةً . وُلد اتيان في باريس

في ١٢ تموز سنة ١٧٨٢ وتخرَّج منذ حداثة سنِّهِ في العلوم الشرقيَّة على دي ساسي المومأ اليهِ · واستحقَّ بفضلهِ ان يدخل في جملة نظَّار المكتبة العموميَّة ومخطوطاتها الثمينة ثمَّ تولَّى التدريس في المدارس العليا قبل ان يبلغ العشرين من سنِّهِ وفي السنة ١٨١٥ نظمهُ مجمع فرنسة العلميّ في سلك اعضائهِ ثمَّ ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغات العبرانيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والفارسيَّة في مدارسها الخاصة فاحرز لهُ في تعليمها شهرة عظيمة حتَّى أضحى بعد وفاة دي ساسي نسيج وحدهِ في كلّ العلوم الشرقية الى سنة وفاتهِ في ١٨ ايلول سنة ١٨٥٧ · ومن يطَّلع على تآليف هذا الرجل المقدام يقضي منهُ العجب لأَنَّهُ خلَّف بعدهُ نيفًا ومئة كتاب في كلّ ابواب الفنون الشرقية وكلّ اللغات الساميَّة وغيرها وقد اودع كلّ هذه المصنَّفات كنوزًا من المعارف يتحيَّر لها عقل المطالعين · امَّا تآليفهُ العربية فعديدة ونهاية في الحسن والضبط منها ترجمتهُ لتاريخ المماليك في مصر للمقريزي في اربعة اجزاء وحواشٍ ضافية · ولهُ مجلدان في مبهمات تاريخية وجغرافية مصريَّة وتأليف عن النبطيين ومآثرهم · ومن مطبوعاتهِ العربية نشره لمقدمة ابن خلدون في ثلثة اقسام ومنتخبات من امثال الميداني وكتاب الروضتين ومقالات متَّسعة في جغرافيي العرب وفي مؤرخيهم وفي عادات اهل البادية ولهُ في التركية ترجمة تاريخ المغول لرشيد الدين في مجلَّد ضخم آية في حسن الطبع · وقد أَلَّف كتبًا عديدة في آثار القبط والبابليين والهند والسامرة والافريقيين والعبرانيين ومجمل القول لم يدع فنًّا الَّا صنَّف فيهِ كتبًا تُعَدُّ الى يومنا معادن ثمينة غنيَّة بمضامينها العلميَّة

ومن تلامذة دي ساسي المعدودين غرانجره دي لاغرانج (J-B. Grangeret de la Grange) ولد سنة ١٧٩٠ واحكم درس العربيَّة والفارسية فوكلت اليهِ دولتهُ سنة ١٨٣٠ تصحيح المطبوعات الشرقية في مطبعتها العمومية فقام بالعمل القيام المشكور · وتوفّي سنة ١٨٥٩ وقد ابقى من الآثار مجموعًا في النظم والنثر نقلهُ الى الافرنسية ولهُ منتخبات من شعر المتنبي وابن الفارض علَّق عليها الحواشي وترجمها · وقد صنَّف كتابًا في تاريخ العرب في الاندلس ودافع عن محاسن الشعر العربي

واشتهر في هذا الوقت نوال دي فرجه (Noel des Vergers) بين المستشرقين الفرنسويين وكان مولدهُ سنة ١٨٠٥ ووفاتهُ في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ نشر عدَّة تآليف شرقية كقسم من تاريخ ابي الفداء وتاريخ بني اغلب لابن خلدون ولهُ تاريخ

افرنسي في عرب الجاهلية اختصرهُ عن تاريخ معلّمه دي برسفال واضاف اليهِ مختصر تاريخ الخلفاء الى عهد المغول. وهو من التآليف المفيدة وكان ضليعاً بالمعارف الشرقية يلتجئ اليهِ العلماء في مشاكلهم

وفي سنة وفاة دي ڤرجه توفي مستشرق آخر ذائع الشهرة جوزف رينو (J. T. Reinaud) المولود في ٤ كانون الاول سنة ١٧٩٥ والمتوفى في ١٤ ايار سنة ١٨٦٧ كان ايضاً من تلامذة دي ساسي وانكبَّ على مثال استاذه على درس آثار الشرق ولغاتهِ وكان احد حفَظة خزانة المخطوطات الشرقية في باريس فاستقى من تلك المناهل الطيّبة ما شاء وفي سنة ١٨٣٨ بعد وفاة دي ساسي تولّى تدريس اللغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة ثمَّ رُئّس عليها سنة ١٨٦٤ وبقي في وظيفتهِ الى سنة وفاتهِ. وللعلامة رينو منشورات جليلة منها في الآثار الشرقية كوصفهِ لمتحف الكنت دي بلاكاس في جلدين وهو سفر خطير في تعريف العاديّات الاسلامية. واشتغل بتاريخ الشرق فنقل الى الفرنسويّة معظم ما كتبهُ العرب في الحروب الصليبية وترجم رحلة تاجرين عربيين الى الصين تدعى سلسلة التواريخ ونشر كتاب تقويم البلدان لابي الفداء ونقلهُ الى الافرنسية وزيّنهُ بالمقدَّمات الاثيرة والحواشي. ولهُ ما خلا ذلك عدَّة مقالات لغويّة وتاريخية في العرب وغيرهم من شعوب الشرق يطول تعدادها وفي ما سبق ما ينبئ بفضلهِ الواسع

وفي السنة ١٨٦٧ توفّي مستشرق ثالث فرنسوي موسويّ الدين وهو سليمان مُنْك (S. Munk) وُلد في بلاد بروسيا سنة ١٨٠٣ وتخرَّج بالآداب العبرانية على بعض الربَّانيين في بلدهِ ثمَّ جاء فرنسة سنة ١٨٢٨ وتجنَّس بالجنسيَّة الفرنسويَّة وحضر دروس دي ساسي وكاترمار فتعلَّم العربيَّة والفارسية والسنسكريتية وبرع فيها وتجوَّل مدَّة في القطر المصري مع الوزير كريميو. ثمَّ تفرَّغ للكتابة والتعليم وقصدتهُ التلامذة ليدرسوا عليهِ العبرانية. وقد أُصيب في آخر عمره ببصرهِ فلم ينقطع عن التأليف والاملاء على الكتبة وهو في هذه الحالة عشرين سنة. ولهُ عدَّة تآليف في العبرانية والعربية والفارسية في تاريخ الشرق نخص منها بالذكر تاريخ فلسطين وكتاباتٍ شتَّى في الشعر العربي والشعر العبراني ونشر مصنَّفات بعض فلاسفة اليهود في العربية والعبرانية وترجمها الى الفرنسويَّة كدليل الحائرين لابن ميمون ومعين الحياة لابن جبرول وكتب ايضاً في

فلسفة الهنود والعرب • وقد نقل الى الفرنسويّة مقامات الحريري • ومن مصنّفاته ايضاً مقالات عديدة في آداب الفينيقيين وشرح كتاباتهم المكتشفة في سواحل الشام

واشتهر في الجزائر مستشرق فرنسوي من تلامذة دي ساسي ايضاً وهو لويس جاك برنيه (L. J. Bresnier) وُلد في فرنسة سنة ١٨١٤ وتوفي في الجزائر في ٢١ حزيران ١٨٦٩ كان درس على كبار المستشرقين الفرنسويين منذ حداثة سنه فخلفهم في نشاطهم وعلمهم • وقد علّم اللغة العربية في حاضرة الجزائر ٣٣ سنة بهمة عظيمة اكسبتهُ شكر تلامذتهِ • ومن ثمار اجتهادهِ عدّة مطبوعات عربية مدرسية نشرها في فرنسة والجزائر مهّدت الطريق لكثيرين لدرس العربية الفصيحة واللغة الشائعة في بلاد الجزائر فمن تآليفهِ شرح اصول العربية من صرف ونحو وعروض ولهُ ابحاث في اللغة العاميّة ومجاميع عربيّة مختلفة مع ترجمتها الى الافرنسية واعتنى ايضاً بالخط العربي وتعليمهِ • ومن آثارهِ ترجمتهُ للاجرومية مع تعليقات عليها

وفي زمن المسيو برنيه خدم الآداب العربيـة معلم آخر وهو المعلم كُمباريل (E. Combarel) نشر ايضاً عدّة مطبوعات مدرسية لتعليم العربيـة في الجزائر بين السنتين ١٨٤٥ و١٨٦٥ ولم نعرف سنة وفاتهِ

وكذلك عُرف بين المستشرقين العلامة بيبرستين كازمرسكي (B. Kazimirski) الذي ولد في پولونيا واستوطن فرنسة ونشر فيها مطبوعات شرقية مفيدة اخصّها معجمهُ للغتين العربية والفرنسويّة الذي جُدّد طبعهُ في مصر بعد طبعتهِ الباريزيّة في مجلّدين ضخمين • وقد نقل المصحف الى الفرنسويّة وترجمتهُ معروفة بدقّتها وسلاستها • مات نحو السنة ١٨٧٠

وممن لم نهتدِ الى سنة وفاتهِ من المستشرقين الفرنسويين واشتهر بآثاره العربيـة المسيو پارُّون (A. Perron) نشر تآليف جمّة ونقلها الى الفرنسويّة ففي سنة ١٨٣٢ ألّف كتاباً في اصول اللغة العربيّة وطبعهُ على الحجر ثمّ نشر مقالات مفيدة في بعض مشاهير العرب كطرفة والمتلمّس وعنترة ونقل طرفاً من اشعارهم الى لغتهِ ونقل ايضاً كتاب سيف التيجان ورحلة محمّد التونسي الى الدرفور وكتاب الطبّ النبويّ وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري لابي بكر بن بدر في مجلّدين وكتاب ميزان الخضريّة للشعرانيّ في الفقه والمختصر في الفقه لخليل بن اسحاق المالكيّ في سبعة

مجلّدات انتهى من طبعهِ سنة ١٨٥٤ بعد ست سنوات وعلّق عليهِ تعليقات واسعة

ونضيف الى هؤلاء المشاهير من الفرنسويين الاستاذ كليمان موله (J. J. Clément-Mullet) الذي ادّى للمستشرقين خدماً مشكورة بابحاثهِ عن الزراعة عند العرب ومن آثاره الباقية ترجمتهُ الفرنسويّة لكتاب الفلاحة للشيخ ابي زكريّا يحيي الاشبيلي المعروف بابن العوّام . وكان الاصل العربي قد طُبع في مجريط سنة ١٨٠٢ فنقلهُ المسيو موّله في مجلّدين وعلّق عليهِ التعليقات الخطيرة . ولهُ ايضاً في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة مقالات متّسعة في المواليد الطبيعيّة عند العرب واصطلاحاتهم . توفي المسيو موّله سنة ١٨٧٠

(الالمانيُّون) تقدّمت الدروس العربيّة في المانية في هذه المدّة بهمّة بعض الافاضل الذين اصبحوا اسوةً لاهل بلادهم

ويستحقُّ السبق على جميع مواطنيهِ جرج وليلم فريتاغ ولد سنة ١٧٨٨ وتوفي في تشرين الثاني من السنة ١٨٦١ وكان مثالًا للعزم والثبات فكلف بالآداب العربيّة ودرس اللغات الشرقية في باريس على فخر زمانهِ دي ساسي فاتقنها وعُهد اليهِ تعليمها في كلية بونة سنة ١٨١٩ فلم يزل مذ ذاك الوقت الى سنة وفاتهِ يفرغ كنانة مجهودهِ في نشر المآثر العربيّة منها قاموسهُ العربي اللاتيني في اربعة مجلّدات ضخمة اتمهُ بسبع سنوات وكان يواصل الدرس كل يوم احدى عشرة ساعة لا يكاد يأخذ فيها راحة ثمّ اختصر ذلك المعجم . وقد نشر لاوّل مرّة كتاب حماسة ابي تمّام مع شروح التبريزي ونقلها كلها الى اللاتينية . ونشر كتاب عبد اللطيف البغدادي في وصف مصر وقسماً من تاريخ حاب لكمال الدين وفاكهة الخلفاء لابن عربشاه . وقد نقل كل هذه الآثار الى اللاتينية وحشّاها بالحواشي المفيدة . ومن مآثره الجليلة امثال الميداني في اربعة مجلّدات نشرها وترجمها واضاف اليها الفهارس مع الملحقات العجيبة في كلّ ما كتبهُ العرب عن الامثال . ولهُ كتاب واسع في فنّ العروض بالالمانيّة ومنتخبات شتى بالنثر والنظم وقد بقي اسمهُ الى يومنا هذا بين مواطنيهِ كمثال حيّ للحزم والنشاط

ومن افاضل الالمان الذين خلّدوا لهم ذكراً طيّباً في هذا الزمان جان غدفريد كوسغارتن (J. G. Kosegarten) ولد في بروسيا سنة ١٧٩٢ ودرس العلوم في مدرسة غريسڤالد الشهيرة ثمّ تعشّق اللغة العربية فارسلهُ ابوهُ ليروي غليله منها بالدرس

على الاستاذ دي ساسي محور العلوم الشرقية في زمانهِ فتلقَّن اللغة العربيـة ثمَّ درس التركيّة والفارسية والارمنية واستنسخ قسماً من مخطوطات باريس ولم يلبث ان نشر في بلده منها طرفاً استوقفت انظار اهل وطنه فدعاه اصحاب الامر الى تدريس اللغـات الشرقية في غريسڤالد وبقي في منصبهِ الى وفاتهِ منقطعاً الى نشر التآليف المهمَّة اخصُّها غراماطيق اللغة العربية في اللاتينية ثمَّ قسمٌ من شعر الهذيليين طبعهُ في لندن وكذلك نشر مجلَّدًا من كتاب الاغاني لابي الفرج ونقلهُ الى اللاتينية وزيَّنهُ بالمقدّمات والشروح ونشر ايضاً مجلَّدين من تاريخ الطبري مع ترجمتهما وطبع معلَّقة عمرو بن كلثوم وذيَّلها بالملحوظات المفيدة ولهُ غير ذلك من الآثار العربية والسنسكريتية والهيروغليفية

وليس دون السابقَيْن همَّةً ونشاطاً واتّساعاً في التأليف وطنيُّهما غستاف فلوغل (G. Flügel) ولد سنة ١٨٠٢ في بلاد سكسونيا ودرس في ليبسيك على مشاهير علمائها واخذ عن بعضهم مبادئ اللغات الشرقيّـة ثمَّ سافر الى ڤينَّا وبقي سنتين ينعم النظر في مخطوطات مكتبتها الشهيرة وتجوَّل بعدئذٍ في عواصم اوربَّة الى ان احتـلَّ باريس سنة ١٨٢٩ وسمع معلّميها ودرس مخطوطاتها الشرقية ثمّ عاد الى بلادهِ فتولَّى التدريس في معاهدها العلمية مدَّة وصار له نفوذ كبير عند امراء وطنهِ الذين عهدوا اليهِ بتآليف عديدة استوفى شروطها وهي تبلغ نحو خمسين مجلَّدًا منها كتاب كشف الظنون للحاج خلفا في سبعة مجلَّدات ضخمة مع ترجمتها الى اللاتينيَّة وفهارسهـا الواسعة وملحقاتها الخطيرة ومنها وصف مخطوطات ڤينَّا العربية في ثلاثة مجلَّدات ونشر عدَّة كتب قديمة مع ترجمتها مثل كتاب مؤنس الوحيد للثعالبي وتعريفات الجرجاني ونجوم الفرقان وهو فهرس للقرآن بديع في بابهِ ولهُ تآليف في فلاسفة العرب ونُحاتهم ونَقَلَتهم ونشر كتاب الفهرست لابن النديم من انفس ما كتبهُ القدماء . وصنَّف تاريخًا موسَّعًا للعرب في ثلاثة مجلّدات فكل هذه المصنَّفات ممَّا يدهش العقل لسعة علم كاتبها الذي يُعـد من اكبر المستشرقين واغزرهم فضلًا . كانت وفاتهُ سنة ١٨٧٠

وممن برَّزوا في هذا الزمان في درس كتب العرب الرياضية والجبريَّة الالماني فرانس وابك (Fr. Woepcke) ولد في بلدة قريبـة من ليبسيك سنة ١٨٢٦ ودرس في ويتمبرغ ثمَّ رحل الى برلين وتفرَّغ لدرس الرياضيات وفي سنة ١٨٤٨ التقى بالمستشرق الشهير فريتاغ في بونة فعلّمهُ العربية وفتح له بابًا لدرس آثار العرب في الحساب والمقابلة

والجبر والهندسة والهيئة فخصّص مذ ذاك الحين نفسهُ لاحياء دفائنها فنشر رسالة ابي الفتح عمر ابن ابراهيم الخيّامي في الجبر والمقابلة وكتاب الفخري فيهما لابي حسن الكرخي وتفسير مقالة اوقليدوس العاشرة في الأعظام المنطّقة والصمّ لابي عثمان الدمشقي وقد كتب نيّفًا وخمسين مقالة في كلّ الفنون الرياضية عند العرب نشرها في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة وفي المجلّات العلمية في برلين ورومية وباريس و بطرسبرج وكان اذا نشر اثرًا ما قديمًا نقلهُ الى اللغات الاوربية وعلق عليهِ التعليقات الخطيرة حتى اصبح اماماً في هذه الفنون يُشار اليهِ بكل بنان. وكانت ادّت بهِ دروسهُ الى البحث في العلوم الرياضية عند الهنود وقدماء اليونان وارباب القرون الوسطى فقابل بينها وبين آثار العرب وقد فاجأهُ الموت في ٢٥ اذار من السنة ١٨٦٤ وهو في منتصف العمر

وقد اشتهر غير هؤلاء ايضًا بين مستشرقي الالمان وان لم يبلغوا شأوهم منهم جرج هنري برنستين (G. H. Bernstein) صنّف كتابًا في نحو العربية ونشر بعض الآثار القديمة منها قصيدة لصفي الدين الحلّي مع ترجمتها وشرحها ومنها كتاب في مبادئ واصول الاديان المتفرّقة في الشرق . وكانت شهرتهُ في معرفة السريانية اكثر منها في العربية وقد علّم تلك اللغة في برسلو ولهُ فيها عدّة مطبوعات . توفي برنستين سنة ١٨٦٠ وعمرهُ ٧٣ سنة

ومنهم جان اوغست فولرس (J. A. Vullers) احد تلامذة دي ساسي وكاترمار وفريتاغ ولد في المانية سنة ١٨٠٣ وكانت وفاتهُ نحو السنة ١٨٧٠ علّم اللغات الشرقية في كلية غيسن . وقد برّز فولرس خصوصًا في اللغة الفارسية فنشر معجمًا فارسيًا لاتينيًا يُعدّ من اتقن المعاجم وابرز عدّة آثار لمؤرخي العجم وشعرائهم . وكان عالمًا باللغة العربية نشر معلّقتي الحارث بن الحلزة وطرفة مع شروح الزوزنيّ عليهما ونقلهما الى اللاتينية وصنّف ايضًا كتابًا في اصول لغة العرب

ومنهم ايضًا فرنس اوغست ارنلد (F.A. Arnold) اشتهر بين اساتذة مدرسة هال في المانية رالهُ مجموعة حسنة من تآليف العرب لطلبة المدارس الشرقية في جلدين طُبعت سنة ١٨٥٣ ونقلها اليونان في المدس الى لغتهم فجدّدوا طبعها بهمّة استيفان اثناسياديس سنة ١٨٨٥ وكان سبق قبل ذلك ونشر سنة ١٨٣٦ معلّقة امرئ القيس

ونقلها الى اللاتينية وذيَّلها بالشروح . ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً الدكتور جان غدفريد وتسشتين (J. G. Wetzstein) أقام مدَّة في دمشق بصفة قنصل دولتهِ وعُني بدرس اللغات الشرقيَّة وجمع عدَّة مخطوطات وصفها وصفاً حسناً وارسلها الى برلين وقد كتب تفاصيل رحلتهِ الى جهات حوران وبادية الشام ومن مطبوعاتهِ كتاب مقدَّمة الادب لجار الله الزمخشري طبعهُ في ليبسيك على الحجر سنة ١٨٥٠ ولم نقف على سنة وفاتهِ

ومنهم ايضاً هنري جوزف ڤتزر (H. J. Wetzer) ولد سنة ١٨٠١ ودرس اللغات الشرقيَّة على علماء زمانهِ في المانية وفرنسة ولا سيما دي ساسي وكاترمار ثم درَّس اللغات الشرقيَّة في كلية فريبورغ الكاثوليكية فاصاب لهُ فيها ذكراً طيباً وقصدتهُ الطلبة من انحاء البلاد وهو اوَّل من نشر مقالة المقريزي في نصارى الاقباط وترجمها الى اللاتينيَّة ولهُ آثار أُخرى في العلوم الكتابيَّة . توفي سنة ١٨٥٣

ومنهم فيليب ڤولف (Ph. Wolff) عُني بدرس آداب العرب ونشر البعض منها . ولهُ كتاب دليل السيَّاح لمصر والشام وفلسطين ضمنهُ اصول العربيَّة العاميَّة . وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب كليلة ودمنة وطبع المقامات ونقلها ايضاً الى الالمانيَّة وبيَّن خفايا معانيها . ونشر شيئاً من ديوان ابي الفرج الببغاء

ومنهم اخيراً تيودور هاربروكر (Th. Haarbrucker) من علماء مدينة هال نقل الى الالمانيَّة كتاب ابي الفتح الشهرستاني الذي نشرهُ وليم كورتون في لندن وذيَّلهُ بالتذييلات الحسنة . ولهُ مقالة في كتاب مجموع العلوم لمحمَّد بن ابراهيم السخاوي طبعهُ سنة ١٨٥٩ . ونشر في العربيَّة تفاسير على اسفار يشوع بن نون واسفار الملوك الاربعة والانبياء من تأليف احد علماء اليهود الربّي تنحوم بن يوسف الاورشليمي ونقلها الى اللاتينية

(النمسويُّون) لم يبلغ النمسويُّون في درس العلوم الشرقيَّة مبلغ الالمان في اواسط القرن التاسع عشر . وانما اشتهر منهم رجل مقدام كانت لهُ قريحة عجيبة في تعلم اللغات والكتابة في كل فنون الشرقيين اعني بهِ البارون جوزف دي هامر بورغشتال (J. d. Hammer-Purgstall) ولد في غراتس سنة ١٧٧٤ ودرس في كلية فينَّة لغات الشرق حتى امكنهُ قبل العشرين من سنهِ ان يتكلم بالعربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة

ثمَّ ارسلتهُ الحكومة الى الاستانة بصفة ترجمان ووكلت اليهِ نظارة قنصليَّاتها فتجوَّل في الشام ومصر ودرس احوال البلاد ثم لم يزل يتقلَّب في كلّ المناصب الشريفة حتى دخل في شورى الدولة. فانقطع حينئذٍ الى التأليف وكان يحسن الكتابة في عشر لغات اجنبيّة فألَّف عددًا لا يُحصى من الكتب والمقالات في كل المواضيع الكتابيَّة وتغلَّب عليهِ التأليف في تاريخ الشرق وآدابهِ نسرد هنا اسماء بعضها : تاريخ الدول العثمانيَّة في ١٨ مجلدًا . تاريخ الآداب العربية في سبعة مجلَّدات ضخمة من عهد الجاهليَّة الى آخر الدولة العباسية ضمَّنهُ عشرة آلاف ترجمة من كتبة العرب وشعرائهم وكبار علمائهم . وقد نقل الى الالمانيَّة كتاب « أيُّها الولد » للغزَّالي وقلائد الذهب للزمخشري وتائية ابن الفارض ومقالات في موسيقى العرب ونشر قصصاً لم تعرف من كتاب الف ليلة وليلة وديوان خلف الاحمر ونظم بالشعر الالماني كلّ ديوان المتنبي . وكتب ايضاً تاريخ فارس ودولها وتاريخ الآداب التركيَّة . ونقل عدَّة مصنَّفات فارسيَّة الى لغتهِ وادار المجلَّات الشرقيَّة فاصبح في بلاده محورًا للآداب الشرقيَّة الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٥٦ . وكان البارون هامر شديد التمسُّك بالدين وكان يقيم صلاتهُ بالعربيَّة وألَّف كتاباً في ذلك . ومجمل القول انهُ يُعَدُّ مع بعض مشاهير عصرهِ كمحيي الآداب الشرقيَّة بين الاوربيين

(الهولنديُّون) سبق لنا وصف همتهم في درس اللغات الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً . ودونك اسماء بعض الذين ازهروا في الطور الذي نحن في صددهِ

اشهرهم ثاودور جوينبول (T. G. J. Juynboll) ولد سنة ١٨٠٢ ودخل في سلك خدمة الدين في بلادهِ وكان متضلعاً باللغة العربيَّة متقناً لتاريخ دول الشرق وآدابهم . فعلَّم اللغة العربيَّة في مدارس مختلفة حتى صار من اساتذة كلية ليدن الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٦١ . ومن آثارهِ انهُ نشر قصائد المتنبي وشعراء زمانهِ في مدح سيف الدولة واضاف اليهِ ترجمةً لاتينية . ونشر ايضاً كتاب الجبال والامكنة والمياه للزمخشري وسفر يشوع بن نون عن النسخة السامريَّة ونقلهُ الى اللاتينية . وكذلك نشر كتاب مراصد الاطّلاع الذي هو مختصر معجم البلدان لياقوت الحمويّ . وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة مع مساعدة احد المستشرقين الهولنديين المدعو بنيامين ماتّس (B. J. Matthes) وقد اجتمع ببعض ادباء وطنهِ فنشروا مجموعاً

دعوه بالشرقيَّات (Orientalia) ومن مآثرهِ ايضاً مقالة في الترجمة العربية السامريَّة المحفوظة في مخطوطات باريس . وكان لجوينبول ابن تقفَّى خطوات والدهِ فاشتهر ايضاً بعلومهِ الشرقية اسمهُ ابراهيم وليلم (A. W. Juynboll) عاش بعدهُ نحو عشرين سنة ونشر كتاب التنبيه في الفقه الشافعي لابي اسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ونقلهُ الى اللاتينية وقدَّم عليهِ المقدَّمات الحسنة وكذلك عُني سنة ١٨٦١ بطبع كتاب البلدان لاحمد بن ابي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي

ومن معاصري جوينبول الاستاذ تاكو رورْدا (T. Roorda) احد افاضل الهولنديين الذين عُرفوا بالهمَّة والثبات . باشر سنة ١٨٢٥ منشوراتهِ الشرقية بدرس اخبار ابي العبَّاس احمد ابن طولون والدولة الطولونية ثمَّ ألَّف كتاباً في قواعد العربيَّة وشرحهُ باللاتينية والحقهُ بمنتخبات ومعجم . وقد ساعد جوينبول في نشر مقالاتهِ الشرقية المارّ ذكرها . توفي رورْدا نحو السنة ١٨٦٥

ومنهم ايضاً هندريك ڤايرس (H. F. Weijers) لهُ كتابات حسنة في شرقيات جوينبول المذكورة آنفاً ثمَّ اتَّسع في وصف كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان ونشر مع احد مواطنيهِ الدكتور مورسنغ (A. Meursinge) كتاب درَّة الاسلاك في دولة الاتراك لابي الحسن بن عمرو بن حبيب واشتغل بوصف مخطوطات مكتبة ليدن الغنيَّة بكنوزها الادبية . ولا نعرف سنة وفاة ڤايرس كما اننا لم نقف على اخبار مورسنغ الذي كان نشر قبل ذلك كتاب طبقات المفسّرين للسيوطي

(الانكليز) اشتهر قليل منهم في هذا الطور بالاداب العربيَّة . اخصّهم وليم كورتون (W. Cureton) ولد سنة ١٨٠٨ وتوفي في لندن سنة ١٨٦٤ كان من خدَمة الدين البروتستاني وتخرَّج في كليَّة اوكسفرد وكان جلُّ اهتمامهِ باللغة السريانيَّة وآدابها . وقد خدم الآداب العربيَّة ببعض المصنَّفات الدينيَّة منها ما نشرهُ سنة ١٨٤٣ من تفاسير تنحوم بن يوسف الاورشليمي على مراثي ارميا النبي وكذلك نشر مقالة في الكهنوت من كتاب مصباح المرشد ليحيي بن حزير (ويروى جرير) التكريتي . ومن آثاره الباقية التي أتقن طبعها كتاب الملل والنحل للشهرستاني نجز طبعهُ في لندن سنة ١٨٤٢ . وكان طبع قبل ذلك عهدة عقيدة اهل السنَّة لحافظ الدين عبدالله بن احمد النسفيّ وهذان الكتابان نُشرا في جملة منشورات أُخرى تولَت طبعها في بريطانيا

شركة طبع التآليف الشرقية (Society for the Publication Oriental Textes) نفعت الدروس الشرقية نفعاً جزيلاً · ومما كانت نشرتهُ رحلة البطريرك الانطاكي مكاريوس التي سبق للمشرق الكلام عنها (٥ : ١٠٠٩) وبهمّة كورتون طُبع ايضاً القسم الاوّل من وصف مخطوطات لندن العربية الذي اتمهُ بعدهُ الطيب الذكر ريو (C. Rieu)

وممن احرزوا لهم بعض الشهرة في الآداب العربيَّة بين الانكليز وليم ناسو ليس (W. Nassau Lees) كان هذا مقدَّماً على جمعية بنغال الاسيويَّة وورث عن خلفهِ ماثيو لومسدن (M. Lumsden) حبهُ للآداب العربيَّة فكان لومسدن افرغ المجهود في تجهيز مطبعة كلكوتّا ونشر فيها مطبوعات مفيدة كمقامات الحريري سنة ١٨٠٩ ونفحة اليمن لاحمد الشرواني سنة ١٨١١ وشرح المعلّقات ومختصر المعاني للقزويني وقاموس المحيط للفيروزابادي وكتب أُخرى اوسعت شهرة تلك المطبعة الهنديَّة. فلمّا قام بعدهُ ليس زاد على خلفهِ نشاطاً واهتمّ بنشر تآليف اوسع واكثر فائدة فطبع تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي ونوادر القليوبي والكشاف للزمخشري وفتوح الشام للواقدي وفتوح الشام للبصري وكشّاف اصطلاحات الفنون لمحمّد علي الفاروقي التهانويّ ونخبة الفكر ونزهة النظر لابن حجر العسقلاني وكان ليس يستعين في تلك المطبوعات ببعض علماء الهند كالمولوي كبير الدين والمولوي عبد الحقّ غلام قادر وكان ايضاً يساعدهُ في نشر تلك المطبوعات المستشرق سپرنغر (A. Sprenger) الوارد ذكره بعد هذا

وقد نشر ايضاً في هذا الزمان الانكليزي هاريس جونس (J. Harris Jones) ذكر فتح الاندلس لابن عبد الحكم القرشيّ المصريّ فطبعهُ في غوتا سنة ١٨٥٨ ونقلهُ الى الانكليزيَّة

(الروسيُّون وغيرهم) كانت حركة الدروس الشرقية خامدةً في روسيّا في اواسط القرن التاسع عشر ثمَّ اخذت الاكادمية الملكية تبعث الهمم وتنشّط العزائم فنشأت بذلك نهضة محمودة وعُقدت بعض الجمعيَّات العلمية لترويج تلك المقاصد وهذه اسماء التآليف العربية التي نُشرت في روسيّا في الطور الذي يشغلنا

نشر منهم الاستاذ غوتولد (J. M. E. Gottwaldt) معجماً للقرآن وللمعلّقات

في قازان سنة ١٨٦٣ ونشر في بطرسبرج تاريخ سني ملوك الارض والانبيـاء تأليف حمزة الاصفهاني ونقلهُ الى اللاتينية — وفي بطرسبرج نشر الاستـاذ كولسون (D. A. Chwolson) سنة ١٨٦٩ كتاب الاعلاق النفيسة لابن دسته (والصواب رسته) وترجمهُ الى الروسية ولهُ ايضاً بحث خطير في آثار الآداب البابلية في كتب العرب سنة ١٨٥٩ في مجلّة بطرسبرج العلمية — واهتمّ الاستاذ اسكندر كريستيانوڤتش (Al. Christia-nowitsch) بالموسيقى العربية فوضع فيها مقالة وزيّنها برسم الآلات الشائعة عند العرب وطبعها في كولونية سنة ١٨٦٣ — وفي هذا الزمان ازهر احد العجم المتنصّرين اسكندر قاسم بك الذي علّم مدّة اللغات الشرقيـة في قازان وبطرسبرج وجعلهُ القيصر من اعضاء الشورى . كان يعرف اللغات التتريّة والفارسيّة والعربيّة وقد نشر في كلها تآليف عديدة ولهُ في العربية مختصر الوقفيّات ورسائل دينية ومقالات لغويّة وفصول تاريخيـة في اخبار الدول الاسلامية

ونشر قنصل الروس في تبريز نيقولا خانيكوف (N. Khanikoff) كتاب ميزان الحكمة للخازنيّ وطبعهُ في المجلّة الشرقيّة الاميركانية سنة ١٨٥٩ وهو سفر جليل في المواليد والفلزّات والجواهر وترجمهُ الى الانكليزيّة

وكذلك (الاسبانيّون) في هذه البرهة من الدهر شعروا بحاجتهم الى درس اللغات الشرقية ولا سيَّما العربيـة لما فيها من الآثار المفيدة لمواطنهم ونال لهم بعض الشهرة وطنيُّهم گاينگوس (Pasc. de Gayangos) الذي نشر في لنـدن ومجريط بعض التآليف العربية منها ترجمة نفح الطيب للمقري في مجلّدين كبيرين ومنهـا وصف قصر الحمراء مع بيان آثارهِ وتفسير كتاباتهِ الحجريّة وكذلك نشر ترجمة كتاب كليلة ودمنـة وتاريخ احمد بن محمد الرازي

اما (الايطاليّون) فانَّ درس اللغات الشرقية كان عندهم منحصرًا في بعض المبادي ولم ينشروا في تلك المدّة من الآثار العربية شيئاً يذكر اللهمَّ الّا الكردينال العظيم انجلو ماي (A. Maï) الذي دخل في الرهبانيّة اليسوعية في العشر الاوَّل من القرن التاسع عشر وتوفق الى الاكتشافات العجيبة التي خلّدت لهُ ذكرًا في العـالم كلّهِ في اعادة الكتابة على الرقوق التي حُكّت نصوصها السابقة (Palimpsestes) . واقامهُ الحبر الاعظم الى رتبة الكرادلة ووكل اليهِ نظارة المكتبة الواتيكانية . وقد نشر في

السريانية والعربية ايضاً بعض ما وجدهُ من الآثار النصرانية واثبتهـا في مجموع مطبوعاتهِ . توفي الكردينـال ماي سنة ١٨٥٤

وممن نلحقهم بهؤلاء المستشرقين بعض المرسلين الذين خدموا بمدارسهم ومنشوراتهم الآداب العربية . فمن اليسوعيين الاب اسكندر بوركنود (A. Bourquenoud) الذي سبق رينان الى درس آثار الشام ووصفها وصفاً مدققاً فمهد الطريق لابحاث رينان الاثريَّة . توفي الاب بوركنود في ١ تشرين الاول من السنة ١٨٦٨ في غزير ومنهم الاب لويس فنيك (+ ١٨٦٨) والاب بولس ريكادونّا (+ ١٨٦٣) ألَّفا في العربية ارشادات وكتباً دينية تقويَّة

اما المرسلون الاميركان فاشتهر بينهم عالي سميث الذي تجوَّل في انحاء الشام ونظَّم احوال الجمعية الاميركية ووسَّع اعمال مطبعتهم وباشر مع الشيخ ناصيف اليازجي ترجمة الكتاب المقـدَّس وقد انجزهُ من بعده الدكتور ڤان ديك . توفي عالي سميث سنة ١٨٥٧ وكان منهم ايضاً هنري دي فورست (H. de Forest) وادورد سالسبوري (Ed. Salisbury) ولكليهما مآثر حسنة من تاريخ وجغرافيـة وعادات ووصف اديان نشراها في المجلَّة الشرقية الاميركانيـة (Journal of the American Oriental Society) وكانت هذه المجلة صدرت سنة ١٨٥٠ فاخذت تباري بمقالاتها المجلّات التي تقدَّمتها

وبهذا النظر الاجمالي نختم تاريخ الآداب العربية في طورهـا الثالث من القرن التاسع عشر وبهِ ايضاً ختام القسم الاوَّل من تأليفنا هذا الذي جمعناهُ في كتاب مستقلّ والحقناهُ بفهرس الأُدباء الذين اوردنا ذكرهم في مطاوي كلامنا

فهرس

للجزء الاوَّل من كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر

فهرس

اعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

١ الادباء المسلمون

٢ الادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

اسماء المستشرقين بالافرنسية

TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 1re partie de l'ouvrage.

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في الكتاب

بعض اصلاحات

الصفحة ٤ س ٤ (جرجس شهاب واخوه) اشتهرا عند اولاد الامير يوسف وهم الامراء حسين وسعد الدين وسليم الذين كانوا يزاحمون الامير بشير في الحكم . اما الذين اشتهروا عند الامير بشير فهم الشيخ سلوم الدحداح وابنهُ الشيخ منصور ثم الشاعر بطرس كرامه

ص٥ س١٧ (يوسف اسطفان) انشأ مدرسة عين ورقة قبل ان يصير بطريركًا

ص٧ س٢٣ (الرهبانيَّة الدومنيكية) والصواب ان ريمند لول كان من الرهبانيَّة الفرنسيسية

ص١٠ س١ (من الفرنسويين) والصواب «من غير الفرنسويين»

ص١٤ س١٨ (ابن اخيهِ) السلطان مصطفى الرابع هو ابن عم سليم خان الثالث

ص٢١ س٢١ (ص٢٤٤) والصواب (ص٤) وكذا تصلح ص٢٦ س٢١

ص٢٦ س٢٤ (محمد الحفني) أَصلح (محمد الحنفي)

ص٢٧ س١١ (بلَغة الى السنة ١٢٣٦) قد وجدنا آخرًا نسخة من هذا التاريخ تنتهي اخبارها في السنة ١٢١٨ (١٨٠٣)

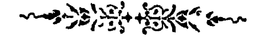
ص ٣٠ س١٧ (ص٤١٣) اصلح (ص١٧)

ص٤٥ س١ (ص٢٤٥) اصلح (ص٦٥و) — س٧ و٨ (حسن يوسف الشهاب) والصواب (حسن شقيق الامير بشير الشهابي)

ص٤٦ س١٣ (مدرسة عرمون) هي المدرسة المعروفة بمار عبدا هرهريَّا — س١٧ (المطران يوسف مسعد) والصواب (بولس مسعد)

D'autre part l'Orientalisme a joui durant le dernier siècle d'une faveur toujours croissante. De la France où les de Sacy, les Langlois, les Quatremère lui imprimèrent une impulsion si vive, il se propagea en Allemagne, en Hollande et jusqu'aux confins de l'Europe.

Cette époque, on le voit, n'est pas la moins intéressante pour l'histoire des études orientales. L'Europe et l'Orient y figurent ensemble pour la première fois et voient leurs communs efforts couronnés de succès. A elle seule cette période réclamerait une histoire indépendante et c'est pour y contribuer dans une faible mesure que nous avons réuni ici, en les complétant, une quinzaine d'articles sur la littérature arabe au XIX° siècle parus dans notre Revue al-Machriq. Ce n'est qu'une première partie qui embrasse les trois premiers quarts du siècle; elle sera suivie prochainement d'une seconde qui comprendra le reste du siecle avec les commencements du vingtième. Nous les offrons l'une et l'autre aux Orientalistes du Congres de Copenhague qui voudront bien se souvenir que ces pages ont été écrites surtout pour les Orientaux. Nous espérons néanmoins qu'elles pourront leur être de quelque utilité pour un ouvrage plus considérable que nous leur souhaitons d'entreprendre. Les nombreuses recherches qu'il nous a fallu faire pour tirer de l'oubli plusieurs personnages leur serviront de jalons pour ce travail ulterieur. C'est là notre unique ambition.



PRÉFACE

L'Histoire de la Littérature arabe reste toujours à faire. Les ouvrages parus sur ce sujet, malgré leur mérite réel, ne sont encore que des pierres d'attente ou des matériaux pour un édifice plus considérable que tout le monde désire. Hammer en Autriche, Brockelmann en Allemagne, Huart en France, Arbuthnot et Nicholson en Angleterre, Pizzi en Italie et Guirgas en Russie ont abordé cette question, mais n'ont abouti jusqu'ici qu'à nous donner une série de notices d'auteurs, des nomenclatures bibliographiques plus ou moins étendues, ou des esquisses rapides et par trop succinctes. Une véritable histoire littéraire exige autre chose. Il faudrait remonter aux origines de la langue, étudier ses monuments, suivre pas à pas sa formation, ses progrès, ses modifications multiples, ses manifestations diverses à toutes les époques et dans les nombreux pays de la domination arabe, jusqu'a sa décadence au XV^e^ siècle.

Une telle œuvre dépasserait sans doute les forces d'un seul homme; mais plus d'une Société Asiatique pourrait l'entreprendre et la mener à bonne fin. Ce serait là un service signalé rendu aux Lettres Orientales. Cette œuvre devra nécessairement avoir un corollaire; ce sera l'histoire de l'Orientalisme, et tout particulièrement de la renaissance des études arabes, au XIX^e^ siècle. Tel a été en effet l'essor donné à l'arabe depuis cent ans, que cette langue est entrée dans une phase toute nouvelle. De nombreuses écoles ont surgi sur tous les points de l'Orient, et avec elles toute une pépinière de savants, grammairiens, littérateurs, poètes, publicistes de toute sorte qui ont enrichi la langue arabe d'une longue série d'ouvrages. Le zèle intelligent des Missionnaires a été pour une grande part dans ce mouvement. Non contents d'être auprès des Orientaux les pionniers de la civilisation europénne, il se sont efforcés de leur faire apprécier leur langue et de leur en faciliter l'étude. L'Imprimerie leur prêta un admirable concours pour la diffusion de nombreux manuels classiques et d'autres publications importantes. Grâce à leur activité et à celle des élèves qui se formèrent sous leur conduite, des Journaux, des Périodiques contribuèrent à étendre et à développer le goût de l'arabe.

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1re partie

de 1800 à 1870



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1908

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIX^e SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

1re partie

de 1800 à 1870

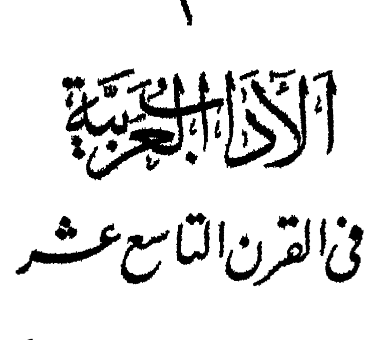


BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1908

٣



للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الآداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

نقلًا عن مجلّة المشرق

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٠

يظهر في هذا القريب

كتاب الحماسة

تأليف ابي عُبادة الوليد بن عبيد البحتري عفا الله عنه

اختارهُ من اشعار العرب للفتح بن خاقان
معارضةً لكتاب الحماسة الذي ألَّفهُ ابو تمَّام حبيب بن اوس الطائي
رحمهما الله وعفا عنهما

رواية ابي العبَّاس احمد بن محمَّد المعروف بابن ابي خالد الأحوَل عن ابيه عن البُحتُري
رحمهُ الله

برسم الخزانة السعيديَّة العلوية الأجلَّية الفخريَّة عمَّدها الله ببقاء الأمد

نقله عن النسخة الوحيدة المحفوظة في مكتبة كليَّة ليَدِن
واعتنى بضبطه بالشكل الكامل وتدوين فهارسه

الاب لويس شيخو اليسوعي

يُباع [illegible] المكتب الشرقي ([illegible]nges de la Faculté O[illegible]entale)
[illegible] بيروت ومن اشهر مكاتب الشرق

ثمن النسخة [illegible] الشروح والروايات ([illegible] ص) ١٤ فرنكاً

Edition s[illegible]le pour les Orientalistes avec V[illegible]antes et Notes cr[illegible]
25 Fr. la so[illegible]



للاب لويس شيخو اليسوعي مدير مجلّة المشرق
ومدرّس الاداب العربية في المكتب الشرقي اللاحق بكلية القديس يوسف

الجزء الثاني

من السنة ١٨٧٠ الى ١٩٠٠

نقلاً عن مجلة المشرق

طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت
سنة ١٩١٠

تنبيه

قد جمعنا في هذا القسم الثاني خلاصة تاريخ الآداب العربيّة في الثلث الاخير من القرن السابق تتمّة لما باشرنا فيهِ قبلًا . وكان فكرنا ان نردفهُ بنظر اجمالي في احوال الآداب في العشر الاوَّل من القرن الحاضر لكنَّا أجّلنا العمل لفرصة اخرى وانَّما ذكرنا استطرادًا بعض ادباء القرن العشرين لِما كان بينهم وبين زملائهم السابقين من العلاقة وكذلك ألحقنا الكتاب بنبذتين تتضمَّان كثيرًا من اقوال الشعراء العصريين في الدستور واحداث الانقلاب العثماني الاخير وناهيك بهما مثالًا عن النظم المستحدث والانشاء الجديد . وقد ختمنا الكتاب كمألوف عادتنا بفهارس واسعة

هذا ونحن نعلم حقّ العلم انّ في تأليفنا الحاضر شوائب كثيرة لما كان يستلزمهُ العمل من الابحاث الطويلة مع قصر وقتنا وكثرة اشغالنا وتفرُّق الموادّ وقلّة ما كُتب الى يومنا عن ادباء القرن الماضي . فلا جرم انهُ فاتتنا امور شتَّى كان حقّها ان تُذكر في جملة مرويَّاتنا . فان شاء الله نسدُّ هذا الخلل في طبعة ثانية . ولنا الامل الوطيد بانَّ اصحاب النَّقد يوقفوننا على ما يؤدي بنا الى اصلاح العمل وزيادة تحسينهِ ولهم الشكر سلفاً

ل . ش

الآداب العربيّة

في

القرن التاسع

الجزء الثاني

الفصل الأوّل

الآداب العربيّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

جرينا شوطاً اوّل في عدّة مقالات كتبناها عن آداب القرن السابق فأدّى بنا سيرنا الى السنة ١٨٧٠ فوقفنا عند ذلك الحدّ مدّةً ريثما نجمع قوانا فنواصل الجري في هذا الميدان وهو لعمري مجال جديد يتسع امامنا فتتوفّر ركبانهُ وتنمو فتفوت الاحصاء فرسانهُ. ولولا ثقتنا بلطف القرّاء واملنا بغضّهم النظر عن قصورنا لكفّفنا القلم واوقفنا اليراع لئلّا يشرد بنا عن سواء السبيل. فنستأنف العمل مع تكرار الرجاء بان يمدّ الينا الادباء يد الاسعاف وينبهوا فكرنا الى ما نسهو عن ذكرهِ ويصلحوا ما يرونهُ مخالفاً للواقع ليأتي هذا القسم اوفى بالمرام. ان شاء الله

كانت السنة ١٨٧٠ مفتتح طور جديد في تاريخ نهضة الآداب العربيّة فانّ في تلك السنة جرت امورٌ خطيرة قلبت بطناً لظهر احوال الدول الاوربيّة فكان لها فعل انعكاس في انحاء الشرق فقامت العقول من رقدتها واستيقظت الافكار بعد سِنَتها فانّ دويّ الحرب السبعينيَّة طرق آذان الشرقيين فأسمعهم اصواتاً ما اعتادت عليها مسامعهم فرأوا في طلب الآداب ودرس العلوم سدّاً لخللهم ومنجاةً من خمولهم. وكان السلام سائداً والامن متوطداً في المالك المحروسة لا شيء يعوق رعاياها عن ترويج الآداب وانفاق سوقها لا سيما سوريّة ولبنان فان الدعة والسكينة كانت قد مدّت عليه رواقها بعد نكبة السنة ١٨٦٠ واخذت الشبيبة تترعرع وهمّها الاعظم الترقي في معارج التمدن

وعُقد في ذلك العام المجمع الواتيكاني وفيه رأى ارباب الدين الشرقيون ترقي اخوتهم الغربيين في العلوم فاحبُّوا مجاراتهم في ذلك المجال الشريف . وقد ساعدهم في تحقيق امانيهم المرسلون اللاتينيون الذين تضاعف عددهم في هذه البلاد فأخذوا يجدُّون ويسعون بما عُرفوا بهِ من علو الهمم ليبعثوا في الاحداث الغيرة على احراز المعارف . وكذلك المرسلون الاميركان فانَّهم افرغوا كنانة الجهد ليزرعوا في قلوب الشبان بذور المعارف والعلوم المستجدَّة . ويا حبَّذا لو اقتصروا على هذه الغاية الشريفة ولم يتَّخذوا العلم وسيلةً لتقويض المبادئ الصحيحة ومناواة الدين القويم

ومما نُخصّ بهِ هذا الطور الذي نحن في صدده انشاء مدارس عامرة لم يسبق لها مثيل في الزمن السابق اخصُّها الكليَّة الاميركيَّة التي خرجت في ذلك الوقت من قماطات مهدها فشرع اساتذتها وفي مقدمتهم الدكتور ڤان ديك في تأليف او تعريب قسم كبير من الكتب العلميَّة قدوةً بالشيخ الطهطاويّ بمصر ففتحت ترجمتها بابًا جديدًا طرقهُ الشرقيون لاحراز العلوم العصريَّة . وكانت المطبعة الاميركيَّة تذلّل لهم الصعاب في نشرها وبقيت تلك المطبوعات عهدًا طويلًا كاساس التعليم في الكليَّة الاميركيَّة وبعض المدارس الوطنيَّة حتى بعد قصورها عن بلوغ غايتها لاتساع نطاق العلوم سنةً بعد سنة فبقيت على نقصها حتى اضطرَّت عمدة المدرسة الاميركيَّة الى استئناف التدريس باللغة الانكليزيَّة

وكان النجاح الذي فاز بهِ اصحاب الكليَّة الاميركيَّة باعثًا للكاثوليك على مزاحمتهم ليصونوا ابناء مللهم من الاضاليل البروتستانيَّة . وكان اليسوعيون اوَّل من تحفَّز لمناهضتهم فعزَّزوا مدارسهم الثانويَّة في غزير وبيروت وصيداء ثم جعلوا يطلبون ما هو انجع وسيلة لبلوغ اربهم بانشاء كليَّة في بيروت تباري كليَّة الاميركان وتقدّم لابناء المشرق مناهل العلوم صافيةً من كل رنقٍ يكدّرها . فما لبثت بعد اربع سنوات ان تشيَّدت ابنية كليتنا الكاثوليكيَّة ونُقلت اليها مدرسة غزير سنة ١٨٧٤ فنالت من كرم الكرسي الرسوليّ كل انعامات الكليَّات بمنح شهادات العلوم الدينيَّة لمستحقيها كما انَّ الدولة الفرنسويَّة اعتبرت شهاداتها بمثابة الشهادات الممنوحة في فرنسة لذويها

وفي سنة ١٨٧٠ نشر الآباء اليسوعيون جريدتهم البشير لمناضلة النشرة الاسبوعيَّة فكان لها رواج كبير ولم تزل تتحسن وتتحسن حينًا بعد حين . وها قد مرَّ عليها اليوم نحو

٤٠ سنة وهي تدافع عن الدين مدافعة الابطال فصارت لسان حال الكثلكة يرجع اليها ارباب الطوائف الكاثوليكيّة بامرهم

وفي هذه المدّة ايضاً ترقّت المطبعة الكاثوليكيّة بهمّة رئيسها الهمام الاب امبرواز مونو الذي لم يشأ ان تتخلّف عن المطبعة الاميركيّة في شيء فاستجلب لها الادوات الجديدة وجهّزها بالمخترعات المستحدثة وارسل احد رهبانهِ الطيب الذكر الاخ الياس ماري الى عواصم اوربّة ليدرس فنّ الطباعة على احذق الطبّاعين فاخذ عنهم الاكتشافات الحديثة واستعان بها على تحسين الطباعة الشرقيّة في مطبعتنا ومطابع البلدة. وكذلك تعلّم غيره من رهباننا فنّ الحفر وسبك الحروف واصطناع امهاتها فاغنوا المطابع باشكال جديدة من الحروف العربيّة والسريانيّة وغيرها

وتعددت المطبوعات الدينيّة والعلميّة التي ظهرت في تلك الاثناء من مطبعتنا وكان اجودها حرفًا واتقنها طبعًا الكتاب المقدس في ثلاثة مجلّدات مزينًا بالتصاوير والنقوش وكان الآباء المرسلون لم يدّخروا وسعًا في تعريبهِ عن اللغتين الاصليّتين العبرانيّة واليونانية ساعدهم في تصحيح عبارة الترجمة وتثقيفها اللغوي البارع المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي. ثم اخذ مديرو المطبعة الكاثوليكيّة يهتمّون بالكتب المدرسيّة وكانت قبلهم عزيزة جدًّا لا يصل اليها الاحداث الّا بعد شقّ النفس فتوفّرت الكتب التعليميّة وزادت بذلك مدارس الشرق ترقيًا ونجاحًا

وكانت بقيّة الرسالات اللاتينية تسير سيرها الحثيث في نشر الآداب فاللعازريون كانوا يكسبون ثقة الاهلين بحسن تعليمهم وتهذيبهم في مدرسة عين طورا ثم فتحوا في هذه الاثناء مدرسة اخرى في دمشق لا تزال عامرة. وكذلك الآباء الفرنسيسيون فتحوا مدرسة ثانويّة في حلب علّموا فيها اللغات واصول الآداب

ولم تتأخر الطوائف الشرقيّة في هذه الحلبة. فانه تعيَّن سنة ١٨٧٢ لكرسي بيروت على الموارنة بعد الطيّب الذكر طوبيًّا عون احد رجال العلم والعمل السيّد المبرور يوسف الدبس فافرغ الوسع في ترقية ابناء رعيتهِ في معارج التمدن ففتح لهم في بيروت سنة ١٨٧٤ مدرسة الحكمة الشهيرة التي نمت فروعها وبسقت افنانها وينعت ثمارها الى يومنا هذا وكثير من المتخرجين فيها يتقلّدون الآن المناصب الحسنة ويخدمون وطنهم بنشاط عظيم. ومن مساعيهِ الطيبة لتوسيع نطاق الآداب مطبعته العموميّة الكاثوليكية التي

اشتراها من يوسف الشلفون شركةً مع رزق الله خضرا فنشر فيهـا مجموعاً واسعاً من المطبوعات الدينيَّة والادبيَّة والمدرسيَّة منها قسمٌ كبير من قلمهِ

وفي هذه المدة ثبت قدم جمعيَّة المرسلين اللبنانيين التي أسسها المطران يوحنَّا حبيب سنة ١٨٦٥ فاخذت تزداد عدداً وفضلاً بهمَّة منشئها الفاضل

اما الروم الكاثوليك فانَّ مدرستهم البطريركيَّة بلغت في هذه الآونة اوج عزّهـا بحسن ادارة رؤسائها وشهرة اساتذتها . وكان جلّ اهتمامها اتقان اللغة العربيَّة بفروعها . وعُني السيد البطريرك غريغوريوس يوسف بانشاء مدرسة أُخرى لابناء طائفتهِ في دمشق فسلَّم ادارتها لكهنة افاضل احكموا تدبيرها

وفي هذا الطور أُنشئت مطابع جديدة كالمطبعة السليميَّة لسليم افنـدي مدوَّر ومطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثذكس ومطبعة جمعيَّـة الفنون . وقد ظهرت في كل هذه المطابع تآليف متعدّدة نشرنا في المشرق اسماءها . وكذلك الجرائد والمجلّات فقد أُنشئ منها ما راجت سوقهُ وكان الادباء في ذلك الوقت حاصلين على حرّيتهم لا يعيقهم في نشر المطبوعات عائق الراقبـة . والجرائد تروي الاخبار كما تشاء لا يُعترَضُ عليها الّا اذا خرجت عن طورها وتعدَّت حدودها . وقد سبق لنا ذكر مجلة الجنان التي انشأها المعلم بطرس البستاني وعهد بتحريرها الى ابنهِ سليم سنـة ١٨٧٠ وفيها باشر بجريدتين الواحدة اسبوعيَّة وهي الجنَّة والثانية يوميَّة دعاها الجنينة وهذه الاخيرة لم تطل مدَّتها . امَّا الأُوليان فاشتغلتا خمس عشرة سنة فاكسبتا الاسرة البستانيَّة شهرة بفصولهما . وقد أُنشئت سنة ١٨٧٤ جريدة ثمرات الفنون لصاحبهـا صاحب السعادة عبد القادر افندي القبَّاني فخدمت مصالح الأمَّة الاسلاميَّة بلا ملل الى عامنـا الحاضر وبعدها بسنتين شرع الادباء شاهين ابكاريوس ويعقوب صرُّوف وفارس نمر من تلامذة الكليَّة الاميركيَة ينشرون مجلَّة علميَّة صناعية زراعية دعوها المقتطف واودعوها كثيراً من المقالات العلميَّة وغيرها وبقيت تُطبع في بيروت الى ان نُزعت عن الجرائد حرّيتها فانتقل محرّروها الى مصر وجروا فيها على خطَّتهم الحرَّة الى هذه السنة وهي الرابعة والثلاثون من اوَّل ظهورها . وفي هـذه المجلة من المنافع ما لا يُنكر لولا انَّ كتبتها صوَّبوا غير مرَّة سهامهم للتعاليم الدينيَّـة والفلسفيَّة ونسبوا الى العلم ما هو بريءٌ منهُ كما بيَّنَّا لهم الامر احياناً عديدة في جريدة البشير ومجلة المشرق

امّا في بلاد الشرق خارجاً عن الشام فانَّ الآداب العربيَّة فيها لم تَخطُ خطوةً كبيرة في هذه السنين العشر فلا نرى لها من المنشآت ما يستحقُّ الذكر. وانّما كانت المطابع المصريّة وخصوصاً مطبعة بولاق تواصل اشغالها فتنشر من التآليف القديمة ما كان يحبّب الى الادباء درس اللغة واحراز فوائدها. وكذلك الاستانة العلية فان صاحب الجوائب الذي مرَّ لنا ذكرهُ نشر في مطبعته قسماً حسناً من التآليف العربية القديمة كديوان البحتريّ وادب الدنيا والدين وبعض مصنّفات الثعالبي. ومثلهُ الخوري يوسف داود في مطبعة الدومنيكان في الموصل فانهُ نشر هناك فضلًا عن الكتب الدينية عدَّة تآليف حسنة عزَّزت في القلوب محبة الآثار العربيَّة

وفي هذا الطور أُصيبت الآداب العربية ببعض التأخر في الاصقاع الاوربية لما حدث فيها من المنازعات والاضطرابات السياسية. لكن هذه الحال لم تَدُمْ مدَّةً طويلة لانَّ الامور بعد زمنٍ اخذت في السكون والهدوء وعاد العلماء الى دروسهم بل اتَّسع نطاقها فامتدَّت في المانية وانكلترَّة وأُنشئت كليات جديدة كان للغة العربية فيها الحصّة المشكورة. وقد شُكِّلت جمعيَّات شرقية في ايطالية والنمسة بعثت همم اهلها على الدروس الشرقية فانتشرت بذلك الآداب العربية. وكانت المطابع الاوربيَّة تغني كل يوم لغتنا بمطبوعات يخرجها المستشرقون من دفائنها ويحيونها بعد موتها نخصّ منها بالذكر مطبعة ليدن في هولندة التي ابرزت قسماً كبيرًا من اجود تآليف قدماء العرب

بعض مشاهير الادباء المسلمين في هذا الطور

كانت العلوم العربية في هذا الطور ارقى شأنًا عند النصارى منها عند المسلمين وانّما اشتهر بين هؤلاء بعض الافراد تعاطوا الفنون الادبية من شعر ونثر وخلّفوا منها آثارًا طيّبة وها نحن نذكرهم على سياق سني وفاتهم تنويهًا بفضلهم

(رفاعة بك الطهطاويّ) كان رفاعة بك من اشراف طهطا من مدن الصعيد ويرتقي نسبهُ الى فاطمة الزهراء . وُلد سنة ١٢١٦ (١٨٠١) كان [illegible] اسرته فذاق في حداثته [illegible] بعد وفاة والده [illegible] سنة ١٢٢٣ (١٨٠٧) وانتظم في سلك طلبة الازهر [illegible] برغبة حتى [illegible] واحبَّهُ اساتذته لاجتهادهِ وقدَّموهُ [illegible]

فأرسلهُ مع غيرهِ من الشبان الى فرنسة ليتلقّوا فيها العلوم الاوربية فدرس اللغة الفرنسويّة حتى احسن فهمها واستقى من مناهل المعارف الغربية ما استلفت اليهِ الانظار ونقل كتاباً افرنسياً وسمهُ « بقلائد المفاخر في غرائب عوائد الاوائل والاواخر » فكان ذلك داعياً لترقيتهِ في المناصب فقلّده محمد علي وظيفة الترجمة في المكتب الطبّي الذي انشأهُ في جوار القاهرة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦م) فنقل الى العربية عدّة تآليف افرنجيّة مستحدثة ثم عرّب في مدرسة الطوبجية كتباً هندسيّة وغيرها. وفي ١٢٥١ (١٨٣٥) ندبهُ صاحب مصر الى رئاسة مدرسة الالسن الاجنبية التي عُرفت بمدرسة الترجمة فاحسن تدبيرها حتى بلّغ عدد تلامذتها ٢٥٠ . فجازاهُ الخديوي بمنحهِ رتبة قائمقام ثم رتبة اميرالاي وأُرسل مدّةً الى الخرطوم لنظارة مدرستها وتولّى نظارة المدرسة الحربية في مصر. ولم يزل يتقلّب في المناصب وادارة المدارس والتعليم والكتابة . وكان رفاعة بك لا ينقطع يوماً عن التأليف او الترجمة. وهو الذي باشر انشاء اوّل جريدة عربية في بلاد الشرق وهي الوقائع المصرية سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢). وتولّى في آخر حياتهِ ادارة جريدة روضة المدارس. ولرفاعة بك نحو عشرين كتاباً بعضهــا من تأليفهِ كرحلتهِ الى باريس ومباهج الالباب المصرية وكتاب تاريخ مصر الحديث واكثرها من ترجمتهِ كجغرافيــة ملطبرون واخبار تليماك وهندسة ساسير ورسائل طبيّة ولهُ غير ذلك من التآليف والمقــالات والمنظومات التي لم يُطبع منها الّا القليل. وقد رأيناه كثير التصرُّف في ترجمــة كتبهِ الّا انهُ سبق اهل وطنهِ بتعريب التآليف الغربية فنال فضلًا بتقدُّمهِ. وكانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) فرثاهُ الحاج مصطفى انطاكي الحلبي بقصيدة مطلعها:

ألا ما لطرف المجد دامٍ ودامعُ على وجنة العلياء هامٍ وهامعُ

الى ان قال مشيرًا الى فهمي افندي نجل المتوفّى :

وكادت تميدُ الارضُ لو لم يكن جا لهُ خلفٌ يحيي المــآثرَ بارعُ

(عبد الغفّار الاخرس) هو السيد عبد الغفار ابن السيد عبد الواحد من مشاهير شعراء العراق كان مولده في الموصل بعد السنة ١٢٢٠ (١٨٠٥م) ثمَّ نشأ في بغــداد واتخذها موطناً وسكن جانب الكرخ وقرأ على الشيخ الالوسي كتاب سيبويه فاعطاه بهِ اجازة ثمَّ درس العلوم العقليّة والفنون العربيّة فاتقنها وتعــاطى فنَّ الشعر فاجاد بهِ كل الاجادة حتى ان صاحب كتاب المسك الاذفر قال عنهُ انَّ اليهِ كانت النهاية في

دقة الشعر ولطافتهِ وحلاوتهِ وعذوبتهِ. وكان مع ذلك في لسانهِ تلعثم وثقـل فدُعي بالاخرس لسببهِ. قيل انهُ في شبابهِ كتب الى داود باشا والي العراق ابياتاً يسألهُ فيها ان يأمر بمعالجة لسانهِ قائلًا:

انَّ اياديك منـك سابقةٌ عليَّ قدماً في سالف الحُقُبِ
هذا لساني يعوقـهُ ثقلٌ وذاك عندي من اعظم النُّوَبِ
فلو تسببتَ في معـالجتي لَنلتَ اجرًا بذلك السببِ
وليس لي حرفـةٌ سوى ادبٍ جمٍّ ونظم القريض والخطبِ
من بعـد داودَ لا حُرمتُ منىً فقلت قـد مضت دولةُ الادبِ

فارسلهُ الوالي الى بعض اطباء الهند فقال لهُ: انا اعالج لسانك بدواء امَّا ان ينطلق وامَّا ان يُلحقك بمن مضى من سالف الجدود. فأبى ولم يرضَ بدوائهِ وقال: لا ابيع كلّي ببعضي. وكرّ راجعاً الى بغداد. وكان يتردَّد الى البصرة لما عرف في اهلهـا من السخاء ومحبة الغرباء ولهُ مدائح في اكثر اعيانها وفضلائها وبهـا كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣م) كما ورد في مقدمة ديوانهِ وفي سنة ١٢٩١ على رواية السيد نعمان الالوسي. وكان لهُ شعر كثير متفرّق جمعهُ احمد عزَّت باشا العمري بعد وفاة صاحبهِ وقـد طُبع هذا الديوان في مطبعة الجوائب سنـة ١٣٠٤ (١٨٨٦م). فمن شعره قولهُ يصف سفره من البصرة الى بغداد على سفينة بخاريَّة:

قـد ركبنا بمركب الدخانِ وبلغنـا بهِ اقاصي الاماني
حيث دارت افلاكهُ واستدارت فهي مثـل الافلاك بالدورانِ
ثمَّ سرنـا والطير يحسدنا بالامسِ لأسراعنـا على الطيرانِ
يخفق البحر رهـةً حين يجري والذي فيهِ كائنٌ في امـانِ
كلَّـما ابعد البخارُ بمسرًى قرَّب السيرُ بُعْدَ كلّ مكانِ
أتقنت صُنعَـهُ فطانةُ قومٍ وصفوهم بدقَّة الاذهانِ
مـا اراها بالفكر الّا اناساً نَقِيتْ من بقيّة اليونانِ
ابرزوا بالعقول كل عجيبٍ ما وجدناهُ في قديم الزمـانِ
وبنوا للعلى مباني علاهٍ عاجزٌ عنها صاحب الايوانِ
فلهم (١ في الرهانِ علمٌ وفخرٌ ومقـامٌ يعلو على كيوانِ

وقد نظم السيد الاخرس قصائد عديدة في مدح عبد الباقي افندي الفاروقي. ورثاه بعـد موتهِ بقصيدة اوّلها:

(١) وفي الاصل: فهموا وهو تصحيف. وكذلك "م. تصحَّف "بيت اساس" فاصلحناه

مالي اودّع كل يومٍ صاحباً اذ لا تلاقي بعد طول فراقِ
وأُصارم الاحبابَ لا عن جفوةٍ مني ولا متعرّضاً لشقاقِ
فارقتُهم ومدامعي منهلَّةٌ وجوانحي للبين في احراقِ

الى ان قال:

فارقتُ اذكى العالمينَ قريحةً واجلَّها فضلًا على الاطلاقِ
وفقدتُ مستَنَدَ الرجال اذا روت ضبةُ الثقاتُ مكارمَ الاخلاقِ
قد كان منتجعي وشرعةَ منهلي ومناطُ فخري وارتياد نياقي
كانت لهُ الايدي يطوّقني جسا منناً هي الاطواقُ في الاعناقِ

وختمها بقولهِ:

رزءٌ أُصيب بهِ العراق فأرّخوا رزء العراقِ بموت عبد الباقي (١٢٧٨)

وقال مودّعاً بعض الكرام اسمهُ يوسف:

مولاي قد حان الوداع وقد عزمتُ على المسيرِ
كم زرتُ حضرتك التي ما زلتُ منها في حبورِ
ورجعت منك بنائلٍ غمرٍ وبالخير الكثيرِ
والله يعلمُ انني من شكر فضلك في قصورِ
يا مفردًا في عصرهِ بالفضل معدومَ النظيرِ
يا يوسفُ البدر الذي يسمو على البدر المنيرِ
ما لي بغيرك حاجةٌ كفى الخطير عن الحقيرِ
وسواك يا مولاي لا واللهِ يخطرُ في ضميري
ما كل ورّادٍ يفو زُ بمورد العذب النميرِ
لا زلتَ اهلًا للجميل مدى الليالي والشهورِ

ومما لم نجدهُ في ديوانهِ تخميسٌ لابيات قالها عبد الباقي العمري في قاضٍ جائر:

ألا قطع الرحمٰن كلّ مقاطعٍ مضرّ بما يقضي بهِ غيرِ نافعِ
وراضٍ بظلمٍ طامعٍ غير قانعٍ وقاضٍ يجور ما لهُ من مُضارعِ
على انهُ بالمسفِ اقطعُ من ماضِ

فكم قد جنى في حكمهِ من جنايةٍ وقد راح في غيّ لهُ وغوايةِ
فلا رُدَّ قاضٍ ما اهتدى لهدايةٍ قضى ومضى لكن الى كلّ غايةِ
من الخزي لا يحظى بها ابدًا قاضِ

بُلينا بقاضٍ جائر غير عادلٍ يجورُ بحكمٍ قاصرٍ غير طائلِ
ومن اعظم البلوى بلاءٌ بجاهلٍ يقولونَ يقضي قلتُ لكن بباطلِ
وقالوا يقصُّ الحقَّ قلتُ بمقراضِ

(الحاج عمر الانسيّ) ولما كانت مصر تفتخر بطهطاويّها والعراق بآلوسيها كانت بيروت تأنس بانسيّها الحاج عمر سليل اسرة شريفة اشتهر لقبها بالصقعان. وُلد الانسيّ سنة ١٢٣٧ (١٨٢٢ م) في بيروت واخذ العلوم عن الشيخين محمّـد الحوت وعبد الله خالد وقد قلّدتهُ الحكومة السنيّة عدّة مناصب كنظارة النفوس في لبنـان وعضويّة مجلس ادارة بيروت ومديريّة حيفاء ونيابة صور وبقاع العزيز تقلّب فيهـا كلها واظهر فيها درايةً وعفّة نفس وعلوّ همّة. وكانت وفاته في وطنهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م). وقد وصفهُ مَن عرفهُ بحُسن المعشر وانس المحضر والصـدق والاستقامة. وكان فصيح اللفظ طلق اللسان حسن النظم ولهُ مصنَّفات منها ديوان شعرهِ الموسوم بالمورد العذب طُبع في بيروت سنة ١٣١٣ (١٨٩٥ م) بهمّة نجلهِ السيّد عبد الرحمن افندي. وقد كان بينهُ وبين الشيخ ناصيف اليازجي مكاتبات. ومما مدحهُ بهِ الشيخ قولهُ من ابياتٍ:

وإذا اردتَ قصيدةً نبّه لهـا عُمَرًا ونَمْ
الشاعرُ العربيّ ذو الـغُرَرِ التي سَبَتِ العَجَمْ
في المكرمات لهُ يدٌ والى الصواب لهُ قدَمْ
ولهُ مناقبُ لا تُنا لُ كأنها صيدُ الحَرَمْ

وهذه نبذة من اقوال الحاج عمر. قال في التقى:

عليكَ بتقوى الله والصـدقِ انّما نجاةُ الفتى يا صاحِ بالصدقِ والتّقى
وقِسْ حال ابناء الزمان بضدّهِ ترَ الفرق ما بين السعادةِ والشقا

وقال في الزهد:

رغبتُ عن الدنيا وزُخْرفِ اهلها وقلتُ لنفسي انّمـا العيشُ في الأُخرى
فدعني وزهدي في الحُطامِ فانّني ارى الزهدَ في الدنيا هو الراحة الكبرى

ومن ظريف هجوهِ ما قالهُ في غلام قهوجيّ يُدعى هلالًا:

تعسَ الهلالُ القهوجيّ لأنهُ قد قطّعَ الانفاسَ من اساسهِ
هذا الهلالُ هو الهلاكُ وانما غلطوا فلم يضعوا العصا في راسهِ

وقال يهجو ثقيلًا كان لا يزال يذكر ذنوبهُ:

شكا ثقل الذنوب لنـا ثقيلٌ فقلتُ لهُ سمعتُ لبـديع قيلِ
ثلاث بالتناسب فيك خُصّت فلم توجد مجتمعةً من ثقيلِ
ذنوبك مثل روحك ضمن جسمٍ ثقيـلٍ في ثقيلٍ في ثقيلِ

ومن رثائهِ قولهُ في مارون النقاش لما توفي في طرسوس سنة ١٢٧١ من ابياتٍ :

فقدنا اديباً كان طرس يراعهِ اذا خطَّ سطرًا نال من خطّهِ شطرا
اخا شيمٍ قد اعجزتْ عن مديحها لساني فامسى لا يُطيق لها شكرا
وما كنتُ يا مارونُ قبلك زاعمًا بانَّ الثرى من اعيني يحجبُ البدرا ...
فكم لك في الآداب لطفُ شمائلٍ اذا ما نشرنا ذكرها نفحت نشرا
وكم لك من ابيات شعر حريَّةٍ بها أن تُحلّي جيدَها الغادةُ العذرا
ألا يا بني النقَّاش لا يحزنَّكم بكًا وسَّع الاجفان اوضيَّق الصدرا
أرى الدهر لما قسَّم الحزنَ خصَّنا بتسعة اعشارٍ وحمَّلكم عشرا ...
فآسف لو كان التأسُّف نافعًا عليهِ ولكنَّ الثناء لهُ احرى

(الالوسيَّان عبد الله وعبد الباقي) وفي هذه المدة قضى اثنان من الالوسيين نحبهما في العراق. وهما ابنا السيد العلّامة شهاب محمود افندي الالوسي الذي سبق لنا تعريف فضلهِ (المشرق ١١ : ٢٧٣) اعني عبد الله وعبد الباقي. فالسيد عبد الله بهاء الدين افندي ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) فقال السيد عبد الغفَّار الاخرس مؤرّخًا لمولدهِ :

ليهنيك يا نحريرَ اهل زمانهِ ويا كاملًا عنهُ غدا الطرفُ قاصرا
بطفلٍ ذكيٍّ قد اتاك وانما يضاهيك بالاخلاق سرًّا وظاهرا
وبشّرتني فيهِ فقلتُ مؤرخًا بمولد عبد الله نلتَ البشائرا

فلمَّا ترعرع اخذ العلوم عن والدهِ الى ان أُصيب بوفاتهِ وهو اذ ذاك ابن اثنتين وعشرين سنة فجزع لموتهِ وكاد لحزنهِ يلحق بابيهِ. ثم انكبَّ على الدرس واجتمع ببعض افاضل وطنهِ فما لبث ان فاقهم واقبل على التدريس فحصل بهِ على شهرة واسعة وانتظم في سلك اهل الطريقة النقشبنديَّة. ثم بُلي بانواع الاسقام فخرج من وطنهِ قاصدًا الاستانة العليَّة لكنَّ اشقياء العربان نهبوا اثقالهُ فعاد الى بغداد صفر اليدين. وفي آخر امرهِ تولّى القضاء في البصرة فاكرمهُ اهلها وعرفوا قدرهُ لولا انهُ تأذَّى بحمَّياتها القتَّالة فخرج منها بعد سنتين ولسان حالهِ ينشد مع معاصرهِ الشيخ صالح التميميّ :

ومتى تسيرُ ركائبي عن بلدةٍ ابدًا اقام فَناؤها بفِنائها
لا فرق بين تمالها وجَنوبها وقَبولها ودَبورها وصباها
ما ان تحرَّكت الغصونُ بارضها الّا تحرَّك في السموم اذاها
اشجارها خضرٌ واوجهُ اهلها صُفرٌ محا كَسَفُ السقامِ بهاها
لولا قضاءُ اللهِ حتمٌ واجبٌ أبتِ المروَّة ان ادوسَ ثراها

فما وصل الى بغداد حتى مات بعد أيّام ١٢٩١ (١٨٧٤) ولهُ من العمر ٤٣ سنة وكان السيّد عبد الله كثير التديُّن ليّن الجانب محبًّا للفقراء لا يأنف من مخالطتهم وقد امتاز بحسن نثرهِ وجزالة تعبيرهِ. ومن تآليفهِ رسائل ومقالات مفيدة وشروح في علمي المنطق والبيان وألّف كتاب الواضح في النحو وكتابًا في آداب الصوفيّة

امّا اخوهُ فهو السيّد سعد الدين عبد الباقي وقع مولدهُ سنة ١٢٥٠ فأرّخهُ الشاعر عبد الحميد الاطرقجيّ:

طربًا بمن سرَّ الورى ميلادُهُ وسرى نسيم اللطفِ في الآفاقِ
يا سادتي بشراكمُ فيمن بدا متخلّقًا بمكارم الاخلاقِ
فردًا أتى وبهِ استغنتُ مؤرخًا تمَّ السرورُ لكم بعبد الباقي

اخذ عن والدهِ كأخيهِ ثمّ عن الشيخ عيسى البندنيجيّ وزار الحجاز وتولّى القضاء في كركوك مركز ولاية شهرزور ثم في مركز ولاية بتليس وسافر الى دار السعادة ولهُ عدّة مصنَّفات اخصُّها القول الماضي فيما يجب للمفتي والقاضي واوضح منهج في مناسك الحجّ الذي طُبع في مصر واسعد كتاب في فصل الخطاب وغير ذلك ممّا يشهد لهُ برسوخ القدم في المعارف. توفي في مصر سنة ١٢٩٨ (١٨٨١)

(ابو النصر عليّ) واشتهر في مصر في هذه الحقبة الاديب المصري ابو النصر علي ولد في منفلوط وفيها كانت وفاتهُ سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠—١٨٨١) نظم الشعر في مقتبل الشبابْ واصبح من فرسان ميدانهِ فنما خبرهُ الى خديوي مصر اسماعيل باشا فقدَّمهُ واجازهُ ولابي النصر عدَّة قصائد غرّاء فيهِ وفي امراء الدولة الخديويّة وقد رافق اسماعيل باشا لمَّا رحل الى الاستانة ثم مدح بعدهُ الحضرة التوفيقيّة. ولابي النصر ديوان كبير طُبع في مطبعة بولاق سنة ١٣٠٠ ضمَّنهُ اقوالًا منتخبة في كل ابواب البلاغة ومعاني الشعر فممَّا استحسناهُ قولهُ في الخمر وقد نحا في وصفهِ طريقة الصوفيين:

بنتُ كرمٍ دونها بنتُ الكرامْ وهي بكرٌ زفَّها ساقي المدامْ
شمسُ راحٍ في اصطباحٍ اشرقتْ في سماء الكاس كالبدرِ التمامْ
كم تجلّى كأسُها عن لؤلؤٍ من حُبابٍ كالدراري في انتظامْ
انَّ لي عنها حديثًا سرُّهُ لا يُضاهَى وهي لي اقصى المرامْ
لو درى اهلُ التقى اسرارها لسقوا اندامَهم قبل الفطامْ
لا تسَلْني عن معانيها وسَلْ عن حُلاها وسناء الاحتشامْ

قال صفها قلتُ دَعني انّها صورةٌ كالجسم هندي والسلامْ
قال زدني قلتُ ما المسئول منـها بادرى منها يا هذا الغلامْ
قال قل في كرها مخلوقـةٌ نزهةٌ للناس من سامٍ وحامْ
ما رآها عابدٌ الّا انثنى من سجودٍ وركوعٍ وقيـامْ
راحةُ الارواحِ في اقداحها انبأتنا انّها تُبري السقامْ

وهي طويلة· ومن حسن شعرهِ قولهُ يصف سفر الحضرة التوفيقيّـة الى الصعيد سنة ١٢٨٧ :

زار في موكبٍ كعقد اللآلي فازدهى بالقـدوم صفو الليالي

الى ان قال:

فازدهى رونقُ الصعيـد جمالًا وتحلّت ارجاؤهُ بالجلالِ
وروى النيلُ من رُواهُ حديثًا يشرحُ الصدر شرحهُ في المقالِ
حيث دُقّت بالشاطئَين طبولٌ والاهالي تفوقُ عدَّ الرمـالِ
وتلاقوا بضُمَّرٍ سابقاتٍ فترى الليث فوق ظهر الغزالِ
وتوالوا في سيرهم فاضـاءت حليةُ البيض بين سمر العوالي
وجميعُ البلادِ ابدت سرورًا ناشراتٍ أعلامهـا بابتهالِ
حلَّ في منيةِ الخصيب فسُرَّت وتقوَّى سلطانُهـا بالكمالِ
زار في منفلوط بيت اميرٍ زادهُ رفعـةً بحسن احتفال
وبأسيوط لا تسَلْ حين وافى عن بلوغ المنى وفيضِ النـوالِ
وبمُدن الصعيـد ما زال يرقى بدرُ تشريفهِ بلطفِ انتقـالِ
نسـألُ الله عصمةً ونجاحًا وبقـاءً لهُ وحسنَ مآلِ
وثنائي عليـهِ اوّل فرضٍ والوفا بالثناء فرضُ محالِ

ومن اقوالهِ يعاتب دهرهُ:

إلامَ تصوّبُ الاوهـامُ غيّا وتنشرُ ما طواهُ الرشـدُ طيّا
وفيمَ تقودُنا الأطماعُ طوعًا الى مـا يُغضب المرَّ الابيّا
وحتّامَ التشوُّقُ للمعالي وما هزَّ الشجاعُ السمهريّا
أبعد الحقّ تُنتظَر الاماني ويُفرَضُ ميّت الآمـالِ حيّا
اذا كنّا مع الاحياء موتى فهيّا نلحقُ الامواتَ هيّا
شربتُ من الأسى عَلَلًا ونهلا فزدتُ صدًى وما ألفيتُ ريّا
وكم جبتُ المهامـهَ كي ألاقي بمُنتَجعي جوادًا او تقيّا
فذاك اراهُ محتـالًا فخورًا وهذا قصـدهُ يدعى وليّا

كأنَّ ذوي التُّقى ماتوا جميعاً   وان الله لم يخلق سخيّا
وكم طفتُ البسيطة لاختيارٍ   فلم ارَ في الورى خلّا وفيّا
فهنْدُ عاذلي عذري والّا   فقلْ ما شئتَ واهجرني مليّا
ألم ترَ ان للدهر اجتراء   على من ظنَّهُ فطنًا ذكيّا
يجرّعهُ على مُضَضٍ كؤوساً   ويكبُهُ بلا سببٍ شقيّا
وربَّ جهالةٍ افضتْ لعزٍّ   وعلمٍ اورث الذلَّ الرديّا
وكم من ماجدٍ عانى خطوباً   ومن شكوى الزمان غدا بريّا
فلا تعجب وُقيت السوءَ وانظرْ   تجد ربَّ البلاغة سيمَ عيّا
ومَنْ في الناس ليس له خلاقٌ   يقابَلُ بالمهابةِ اذ يحيّا
فكنْ رجلًا لهُ في الارض رِجلٌ   وهامتُهُ عزّهِ فوقَ الثريّا
فاني لستُ مبتغياً حباةً   تُبدّل صُبْح افكاري عشيّا
ولا ارضى مسالمةً بضيمٍ   أيرضى الضيمَ من يُدعَى سريّا
سأركبُ ضامرًا واهزُّ رمحاً   واغمدُ في الرؤوس المشرفيّا
واخترقُ الصفوف ولا أُبالي   اذ مدَّ الحِمامُ يدًا اليّا

ولابي النصر رحلتان الى القسطنطينيّة كانت الاولى في ايّام السلطان عبد المجيد موفدًا من محمّد عليّ الكبير وانشد حينئذٍ شيخ الاسلام قولهُ يمدح القسطنطينيّة :

وكنّا نرى مصر السعيدة جنّةً   ونحسبُها دون البلاد هي العليا
فلمّا رأت دارَ الخلافة عيننا   علمنا يقيناً انّها لهيَ الدنيا

وكانت رحلته الثانية مع الخديوي اسماعيل باشا وصادف دخولهما الاستانة يوم عيد جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢) فقال ابو النصر يمدح الحضرة السلطانيّة بقصيدة مطلعها :

تبسّمتِ الازهار عن لؤلؤ القطرِ   ففاح شذاها في الحدائق كالعطرِ

ومنها في مدح السلطان :

افادَ العلى جاهاً وعزًّا مؤبّدًا   وألبسها من مجدهِ حلل الفخرِ
وابدى لأعلام التقدُّمِ مظهرًا   بهِ ملكهُ يعلو على دولِ العصرِ
واحيا لاحياء العُلى كلَّ دارسٍ   فاضحت قلاع الثغر باسمة الثغرِ
وجدَّد في عهد قريبٍ بواخرًا   بها قوّةُ الاسلام محكمةُ الامرِ
برونقها تكسو الفخار مهابةً   وتعلو بما حازت على الانجم الزهرِ
لهُ من رجال الحرب جيشٌ عرمرمٌ   لهم هِمَمٌ في الفتك بالبيض والسمرِ
مدافعهم شمُّ الانوفِ على العدى   تجرُّ لها شمُّ الجبال [illegible]

واسيافُهم في السِلْمِ يحلو صيامُها متى جُرِّدت مالت الى الفطرِ بالنحرِ

وختمها بهذا التاريخ:

وها انا في البُشرى اقولُ مؤرّخاً جلوسُكَ عيدُ الدهرِ ام ليلة القدرِ

(محمود صفوت) ومن معاصري ابي النصر علي وطنيَّهُ محمودُ افندي صفوت بن مصطفى اغا الزيلع الشهير بالساعاتي ولد بالقاهرة سنة ١٢٤١ وبها توفي سنة وفاة ابي النصر ١٢٩٨ (١٨٨١) لزم الآداب واشتهر بنظمهِ ونثرهِ حتى عُدَّ فيهما من المقدَّمين. وتوجَّه الى الحجاز ودخل على امير مكة فاكرم مثواهُ وابقاهُ عندهُ مدَّةً ثم عاد الى وطنهِ وفيهِ قضى بقيَّة حياتهِ. ولمحمود افندي صفوت ديوان شعر مخطوط في الكتبخانة الخديويَّة لم يُنشر بالطبعِ. فمن ذلك قولهُ يفتخرُ:

ولع الزمان واهلهُ بعداوتي ان الكرام لها اللئامُ عداء
أيحطُّ قدري الحادثاتُ وهمَّتي من دونها المرّيخُ والجوزاء
هيهات تغضُّ جاني وعزائمي مثل البواتر دأْبها الإمضاء
صبرًا على كيد الزمان فانَّما يبدو الصباحُ وتنجلي الظلماء

ولهُ في رثاء عالم:

بكت عيون العلا وانحطَّت الرُّتَبُ ومزَّقت شملها من حزنها الكُتُبُ
ونكَّست رأسها الاقلامُ باكيةً على القراطيس لمَّا ناحت الخطبُ
وكيف لا وسماء العلم كنت بها بدرًا تمامًا فحالت دونك الحجبُ
يا شمسَ فضلٍ فدتك الشهبُ قاطبةً اذ عنك لا النجمُ تُغني ولا شهبُ
لمَّا اصابك لا قوسٌ ولا وترٌ سهم المنيَّة كاد الكون ينقلبُ
ما حيلةُ العبد والاقدارُ جاريةٌ العمرُ يوهَبُ والاقدار تنتهبُ

(صالح مجدي بك) وفي السنة ذاتها ١٢٩٨ (١٨٨١) توفي آديب آخر من نوابغ كتبة مصر السيّد صالح مجدي بك. ولد في ابي رجوان من مديريَّة الجيزة سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وبعد ان تلقَّى مبادئ العلوم العربيَّة ودرس اللغة الفرنسويَّة الحقهُ استاذهُ رفاعة بك الطهطاوي بقلم الترجمة ثم عهد اليهِ تدريس اللغتين العربيَّة والفرنسويَّة في المدرسة الهندسيَّة الخديويَّة وعهدوا اليهِ تعريب كتب علميَّة للفرنج فعرَّب منها عددًا وافرًا في رسم الامكنة والطبقات الجيولوجيَّة والميكانيكيَّات والحساب والجبر والهندسة والفلكيَّات والفنون الحربيَّة كبناء الحصون ورمي القنابل الى ان تولى رئاسة الترجمة وجعلهُ

اسماعيل باشا في المعيَّة السنيَّة وولّاهُ مناصب أُخرى وكان آخر ما عُهِد اليهِ قضاء القاهرة فلزمهُ الى وفاتهِ. وكان صالح بك يحسن الانشاء وفنون الكتابة وقد نشر مقالات عديدة اجتماعيَّة وسياسيَّة وادبيَّة في جرائد مصر كروضة المدارس والوقائع المصريَّة. واشتغل بتأليف مطول لتأريخ مصر مع علي باشا المبارك ولهُ ديوان شعر واسع طُبع في بولاق سنة ۱۳۱۲

ومن شعر السيد صالح بك مجدي قولهُ سنة ۱۲۸۹ يهنئ جناب الخديوي اسمعيل باشا عند رجوعهِ من الاستانة:

مع النصر وافى مَن عليهِ المعوَّلُ ومن هو في ايَّامهِ الغرُّ اوَّلُ
ومن هو للاوطان والملك والملا ملاذٌ وحصنٌ لا يُرامُ وموئلُ
ومن ملأَ الدنيا مهابتُهُ التي بها الاسدُ في آجامها تتحدَّلُ
ومن فاض من يمناهُ ماء سماحةٍ فأحيا بلادًا اهلها قد تموَّلوا
ومن شاد اركان المعالي بهمَّةٍ يقصّرُ عن ادراكها متطوّلُ
وقد جاءت البشرى بذاك فزُيِّنت لمقدمهِ مصرٌ وفازَ المؤمّلُ
وأثنت على دار الخلافة عندما رأتهُ بها يعلو وشانيهِ يسفلُ
فعش ما تشا في دولةٍ انت ربّها ومجدك فيها من قديمٍ مؤثَّلُ
وقد قلتُ في يوم القدومِ مؤرّخًا الى مصر اسمعيلُ بالبشر مقبلُ

وقال من قصيدة يهنئهُ بها في اوَّل العام:

بالبشر في مصرَ لاحت غرَّةُ العامِ تزهو بنورِ مليكٍ للحمى حامي
تزهو بنور مليكٍ غيثُ راحتهِ في الكون طول المدى بين الورى هامي
هو الخُدَيْوُ الذي اوطانهُ نشرت للفضل في عصرهِ مطوي أعلامِ
وللتمدُّن مدَّت باعها والى اوج العلى سارعت من غير احجامِ
فيا لهُ من حكيم بالملاح محا ما كان في جسمها من فرط اسقامِ

ولهُ في حسين باشا ناظر المعارف والاوقاف والاشغال العموميَّة:

لجنابك العالي ثلاثُ مصالحٍ نُسبت سعيٍ عسجدٍ ولُجينِ
واضاء منك جبينُها برئاسةٍ اعمالها منشورةٌ [illegible]
وغنت بها بركاتُ اوقافٍ روت مصرَ وقد نمت على الحرمينِ
وبحزمك الاشغالُ زاد نجاحها وبجارها [illegible]
ولك المعارف غرَّدت ابناؤها [illegible]

وبديعُ نظمٍ كاملٍ في كاملٍ من مخلصٍ بالقلب والشفتينِ
من مخلص لك في الثناء بدولةٍ اضحيت فيها حائزَ الشرفينِ

وختمها بهذا التاريخ:

والمجد في علياك قال مؤرخاً زمنُ المعارف مُشرقٌ بحُسَينِ (١٢٨٩)

(ابو السعود افندي) ومن مشاهير ادباء مصر في ذلك الوقت ابو السعود افندي عبد الله المصري ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨) في دهشور قرب الجيزة ودرس في المدرسة الكليَّة التي انشأها محمَّد علي باشا في القاهرة فبرع بين اقرانهِ . ثم ندبتهُ الحكومة الى نظارة اعمالها فكان في وقت الفراغ يواصل دروسهُ ويعكف على التأليف شعرًا ونثرًا. وحرَّر مدَّة في جريدة وادي النيل وكاتب أُدباء زمانهِ . ونقل بعض كتب الفرنج الى العربيَّة . ومن تآليفهِ كتاب منحة اهل العصر بمنتقى تاريخ مصر نظم فيهِ مجمل حوادث تاريخ مصر للجبرتيّ ووضع تاريخًا لفرنسة الحقهُ بتاريخ ولاة مصر من اوَّل الاسلام دعاهُ بنظم اللآلي. وباشر بترجمة تاريخ عامّ مطوَّل وسمهُ بالدرس التامّ في التاريخ العامّ طُبع منهُ قسمٌ سنة ١٢٨٩ . وكان ابو السعود شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان طُبع في القاهرة اودعهُ كثيرًا من فنون الشعر كالمديح والمراثي والفراقيَّات . ونبغ في المنظومات المولَّدة كالمواليا والموشَّحات. ولهُ ارجوزة نظم فيها سيرة محمَّد علي باشا كثيرة الفوائد بيّنة المقاصد تبلغ عشرة آلاف بيت. ولهُ غير ذلك ممَّا تفنَّن فيهِ وسبق آل عصرهِ توفي ابو السعود افندي في ربيع الاوَّل سنة ١٢٩٥ (١٨٧٨). وقد رثاهُ احد شعراء وطنهِ بقصيدةٍ قال في مطلعها:

خُلِق الهبوطُ مع الصعودْ ومع القيامِ بدا القعودْ

الى ان قال:

ليس البكاء لعادةٍ ابدت لمعرِّها الصدودْ
لكنَّهُ لمَّا قضى ربُّ القريضِ ابو السعودْ
من لم نُعِيهُ بدمعهِ فكأنَّما نقص المهودْ
فهو الحريُّ بان تذو بَ عليهِ بالاسفِ الكبود
بحرٌ تدفَّق ماؤهُ لكنَّهُ عذبُ الورودْ
بقريحةٍ سالت على ارجائها سيلَ المهودْ
كم انتجت نُخَبًا له ذكأنَّما الامّ الوَلود

ابدًا توقّدُ بالذكا ء فليس يعروها خمودْ
نشبت مخالبها المنيّةُ فيهِ وهو من الاسودْ
لا غروَ ان صعدَ السما بين الملائكة السجودْ
فبناتُ نعشٍ قد حملـنَ سريرهُ لَمن الشهودْ

(الحاج حسين بَيهم) وفي آخر هذه الحقبة في صفر من سنة ١٢٩٨ (٢٤ ك الثاني ١٨٨١) فقدت الآداب احد اركانها في بيروت وهو الحاج حسين ابن السيد عمر بَيهم كان والدهُ عمر من اعيان المدينة وادبائها رثاهُ الشيخ ناصيف اليازجيّ سنة وفاتهِ ١٢٧٦ (١٨٥٩) بقصيدة مطلعها:

زُرْ تربةً في الحمى يا ايها المطرُ وقُلْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عُمَرُ

ومنها:

في شخصهِ الدين والدنيا قد اجتمعا وذاك يندرُ ان تحظى بهِ البشرُ

ولد حُسين ابنهُ سنة ١٢٤٩ (١٨٣٣) ونشأ حريصًا على تحصيل مسائل العلم وفنون الادب فاخذ عن علماء ملّتهِ كالشيخ محمّد الحوت والشيخ عبد الله خالد. وبعد ان تعاطى التجارة زمنًا يسيرًا انقطع الى العلم ونال بهِ شهرةً ثم نظم الشعر فصارت لهُ بهِ ملكة راسخة بحيث كان يقولهُ ارتجالًا في المحافل ويخرجهُ على صور مبتكرة تطرب لهُ الاسماع. وقد ولّتهُ الحكومة عدّة مناصب كنظارة الخارجيّة ورئاسة الاحكام العدليّة ثم أُعيدت اليهِ الخارجيّة فقال في ذلك:

انّ الفؤاد لهُ في الملك معرفةٌ فالخارجيّةُ لم تترك نظارتَهُ
لذاك سلطاننا المنصور ردَّ لهُ مع حسن انظارهِ ارّخْ نظارتَهُ

ولمّا وُضع القانون الاساسيّ وفُتح للمرّة الاولى مجلس النوّاب انتخبهُ مواطنوهُ ليمثّلهم فيهِ فحضر في الاستانة جلساتهِ ثم عاد الى وطنهِ واعتزل المأموريّات وانقطع الى الآداب. وكان حاضر الجواب ثاقب الرأي كريم الاخلاق عالي الهمّة محبوبًا عند الجميع. وكان احد اعضاء جمعيّة العلوم السوريّة المنشأة في بيروت ولمّا توفي رئيسها الاوّل الامير محمّد ارسلان عهدوا اليهِ رئاستها وكان للحاج حسين نظمٌ رشيق مطبوع قد بقي منهُ قليل ومن آثاره رواية ادبيّة وطنيّة مُثّلت مرارًا وقرّظها الادباء. ومن شعرهِ قولهُ في تاريخ جلوس السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٧:

خلافة الاسلام قد اصبحت تزهو افتخارًا بالمليك العزيزْ
وملّة الايمان ارّخها طابت بشاهنشاه عبد العزيزْ

وقال مؤرّخاً انشاء التلغراف في بيروت:

لله درُّ السلكِ قد ادهشت عقولنا لمّا على الجوّ ساقْ
فأعجب الكون بتاريخهِ شبهُ برقٍ او شبيه البُراقْ (١٢٧٧)

وقال مشطّرًا:

إذا العنايةُ لاحظتك عيونُها وحباكها من فضلهِ الرحمانُ
ناداك طائرُ يمنها وسعودها نَمْ فالمخاوف كلهنّ امانُ
واصطدْ بها العنقاء فهي حبالةٌ واملك بها الغبراء فهي سنانُ
واصعد بها العلياء فهي معارجٌ واقتدْ بها الجوزاء فهي عنانُ

وقال يهنّئ حضرة كامل باشا بمستشاريّة الداخليّة سنة ١٢٩٦

حينما أعوز الممالكَ اصلا حٌ وسُدّت عن وارديهِ المناهل
وفّق الله للوظائف قوماً ملكوا من ذرى الكمال المنازلْ
فتفاءلْ بالخيرِ صاحِ وأرّخْ مستشارًا امسى محمّدَ كاملْ

ومن جيّد شعرهِ قولهُ يعزّي صديقًا بفقد مالهِ:

لقد غمّنا والله والصحبَ كلّهم مصابٌ دهاكم بالقضا حكم قادرِ
كانّ شرارًا منهُ طار لارضنا فاحرق احشاء الورى بالتطايرِ
ولكنّنا قلنا مقالةَ عاقلٍ يسلّم للباري بكل المظاهرِ
اذا سلمتْ هامُ الرجالِ من الردى فما المالُ الّا مثل قصّ الاظافرِ
فكن مثل ظنّ الناس فيك مقابلًا لذا الخطب بالصبر الجميل المصادر
ولا تأسفن اذ ضاع مالٌ ومقتنى فربُّكَ يا ذا الحزم اعظم جابر
وانّ حياة المرء رأسٌ لمالهِ سلامتهُ تعلو جميع الخسائر

وممّا رُثي بهِ الحاج حسين افندي بيهم قول ابي الحسن الكستيّ:

فراقُكَ صعبٌ يا حسين احتمالهُ وبعدك رَكْبُ الانس شالت رحالهُ
رحلتَ الى دار البقاء مكرّمًا وتلكَ مولى للنعيم مآلهُ
ولكن تركت القوم تبكي عيونهم عليك بدمعٍ كالسيولِ انهمالُهْ
وليس لنا من بعد فقدك حليةٌ سوى الحزنِ او صبرٍ يعزُّ منالهْ
حويتَ خصالًا لا حلّ في الناس قدرُها وما كلّ انسانٍ تجلُّ خصالهْ
عفافٌ ومعروفٌ وعلمٌ ورقّةٌ وفضلٌ ومجدٌ قلّ فينا مثالهُ

(محمَّد اكنسوس) وممَّن رُزئت بهِ الآداب في هــذا الوقت في بلاد المغرب الاديب الشاعر ابو عبد الله محمد بن احمد آكنسوس المراكشي توفي في بلدهِ مرّاكش سنة ١٢٩٤ (١٨٧٧) وقد عُرف المذكور بسعــة معارفه لاسيما التاريخيَّة والادبيَّة ولهُ لتاريخ المسمَّى كتاب الجيش وقصائد عديدة في مشاهير بلادهِ من ذلك قولهُ يرثي سلطان مرَّاكش المولى عبد الرحمن المتوفى سنة ١٢٧٦ (١٨٥٩) :

هذي الحياةُ شبيهةُ الاحلامِ   ما الناسُ ان حقَّقتَ غيرُ نيامِ

ومنهــا :

لو كان ينجو من رداها مالكٌ   في كثرةِ الانصار والخدَّامِ
لنجــا امير المؤمنين ومن غدا   اعلى ملوك الارض نجل هشامِ
خير السلاطين الذين تقدَّموا   في الغرب او في الشرق او في الشامِ
يا مالكًا كانت لنا ايَّامهُ   ظلًّا ظليلًا دائمَ الانعامِ
لا ضَيْرَ انك قد رحلتَ ميمّمًا   دار الهناء وجنَّة الاكــرامِ
فلك الرضى فانعم بما أُعطيتَهُ   ولك الهناء بنيل كل مرامِ

وقال يصف خروج السلطان المولى حسن على اعداء دولتهِ سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) :

عصفتَ عليهم بالبأسِ تُزجي   كتائبَ كالسحابِ اذا تلوحُ
فالقيتَ الحرانَ على ذراهم   بجيشٍ كلُّهم بطلٌ مشيحُ
فجاء العفو منك وهم ثلاثٌ   اسيرٌ او كسيرٌ او ذبيحُ
وقد قُسمتْ بلادهمُ بعدلٍ   ودورهمُ كما قُسمَ الوطيحُ
فلا تحلمْ فانَّ الجرحَ يُكوى   طريًّا بالمحاور او يقيحُ
ابا زيــدٍ اذا تُبقي عليهم   بصفحٍ رُبَّما ندم الصَّفوحُ

ولهُ يصف بستانًا للوزير ابي عبد الله محمَّد ابن ادريس :

يا منزلًا قد خصَّصتَهُ سعادةٌ   واستبدلتهُ انعما من أَبْؤُسِ
اصبحتَ مأوى للوزير محمَّدٍ   نجل الادارسة الكرام المعرسِ
انسانُ عين الكون من لبست بهِ   رُتب العلى اسمى واصبح ملبسِ
يا ايُّها البحر الذي من فيضهِ   كلّ الاماني والغنى لمفلسِ
يهنيك ذا القصرُ الذي انشأتهُ   اسعد في عام انشراح الانفسِ
لا زلتَ تشرف من مطالع سعده   كالبدر يظهر من خلال الحندسِ
والدهر يخدم جانبيك ويحتمي   بجلالك العالي الاغرّ الاقدسِ

هذا ما امكننا جمعهُ من تراجم ادباء المسلمين في هذا العشر وهو بعضٌ من عدّ ولا نشكّ انهُ اشتهر في بلاد الاسلام غير هؤلاء الّا انّ تواريخهم لم تُطبع حتى الآن او تجد منها نُتفاً قليلة متفرّقة لا ينتفع من مضامينها الّا من وصلت يدهُ الى تلك المنشورات وسمح لهُ الزمان بمراجعتها وقليل ما هم

وممّن اطّلعنا على ذكر بعض آثارهم دون معرفة ترجمة حياتهم الشيخ العالم حمزة افندي فتح الله الذي حرّر مدّة في الاسكندريّة جريدة الكوكب الشرقيّ ثم انتقل الى تونس ففوّضتهُ حكومتها أن يحرّر جريدتها الرسميّة المدعوّة بالرائد التونسيّ مع منشئها منصور افندي كرلتّي. فاشتغل بذلك مدّةً منذ السنة ١٢٩٣ (١٨٧٦ م) وكان ذا باع في الانشاء ولهُ نظم حسنٌ فمن ذلك قولهُ يمدح الوزير الكبير خير الدين باشا بقصيدة مطلعها :

آلاؤكَ الغرُّ او آناؤك الغررُ زها بها في الزمان الجيدُ والطُّرَرُ

ومنها :

الله ملجأُنا اذ ليس يفجأُنا شرُّ الخطوب وخيرُ الدين لي وَزَرُ
حبرٌ لهُ همّةٌ اعلى وارفع من هامِ الثريّا ومجدٌ ليس ينحصرُ
وسيرةٌ سرّت الدنيا بشائرُها وضمّخ الكونَ عرفًا مسكها الذفِرَ
لا زال كهفًا لمن يأوي بساحتهِ في ظلّهِ تسعد الآمال والوطرُ
وكعبةٌ وزراء الفضل انجمُها ترهو بهِ وهو فيما بينهم قمرُ

وكان خير الدين المذكور وزيرًا لباي تونس فاشتهر بحسن سياستهِ وتدبيره للامور. وكان كاتبًا بارعًا أَلّف كتابًا دعاهُ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك طبعهُ في حاضرة تونس سنة ١٢٨٥. وهو اجود كتاب وضعهُ احد الشرقيين في وصف الممالك الاوربية وتعريف احوالها المدنية مع لمحة من تواريخها

وعُرف بذلك الوقت في المغرب وبلاد تونس من الادباء الوزير ابو العباس احمد بن ابي ضياف والشيوخ ابو عبد الله محمد الباجي واحمد كريم الحنفي وابو النجاة سالم ابو حاجب وابو عبدالله محمد العربي زورق ومحمّد الصادق ثابت وابو راشد يونس العروسي ومصطفى رضوان ومحمّد بن الحسن التطواني وقد قرأنا لكلّهم فصولًا في الادب الّا انّ اخبارهم منقطعة عنّا

ومِمّن لم نقف على اخبارهم ونالوا بعض الشهرة في الادب في الطور الذي نحن بصدده السيّد عبد الرحمان النحاس نقيب الاشراف في بيروت نشر ديوان خطب مسجّعة قرّظها الشعراء ومِمّا قال فيها الشيخ ابراهيم الاحدب:

انشا لنا الخطب التي الفاظُها قد اعربت في السمع لحن مثاني
فِقَرٌ غدت حُلي المسامع مثلما اغنت فقير الفضل بالاحسانِ
اذنت لآلي لفظها بولوجها في مسمع الآذان قبل أذانِ

وللسيّد عبد الرحمان قصائد متفرّقة منها قولهُ يمدح الشاعر مصباح البربير:

لقد ضاء مصباحُ مشكاة عصرهِ وفاق بحسن الذكر نشر الشمائلِ
فتًى من بني البربير حاز براعةً وكان بنظم الشعر اوّل قائلِ
بهِ طاب اهل المجد فرعًا وقد سما مقامًا على هام البدور الكواملِ
لقد صاغ من نسج القريض نظامهُ وجاء بديوان غريب المناهلِ
وكان حديث السنّ لكنَّ قدرهُ كبيرٌ بانواع العلى والفضائلِ

واصاب في طرابلس بعض الشهرة الشيخ محمّد الموقّت كان يتعاطى الشعر ولهُ مراسلات شعريّة مع الشيخ ناصيف اليازجي منها قصيدة في مدحهِ يقول فيها:

لله هاتيك الصفات فانها جمعت ثناء مشارقٍ ومغاربِ
أتظنُّ كلَّ مهنّدٍ في غمدهِ ماضٍ وكلّ غضنفرٍ بمحاربِ
لا يخدعنَّك بالمحال فانَّهُ ما كلّ من سلَّ الحسامَ بضاربِ
هذا هو الروض الذي ازهارهُ عطَّرنَ كل تنوفةٍ وسباسبِ
هذا هو الماء الزلال وغيرهُ ملحٌ أجاجٌ ما يلذُّ لشاربِ
هذا هو الفخر الذي شرفت بهِ ابناء دوحتهِ لبعد تناسبِ

وكان في مصر طرابلسيٌّ آخر يدعى حسن افندي الطرابلسيُّ كاتبَ ايضًا الشيخ ناصيف فمدح الشيخ آدابه وشعرهُ فقال:

يا ايها الحسنُ الميمونُ طالعهُ احسنتَ حتى ملأت السمعَ والبصرا
ما زلتَ تجلو علينا كلّ نافيةٍ قد شنّفت [illegible] حسنها الشعرا
يحزنك الشعرُ انشادًا فنحن به [illegible] في [illegible] نجتني [illegible]

وكذلك كتب في جرائد مصر الشيخ خليل [illegible] ونظم [illegible] محرّر الجوائب بقولهِ:

أَلم ترَ كيف يزخرُ بالقوافي فيسكر من سلافتها العقولا
فتروي كلَّ من امسى غليلًا وتشفي كل من اضحى عليلا

وقام في العراق احمد عزّت الفاروقي ابن اخي الشاعر عبد الباقي الذي مرَّ لنا ذكرهُ سابقًا. ولهُ آثار شعريَّة لم تُجمع حتى الآن. مدحهُ منشئُ الجوائب غير مرَّة لوفرة آدابهِ. واخبارهُ مجهولة لدينا

الادباء النصارى

ظهرت في هذا العهد ثمرة المدارس المسيحية التي أُنشئت في انحاء الشام فخرج منها جمهور من الادباء اخذوا يحرّرون الجرائد ويصنّفون التآليف المختلفة وينظمون القصائد ويمثلون الروايات التشخيصيَّة ويعقدون الجمعيَّات الادبيَّة فيلقون فيها الخطب ويهتمون بتنشيط العلوم فحصلت بذلك نهضة استوقفت الابصار وبعثت في القلوب رغبة الترقي والتمدُّن

(بنو اليازجي) واوَّل من يتحتَّم علينا ذكرهم الشيخ ناصيف اليازجي واسرتهُ التي كاد الموت يقصف آخر غصونها في العام الماضي بوفاة المرحوم الشيخ ابراهيم نجلهِ. وها نحن نلخّص اخبارهم جميعًا لائتلاف الموضوع وفرارًا من التكرار. اصل هذا البيت من روم حمص. ثم نمت اسرتهم وتفرَّعت الى عدَّة فروع فهاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب واستوطن غيرهم وادي التيم وكان بعضهم دخل في خدمة عُمَّال الدولة في اواسط القرن الثامن عشر بصفة كاتب فعُرف باسم اليازجي اي الكاتب وعُرف بهِ ابناؤهُ من بعدهِ. وقد جاهر هذا الفرع بالمذهب الكاثوليكي مع أُسر أُخرى كبيت البحري وبيت كرامة في منتهى القرن الثامن عشر وسكنوا كفرشيما من قرى ساحل بيروت. وكان عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط والد الشيخ ناصيف طبيبًا درس الطبَّ على بعض رهبان الشوير وتعاطاهُ بالعمل فحذق بهِ. وكان مع ذلك محبًّا للآداب العربية يطالع من كتب اللغة ما يحصل عليهِ ووسائلُ التعليم في ذلك الوقت قليلة. وتعلَّم الشعر فنظم بعض القصائد التي اخذتها ايدي الضياع. ومما روى لهُ حفيدهُ الشيخ ابراهيم قولهُ يمدح ديوان شعر للقس حنانيًا منيَّر صاحب التآليف التي سبق لنا وصفها:

عش بالهنا والخير والرضوانِ ... يا من عُنيتَ بنظم ذا الديوانِ
اني لقد طالعتهُ فوجدتهُ ... نظماً فريدًا ما لهُ من ثانِ

وكان مولد ناصيف ابنـــهِ في كفرشيما في ٢٥ آذار سنة ١٨٠٠ درس مبادئ القراءة والكتابة على القس متى الشبابيّ ثم شعر برغبة عظيمة في معرفة اصول اللغـــة وفنون الآداب فانكبَّ عليها بنشاط وحرصَ على اتقانها ما امكنهُ فنال منهـــا نصيباً حسناً. ثم درس الطبَّ على والدهِ ووضع فيهِ ارجوزةً سمَّاها « الحجر الكريم في اصول الطبّ القديم » لم تُنشر بالطبع. ودرس ايضاً فنَّ الموسيقى ووعى كثيرًا من اصولهـــا ودقائقها. وكان مغرى بالتاريخ مواظباً على قراءة اخبار القدماء فيحفظ منها تفاصيل كثيرة لا تبرح من ذاكرتهِ اذا انطبعت فيها مرَّةً

لكنَّ الادب غلب على الشيخ ناصيف فبلغ فيهِ مبلغاً عجيباً قيـــل انهُ استظهر القرآن وحفظ كل ديوان المتنبي وقصائد عديدة من الشعر القديم والمولَّد لا يخـــلّ فيها بحرف. وكان في اوقات الفراغ ينسخ ما يحصل عليهِ من الآثار الادبيَّة بخط جميل اشبه بالقلم الفارسي

وممَّا امتاز بهِ على اهل زمانهِ شعرهُ فانهُ نبغ فيـــهِ على ما روي وعمرهُ لا يتجاوز عشر سنين فكان يقول الشعر عفوًا على البديهـــة ويأتي بكل معنى بليغ. وكان في اوَّل امرهِ ينظم المعنَّى والقرَّاديات تفكُّها. وقد تلف معظم هذه المنظومات العاميَّة

وسطع في ذلك الوقت نجم الامير بشير الكبير فقصدهُ الادباء والشعراء ومدحوه ونالوا من سجال فضلهِ منهم المعلم الياس اده ونقولا الترك وبطرس كرامة فسار الشيخ ناصيف الى بيت الدين واتَّصل بهؤلاء الادباء فقرَّبهُ من الامير الذي اتَّخذهُ كاتباً لاسرارهِ ورفع شأنهُ. وللشيخ في مخدومهِ قصائد جليلة منهـــا رائيَّتهُ التي قالها مهنّئاً لهُ سنة ١٢٤٠ (١٨٢٤ م) واوَّلها:

حيَّتك جنبيك هذا النصرُ والظفرُ ... فانعَمْ اذنْ انت لي فالتعمر الشرُ

وبقي في خدمتهِ اثنتي عشرة سنة. فلما [illegible] عن تدبير لبنان سنـــة ١٨٤٠ فارقهُ الشيخ ناصيف ونزل مع اهلهِ الى بيروت فسكنها الى سنة وفاتهِ

وفي هذه الثلاثين سنةً الاخيرة من عمرهِ انقطع الى التأليف في بيته والى التدريس

ومراسلة الادباء فحظي بشهرةٍ عظيمة· وسمع بهِ المستشرقون فكاتبوهُ واقترحوا عليهِ عدَّة مصنَّفات اجابهم الى وضع بعضهــا فطبعوها في مجلّاتهم · وكان علماء الشرق يتسابقون الى مكاتبتهِ ويتناوبون بينهم القصائد والرسائل· ومن فضــل الشيخ ناصيف انهُ سعى مع بعض ادباء الشام بعقد الجمعيَّة السوريَّة لترقية الاداب ورفع منار العلوم· وكان لهُ في كل المساعي الادبيَّة يدٌ مشكورة حتى اصبح في بلاد الشام كقطب العلوم العربية وشرعة المعارف الوطنيَّة

واشتغل ايضاً مع اصحاب الرسالة الاميركيَّة فنظم لهم المزامير وبعض الاغاني الدينية واستفادوا منهُ ايضاً في تعريب الاسفار المقدَّسة التي نشروها في مطبعتهم· وكان احد اعضاء جمعيَّتهم التي انشأوها سنة ١٨٤٨ (المشرق١٢: ٤٠ ثم ZDMG. V. 96)

امَّا تآليف الشيخ ناصيف فكلُّها مشهورةٌ سردنا اسماءهــا في تاريخ الطباعة في اعداد سنتنا الثالثة واشهرها مقاماتهُ السُّون المعروفة بمجمع البحرين التي عارض فيها المقامات الحريريَّة طُبعت مرارًا في المطبعة الاميركية ثم في مطبعتنا الكاثوليكيَّة· ولهُ كتاب فصل الخطاب في الصرف والنحو· وجوف الفرا والخزانة وهما ارجوزتان في اصول النحو نظمهما وعُني بشرحهما · وكتاب عقــد الجمان في البيان مع ملحق في العروض· ولهُ شرح على المتنبّي اتمَّهُ ابنهُ الشيخ ابراهيم ووسمهُ باسم العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب· وشعرهُ متفرّق في ثلاثة دواوين: كتاب نفحــة الريحان وكتاب فاكهة الندماء في مراسلات الادباء وكتاب ثالث القمرين· وقد قصد الاديب ميخائيل افندي ابراهيم رحمة جمع شعرهِ في ديوان طُبع منهُ نبذتان في المطبعة الشرقية في الحدث وفي المطبعة الادبيّة مصحَّحاً بقلم نجلهِ الذكور· والمأمول ان ينجز قريباً هذا العمل ويضيف الى المجموع ما لم يزل مخطوطاً او شاردًا من القصائد

وشعر الشيخ ناصيف يجمع بين الرقَّة والمتانة يضارع نظم اجود الشعراء في كل ابواب المعاني وقد مرَّ لنا عدَّة اقوال من قلمهِ تشهد على براعتهِ ورسوخ قدمهِ في آداب الشعر· وقد مدح اكثر مشاهير عصرهِ وادباء زمانهِ ورثى قومًا من الكرام الذين انتقلوا الى دار البقاء في ايامهِ ولهُ التواريخ المتعدّدة التي زان بها قبورهم او علّقها على الآثار البنائيَّة والكنائس وغيرها· فمن مديحهِ قولهُ من قصيدة غراء رفعها الى جلالة السلطان عبد العزيز وضمَّن كل شطر منها تاريخًا لسنة ١٢٨٣:

ظلُّ الاله علينا اوجُ طالعهِ قد فاق فوق جهات الأفق كالعَلَمِ
في خلقهِ معجبٌ في عزّهِ طربٌ راحاتهُ سُحبٌ يَهْمِرن بالكرمِ
امين ربّ الورى في الكون موْتمنٌ على العباد لحقّ العهد والذّممِ
لله درُّ بني عثمانَ من صدقوا بطيب حملٍ ووضع حافلِ القِيَمِ
بنوا لنا برج سعدٍ رُسْلُ طلعتهِ تدعو الأنام الى اعباء شكرهمِ
بابُ السعادةِ باب النصر ساكنهُ كهفُ المطالب من حاماهُ لم يُضَمِ

ومدح نابوليون الثالث بقصيدة افتتحها بهذه الابيات :

من قال انَّ الدهر ليس يعودُ هـذا زمانٌ عادَ وهو جديدُ
قد عاد نابليون بعد زوالهِ فكأنَّ ذلك يومهُ الموعودُ
يا من يقول لرمّةٍ في لحدهِ انَّ السعيد كما علمتِ سعيدُ
هذا خليفتهُ الذي احيا الورى احياكِ حتّى اخضرَّ منكِ العودُ
لا تُفتقَد الدنيا لفقد عزيزها ما دام يخلفُ مَيْتَها المولودُ
تتجدَّد الاشخاص فيها مثلما يُفرَى القضيبُ فينبت الاملودُ

ولهُ في مديح الملكة ڤيكتوريا من قصيدة :

اليوم قامت فتاةُ الملك بارزةً وقام من قبلها اسلافُها الاوَلُ
فرعُ الاصول التي مرَّت وبهجتها انَّ الثمار من الاغصان تُبتذَلُ
يُستحسن الملك فيها والخضوع لها وليس يحسنُ فيها الجبن والبَخَلُ
باهى الرجالُ نساء الدهر وافتخروا حتّى اتت فأصاب المدّعي الخَجَلُ
اذا صفا لك نور الشمس في فلكٍ فما لذي تعرق الجوزاء والحَمَلُ
في قلبها خاتم التقوى وفي يدها من خاتم الملك ما يجري بهِ مثَلُ
قد التقى الدينُ والدنيا بساحتها كما التقى الكُحل في الاجفان والكَحَلُ

ولهُ قصائد أُخرى في مدح الخديويين اصحاب مصر ابراهيم باشـا وسعيد باشا واسمعيل باشا . وكثيرًا ما كان يجمع في هذه المدائح انواع الجناسات والفنون البديعيَّة الصعبة المرتقى الدالَّة على تذليلهِ للمشكلات اللفظيَّة والمعنويَّة لكنَّ التعسُّف ظاهر في بعض هذه المنظومات التي وضعها لمعارضة قوم من شعراء القرون المتأخرة . ومن هـذا القبيل بديعيَّتهُ التي التزم فيها تسمية الجناس والنوع اوَّلها :

عاج المتيَّم بالاطلال في اعلَمِ فريح لسي بن متهلاتِ العرمِ

ومن احسن شعر صاحب الترجمة مراثيهِ التي اوردنا منهـا امثلة . ومنها من قصيدة يرثي بها الطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم .

رُكنٌ هوى في دار مصر اوشكت   منهُ رُبى لبنان ان تتفطّرا
ضجّت بهِ الاسكندريّةُ هيبةً   فكأنّ فوق سريره الاسكندرا
يا ايّها الطود الذي عبثت بهِ   ايدي المنون فمال محلول العُرى
غدرت بك الايّام مظلوماً كما   تُدعى فألقت في الآداب الجوهرا

ولهُ في رثاء صغير واجاد:

أستودعُ الله في طيّ الضريح فتًى   كالغصن معتدلًا والبدر مكتملا
كنّا نؤمّل ان نجني لهُ ثمرًا   فخيّب الدهرُ منّا ذلك الاملا
خان الزمان لهُ عهد الصبا وبغى   عليهِ داعي المنايا اذ اتى عجلا
قد ألبسوهُ الثياب البيض فاصطبغت   بحُمرةٍ من دم الدمع الذي انهملا
والناس من حولهِ تمشي وقد نكست   رؤوسها وصراخُ الباكيات علا
يا رحمة الله حُلّي فوق تربتهِ   كما حللتِ على نعشٍ بهِ حُملا

ومن مراثيهِ ما قالهُ في موت ابنهِ حبيب وهو آخر ما نظم قبل شهر من وفاتهِ ولم يتمّ رثاءهُ لحزنه:

ذهب الحبيب فيا حشاشتي ذوبي   اسفًا عليهِ ويا دموعُ أجيبي
ربّيتهُ للبَيْن حتّى جاءهُ   في جنح ليلٍ خاطفًا كالذيبِ
يا ايّها الامُّ الحزينةُ أجملي   صبرًا فانّ الصبرَ خير طبيبِ
لا تخلعي ثوب الحداد ولازمي   ندبًا عليهِ يليقُ بالمندوبِ
هذا هو الغصن الرطيبُ اصابهُ   سهم القضاء فبات غيرَ رطيبِ
من للكتابة والحسابة بعدهُ   ولصحّة التدبير والتدريبِ
لا استحي ان قلتُ قلّ نظيرهُ   بين الرجال فلستُ غيرَ مصيبِ
والمرءُ يطلقُ في الكلام لسانهُ   ان كان لا يخشى من التكذيبِ
اني وقفتُ على جوانب قبرهِ   اسقي ثراهُ بدمعي المصبوبِ
ولقد كتبتُ لهُ على صفحاتهِ   يا لوعتي من ذلك المكتوبِ
لكَ يا ضريحُ كرامةٌ ومحبّةٌ   عندي لانّك قد حويتَ حبيبي

وقولهُ يرثي الامير بشير الشهابي لمّا توفي في الاستانة سنة ١٨٥٠ :

اذا طلع النهارُ ارى الرجالا   كما أبصرتُ في الليل الخيالا
واعجب كيف تطوي الارضُ ناسا   لو اجتمعوا بها كانوا جبالا
يخونُ الدهرُ شخصا بعد شخص   كما ترمي عن الترس النبالا
اذا اغلقتَ دون الموت بابا   تناول الفَ بابٍ كيف مالا
ومن حذر المنيّةَ عن يمينٍ   تدرّج نحوه تأخذه شمالا

من الله السلام على امير | دفنّا المجد معهُ والجلالا
كأنَّ الموت لم يجسر عليهِ | مجاهرةً ففاجأهُ اغتيالا
فتىً كالسيف ارهاقًا وقطعًا | ومثل الرمح قدًّا واعتدالا
ومثل البدر اشراقًا وحسنًا | ومثل الغيث جودًا وابتذالا
أجلُّ بني الكرام ابًا وجدًّا | واكرمُ رهطهم عمًّا وخالا
واحسنهم واجملهم فعالا | واوثقهم واصدقهم مقالا
كريمٌ من كريمٍ من كرامٍ | بنوا في المجد اعمدةً طوالا
سليل امير لبنانٍ ينادي | انا لبنانُ لمَّا ملتُ مالا
اذا قلتَ الامير ولم تسمّي | فلا يحتاج سامعك السوالا
سألنا تحت معنٍ عن نظيرٍ | لهُ هل قام قال لا لا
ستبكيهِ البلادُ ومَن عليها | الى ان تستفيض لهُ مثالا
وتحصي الناسُ ما فعلت يداهُ | ولكن بعد ان تحصي الرمالا

الى ان قال:

لبستَ اليوم ثوبًا من بياضٍ | فزاد جمالك الباهي جمالا
الى دار السعادة سرتَ فوزًا | كانك عاشقٌ يبغي الوصالا
رايت العيش في الدنيا طريقًا | لها فاخترت اقربهُ مجالا
على رمسٍ نزلتَ بجانبيهِ | سحابٌ يمطرُ الماء الزلالا
وتعبق فيهِ رائحة الخزامى | ويسطع فوقهُ نورٌ تلالا

وقال مؤرخًا سنة وفاتهِ:

هذا الامير السعيد الحظ تخدمهُ | ملائكُ الله حول العرش تجتمعُ
تقول ارقام تاريخ تحيط بهِ | انَّ الشهاب على الافلاك ترتفعُ

ومن تعازيهِ اللطيفة قولهُ يخاطب تاجرًا أُصيب بمالهِ:

يا بائع الصبر لا تُشفقْ على الشاري | فدرهمُ الصبر يسوى (كذا) الف دينار
لا شيء كالصبر يشفي قلب صاحبهِ | ولا حوى مثلهُ حانوت عطَّارِ
هذا الذي تخمد الاحزانَ حرقتُهُ | كبارد الماء يطفي حدَّة النارِ
ويُحفظ القلبُ باقٍ (كذا) في سلامتهِ | حتَّى يبدّل اعسار بايسارِ
يا من حزنت لفقد المال انك قد | حُلّيتَ عمرٍ (كذا) وما في ذاك من عارِ
كما اتى امس ذاك المال مكتسبًا | يأتي غدًا من ربيح عطف حديرِ

ومن زهريّاتهِ قولهُ:

مرَّ النسيم على الرياض مسلّما | سحرًا فرد هزارها مترنّمًا

احنى اليه الزهرُ مفرق رأسهِ ادبًا ولو ملك الكلام تكلّما
يا حبّذا ماء الغدير وشمسهُ تعطيهِ دينارًا فيُقلب درهما
نحت الرياحُ بهِ كتابةً بعضها فتخاسست من فوقهِ فتهشّما

ولهُ هجوٌ قليل فمن ذلك قولهُ لثقيل:

كفَّ عنّي لا اما لكْ قد تبيّنا مُحالكْ
وعرفناك والّا فتى نعرفُ حالكْ
قد مضى لي بك عصرٌ حاملًا فيهِ ملالكْ
حسبُ قلبي منك جورٌ كاد منهُ يتهالكْ
سترى النادمَ منّا وبيِ اللهُ فالكْ

وقال في بخيل:

قد قال قومٌ انَّ خبزك حامضٌ والبعض اثبت بالحلاوة حكمهُ
كذب الجميع بزعمهم في طعمهِ مَن ذاقهُ يومًا ليعرف طعمهُ

ومن حكمهِ المأثورة:

انّي لقد جرَّبتُ اخلاقَ الورى حتَّى عرفتُ ما بدا وما اختفى
كلٌّ يذمُّ الناس فالذي نجا من ذمّهِ يدخلُ في ذمّ الملا
ولا يحبُّ غير نفسهِ فما احبَّهُ فهو الى النفسِ انتهى
يعرف كلٌّ حالهُ فيما مضى الّا الذي كان دنيًا فارتقى
وكلّ علمٍ يدرك المرء سوى عِرفانِ قدر نفسهِ كما اقتضى
وكلُّ من لا خير منهُ يُرتجى ان عاش او مات على حدٍّ سوا

وممّا برّز فيهِ قولهُ في الدين المسيحيّ:

نحنُ النّصارى آلُ عيسى المنتمي حسبَ التأنُّس للبتولةِ مريمِ
وهو الإلهُ ابنُ الالهِ وروحهُ فتلثةٌ في واحدٍ لم تُقسَمِ
للآبِ لاهوتُ ابنهِ وكذا ابنهُ وكذا هما والروح تحتَ تَقَنُّمِ
كالشمسِ يَظهرُ جرمها شعاعها وبحرّها والكلّ شمسٌ فاعلمِ
والله يَشهدُ هكذا بالحقّ في سفرٍ لتوراةِ الكليمِ مُسلَّمِ
عن آدمٍ قد قال «صارَ كواحدٍ منّا» بلفظ الجمعِ من ذاك العمِ
خلقَ البسيطةَ واحدًا في جوهرٍ أحدٍ لخدمةِ آدمَ المستخدَمِ
لكن عصاهُ بزلّةٍ لا تنمحي الّا بإرسال ابنه المتجسّمِ
فأتى وخلّصهُ وخلّص نسلَهُ ذاك المخلّص من عذابِ جهنّمِ

ومنها في وصف اعمال السيد المسيح وآياته:

شهدَت عجائبُهُ لهُ في عصره فدرَى الحكيمُ وتاهَ من لم يفهمِ
ولنا عليهِ أدلَّةٌ قَطعيَّةٌ عقلًا ونقلًا ليسَ قطعَ تحكُّمِ
قد جاء لا سيفٌ ولا رمحٌ ولا فرَسٌ ولا شيءٌ يُباعُ بدرهمِ
يأوي المغارةَ مثل راعي الضأنِ لا راعي الممالكِ في السريرِ الاعظمِ
وهو ابن يوسف لا ابنُ قيصرَ عندهم يغزو بجيشٍ في البلادِ عرمرَمِ
فاتاهُ من شعبِ اليهود جماعةٌ كانوا على الدين التليد الاقدمِ
وتباعدوا من قومهم بمذلّةٍ يأبون كلَّ كرامةٍ وتنعُّمِ
قالوا هو ابن اللهِ جهرًا والعِدى من حولهم مثل الذئاب الحُوَّمِ
والناس بين عواذِلٍ وعواذرٍ لهمُ وبين مُحلِّلٍ ومُحرِّمِ
ما غرَّكم يا قومُ فيهِ أسَيفُهُ ام جاهُهُ ام مالُهُ في الانعمِ
هو ساحرٌ يُطغي ? فقالوا لم نجدْ من ساحرٍ يُحيي الرميمَ بطَلْسَمِ
كانت رجالُ اللهِ تُحيي ميتًا بصلاتها ودعائها المتقدّمِ
وتراهُ يُحيي المائتين بامرهِ فهو الالهُ ومن تشكّكَ يندَمِ
ولئِن همُ انخدعوا لغَفْلتِهم فقد ضَعُفَت عقولهمُ كمن لم يَعلَمِ
فترى بما خدعوا البلاد ومن بها من عالمٍ يُفتي ومن متعلّمِ
فاذا اعتبرنا ما ذكرتُ بدا لنا بالحقّ وجهُ الحقِّ غير مُلثَّمِ

وأُصيب الشيخ ناصيف في السنتين الاخيرتين من عمرهِ بفالج نصفيّ تحمَّل مضضهُ بالصبر ثم دهمتهُ سكتة دماغيَّة فتوفي فجأةً في ٨ شباط سنة ١٨٧١ رحمهُ الله. ومما طُبع لهُ من التآليف في اوربَّة رسالتهُ الى المستشرق دي ساسي نقلها الى اللاتينيَّة وعلَّق عليها الحواشي الاستاذ مهرن (Mehren) وطبعها في ليبسيك. وقد وجدنا في مكتبة برلين الملكيَّة رسالة مطوَّلة في احوال لبنان وسكَّانهِ وامرائهِ واديان اهلهِ لا نشكّ انها لهُ وان لم يُذكَر فيها اسمهُ. وهذه الرسالة نقلها الى الالمانية العلّامة فليشر (Fleischer) ونشرها في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG. VI. 98, 388) ثم نشرتها ايضاً مجلة الهلال في سنتها الثالثة عشرة (ص ٥١٣ و ٥٦٦) ونسبتها الى اندراوس صوصه

قيل انَّ من اشبه اباهُ ما ظلم. وقد صدق المثل تمامًا في اولاد الشيخ ناصيف اليازجيّ فانهم تعقَّبوا كلّهم آثار والدهم. وكان اكبرهم الشيخ حبيب ولد في ١٥ شباط سنة ١٨٣٣ ولمَّا ترعرع وجد اباهُ كهلًا تامّ القوَّة كامل العقل مولعًا بالآداب

فدرس عليهِ كلَّ الفنون العربيّة . ثمَّ مال الى اللغات الاجنبيّة فأتقن الفرنسويَّة حتى برع فيها وتعلّم غيرها كالايطاليّة والانكليزيّة واليونانيّة والتركيّــة . وكان يتردّد على المرسلين اليسوعيين في بيروت ويستفيد منهم . وتجد اسمهُ في قائمة الادباء المنتظمين في الجمعيّــة المشرقيّة التي انشأوها سنة ١٨٥٠ واكتشف بعض آثارها جناب مكاتبنا يوسف افندي اليان سركيس (المشرق ١٢: ٣٢) ثم تفرَّغ للكتابة وعرَّب بعض التآليف الاجنبيّة منها قصّة عادليدة برترويك . ومنهــا ايضاً قصّة تلماك التي ألّفها فنيلون فاجاد في تعريبها الّا انّها لم تطبع وقد طُبعت في مصر ترجمة أُخرى دونها حسناً . ومن تآليفهِ ايضاً كتاب اللامعة في شرح الجامعة فسّر فيــهِ الارجوزة التي ألّفها والدهُ في علم العروض والقوافي وكان اسمها الجامعة وقد طُبع الكتاب سنة ١٨٦٩ في المطبعة الوطنيّة . وكان الشيخ حبيب عاقلًا لبيباً رياضيًّا وقد اشتغل بالتجارة في آخر عمرهِ وكان في شبابهِ يحبُّ الشعر ولهُ بعض منظومات منهــا رثاؤهُ للطيّب الذكر البطريرك مكسيموس مظلوم بقصيدة اوّلها :

يسرُّ المرء اقبالُ الليالي ويُنسى انَّ ذلك للزوالِ

ومنها : دعِ الدنيا الغَرور وكُنْ مجدًّا كحبرِ الشرق في طلب الكمالِ
هو المظلومُ حين رمى بتاجٍ لهُ واعتاض أكفانًا بوالي
لقد ضُربت بهِ الامثالُ لمَّا غدا بين الرُّعاة بلا مثالِ

الى ان قال :

وفي الإسكندريّة دُكَّ طودٌ فلم تنفكَّ فاقدةَ الجبالِ
ثوى في تُربها بدرٌ منيرٌ فقد حسدتهُ افئدةُ الرجالِ
رئيسٌ كان في دنياهُ بحرًا فكانت تُجتنَى منــهُ اللآلي
لقد ارضى الالهَ بكل امرٍ وارضى الناس في حسن الفعالِ
فعاش كما نؤرخهُ سعيــدًا وفي الدارَين قد بلغ المعالي

وكانت وفاة الشيخ حبيب كهلًا قبل والدهِ ببضعة اسابيع في سابخ السنة ١٨٧٠ . وكما عاجلت المنون بكر الشيخ ناصيف كذلك قطفت ابنهُ الشيخ خليــل غصناً زاهياً في تمام شبابهِ وعزّ قوّتهِ . ولد هذا في السنة ١٨٥٦ وأخذ الآداب العربيّة عن ابيــهِ واخوتــهِ فرضعها مع الحليب ولمّا نشأ دخل الكليّة الاميركانيّة ودرس فيها العلوم .

وفي ١٨٨١ رحل الى مصر وزار بعض اعيانها وانشأ مجلّة مرآة الشرق الّا انّ الثورة العربيّة الجأتهُ الى الرجوع الى وطنهِ فعلّم مدّة اللغة العربيّة في المدرستين البطريركيّة والاميريكانيّة حتّى أُصيب بصدرهِ فكفّ عن التعليم ولم يزل يطلب علاجاً لوجعهِ حتى غلبهُ الداء فمات في الحدث في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٩ ودُفن في بيروت. وكان الشيخ خليل متوقّد الذهن ذا قلم سيّال وقد غلب عليهِ الشعر. ومن خدمهِ للآداب طبعتهُ لكتاب كليلة ودمنة مضبوطاً بالشكل مع شرح الغريب من الفاظهِ . وهذه الطبعة كما الطبعات الشرقيّة كلّها في الشام ومصر والهند مبنيّة على طبعة العلّامة دي ساسي لا تخالفها الّا في بعض العرضيّات بخلاف النسخة التي وقفنا عليها فنشرناها في مطبعتنا سنة ١٩٠٥ وهي اقدم نسخة مؤرخة لهذا الكتاب تخالف الطبعات السابقة مع موافقتها لترجمة ابن المقفّع الاصليّة. ومن آثار الشيخ خليل النثريّة كتاب في انشاء الرسائل وكتاب في الصحيح بين العامّي والفصيح وكلاهما لم يزل مخطوطاً غير تام

امّا خلفة الشيخ خليل اليازجيّ الشعريّة فهي اوّلًا روايتهُ « المروّة والوفاء » نظم فيها وفاء حنظلة الطائيّ بوعدهِ بعد قدومهِ على النعمان يوم بؤسهِ وضمان شريك لهُ في غيبتهِ ليصلح امور بيتهِ ويرجع الى القتل ثمّ تنصُّر النعمان لنظرهِ مروّة حنظلة. وهو حادث تاريخي معروف بنى عليهِ الشيخ خليل روايتهُ لكنّهُ طمس محاسنها بما اودعها من الادوار العشقيّة المملّة التي تُنسي سامعها الواقع التاريخيّ الاصليّ فيضيع الجوهر بزخرف الاعراض الباطلة

ومن خلفتهِ ايضاً مجموع منظوماتهِ الذي عنونهُ بنسمات الاوراق فطبعهُ بالقاهرة سنة ١٨٨٨ في ١٦٢ صفحة نروي منها بعض القطع تبياناً لفضلهِ وجودة قريحتهِ . فمن مديحهِ قولهُ في عبدالله فكري باشا ناظر المعارف في مصر:

الجاهُ عندك نال أكملَ جاهِ ... فهناكَ نورٌ فوق نورٍ زاهِ
والفخر منك كُسي بأبهى حلّةٍ ... وعليك منهُ كلُّ ثوبٍ باهِ
نالت مسامعُنا من آسمكَ لذّةً ... ففدت محسَّدةً من الافواهِ

حتى قال وتجاوز الحدّ في الغلوّ:

ولئن يكُ فيك الثنا متناهياً ... فاعذر ففضلك ليس بالمتناهي
نُزّهت عن شبهٍ فتبغي شاعراً ... متنزّهًا في الشعر عن اشباهِ

ولأنت ذاك ومن لنا بمدائحٍ   لك آيات للقريض نواوِ
فلقد أتاني الشعر يثني عطفهُ   ويقول اني عبد عبدِ اللهِ

ومن تهانئهِ قولهُ يهنّئ المطران ملاتيوس فكّاك باسقفيّة بيروت:

حبّذا ما بهِ لنا الدهرُ جادا   من سرورٍ بهِ فككنا الحدادا
حبّذا ما أنالنا مَن صلاحٍ   مخجلا مَن نمى اليهِ الفسادا
قد حبانا بسيّد ليس يدعو   نا عبيدًا وانّما اولادا
سيدٌ شاد في المعالي صروحاً   قام فيهن راقيًا حيث سادا
ربُّ حزمٍ فكّاكُ مُعضلةٍ من   كلّ امرٍ تدبّرًا وسدادا
خيرُ راعٍ يرعى الرعيّة لا تخشى م لديهِ   حملانُها الآسادا
يملأ العين بهجةً حينما يبدو م ويملا   آذاننا ارشادا

وختمها بقولهِ:

ايّها السيّد الكريم الذي ليس م   بيفيهِ الثناء مهما تمادى
ان مدحناك فالثنا المدحُ ايضاً   كالصدى راجعاً الى من نادى
بك يسمو فخارنا فاذا اردد   تَ فخارًا ففخرنا قد زادا
فاذا كان في الثناء قصورٌ   فعلينا قصورُنا قد عادا

ولهُ من قصيدة في احد قناصل فرنسة لما زار المدرسة البطريركيّة:

هذا رسولُ الدولة العظمى الى   ني دوحُ مجدٍ وهو من اغصانهِ
دوحٌ سقاهُ الفضلُ اعذبَ مائهِ   فجرت مياه العزّ في عيدانهِ
طابت مغارسهُ فاثمرت المنى   وشذا المعارف فاح من بستانهِ
اهلًا بزائرنا الكريم فانّهُ   هـل ليعرانهُ الفتى بجنانهِ
لا يُدْعَ ضيفاً في حمانا انّهُ   في بيتهِ منهُ وفي اوطانهِ

ومن اوصافهِ قولهُ في القاهرة يذكر لبنان:

قف فوق رابيةٍ من طور لبنانِ   وقُل سلامٌ على ارضٍ وسكّانِ
ارضٌ اذا ما سقاها الغيثُ كاد بها   ان يستحيل الى درٍّ ومرجانِ
يا اهل لبنانَ ما لبنانكم جبلٌ   لكنّهُ قمّة العلياء والشانِ
فيه المشاهد اصحاب المفاخر أر   باب المآثر من مجدٍ وعرفانِ
امارةٌ قد سمت فيهِ ومشيخةٌ   رست اصولهما من عهد ازمانِ
ملجا الوفاء وملجا الحرّ تقصدهُ   اصحابُ هذين من قاصٍ ومن دانِ
وملجأ الفتى من كل ذي سقمٍ   بطيبِ ماءٍ واهواءٍ وجيرانِ

وقال في الختام:

هذا هو الوطن المحبوب اذكرهُ وما انا براعٍ حُبَّ اوطان

وقال مؤرخًا ميلاد ابنهِ حبيب سنة ١٨٨٤

نجلٌ بهِ جاد المهيمن حيث قد حيَتْ وطابت انفسٌ وقلوبُ
لمَّا بتاريخٍ حبيبَ سميتُهُ قت الحبيب الى الخليلِ حبيبُ

ثم توفي الطفل في السنة التالية فقال:

وضيفٍ زارنا ومضى قريبًا وما كادت تُعَدُّ لهُ شهورُ
تركتُ مؤرّخًا بالويل حزني كبيرًا انجا لسملِ الصغيرُ

وبقي من بعد الشيخ خليل شقيقهُ الشيخ ابراهيم رافعًا أعلام اللغة والادب مواصلًا لاعمال أُسرتهِ الكريمة بين العرب مزيّنا للصحائف بمقالاتهِ في صنوف المعارف. ولد الشيخ ابراهيم في بيروت في ٢ آذار من السنة ١٨٤٧ فاستروح روح الآداب منذ حداثة سنهِ بقرب والدهِ عمدة الباشاه في وقتهِ [illegible] وخاض في ميدانهِ وجعل يمارس الكتابة حتى برع في النثر والنظم. [illegible] بيروت الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة فانتظم في سلكها [illegible] ثمَّ حرَّر مدَّة جريدة النجاح. ولمَّا عهد الآباء اليسوعيون [illegible] المقدسة من اصلها العبرانيّ واليونانيّ رأوا انَّ امانة التعريب لا [illegible] حقَّهُ من الفصاحة والبلاغة بتنقيح العبارة [illegible] الشيخ ابراهيم نال بعض الشهرة فدعوا بهِ الى مدرستهم في [illegible] معهُ في العمل وكان الاب اوغسطين [illegible] الكتابيَّة في فرنسة ينقل الكتب المقدسة [illegible] الآباء والمعلمين والترجمات الشرقيَّة العديدة [illegible] فيهِ الشيخ نظرًا مدققًا فعرض على [illegible] رأي واحد فيدوّنانهِ بالكتابة ثمَّ [illegible] بمعاونهِ الدينيَّة ومعرفة اللغات [illegible] الترجمة

واشتغل الشيخ ابراهيم في تنقيح [illegible] في غزير

و بيروت . وقد علَّم سنين طويلة في المدرسة البطريركيّة فتخرَّج عليهِ كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف . وفي السنة ١٨٨٤ اتَّفق مع الدكتورين بشارة زلزل وخليل سعادة على نشر مجلَّة الطبيب فكان الشيخ ابراهيم يحرّر فصولها اللغويَّة والادبيَّة . ثمَّ انفرط عقد وصلتهم بعد سنةٍ وانتقل الشيخ ابراهيم الى مصر حيث أبرز اوَّلًا مجلَّة البيان في آذار من السنة ١٨٩٧ ثمَّ ابدلها بمجلَّة الضياء التي انشأها ثماني سنوات الى تاريخ وفاتهِ في ٢٨ كانون الاوَّل من السنة ١٩٠٦ . ففقدت بهِ الآداب العربيَّة احد أنصارها المعدودين

وليس من حاجة هنا ان نعرّف صفات الرجل مع قرب عهدهِ بيننا ومَّما اشتهر بهِ حسن ذوقهِ في الكتابة وانسجام كلامهِ فيظهر لقارئهِ كأنَّهُ المرآة الصقيلة او الماء الزلال فكان لا يزال يردّد النظر في ما كتب وينقّحهُ مرارًا حتى يخرجهُ كالبرد القشيب والخميلة الناعمة . وكان عارفًا باللغة معرفة واسعة كما تدلُّ عليهِ بعض مؤلَّفاتهِ اخصُّها «نجعة الرائد في الترادف والمتوارد» في جزءين على طريقة كتاب الالفاظ الكتابيّة لعبد الرحمان الهمذانيّ . ومنها اختصارهُ او شرحهُ لبعض تآليف والدهِ كمختصر نار القرى ومختصر الجمانة وشرح ديوان المتنبّيّ المسمَّى بالعرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيب وكذلك تصحيحهُ وتهذيبهُ لعبارة بعض كتب الادباء كتاريخ بابل واشور للمرحوم جميل مدوَّر ونفح الازهار في منتخبات الاشعار لجامعهِ المرحوم شاكر البتلونيّ ودليل الهائم في صناعة الناثر والناظم لهُ . وكانت مطبعتنا وكلت الى الشيخ ابراهيم وضع معجم للُغة العربيّة فاشتغل فيهِ زمنًا طويلًا ثمَّ اهملهُ فانتدبت حينئذٍ جناب اللغوي الشيخ سعيد الشرتوني الى وضع كتابهِ اقرب الموارد بدلًا منهُ ثمَّ عاد الشيخ ابراهيم الى عملهِ مرارًا واتمَّ منهُ قسمًا لكنَّهُ مات ولم يمثّلهُ للطبع . وكان الشيخ كما هو معروف قليل الصحَّة بطيء الشغل ومجلَّة الضياء تستنفد همَّتهُ فلا تسمح لهُ بمعاناة عمل سواهُ

ومن آثارهِ اللغويَّة عدَّة مقالات مطوَّلة وانتقادات لسانيَّة كالاماليّ اللغويَّة ولغة الجرائد واغلاط العرب واغلاط المولَّدين واللغة والعصر ونقد لسان العرب وغير ذلك ممَّا اصاب في بعضهِ واخطأَ في البعض الآخر فتصدَّى لهُ كثيرون من الكتبة فقامت بينهُ وبينهم الجدالات الطويلة وكان الشيخ «كثير الاباء ظاهر الانفة الى حدّ

الترفُّع » كما قال في ترجمتهِ صاحب الهلال (١٥ : ٢٦٧) فأدَّى بهِ طبعهُ الى كتابة فصولٍ ما كنَّا لننتظرها من مثلهِ اطلق فيها العنان لاهوائهِ وانتهك في بعضها حقوق الدين وار بابهِ سامحهُ الله

وللشيخ ايضاً قصائد متفرّقة ومنظومات رشيقة لم تُجمع حتى اليوم . روى بعضها جناب الاديب عيسى افندي اسكندر معلوف في ترجمة حياتهِ التي نشرها في المقتطف . ومن اقدم ما وجدنا لهُ من القصائد ما انشدهُ في الجمعيَّة السوريَّة في اوائل سنة ١٨٦٨ وهي منظومة حماسيَّة ذكر فيها العرب فقال في اوَّلها :

سلامٌ ايها العَرَبُ الكرامُ وجادَ ربوعَ قطركم الغمامُ
لقد ذكر الزمان لكم عهودًا مضت قِدَمًا فلم يضع الذمامُ

ثمَّ قال في وصف مجالس العلم :

مجالسُ للعلوم غدت منارًا بهِ لغياهب الجهل انصرامُ
حلاها كلُّ أبلج أريحيٍّ تقرُّ لهُ البلاغةُ والكلامُ
تُجرِّدُ من اياديهِ المواضي وتُرسَلُ من لواحظهِ السهامُ
رجالٌ في انتشار الفضل جدُّوا وفي حبِّ العلوم صبَوا وهاموا
تلاعبت الحميَّةُ في نُهاهم كما لعبت بشاربها المدامُ
تهزُّ الاريحيَّةُ كلَّ يومٍ معاطفهم كما اهتزَّ الحسامُ
هُمُ الشهُبُ المطيرةُ فوق ارضٍ يلوح لنوءهم فيها غمامُ
غمامٌ قد تخلَّلهُ بروقٌ يصافحها الرجاءُ متى تُشامُ
جهابذةٌ يقوم الفرد منهم بما اعيا بهِ الجيش اللهامُ

ومن ابياتهِ الحماسيَّة فيها قولهُ عن العرب :

وما العَرَبُ الكرام سوى نصالٍ لها في احرُنِ العُليا مقامُ . . .
لعمرك نحن مصدر كل فضلٍ وعن آثارنا اخذ الانامُ
ونحن أُولُو المآثر من قديمٍ وان جحدت مآثرنا اللئامُ
فقد علمَ العراق لنا قديمًا ايادِيَ ليس تنكرها الشآمُ
وفي ارض الحجاز لنا فيوضٌ يسيل لها الى اليمن انسجامُ
وفوق الاندَلُوسِ لنا بنودٌ لهامات النجوم بها اعتمامُ
وسلْ في الغرب عن آثار فخرٍ لها في جبهة الزمن ارتسامُ
ولسنا القانعين بذكر هذا وليس لنا بعروتهِ اعتصامُ

ولكنّا سنجهدُ في المعالي الى أن يستقيمَ لها قوامُ

ومن محاسن نظمهِ ما كتبهُ في المجموع الذي خُصَّ بمدح كريستوف كولمب في السنة المئويّة لتذكار موتهِ :

أبقى خِريستوفُ الشهير لنفسهِ ذكرًا على الايّام ليس يبيدُ
رجلٌ لقد فتح البلاد بصبرهِ ولهُ من الهمم الحسام جنودُ
قد زاد هذي الارضَ ارضًا مثلها ليديهِ أُلقي كنزها المرصودُ
برزت اليهِ من الغيوب كأنَّها خَلْق سوى الخَلْق القديم جديدُ
فكأنَّهُ اذ حلَّ فيها آدمٌ وكأنَّها فردوسهُ المعهودُ

وقال يشكو تقلُّب الأيَّام من قصيدةٍ :

كأني بالبلاد تنوحُ حزنًا وقد اودى بعظمتها الثبورُ
يحنُّ الارزُ في لبنان شجوًا وتندبُ بعد ذاك العزّ صورُ
وتدمرُ في دمارٍ مستمرّ وما سكّانها الّا النسورُ
واضحت بعلبكٌ وليسَ فيها سوى خُرَبٍ لعظمتها تشيرُ
فلو درتِ البلاد بما عراها لكادت من تلهُّفها تمورُ

ومن لطيف قولهِ في مدح سموّ الخديوي عبَّاس :

همامٌ تولّى الامر وهو على شفا فشيّد من اركانهِ ما تضعضعا
تقلّد اعباء الرئاسةِ امردًا وقد عرفتهُ قبل ذلك مُرضعا
فكانت لهُ امًّا وكان لها ابًا غذتهُ وربَّاها وقد نشأا معا

ولهُ تاريخ في الطبيب يوسف الجلخ المتوفّى سنة ١٨٦٩ :

هذا الطبيب الذي من بعد مصرعهِ الى القلوبَ بأسقامٍ وتعذيبِ
اجرى عيون بني الجلخ الكرام لهُ بكل دمعٍ من الاجفان مصبوب
فقفْ على تربهِ واهتف برحمة عليهِ تهبطُ من تلك المحاريبِ
وقل ليوسف أرّخ طيَّ مضجعهِ أبدّتَ في كلّ قلبٍ حزنَ يعقوبِ

ويعجبنا قوله في ساعة دقّاقة:

ومحصيةٍ أعمارنا كلَّما أنقضت لنا ساعةٌ دقّت لها جرسُ الحزنِ
فيا بنت هذا الدهرِ سرتِ مسيرهُ فهل انت دون الناس منهُ على أمنِ

ومثلهُ حسناً قولهُ في عود طربٍ :

وعودٍ صفا الندمانُ قدماً بظلّهِ وما برحت تصفو لديهِ المجالسُ
تشقّقهُ طيرُ الاراكةِ اخضرًا وحنَّ عليهِ ربشهُ وهو يابسُ

ورأى قلعة بعلبكّ فذكر قدرة الرحمان بقولهِ :

يا بعلبكّ غريبة الازمانِ والعهد والصنّاع والبنيانِ
لم تُبلكِ الايّام في حدثانها الّا لتُظهر قدرة الرحمانِ

ويا ليت قلمهُ لم يرقم غير هذه المعاني البليغة ويسوءُنا ذكر قصائد وكراريس ظهرت غفلًا من اسم مؤلّفها وقد صرّحت الجرائد اليوم بأنّها من انشائهِ كقصيدتهِ السينيَّة التي نشرها سليم افندي سركيس في كتابهِ سرّ مملكة . وقد تجاسر حتى قال فيها عن ارباب الاديان :

ما هم رجالُ الله فيكم بل همُ القوم الابالسْ
يمشون بين ظهورهم تحت الطيالس والقلانسْ

ومثلها شقيقتها البائيَّة التي مطلعها :

تنبّهوا واستفيقوا أيّها العربُ فقد طمى الخطبُ حتّى غاصتِ الرُّكبُ

وفي هذه القصائد والمنشورات مطاعن في الدين وتهييج الخواطر على السلطة الشرعيَّة ما كان الشيخ في غنًى عنهُ صونًا لعرضهِ واشرف اسمهِ

ونختم هذا الفصل بذكر آخر فرعٍ من الدرحة اليازجيَّة من اولاد الشيخ ناصيف وهي السيّدة وردة ابنتهُ التي لا تزال حيّة فعسى ان يكون عبيرها عطرًا كاسمها لا يمتزج بأرجها شيء من الريح العصريَّة الذفرة وقد نمت وردة اليازجي بين الادباء فورثت عنهم الادب ولها ديوان صغير دعتهُ بحديقة الورد فتحتهُ بابيات وجّهتها الى وردة بنت المعآم نقولا الترك اولها :

يا وردة الترك اني وردة العرب فبيننا قد وجدنا اقرب النسب

ولا نزيد على هذا التلميح لقوة [illegible] أن لا [illegible] لاحياء . وبعد كتابة هذا الفصل عن الاسرة اليازجيَّة رأينا فيهِ [illegible] من [illegible] تلك [illegible] زيد الشيخ راجي اخا الشيخ ناصيف [illegible] من حاشية ذيّل بها جناب الكاتب الاديب عيسى [illegible] تاريخه الحديث « دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف » (٦٦٠) [illegible] ١٨٠٣

—١٨٥٧) ديوانًا مخطوطًا وانَّ شعرهُ يشهد له بالبلاغة. وقد اطَّلعنا لهُ في مجموع مراثي السيّد مكسيموس مظلوم على قصيدة في ذلك الفقيد الجليل اوّلها:

معدن العزّ محتد الطهر مكسيمــوسُ ربُّ الحجى حميدُ الخصالِ
من سرى في طريق مولاهُ حقًّا سبق السابقين بالإفضالِ
ونما صارفًا الى الله فعلًا بالتقى لا بالقلب والاعلالِ
كم محلّ سامٍ اشاد وكم من منزلٍ قد بنى من المجد عالِ
فجعتنا بهِ صروف زمانٍ جائرًا لا يزالُ في كلّ حالِ
ورمتنا النبالُ منهُ الى ان لم يَعُدْ موضعٌ لوقع النبالِ

وللشيخ راجي ابنٌ هو اليوم نزيل زحلة يدعى بالشيخ ملحم يتعاطى الآداب كابيهِ. وقد وقع لنا من شعره مرثاة نظمها سنة ١٨٦٩ في وفاة الدكتور يوسف الجلخ مطلعها:

كؤوس البين دارت في الانامِ من الشيخ الكبير الى العلامِ

الى ان قال:

طبيبٌ كان يشفي كلّ داء اذا استولت تباريحُ السقامِ
دهاه اليوم ما لا منهُ شافٍ ولا منهُ سليمٌ في الانامِ
واعقب فيهِ آل الجلخ سكرًا بكاس الحزن لا كاس المدامِ
واوقد بالأسى في كل قلب لهيبًا لا يزال في اضطرامِ

وختمها بقولهِ:

تركتَ العالم الغرّار طوعًا وبتَّ مجاورًا دار السلام
لئن تكُ قد رحلتَ اليوم عنا فذكرك لا يزال الى الدوامِ

(آل المرّاش) كما برّز اليازجيون الملكيّون في لبنان وبيروت بانصبابهم على العربيّة في القسم الثاني من القرن التاسع عشر كذلك كان آل مرّاش الملكيّون يتقدّمون في حلب اهل نحلتهم في رفع منار تلك اللغة. وبنو المرّاش عُرفوا في حلب منذ القرن الثامن عشر ومنهم كان بطرس المرّاش الذي قُتل في سبيل دينهِ سنة ١٨١٨ في حلب باغراء جراسيموس اسقف الروم الارثذكس مع عشرة آخرين من الكاثوليك (اطلب قصيدة المعلّم نقولا الترك في رثائهِ في المشرق ١٠ : ٦٦٤). وعُرف بعد قليل فتح الله المرّاش وكان لهُ المام بالعلوم اللغويّة والادبيّات ابقى منها آثارًا مخطوطة

ثم اراد ان يخوض ميداناً لم يكن من فرسانهِ فعثر جوادهُ وكبا زندهُ وذلك انهُ ألَّف سنة ١٨٤٩ كتاباً في انبثاق الروح القدس فزعم انهُ من الآب وحدهُ فدحض اقوالهُ الطيّب الذكر السيّد البطريرك بولس مسعد باثبت الحجج في كتاب طُبع في رومية سنة ١٨٥٦ فلمَّا اطَّلع عليهِ فتح الله المراش ارعوى عن غيّهِ واذعن للحق الواضح

وخلفهُ ابنهُ فرنسيس فنال شهرة طيّبة بذكائهِ ومعارفهِ وخلقتهِ الادبيَّة. ولد في ٢٩ حزيران سنة ١٨٣٦ ثم تلقَّن العلوم اللسانيَّة وآداب الشعر وانكبَّ على دراسة الطبّ اربع سنوات تحت نظارة طبيب انكليزي كان في الشهباء واراد ان يتمّ دروسهُ في عاصمة الفرنسيس فسافر اليها في خريف سنة ١٨٦٦ وقد وصف سفرهُ اليها في كتاب رحلة باريس الذي طبعهُ في بيروت سنة ١٨٦٧. ولم يسعدهُ الدهر في غربتهِ فكرَّ راجعاً الى وطنهِ وتفرغ للتصنيف رغماً عمَّا [illegible] من ضعف [illegible] والخطاط [illegible] حتى أفل نجم حياتهِ فمات في مقتبل الكهولة سنة ١٨٧٣ [illegible] فرنسيس [illegible] الايمان كثير التديُّن وقد ألَّف كتاباً [illegible] على [illegible] ولعقليَّة [illegible] لوجود الخالق واثباتاً لحقيقة الوحي سمَّاهُ «شهادة الطبيعة في وجود الله والشريعة» اعرب فيه عن دقَّة نظر ومعرفة بأحوال الطبيعة والعلوم العصريَّة [illegible] بين الفلسفة والآداب فاودعها [illegible] السياسة والادبيَّة [illegible] كتاب «غابة الحقّ» الذي طُبع في حلب سنة ١٨٦٥ [illegible] كتاب «مشهد الاحوال» المسبوك في بيروت سنة [illegible]

وفي بيروت طبعت لهُ رواية [illegible] وقد طبعهُ قبلها في حلب كتاب [illegible] علم الطبيعة [illegible] وكتاب [illegible] الكنوز [illegible]

[illegible] رموز [illegible]

طبعهُ [illegible]

وكان فرنسيس [illegible]

[illegible]

فتجد لذلك في اقوالهِ شيئاً من التعقُّد والخشونة مع الاغضاء عن قواعد اللغة · فمن شعره قولهُ في الحماسة :

فيقوا (كذا) من الغفلات يا اهل الوطنْ   انَّ العدوَّ دنا وها تَقَعُ الفتنْ

حتى مَ انتم يا بُزاةُ روابضٌ   هبُّوا فقد حام الغرابُ على الدِّمَنْ

هجم العدوُّ وها القتارُ وانتمُ   من ذا الغبار ستنسجون لهُ كفنْ

لا تمهلُ الغربانُ من سعة الفلا   يوماً اذا نهضَ العُقابُ من الوكَنْ

ناداكمُ الوطنُ الذي قد ضمَّكُمْ   في حضنهِ وسقاكمُ لبنَ المِنَنْ

كرُّوا الى الاعداء [illegible] الأُسد يا   أُسدَ الوفاء فهم ثعالبةُ الحَقونْ

فاصغوا لصوت ابٍ لكم يرجو الحمى   منكم فهبُّوا طاردوا عنهُ المِحَنْ

او ما ترون الدمع منهُ لاجلكم   يجري فقوموا نشِّفوا دمعَ الوطنْ

لا يحسن الموت الزؤام لدى امرئٍ   لكن فدى الاوطانِ موتكم حسن

ولهُ في الزهريات :

هوذا الصباح بدا و الانوارِ   طبعت وجوهُ الكونِ في الابصارِ

والشمسُ قد نشرتْ بيارقها على   قمم الجبال امام جيش نهارِ

وعلى عمود الصبح قد ساد الضحى   برج النهار مسلَّحاً بالنار

والشرق اوتر قوس نورٍ وانثنى   يرمي على الدنيا سهامَ شرارِ

والليل مزَّق ثوبهُ حزناً على   فقد النجوم وغار في الاغوارِ

ما زال مذْ النور يرفع في العلا   حَزْر الظلامِ كعاصفٍ لغبارِ

حتى امتلى جوف الفضاء من الضيا   وربحت بذلك كافَّةُ الاقطار

فترنَّمَ القمريَّ فوق غصونهِ   طرباً وفاحت نسمةُ الاسحار

والنسر هبَّ الى العلاء كانهُ   يبغي المسير مع السحاب الجاري

وقال يشكو الدهر :

رمت قلبي نبال الدهر حتى   رأيتُ دمي يسلُ من العيونِ

فلو كان الزمان صاغ جسما   لكنت اذيقهُ كأس المنونِ

وقال في [illegible]

[illegible] [illegible] قلْ لدى تحولْ

[illegible] بجدبٍ سكونهُ نسري تحول

ومن حكمهِ قولهُ

صدقون [illegible] من [illegible] الى زعم الهاتمْ

كلُّ نفسٍ لها سرورٌ وحزنٌ   لا تَني في ولائمٍ او مآتِمْ
كم اميرٍ في دستهِ بات يشقى   بالمُهُ والاسير في القيدِ ناعِم
اصغرُ الخلق مثل اكبرها جرْ   ماً لهذا وذا مزايا تُلائم
والخلايا للنحل اعجبُ صنعاً   من قصور الملوك ذات الدعائم

وكان فرنسيس المرّاش يراسل اهل الفضل في زمانهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وغيرهِ. ولهُ مآثر عديدة وفصول انشائيَّة وقصائد واراجيز نشرها ارباب الجرائد في عهده كاصحاب الجوائب والنحلة والزهرة والجنان يطول هنا ذكرها. ومن جيّد وصفهِ قولهُ في الحسود:

قالوا لزيدٍ انَّ عمرًا فاز اذ   ربحت تجارتُهُ بحظٍّ كيِّسِ
فازورَّ من غضبٍ وسكرج (؟) عينهُ   وتنفَّس الصعداء ايَّ تنفّسِ
وغدا يقول مُرطماً ومبرطماً   ويلاهُ من تحسين حال المفلسِ
وكذاك لمّا اخبروا عمرا بان   بكرًا غدا ذا رفعةٍ في المجلسِ
ارغى وازبد خائرًا كالمُعتري   وانتاب سحنتَــهُ ظلامُ الحندسِ
وانحاز يصرخ قد كذبتم فاصرخوا   انَّ السعادةَ لا ترى في المُتْعَسِ
ورووا على بكرٍ بانَّ صديقهُ   يحيى بعزٍّ بعـد ذلٍّ قد كُسِي
فانســابَ كالافعى وقال اعوذُ من   عارٍ غدا متبخترا في الاطلسِ
والكلّ يبــدون المسرَّة كلَّما   سمعوا بنائبــةٍ سرت في الارؤسِ
تبًّا لبغيك ايّهــا الانسان ما   ابليسُ ربُّ الحسدِ سنَّكَ بانحسِ
ذي كبرياؤك يا لهــا من آفةٍ   كالأفعوان سعتْ لقتــل الانفسِ

وقد رثاهُ الاديب المرحوم بشاره الشدياق فقال يذكر تآليفهُ:

تركت يا مفردًا شأنًا يذكّرنا   شذاه كالمسك لمّا نح في الطللِ
من مشهد قد جلا الاحوال بان لنا   منهُ عجائب افعالٍ بلا خللِ
ومن غرائب ما شاهدت من صدفٍ   اجى من الدرّ او اشهى من العسلِ
ورحلةٍ سرتَ فيها قد حوت حكماً   صيغت من الدرّس قولٍ ومن عملِ

ولفرنسيس المراش اخٌ واخت اشتهرا ايضاً بالآداب فاسم اخيهِ عبد الله وُلد في الشهباء منتصف أيار سنة ١٨٣٩ فتلقّى كفرنسيس اصول الآداب في وطنهِ ثمّ خصّ نفسهُ بالاعمال التجاريّة فسافر الى منتشستر وتعاطى التجارة فيها من السنة ١٨٦١ الى ١٨٦٦ فأحرز لهُ فيها سمعةً حسنة بدرايتهِ واستقامة معاملاته. ثم حلّ فرنسة واستوطن

باريس الى سنة ١٨٧٩ ثم عاد الى منشستر فسكنها الى سنة ١٨٨٢ فرحل عنها وحطّ عصا الترحال في مرسيلية حيث توفي في اوائل سنة ١٩٠٠

وكان عبد الله المرّاش مع اشتغاله بالتجارة حريصاً على جمع الآداب مولعاً بالمطالعة والتوسّع في العلم وكان يحب على الخصوص لآداب العربية فيهتمّ بآثار العرب وفنونهم بسعي طاقته في انتساخ ما يجلوه [illegible] وقد تردد [illegible] الى مكتبتي لندن وباريس لهذه الغاية [illegible] ادباء زمانه ورسائله تدلّ على فضله طبع منها جانب في النشرات [illegible] ومن آثار قلمه تعريب بعض التآليف الافرنسية ومقالات انتقادية على كتابات [illegible] عصره (١)

امّا أخت فرنسيس فهي ماريانا المرّاش التي لا تزال [illegible] الحياة وهي طاعنة في السنّ لها ديوان دعته « [illegible] » [illegible] ١٨٩١ ومن قولها الجيّد رثاؤها لفتاة:

ماذا جمالتم على الايدي [illegible]
هدي [illegible]
والآن [illegible]
لو كان يشفي [illegible]
فالصبر [illegible] يا آل [illegible]
فمن غدا صار في [illegible]

ونقشت على نعش اخيها فرنسيس:

ويلاه من جور دهر قد حلّ بنا [illegible]
بشتات الشمل منها حيثما نزلت [illegible] ولا [illegible]

وممّا نُقش لها على كيس تبغ:

احفظ [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

(١) [illegible]

لمَّا سموتِ على الملائكِ والبشرْ ‏ ‏ وافاكِ جبريلٌ يبشِّرُ بالظَّفرْ
وبكِ الخلاصُ غدا وابليس انقهرْ ‏ ‏ انتِ الشفيعة للخطاة ذوي الوزرْ

ولها على لسان امٍّ فارقتها ابنتها :

مذ غبتِ عني اخذتِ الروح منيَّ اذ ‏ ‏ تركتني جسماً نحيلًا فاقد الجلَدِ
احرقتِ قلبي بنار الشوق حائرةً ‏ ‏ وما رحمتِ فيا قلبي ويا كبدي
عودي اليَّ رعاكِ الله يا املي ‏ ‏ يا نور عيني وردّي الروح للجسدِ

(رزق الله حسون) وفي هذا الزمان اشتهر حلبيٌّ آخر لعب دورًا مذكورًا في نهضة الآداب العربية . نعني بهِ رزق الله بن نعمة الله حسون . ولد هذا في حلب نحو السنة ١٨٢٥ وسافر الى الاستانة فتوطنها برهةً من الدهر وصار فيها ناظرًا الجمرك الدخان ثم تحوَّل في اوربَّة ودخل فرنسة وروسيَّة وحلَّ مدة في لندن وكان في اسفاره يشتغل بالآداب العربيَّة ويؤلف التآليف النثريَّة والشعريَّة وكان خطهُ بديعاً وفي مكتبتنا الشرقيَّة من قلمهِ عدَّة كتب تأخذ بالابصار لجودة خطها واتقانها انتسخها في اوقات الفراغ في خزائن كتب اوربَّة كصبح الاعشى للقلقشندي وديوان الاخطل وديوان ذي الرمة والمُتمّ لابن درستويه ونقائض جرير والفرزدق والاناجيل المقدسة ترجمة الدبسي . وبعد حوادث سنة ١٨٦٠ قدم الى الشام في صحبة فؤاد باشا فكان يعرّب مناشيرهُ واوامرهُ ثم عاد الى انكلترَّة واشتغل بالتأليف في قرية وَنْدزورْث (Wandsworth) ومما صنفهُ وقتئذٍ وطُبع في المطبعة الاميركية في بيروت سنة ١٨٦٩و١٨٧٠ كتابهُ « اشعر الشعر » اودعهُ نظم سفر أيوب ونشيد موسى في الخروج ونشيدهُ في التثنية ثم سفر نشيد الاناشيد لسليمان وسفر الجامعة وختمهُ بمراثي ارميا . ودونك مثالًا من ترجمتهِ وهو وصف أيوب للفرس :

فهل تُعطي الجواد [illegible] ‏ ‏ وتكسو عنقهُ عرفًا سنيا (؟)
أتوسعهُ كمثل [illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]
[illegible] ‏ ‏ [illegible]

وهذا مثال آخر من نظمه لمراثي ارميا:

أنّى خلا منها الانيس البلدةُ ملأى شعوبٍ بالبلاء تشتّتوا
صارت كارملةٍ معظّمة الملا امّ القُرى ضُربت عليها الجزْيَةُ

. . . .

تبكي دماً والدمعُ فوق خدودها فُقِدت عزاء خليلها ووَدُودها
اصحابها غدروا بها طُرًّا على غطرِ المدى اضحوا شماتَحَسُودها

وممّا طُبع لهُ في المطبعة الاميركيّة «كتاب السيرة. السيّدية على ما ادّاهُ الينا المبشّرون الذين كانوا شهداء الكلمة. رتّبها بهذا النسق تتبعاً لأزمنة الوقائع والمعجزات من البشارة بمولد يوحنا الى صعود الربّ». وذلك على طريقة طاطيانوس الذي مزج بين الاناجيل الاربعة. وقد طُبع في مطبعتنا كتاب من جنسهِ وهو المعروف «بالقلادة الدريّة في الاربعة الاناجيل السنيّة» للاب يوحنّا بلو اليسوعي

ومن مآثر رزق الله حسُّون كتابان آخران طبعهما في لندن: الاول كتاب النفثات ضمّنهُ اربعين مثلاً من امثال احد كتبة الروس يدعى ايڤان اندريفتش كورلف (I. A. Kurlov) فنقلها حسُّون الى العربيّة ونظمها شعرًا والحقها ببعض مقاطيع شعريّة من نظمهِ والتعسُّف في كثيرٍ منها ظاهر واغلاطها عديدة هذا منها مثال:

دفع الجوعُ والدُّجى الذئبَ حتى أن تدانى الى سُهول البقاعِ
طارقًا لحظيرةٍ ناظرًا من نُقب صخرٍ يلوحُ ضوءُ شُعاعِ
فرأى الغنم المساكين والسكّين في كفّ حاسرٍ عن ذراعِ
يذبح الحَمَلَ السمين ويُلقي للعَرى الكرْش والمعى في القفاعِ
والكلابُ روابضٌ ونيامٌ لا تذبُّ ولا بِنَبح تُداعي
فقضى عجباً وولى كئيباً خائبًا من مرامهِ والمساعي
قائلًا يا كلابُ كم تنبحوني لو تصديتُ مثل هذا الراعي

والكتاب الآخر هو ديوان حاتم الطائي طبعهُ سنة ١٨٧٢ على نسخة مكتبة لندن في ٣٣ صفحة وقد طُبع هذا الديوان طبعة اخرى افضل من الطبعة السابقة واكمل منها على يد احد المستشرقين الالمان اسمهُ شولتِس (Schulthess)

وكان رزق الله حسون من رجال السياسة يسعى مع الاحرار في اصلاح تركيا وذلك ما الجأهُ الى سكنى لندن في اخر حياته وهناك طبع جريدتهُ مرآة الاحوال

سنة ١٨٧٧ وكان سبق قبل ذلك بمدة طويلة فنشرها في الآستانة فكانت اقدم الجرائد العربيـــة فيها (١). اما وفاة المترجم فوقعت نحو السنة ١٨٨٠ مات فجأةً في لندن. وكان رزق الله حسون صديقًا لأُدباء زمانهِ يكاتبهم ويساجلهم فمن ذلك ما كتب لبطرس كرامة:

خدينَ المعالي وابن بجدتها الفردُ ... بقيت بقاء الدهر يخدمك السعدُ
وزادك ربُّ العرشِ اسنى كرامة ... قرينٌ بها الاقبال والفخرُ والمجدُ
ولا زلتَ في امنٍ وموفور نعمةٍ ... ويمن ايادٍ كسبُها الشكرُ والحمدُ
وبعدُ فقــد طال البعادُ ومهجتي ... يكادُ من الاشواق يصرُها الوجدُ
وما ليَ عن لقياك صبرٌ ولا غنًى ... ولكنّ خَطْبَ الدهر ما بيننا سدُّ
ألا بئسما الايَّامُ اغرت يد النوى ... بنا فاستطالَت ريشما قصر الحدُّ
موانع حالت دون فرضِ زيارتي ... وقد كنتُ ارجو ان يكون لك وفدُ
واصبحتَ من ابطائكم في هواجسٍ ... تحيّرني لا يهتــدي نحويَ الرشدُ
فابغي للاطمئنان منكم ألوكــةً ... اذا لم يكن منكم قدومٌ هو القصــدُ

وممّا نظمهُ فيهِ المعلم بطرس كرامة ابيات قالهــا لمّا اقترن سنة ١٨٤٨ بسيّدة تدعى ماتلد فقال:

تهاديك يا نجلَ الفؤادِ تهانياً ... تنـبّئُ عن افراحنا حينما تبدُو
بخيرِ اقترانٍ جاء وهو مبارك ... يقارنهُ برٌّ ويصحبهُ سعدُ
فلا زلتما طول الزمان بصحةٍ ... وعيشٍ رغيدٍ بُرْدهُ الامن والرفدُ
زفاف سعيدٌ والهنــاء مؤرخٌ ... موافٍ لرزق الله بالخير ماتِلْدُ

وقد وجدنا لرزق الله حسون في الهجاء قولهُ في يوسف حجّار نصرالله دلّال الحلبي وكان استغنى بعــد فقر فترفّع:

المرء يُذكر بالاعمالِ لا المالِ ... أحسنْ بخيرهما عن كسب رئبالِ
ليس الثراء بمُجدي النائليـهِ ثنا ... ان كان ما جمعوهُ سُحتَ او بالِ
وهل سمعت بذي كبرٍ وذي صلف ... يرقى المعــالي بطول القيل والقالِ
قد ظنَّ يوسف حجّار بغرّتـهِ ... انّ العلى هزّ عطفيهِ كمكسالِ
فجــاء يخطر لا يلوي على احــد ... يتيهُ عجباً بادبارٍ واقبــالِ
الله اكبرُ هــذا حالُ ذي شططٍ ... نال المنى بعــد اقتار واقلالِ
ان ساعدتك الليالي كن على حذرٍ ... فما تدوم على لون ولا حالِ

(١) اطلب مجلة الهلال (٨: ١٤٦ و٣٢٤)

هلّا تذكرتَ ايّاماً سلفنَ وقد مضت مقدّمة [illegible] دلّال

ومنها :

ايا هبنقة القيس الذي اشتهرت اخباره [illegible] بعدٍ تام البالِ
قد استرحت من العقل الرصين ورا [illegible] يحكيك في حول واشكال
لا تأسفنّ على ما فات عن عرضٍ فالنوك داء ولكن غير قتّال
قد عاش قبلك عجلٌ وهو ذو اذنٍ لكنّما [illegible] لا تسرى الى آلِ

(القس انطون بولاد) وممن توفاهم الله في هذه الحقبة القس انطون بولاد احد ادباء زمانهِ . ولد في ختام القرن الثامن عشر في دمشق من اسرة فاضلة من الروم الملكيين الكاثوليك ثم ترهّب في دير المخلّص قرب صيداء سنة ١٨١٥ ثم رقاهُ الى رتبة الكهنوت السيّد باسيليوس خليل اسقف صيداء سنة ١٨١٢ وقد فوّضت اليه في رهبانيّتهِ عدّة وظائف اعرب فيها عن همّة ونشاط وترأس [illegible] دير [illegible] تقلا وعمّر ابنيةً جديدة في دير المخلّص و[illegible] رئاسة رهبانيتهِ [illegible] اللاهوت مدة [illegible] جرت بينهُ وبين اخوتهِ الرهبان منافرات ومنازعات دخل فيها [illegible] ارسوي [illegible] وغبطة البطريرك مكسيموس مظلوم حتى اعتزل القس انطون [illegible] في دير المخلّص وانقطع الى الفرائض النسكيّة الى السنة ١٨٦٠ وفيها انتقل الى [illegible] من [illegible] تلك السنة فسكنها الى عام وفاتهِ في ١ ايلول سنة ١٨٧١ . وكان القس انطون مولعاً بالآداب العربيّة ولاسيّما التاريخ وقد [illegible] سوريا الذي طُبع في بيروت سنة ١٨٦٨ [illegible] مستخرجة [illegible] من مخطوطات قديمة كالصبح المنبي عن حيثيّة المتنبي ورسالة [illegible] ما اخذه المتنبي من حكم ارسطو فنظمهُ في شعره مع عدّة فوائد [illegible] المدينة . ومن آثار القس انطون بولاد [illegible] تاريخ [illegible] الكنيسة الرومانية [illegible] الرومي المرتدّ الى الكثلكة [illegible] القس المذكور [illegible] السنة ١٧٥٦ الى زمانهِ [illegible] ورسائل متفرّقة

(الخوري جرجس عيسى) وعاصر القس بولاد راهبٌ آخر جاراهُ بالادب وهو الخوري جرجس عيسى السكّاف الذي اثبت المشرق (٩: ٤٩٤, ٥٤١) ترجمتهُ بقلم الكاتب البارع عيسى افندي اسكندر المعلوف. ولد الخوري جرجس عيسى في معلّقة زحلة وانضوى الى الرهبانيّة الحناويّة في الشوير سنة ١٨٤٥ ثمَّ تلقّى العلوم الدينيّة وانس في نفسهِ ميلًا الى الآداب العربيّة فتخرّج فيهـا على الشيخ ناصيف اليازجي فاتقنها. ودرس الفقه على الشيخ يوسف الاسير فبرع فيهِ ونُصب مدّةً حاكماً للنصارى في عهد الامير بشير احمد اللمعيّ. وفي اثر حوادث السنة ١٨٦٠ سافر الى ارلندة فجمع احسانات وافرة خصّ منها بعد عودتهِ الى سوريّة قسماً لبناء المدرسة البطركيّة. ولمّا فُتحت هذه المدرسة سنة ١٨٦٦ كان الخوري عيسى اول رؤسائها وقام بشؤونها الدينيّة والادبيّة احسن قيام ودبّرها سنتين واليهِ اشار سليم بك تقلا في مدحهِ للمدرسة المذكورة حيث قال:

وقد خصّها من قبلُ في جرجس الذي   امان ابتداها وابتغى الكدَّ والقهرا
وقاسى بها كلَّ الصعاب مجاهدًا   وحمّلها علماً وقدرًا كذا ذكرا

ثمَّ عاد الخوري جرجس الى دير مار يوحنّا الصابغ وتعاطى اعمال الرسالة والوعظ وارشاد المؤمنين في لبنان وبيروت بغيرة وتقىً حتى ذهب في ٨ آب سنة ١٨٧٥ شهيد تفانيهِ في خدمة المصابين في الهواء الاصفر. فمات في بيروت مأسوفاً عليـهِ وقد رثاهُ الشيخ خليل اليازجيّ بداليّتهِ التي اولّها (المشرق ٩: ٤٩٩):

سقاكِ من الحيا صوبُ العهـادِ   بدمعٍ سال من مُقَلِ الموادي

وكان الخوري جرجس عيسى شاعرًا مجيدًا لهُ ديوان مخطوط انتقى منـهُ صاحب ترجمتهِ بعض الشذرات تجدها في عشر صفحات من مجلّة المشرق (٩: ٥٤١–٥٥١) ومن نظمهِ قولهُ من قصيدة يمدح بها الشيخ ناصيف اليازجيّ:

اذا عُرضت مسائلنـا لديهِ   نراهُ لحلّهـا حالًا تصـدّى
فيوضح رمزهـا لفظاً ومعنًى   ويكشف سرّها قولًا و[illegible]
لهُ في مجلس العلما [illegible]   [illegible] حدًّا
اذا اختلف النحـاة [illegible]   [illegible] فيـهِ تبدّى
وان اتى [illegible] او لسان   [illegible] الصحيحة لن تُردّا

ولهُ مؤرخاً وفاة السيد البطريرك مكسيموس مظلوم سنة ١٨٥٥.

مكسيموس المفضال بطركنا الذي   كان الامين لشعب مولاهُ العلي
لمّا ارتقى دار الخلود ممجدًا   لاقتهُ اجواق العلاء بمحفلِ
وهناك من فرحٍ مؤرخهُ تلا   احسنت يا عبدًا امينًا فادخلِ

وللمترجم ما عدا الديوان الشعري كتابان دينيّان طبعها سنة ١٨٧٢ في المطبعة الادبيَّة احدهما «فرض العبادة الواضحة لطالبي الميتة الصالحة» والآخر «كتاب صلوات خشوعيَّة لنظم الحيوة الروحيَّة»

وقد اشتهر في هذه الحقبة من الدهر غير هؤلاء ممّن أبقوا لنا بعض آثار من فضلهم وآدابهم. امّا اخبارهم فلم يفدنا احد منها شيئًا مع قرب عهدهم من زماننا

فمنهم (المعلّم سعد ابن منصور العضيمي) لهُ ديوان طُبع في بيروت في المطبعة اللبنانيَّة سنة ١٨٧٢ دعاهُ القمر المشرق في بلاد المشرق وضمّنهُ قصائد متعدّدة في وجوه بلادنا واعيانها كالولاة والامراء وذوي الرتب الدينيّة. ولم نقف على شيء من اخبارهِ. اما شعرهُ فمتوسّط. من ذلك قولهُ في الحضرة الخديويّة اسماعيل باشا:

يا كعبة المجد والاحسان والنعم   ومعدن اللطف والاداب والحكم
انت الهمام الذي لولاك ما نطقت   لسنُ الفصاحة من عُربٍ ومن عجمِ
فخر الزمان عظيم الشان ذو هممٍ   أمست حماهُ مطايا العزم من أممِ
اعنيهِ مولاي اسمعيل من خضعت   لهُ الرئاسة والآداب كالخدم
هو المُعَدُّ لريب الدهر منتصبًا   والمستجارُ بهِ في الاعصرِ الدُهم
كالغيثِ في كرمٍ والليثِ في شيمٍ   والنار في علمٍ والدهرِ في هممِ

ومن نظمهِ قولهُ يهنئ اخاهُ يوسف بمولود سمّاه بشارة سنة ١٨٦٩

في دار يوسف قد بدا   قمر الهنا اذ حلَّ دارهْ
فلذاك اذ وافى لهُ   وعليه من سعدٍ اشارهْ
قد اشرقت انوارهُ   وعلت علينا كالمنارَهْ
نادى مؤرخهُ لنا   نصر البشارةُ بالبشارَهْ

ومن مراثيهِ قولهِ في خاتون قرينة حبيب الحاويش المتوفاة سنة ١٨٧٠

لقد نعى الناس [illegible] فقلت لهم   هل البحر [illegible] قد سارت لآليها
ام اعترى البدرَ في التمّ انخسف ام ام الشمس [illegible] دون اعاليها
من آل حاويش [illegible]   [illegible] ان اشتهى فيها

ومنها:

هذا المصابُ لقد شبَّت لهُ اسفًا بين الجوانح نارٌ عزَّ مطفيها
لكنما الصبر درعُ المتّقين فذا ينفي المصائب في الدنيا ويبليها
لا بدَّ للمرء من يومٍ يموت بهِ وهذه الارض كلٌّ سوف يخليها
والروح في الجسم مثل الزيت في سرجٍ فان مضت فضياء الجسم تاليها

ومن حكمهِ:

تزوَّدْ للخطوب السود صبرًا فان الصبر ظلمتُهُ ضياء
وخذ من كل مَنْ واخاك حذرًا فهذا الدهرُ ليس لهُ اخاء
ولا تأنس فسَعدٌ من اناس اذا وعدوا فليس لهم وفاء

(جرجس اسحق طراد) وكذلك عُرف في تلك المدَّة شاعرٌ من اسرة وجيهة في بيروت اسمهُ جرجس اسحق طراد تكرَّر ذكرهُ في منشورات زمانهِ كالجوانب والنحلة وغيرهما. ولهُ هناك فصول نقلها من اليونانيَّة وقصائد منها قصيدة دعاها المصباح مدح فيها العلم ومن ابياتها قولهُ:

العلم مصباحٌ منيرٌ في الورى والجهلُ ليلٌ مظلم لن يلمعا
فاسعوا بكسب العلم سعيًا كاملًا والله يعطي كل خيرٍ من سعى
واجلوا شموس العلم في بيروتنا فالجهلَ غير بسيفهِ لن يُردعا

ولهُ من ابيات في مدح مجلّة النحلة سنة ١٨٧٠ :

هي نحلةٌ من كلّ فنٍّ قد جنتْ وجلت عن التاريخ ما هو مُظلمُ
هبُّوا بني الاوطانِ واجنوا شهدها قد حان آنُ قطافهِ والموسمُ
وشّى صحائفها جليلٌ ماجدٌ في وصفهِ الاوطانُ تزهو وتبسمُ

وقد رثى الطيّب الذكر المطران طوبيّا عون سنة ١٨٧١ برثاة قال فيها:

خطبٌ جسيمٌ دهانا اليوم وا اسفي كلٌّ غدا قائلا قد صاع مصطبري
فقدُ الهمام الكريم الحاذق الورع م الذي تردّى ثوب الخير والطهرِ
عون الفقير حليمٌ ماجدٌ فطن شهمٌ نهيرٌ وذو قلب بلا وضرِ

وقد مدح ايضًا اسمعيل باشا خديوي مصر فقال من قصيدة:

على أسماعيل سيّدنا سلامٌ تردّدهُ الاكابر والصغارُ
اذا ما عاب غاب العزُّ عنهُ كما إن عاد عاد لنا الفخارُ
لعزّتهِ تمرُّ الاسدُ طوعًا كما للموت للدهت اضطرارُ

فما الاسكندريَّة في حماهُ سوى روضٍ يملّهُ اخضرارُ
ومصر الآنَ في الاقطار خودٌ تميس بحلَّةٍ لا تُستعارُ

ومن حكَمهِ قولهُ :

ما كلُّ من رامَ نظم الشعر يدركهُ ولا الذي رام يفدي الناس يمديها
ليس الذي عاش اياماً مطوّلةً بل الذي عرك الايام يدريها
بين الحيوة وكل الناس معركةٌ بالحظّ والبؤس تمنيها وتفنيها

وكان مولد هذا الشاعر سنة ١٨٥١ ووفاتهُ في كانون من السنة ١٨٧٧ . اما اخباره فقد تحفَّينا في السؤال عنها فلم نحصل على شيء منهـا . وكذلك لم نقف على اخبار كاتب آخر تلوح من آثاره لوائح النجابة والذكاء نريد المرحوم قيصر ابيلا . ومن العجب ان الذين افادونا عن تاريخ بيت ابيلا (المشرق ٦ : ٦٥٤) لم نتعرَّضوا لذكر قيصر . وقد كنَّا عثرنا لهُ على قصيدة دينيَّة حسنة النظم فاثبتناها في مجلَّتنا (٧ : ٢٥٦) وهي عبارة عن مفاوضة غاية في الرقة بين الله والخاطئ اوَّلها :

يدعوك ربُّك ايها المتمرّدُ حتَّى مَ في ليل المعاصي ترقدُ
فأجب نداه فاعتصم بجنابهِ فهو المجيرُ وغيرهُ لا يعصدُ

ولهُ غير ذلك من الآثار منها نُبَذ في موادّ علميَّة وصناعيَّة وادبيَّة نشرها في مجلَّة النحلة سنة ١٨٧٠ (ص ٢٢, ٣٦, ٥٢ الخ) . ومن شعره قولهُ في وصف الدنيا ونكباتها :

ذر الدهرَ فالايَّام فاسحة الد د وناشرة الداوت وطاوية العهدِ
وما هذه الدنيا سوى دار ذلة وفيها [illegible] في الهم والكدّ
نروم بها طول البقاء ودونهُ سيوف القضا مالكٌ ماسيةُ الحدّ
تخادعنا الدنيا بوعدِ مسرَّة وليس سوى البأساء فيها وفا الوعد
تسلُّ على ذي الملك والجاه سيفها كما انها تسطو على احقر العبد
وهيهاتَ ما الدنيا الغرورُ بمنزلٍ ولكن بها نجري الى منزل الخلد
وكلٌّ على هذا الطريق مسافرٌ فلا صاحبٌ يُهدى ولا ثروة تُجدي

ولهُ تقريظ في مجلة النحلة :

ألا [illegible] الاراء الا [illegible] لهم [illegible]
عليهم [illegible] طـ [illegible] ت [illegible]
فأ [illegible] [illegible]
تطيب [illegible] العقل

ونضيف الى من سبقوا اديباً آخر توفي نحو سنة ١٨٧٣ اسمهُ اسعد باز صنَّف موشَّحات واغاني تقويَّة منهـا تسبحتان في مريم العذراء شائعتان : « انتِ الشفيعَ الأكرمْ » و « يا بتول ارحمي عبيدك ». ومَّما افادنا بهِ جناب القانونيّ جرجي صفا ابيات لاسعد باز قالها سنة ١٨٣٠ في تاريخ بناء كنيسة دير القمر المعروفة بسيّدة التلة:

يا مقدس الدين الذي يسمو على   قمر العلى نورًا باشراقٍ بدا
قد زانهُ الرحمـان في آياتهِ   وبجودة المان عاد مجدَّدا
طوبى لمن وافى اليـهِ طالباً   من مريم السكرِ العناية والهُدى
ويقول تاريخاً بهِ مترنّماً   انت رجا القصّاد نل سبب الهدى

ولَمّا اهدى الفاضل غالب افندي شاول صورة السيّدة لتلك الكنيسة قال اسعد باز :

تخذتكِ يا بتولًا لي ملاذًا   حصيناً يُرتجى عند المخاطرْ
فارجوك العنـاية بي لأني   انا عبدٌ لكِ بذنوبي شاعرْ

ولهُ ايضاً :

يا بيت عنيا قد غدوتِ مشهدًا   لعجائب الله التي تسبي الورى
قد جاءك المولى المخلّص زائرًا   احيا بكِ الميت الرميم من الثرى

وتوفي في هذا الزمان (٢٦ كانون الأوَّل سنـة ١٨٧) احد وجوه الاسرة الدحداحية الذين اجادوا بالكتابة الشيخ امين الذي اتَّخذهُ الامير حيدر كرنبس كتبتهِ لمَّا فُوّضت اليهِ قائمقاميَّة النصارى في لبنان . وقد ذكر لهُ مكاتبنا الاديب النسيح سليم الدحداح في مقالتهِ عن الكنت رشيد واسرتهِ (في المشرق ٤ : ٣٩٥) آثارًا ادبيّة ومنظومات شهدت لهُ على رسوخ القدم في الآداب العربيّة وأيد قولهُ بذكر ما دار بينهُ وبين ادباء عصرهِ من المساجلات والمكاتبات المثبتة بفضلهِ واعتبار معاصريهِ لهُ

هذا ما امكنّا جمعهُ من اخبار ادباء النصارى في هذه الحقبة ولا مراء انهُ فاتنا منها اشياء كثيرة واملنا من اصحاب الفضل و [illegible] ان يسدوا الخلل او يرشدونا الى ما عرفوهُ من الفوائد فننشرها شاكرين [illegible] عن ذكر الذين قصروا [illegible] الى تآليف دينيَّة او جداليَّة قليلة كالسيد [illegible] المتوفي سنة ١٨٧٦ [illegible] مدَّة لكرسيّ رومة ربّنا الى القلاية الارشليميّة [illegible] مؤلّف كتـ[illegible] [illegible]

الروحيّة . وكالارشمندريت غبريل جبارة احد الذين عدلوا عن الكثلكة الى الارثذكسيّة بسبب تغيير الحساب . توفي سنة ١٨٧٨ في ازمير . ولهُ كتابات جدليّة لتأييد رأيهِ الباطل في الحساب الشرقيّ

المستشرقون الاوربيّون

بقيت ازمَّة الدروس الشرقيَّة في ايدي الفرنسويين في السنين العشر التي تمتدّ من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠ وان خمدت تلك الحركة بعض الخمود بعد الحرب السبعينيَّة . وكان معظم المستشرقين في فرنسة قد تخرَّجوا على اولئك الائمة الذين سبق ذكرهم كالبارون دي ساسي ودي كاترمار ورينو فتقفّى تلامذتهم آثارهم الّا انَّ الموت حلَّ ببعضهم فرزئت بهم الآداب العربيَّة

واوَّل من يستحقّ ان تشقّ عليه الاداب جيوبها العلّامة كوسّان دي پرسڤال (A. P. Caussin de Perceval) الذي سبق لنا ذكر والدهِ ولد هو في ١٣ ك ١ سنة ١٧٩٥ وانكبَّ منذ شبابهِ على الدروس الشرقيَّة ثمَّ ارسلته حكومتهُ بصفة ترجمان الى الاستانة ثم الى ازمير . ثمَّ جال ثلاث سنوات في بلاد الشام فسكن جبالها ومدنها وتوغل في باديتها حيث ابتاع لحكومتهِ جيادًا اصيلة . وكان في سياحته اتقن اللغات العربيَّة العاميَّة فألّف فيها غرماطيقًا واصلح معجم الاستاذ القبطي اليوس بُختر فجدَّد طبعهُ . وقد ندبتهُ الحكومة الى تدريس اللغة العربيَّة في مكتب دروسها العليا فلم يلبث ان احرز لهُ شهرة كبيرة في التعليم . ثمَّ خصّ حياتهُ في درس آثار العرب وتاريخهم القديم وقد ألف في ذلك كتابًا واسعًا في ثلاث مجلّدات لم يبلغ فيه احد شأوهُ وقد نفد طبعهُ حتى بيع بثلاثمائة فرنك . وللمسيو دي پرسڤال تآليف أُخرى عديدة ومقالات فنيَّة في كلّ آداب الشرق اخصّها تراجم الموسقيين العرب . كانت وفاتهُ وقت حصار باريس وفيها مات في ١٧ ك ١ سنة ١٨٧١

ومن مشاهير المترفين من المستشرقين في هذه السنين لويس اماني سيديليو (L. A. Sédillot) ولد في باريس في ٢٣ حزيران سنة ١٨٠٨ وتخرج على ابيه الفلكي المغرم بآداب الشرق (ج ١ ص ٦٥) فتعقب آثاره وجعل ينقب في الكتب الشرقيَّة ليستخرج منها دفائنها ونجح في ذلك بعض النجاح ونشر سنة ١٨٣٣ كتاب ابي الحسن

علي المرّاكشي المدعو جامع للبادي والغايات في الآلات الفلكيّة ونقلهُ الى الفرنسويّة ونشر مقالات أُخرى رياضيّة لاحمد بن محمّد السنجاري وللامام المظفّر الاسفرلدي وصنّف تاريخًا للرياضيّات عند اليونان والعرب. وقد بالغ المسيو سيديليو في تعظيم اكتشافات العرب الفلكيّة وغيرها حتى بخس حقوق اليونان فقام بينهُ وبين علماء زمانهِ جدال عنيف في ذلك فخطّأوهُ واثبتوا لهُ انهُ تجاوز في كلامهِ حدود الحقيقة وكذا يقال عن تاريخ العرب الذي ألّفهُ وطبعهُ مرّتين فانّهُ قد رمى الكلام على عواهنهِ وشطَّ في مزاعمهِ وقد خُدع بكتابهِ المصريّون فنقلوهُ الى العربيّة ظنًّا منهم انّهُ من الآثار الفريدة. توفّي المسيو سيديليو سنة ١٨٧٥

ولبّي دعوة ربّهِ بعده بزمن قليل المسيو جول موهل (J. Mohl) كان هذا الماني الاصل فولد في ستوتغارت سنة ١٨٠٠ ودرس في كليّة توبنغن. ولما شعر في نفسهِ ميلًا الى الدروس الشرقيّة قصد باريس ودرس على علمائها ثم تجنّس بالجنسيّة الفرنسويّة وتفرّغ للتأليف فكتب الفصول الواسعة في كل الفنون الشرقيّة. حتى انَّ خطبةُ التي القاها في الجمعيّة الاسيويّة الفرنسويّة عن الشرق تقوم مقام كتاب يشمل كل تاريخها الحديث وكان متعمّقًا في آداب الفرس وهو الذي نشر في باريس كتاب الفردوسي المعروف بشاه نامه طبعهُ طبعًا بديعًا في سبعة مجلّدات ضخمة ونقلهُ الى الفرنسويّة وذيّلهُ بالحواشي وعلّم سنين طويلة اللغة الفارسيّة في مكتب باريس الاعلى. توفّي في ٤ ك١ سنة ١٨٧٦

وفي السنة ١٨٧٧ فُجعت الآداب الشرقيّة باحد اركانها المسيو بلن (Belin) كان قطن زمنًا طويلًا بلاد الشرق وخصوصًا عاصمة المملكة العثمانيّة حيث تعيّن قنصلًا لدولتهِ. وكان مع تدبيرهِ لشؤون القنصليّة يهتمّ بدرس تاريخ الشرق وكشف اسرارهِ فوضع مصنّفات جليلة في تاريخ الترك وآدابهم وكان يُعنَى خصوصًا بتاريخ نصارى الشرق واحوالهم ولهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة فصول حسنة في كل ابواب المعارف الشرقيّة وقد ألّف تاريخًا للطائفة اللاتينيّة في الاستانة العليّة

وفي السنة التالية (٤ ايلول ١٨٧٨) توفي المستشرق الشهير غارسن دي تاسي (Garcin de Tassy) ولد في مرسيلية سنة ١٧٩٤ ودرس في باريس اللغات الشرقيّة على اماما الاكبر دي ساسي. فاشتهر فيها ولاسيا في اللغتين الفارسيّة والهندستانيّة وقد توفّرت مصنّفاتهُ فيهما. ومن آثارهِ «مجموع الرسوم الشرقيّة» جمعهُ من

آداب العرب وغيرهم ونقله الى الفرنسويّة . ومنهـــا كتاب في العروض والنظم عند الشرقيين . وكتاب آخر في البيان والبديع . وقد نشر كتـــاب كشف الاسرار عن حكم الطيور والازهار لابن غانم المقدسي وحشّاهُ وترجمهُ الى الفرنسويّة ولهُ غير ذلك

وفي هذه السنة ١٨٧٩ وقعت وفاة مستشرق آخر شهير ادّى للآداب العربيّة عدّة خدمٍ نريد بهِ المسيو دي سلان (G. de Slane) وجّه الحاظهُ الى بلاد المغرب ودرس اخبار البربر فألّف فيهم تاريخًا في ستّة مجلّدات ثمّ درس ابن خلدون واتمّ ترجمة مقدّمته التي كان باشر بها العلّامة دي كاترمار فطبعهـــا في ستة مجلّدات ثلاثة عربيّة وثلاثة افرنسيّة . ومن مآثرهِ الطيبة وصفهُ للمخطوطات العربيّـــة التي تصان في مكتبة باريس العموميّة لكنّ الموت حال دون تتمّة العمل فاتمّهُ المسيو زوتنبرغ (Zotenberg)

ومن الكهنة الذين ابقوا لهم ذكرًا بدرس الشرقيات في باريس الاب غـــلار (Glaire) من جمعيّة سان سولپيس ولد سنة ١٧٩٨ وبرز في الآداب الشرقيّة فدبتهُ الحكومة الفرنسويّة الى تدريس اللغة العبرانيّة في مدرستها العليا خلفًا لكاهن آخر من جمعيّتهِ الاب لوهير (Le Hir) الذي تخرج عليهِ رينان في درس العبرانيّة وكان الاب غلار حاذقًا في تفسير الكتب المقدّسة وتولى شرحها في مدارس دولتهِ العمومية وكان عارفًا باللغة العربيّة وقد وضع في اصولها كتابًا مطوّلًا في اللغـــة الفرنسوية . توفي الخوري غلار في مدرسة ايسي (Issy) قريبًا من باريس سنة ١٨٧٩

وكان يعاصر هذين الكاهنين كاهن فاضل من وطنه [illegible] الا انهُ سكن الغرب واشتهر في تونس نريد بهِ الاب فرنسوا بورغاد (F. Bourgade) ولد سنة ١٨٠٦ . وبعد كهنوته سنة ١٨٣٢ طلب اعمال الرسالـــة فرحل الى الجزائر سنة ١٨٣٨ وخدم فيها راهبات مار يوسف ثم رافقهنّ الى تونس سنة ١٨٤٠ وولي [illegible] كنيسة مار لويس التي شيّدتها الحكومة الفرنسوية ومن مساعيهِ المشكورة انهُ انشأ مستشفى لابناء وطنهِ وفتح لهم مدارس [illegible] وفتح اول مطبعة عرفت في تونس .

وكان الاب [illegible] الآداب العربيّة [illegible]

عدّة تآليف [illegible] الاسلام [illegible]

في ثلاثة اقسام [illegible]

[illegible]

لابي نصر الفتح بن خاقان وغير ذلك وقد انشأ جريدتين عربيّتين عُقاب باريس والبرجيس وكان اتّخذ لهُ بصفة كاتب ومحرّر سليمان الحرائري الذي مرَّ لنا ذكرهُ توفي الاب بورغاد في ٢٠ أيار سنة ١٨٦٦

ونختم جدول هؤلاء المستشرقين الفرنسويين باحد الاثريين المسيو دي سوسي (L. F Caignart de Saulcy) توفي في اوائل تشرين الثاني سنة ١٨٨٠ وعمرهُ ٧٣سنة بعد ان أدى للدروس الشرقيّة خدمًا عظيمة بتعريف آثار الشرق ولاسيما النقود القديمة فانّهُ ساح مرارًا في الشام وفلسطين ومصر وبلاد اليونان وجهات تركيا فدرس آثارها درسًا نعما وفكّ كثيرا من اسرار كتاباتها القديمة في لغات الشرق كالعبرانيّة والفينيقيّة والاشوريّة والعربيّة. والكتب التي ألّفها في وصف العاديات التي اكتشفها او حلّ رموزها تنيف على المئة. وبعض هذه التآليف كتب ضخمة. ولهُ ايضًا عدَّة تواريخ واسفار كرحلتهِ الى الاراضي المقدَّسة في مجلّدين وتاريخ هيرودس الكبير لكنّهُ برّز في علم المسكوكات القديمة

(الالمانيّون) سبق لنا الكلام عن مشاهير مستشرقي الالمان كفريتاغ وفلوغل فبعث هؤلاء في مواطنيهم حميّة الدروس الشرقيّة فاخذوا يجارون الفرنسويين في حلبة الآداب ويوسعون نطاق مدارسهم الشرقيّة. وممّن استحقوا شكر الادباء في هذه البرهة من الدهر العلّامة إيلد (H. Ewald) ولد في غوتا سنة ١٨٠٣ ودرس في وطنهِ العلوم الدينيّة ويعدّهُ البروتستانت من كبار ائمّتهم في اللاهوت لهُ فيهِ كتابات عديدة وقد علّمهُ زمنا طويلًا في مدارس المانية وكان تبحّر في درس اللغات الشرقيّة ومن مآثره العربيّة عواطين اسعى [illegible] حزئين [illegible] السنة الالمانيّة وقد كتب ايضا في الشعر والعروض ونشر كتاب فتوح الجزيرة المنسوب الى الواقدي ووصف المخطوطات العربيّة المصريّة في غوتا وتوفي [illegible] في [illegible] أيار [illegible] ١٨٧٥

واشتهر ايضًا [illegible] (H. L. Fleischer) [illegible] كان ابوه [illegible] وكتب في [illegible] الشرقيّة [illegible] درس آداب العربيّة وعلمها [illegible] في [illegible] (Halle) [illegible]

[illegible]

مولر وهرمان روديغر . وقد كتب روديغر في بعض اللغويات العربية عدة مقالات منها تأليف واسع في اسماء الافعال

(الروس) سبق لنا ذكر عنايتهم بالآداب العربية وكانت دولتهم لبسط سيطرتها على انحاء من القارة الاسيوية احست بحاجتها الى لغة قسم كبير من رعاياها فأنشأت مكتبا خصوصياً للغات الشرقية من جملتها اللغتان العربية والفارسية عهدت بتدريسهما الى اثنين من تلامذة البارون دي ساسي وهما الاستاذان ديمانج (Desmanges) وشرموا (Charmoy) صاحب التآليف الخطيرة في تاريخ المغول والاكراد . واخذ عن ديمانج تلميذه الروسي بوتجانوف (Bottjanoff) الذي نشر بعض قصائد لابي العلاء المعري وللنابغة الذبياني . وفي عهده كان الكسيس بولديراف (A. Boldyrew) الذي رحل الى باريس وسمع دي ساسي وعلم في موسكو وترأس على كليتها . ومن تركته العلمية نشره لمعلقتي الحارث بن حلزة وعنترة ثم منتخبات عربية طبعها في موسكو سنة ١٨٣٢ وله فصول ومقالات شتى في منشورات بلاده . وكان عالماً باللغة الفارسية ترك فيها آثاراً مذكورة . وعاصره عالم روسي آخر يوسف سيانكوفسكي (J. Sienkowski) ولد في بلاد ليتوانية في اوائل القرن التاسع عشر ودرس العربية وهو في مقتبل العمر ثم ساح في بلاد الشام ومصر وعاد الى بطرسبرج حيث درس اللغتين العربية والتركية . وكان عالماً باللهجات العامية فكتب في ذلك عدة فصول مفيدة ونشر قصصاً وحكايات وبعض روايات عنتر . وله مقالة حسنة في ديوان لبيد . وساعد برغرين (Berggren) في تأليف دليله للسياح في الشام ومصر سنة ١٨٤٤ . ومن مآثره انه جمع من تواريخ العرب والترك والفرس ما رووه عن قبائل الهونيين (Huns) وعن امور وطنه بولونية

وقد تخرج على سيانكوفسكي كثيرون من الروسيين اشتهر بينهم سافلياف (P. Sawelieff) الكاتب الاول لاسرار الجمعية الاثرية في بطرسبورج وأحد خدمة الآداب الشرقية في بلاده . ثم غريغورياف (W. Grigorieff) معلم التواريخ الشرقية في عاصمة دراته

وعرف في ذلك الوقت الكاهن الروسي بافسكي (G. Pawsky) نقل الكتب المقدسة من العبرانية الى الروسية وألف كتاباً في اصول اللغة العبرانية وكان متضلعاً

بالعاديّات الشرقيَّة وقد صنَّف فيها المقالات المستجادة . واشتهر مثلهُ في العبرانيَّة العالِم كوسوڤتش (K. Kossowitch) الذي نقــل الى الروسيَّة غرماطيق جزنيوس (Gesenius) وحشّاهُ وقد نشر منتخبات عبرانيَّة

وفي السنة ١٨٥٤ أُنشئ في كليّــة بطرسبورج مكتب خصوصي لدرس العلوم الشرقيّة فدُعي الى تدريس العربيَّة فيهِ المسيو نڤروتسكي (M. Nawrotsky) الذي وضع في اصول اللغة العربيَّة كتابًا يرجع اليهِ علماء الروس حتى يومنــا هذا. وكان يسعفهُ في تدريس اللغة العاميَّة الشيخ محمَّد الطنطاوي المتوفَّى سنة ١٨٧١ ولهُ في اللهجة المصريَّة كتاب معروف

واشهر من هؤلاء المستشرق الروسي الياس نيقولاڤتش برازين (F. N. Béresine) ولد سنة ١٨١٨ ودرس في كليَّة قازان اللغات الشرقيَّــة ثم ارسلتهُ الكليَّة الى بلاد الشرق فطاف اقطار العجم ثم الجزيرة وبرّ الاناضول والشام ومصر وسكن الاستانة مدّة ثم عاد الى بلادهِ مارًّا بالقريم ثمَّ رحل الى سيبارية ودرس آثار التتار وكتب تاريخهم. ثمَّ علَّم مدَّةً في كليَّة قازان اللغة التركيَّة ولهُ فيها وفي الفارسيَّــة عدَّة تآليف . وكان يعرف اللغة العربيَّة ودرس خصوصاً لهجات بلاد الجزيرة وما بين النهرين فوصفها وانقطع الى تاريخ الدول الاسلاميَّة وكتب فيها كتابات اثريَّة وتاريخيَّة وجغرافيَّة وادبيَّة ولغويَّة وقد اجاد في وصف شيَع اليزيديين والاسماعيليين واسهب في تعريف نصارى الشام وما بين النهرين. وقد تولَّى ادارة المطبوعات الشرقية في قازان الى وفاتهِ نحو السنة ١٨٧٠

وقد اشبه العلامة برازين روسي آخر سبق لنا ذكرهُ (ج ١ ص ١١٩) المسيو خانيكوف (M. de Khanikoff) فانهُ رحل ايضاً الى العجم واواسط اسيَّة وكتب في آثار بخارى وسمرقند وفي آداب الفرس وشعرائهم. توفي سنة ١٨٧٩ (١

ونختم بذكر مستشرق اسوجي لبى دعوة ربــهِ في هذه الردحة نعني بهِ شرل ترنبرغ (C. Tornberg) فانهُ ولد سنة ١٨٠٧ وتتلمذ لدي ساسي في باريس وعلَّم في كليَّة اوبسالا اللغة العربيَّة. ولهُ تآليف في آثار العرب تستوجب شكر محبّي الشرقيَّات اخصُّها

١) قد استفدنا بعض ما كتبناهُ عن مستشرقي روسيَّة من احد افاضلها نزيل بيروت هذه الايَام واحد طلبــة مكتبنا الشرقي الاديب اغناطيوس كراتشكوفسكي (I. Kraktchowski) فنشكرهُ على ما افاد. وستتم في الفصول التالية اخبار الذين اشتهروا بعد سنة ١٨١٠

تاريخ الكامل لابن الاثير طبعهُ في ١٤ مجلّدًا واضاف اليهِ ملحوظات مهمّة وفهارس. ثم تاريخ فاس المسمّى كتاب الانيس المطرب روض القرطاس للشيخ ابن ابي زرع نشرهُ ونقلهُ الى اللاتينيَّة. وكذا فعل بمنتخبات من تاريخ ابن خلدون ومن خريدة العجائب لابن الوردي ووصف المخطوطات الشرقيَّة المصونة في مدينة اوبسالا . توفي الدكتور ترنبرغ نحو السنة ١٨٧٨

الفصل الثاني

الآداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

نظر عامّ

لم تبلغ الآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر كلهِ ما بلغتهُ في حقبتهِ الاخيرة فانها اصبحت اذ ذاك كالزهرة المتفتحة من زرّها المعطّرة الارجاء بعرفها وكالشجرة التي بسقت افنانها ومدَّت في قاع الارض اصولها فلم تعُد ترهب الانواء او تكترث لزعازع الرياح. وكان الفضل الاكبر في نجاز هذا المشروع العظيم لبلاد الشام وخصوصًا لبيروت التي اضحت كمركز دائرة الآداب تجتذب اليها زهرة الشبيبة من انحاء سوريَّة ومصر والعراق فتغذيهم بافاويق العلوم وتعيدهم الى اوطانهم فيرقون شيئًا فشيئًا عقول مواطنيهم ويوسّعون نطاق التمدُّن بنفوذهم

ولا مراء انَّ المدارس لعبت الدور الاهمّ في هذا الترقّي الشريف فكانت الكليّة الاميركيّة بلغت عزَّ قوَّتها تحت نظارة رئيسها النشيط الدكتور دانيال بلس بهمَّة بعض اساتذتها ولاسيما الدكاترة كرنيليوس ڤان ديك ولوبس وجرج بست ويوحنا ورتبات مع مساعدة بعض الوطنيّين. وكان وقتئذ تعليم المدرسة باللغة العربيَّة فوضعت عمدة الكلية في العربية او نقلت اليها عددًا وافرًا من التآليف العلميَّة التي ادت خدمًا موقتة لنشر العلوم في [illegible] الى ان عدلت المدرسة من العربيَّة الى الانكليزيَّة لمّا تحقَّقت ان تلك التآليف تحتاج [illegible] الى اصلاح وتحسين بتقدم العلوم فلا تفي المرام بعد زمن طويل [illegible]

وكانت الكليَّة اليسوعية [illegible] حداثة نشأتها تباري رصيفتها الاميركية في نشر المعارف [illegible] الاعمال العلمية في [illegible]

منار الدين والعلم بين الطوائف الشرقيّة فمنحها السعيد الذكر بيوس التاسع سنة ١٨٧٤ اسم كليّة وقام من بعده خلفهُ المغبوط لاون الثالث عشر فخصّها سنة ١٨٨١ بامتيازات اخرى وخصوصاً ان تعطي طلبتها شهادة الملفنة في اللاهوت والحقّ القانوني والفلسفة

وكانت الدولة الفرنسويّة في تلك الاثناء ساعيةً في تعزيز مدارسها في الشرق فرأت في كلية القديس يوسف محققًا لغاياتها ضامنًا لحسن نياتها فمنحت لطلبتها الاجازة كطالبي مدارسها في فرنسة. ثمّ وكلت الى روسائها ان يلحقوا بالكلية مكتبًا طبيًا. فتمّ ذلك فعلًا سنة ١٨٨٣ وأُنشئت الدروس الطبية بكل فروعها التي تبلغ الاثني عشر لكلّ منها معلّمها الاختصاصي. فزادت هذه الانعامات كليّتنا نشاطًا وعزيمة ورقّتها الى درجةٍ ما كانت لتطمع فيها الآمال. وكانت للدروس العربية في ذلك الترقي حظّها من الاهتمام كما اثبتنا الامر في خطبة القيناها على الحضور في حفلة توزيع الجوائز سنة ١٨٩٨ (المشرق ١ : ٦٩٩) وفي مقالة اخرى عن تدريس العربية في كليتنا (المشرق ٥ : ٩٢٢) حيث عددنا تآليف تسعين من تلامذتها بينهم الكتبة والخطباء والشعراء والصحافيون واللغويّون

وكانت المدارس الثانويّة بعضها للمرسلين وبعضها للوطنيين تركض جيادها في ذلك المضمار. فمنها ما كان سبق انشاؤهُ تلك الحقبة فمرّ لنا ذكرهُ ومنها ما استجدّ افتتاحهُ كمدارس «الفرار» في بيروت والقدس وحيفا ويافا وطرابلس ومدرسة الاباء الكبوشيين في صليما والاباء الكرمليين في القبيات والاباء اليسوعيين في حمص وسيدة القلعة. واعظم منها مدرسة القديسة حنَّة الاكليريكية المعروفة بالصلاحيَّة التي أسسها سنة ١٨٨٢ نيافة الكردينال لافيجري وخصّها بتهذيب طلبة الكهنوت من طائفة الروم الكاثوليك تحت ادارة الآباء البيض (اطلب في المشرق ١٠ : ٨٦٠ مقالة الخوري نقولا دهّان في تاريخ تلك المدرسة وآثارها). وتعددت المدارس الابتدائيّة للذكور والاناث فحظيت بها اكثر قرى لبنان وسهول البقاع ونواحي حوران بهمّة المرسلين اليسوعيين واللعازريين فضلاً عمّا بثّته المرسلون البروتستانت في انحاء شتّى

امّا المدارس الطائفية فاسمى [illegible] الدروس الثانويّة مدرسة غزير المارونية كان الساعي بها الخوري لويس زوين سنة ١٨.. ومدرسة [illegible] المارونية [illegible] من آثار همّة السيد يوسف الزغبي سنة ١٨٨٣ ومدرسة الروم الكاثوليك [illegible]

البطريركية التي اقبل عليها الاحداث لحسن نظامها . وكذلك مدرستهم الاسقفيّة في زحلة اهتمّ بتدبيرها كهنة افاضل اخصّهم الخوري فيلبُّوس نمير والخوري بطرس الجريجري قبل انتخابهِ الى كرسيّ بانياس . وفي السنة ١٨٩٨ اقامت الرهبانيّة الباسيليّة الحنَّاويّة مدرستها الشرقيّة وقد نعتتها بالكليّة وهي اليوم من المعاهد التي تزين مدينة زحلة . وانشأ الروم الكاثوليك بعد ذلك مدرسة حلب التي يدبرها عدّة كهنة من تلامذة القديسة حنّة تحت نظارة راعيها الغيور . وزيد ايضاً بمساعي الطوائف الشرقيّة عدد المدارس الابتدائيّة في عدّة امكنة فاصبحت بذلك اثمار العلوم دانية القطوف حتى بين القرويين والفقراء

وممّا نعرفهُ من امور المدارس غير الكاثوليكيّة انشاء الروم الارثدكس لمدرسة كفتين سنة ١٨٨٢ فتقلّبت عليها الاحوال بين تقدُّم وتأخُّر حتى أُقفلت . ومثلها مدرستهم الاكليركيّة في دير البلمند التي اصابت بعض النجاح مدّة . وانشأت السيّدة املي سرسق مدرسة وطنيّة في الثغر لبنات طائفتها دعتها زهرة الاحسان عام ١٨٨٠ . وقد وجد الروم الارثدكس مساعداً كبيراً في الدولة الروسيّة لتوفير مدارسهم وحسن تنظيمها . فانّ شركة فلسطين المسكوبيّة منذ عشرين سنة انشأت في الشام وفلسطين نيفاً وثمانين مدرسة تنفق عليها المبالغ الوافرة . وفتح الاسرائيليُّون مدرسة في بيروت ترأسها زاكي افندي كوهن سنة ١٨٧٥ فخدمت طائفة اليهود نحو ٢٥ عاماً ثم أُبطلت وقامت بدلًا منها مدرسة الاتحاد الاسرائيلي

كذلك انشأت الحكومة للمسلمين في بيروت المكتب الاعدادي سنة ١٣٠٩ (١٨٨٥) ثم انشأ بعض الاهالي اصحاب الهمّة مدارس اهليّة اخصُّها المدرسة العثمانية لصاحبها ورئيسها الشيخ احمد افندي عبّاس الازهري سنة ١٣١٣ (١٨٩٧) والمدرسة الوطنيّة والمدرسة العلمية وهذه المدارس ارقى نوعاً من المدارس الابتدائية فتزيد غالباً على المبادئ واصول الدين واللغة درس اللغتين التركية والفرنسويّة مع اصول الحساب والجغرافية ومسك الدفاتر

وكانت المطابع السوريّة في هذه البرهة سيّارة الآداب تجري على حرّيتها دون ان يضغط عليها المراقبون ويقصّوا اجنحة اطيار الافكار . فكان الصحافيُّون يعلنون الاخبار الصحيحة ويعربون عن آرائهم في اصلاح الامور وتلافي الشرور لا تاخذهم في ذلك لومة

لاثم . وفي تلك الاثناء اتّسعت مجلة المقتطف في ابحاثها وكبر حجمها بعد الغاء مجلّة الجنان لكنّها وجدت في طريقها عثرات بمقاومة بعض الحسّاد فانتقلت الى مصر سنة ١٨٨٦ وجرت على سَنَنها الى السنة الجارية وهي الرابعة والثلاثون من عمرها . وأنشئت بعد ذلك مجلّة الطبيب كان يحرّرها بشاره زلزل والشيخ ابراهيم اليازجي . ولم يطل عمرها على ثلاث سنوات فقامت بدلًا منها مجلّة أُخرى باسمها يحرّرها الى يومنا الدكتور اسكندر افندي البارودي . ونشر الروم الارثذكس مجلتهم الهديّة خمس سنين وظهرت في لبنان مجلّتا الشفاء والصفا فخدمتا الآداب بضعة اعوام . وكانت مجلّة المشرق آخر ما بزغ في ختام القرن التاسع عشر من المجلّات في بيروت ظهرت في غرّة السنة ١٨٩٨ وهذه السنة الثانية عشرة لعمرها . نفع الله بها اهل الوطن ومحبّي الدين والادب . وكذلك بوشر بعدّة جرائد منها لسان الحال ظهرت سنة ١٨٧٧ ثم جريدة المصباح كان ينشئها المرحوم نقولا النقّاش ثم جريدة التقدّم كان صاحب امتيازها يوسف الشلفون . وجريدة الاحوال لصاحبها الاديب خليل افندي البدوي . وأُنشئت الصحافة اللبنانيّة فظهرت في بيت الدين جريدة لبنان الرسميّة ثم الروضة ثم لبنان لصاحب امتيازها جناب ابراهيم بك الاسود ثم الارز

وطُبعت عدّة مطبوعات مفيدة منها علميّة ومنها تاريخيّة ومنها ادبيّة . وكانت مطبعتنا الكاثوليكيّة في مقدّمة المطابع فنشرت بهمّة مديريها وآبا كنيّتنا مطبوعات جليلة لا تزال معدودة من خيار المنشورات العصريّة . وممّا وجّهت اليه عنايتها الكتب المدارسية لتكون في ايدي الاحداث قدوةً ودليلًا

على انّ ادارة المعارف في الاستانة اخذت تنشئُ القوانين الصارمة لتقييد حرّيّة المطبوعات ولم تزل تضايقها شيئًا بعد شيءٍ حتى بلغت في ضغطها حدًّا لا يكاد يتجاوزه غير الذين قاسوا مضضهُ . ولعلّ ذلك الضنك الذي بلّغ الروح التراقي كان من قوى اسباب الانقلاب الاخير . ومن المطبوعات الجديرة بالذكر التي صدرت في ذلك الوقت في بيروت دائرة المعارف باشر بها العلّامة بطرس البستاني ثم خلفه في نشرها اولادهُ ونسيبهُ ولم يتمّ منها الّا نصفها . وكذاك طُبع ديوان الاخطل وديوان الخنساء وديوان ابي العتاهية واقرب الموارد للشيخ سعيد الشرتوني وفرائد اللآل في مجمع الامثال للشيخ ابراهيم الاحدب وتاريخ ابن العبري وشرح المتنبي للشيخ ابراهيم اليازجي وتبيين [illegible]

الادب مع شروحهِ وكتب أُخرى عديدة جعلت لبيروت بين المستشرقين سمعةً طيّبة حتى ضربوا المثل بحسن مطبوعاتهـا. وكان الحظ الاوفى في ذلك للمسيحيين وخصوصاً للكاثوليك

وممّا يحيي الآداب ويبعث همم ذويها الجمعيات الادبية وقد ذكرنا سابقاً مـا أُنشئ منها في بيروت على انَّ تلك الجمعيات الادبية انتقض حبلها وتضعضعت اركانهـا اذ تصدَّت لها الحكومة المحليّة وكانت لا تزال تترصَّدها وتتجسَّس بواطن اصحابها وتسيءُ الظنّ بهم فرأوا في شتاتهم خيرًا لهم. وقد سعى مع ذلك الادباء بانشاء نوادي ادبية منها الدائرة العلمية المارونية التي عقد اصحابها من اساتذة الحكمة بعض جلسات في السنتين ١٨٨١ و ١٨٨٢ ونشرت نبذًا من اعمالها. ولم تطل كذلك حياة دائرة ثانية انتمت الى القديس جرجس دبّرهـا الاب يوسف برنيه اليسوعي ثلاث سنوات واتت ببعض النتائج الحسنة (١٨٨٣–١٨٨٦) وأسس الاميركان جمعيـة اخرى مختلطة دعوها بشمس البرّ تلتئم حتى اليوم في اوقات معلومة وتُتلى فيهـا الخطب في مواضيع شتّى تُستشفّ من وراء بعضها حريّة الافكار

وقد ساعد ايضاً على نشر الادب في جهـات الشام وبالاخصّ في بيروت انشاء الكتبيين للمكاتب فانَّ باعة الكتب قبل السنة ١٨٨٠ كانوا قليلين لا يزيدون على ثلاثة او اربعة بين نصارى ومسلمين ففتحت عدّة مكاتب حتى تجاوز عددها العشرين وكان بين الكتبيين رجال ذوو نشاط كانوا يجلبون المطبوعات من بغداد والعجم والهند ومن اوربة. ثم خمدت تلك الحركة بعد ان تشددت الحكومة في مراقبتها للمطبوعات فلم تكتفِ بان تمنع الكتب المخالفة لسياسة الدولة بل حجزت على مطبوعات جليلة لمجرد ما توهّمته فيها من محظورات حتى لم تسمح بدخول تاريخ ابي الفداء والعقد الفريد لابن عبد ربه. وقد رأينا من مراقبة المأمورين عجائب وغرائب لو اثبتناها هنا لعُدَّت من [illegible] والتعصب [illegible] همجيّة

ومع ما تعددت كتابات الصحف تحضّ ذوي الامر عـلى انشاء خزائن عموميّة تودع فيها [illegible] يقتبس من انوارها المشتغلون بالآداب كما هو جارٍ في معظم البلاد المتمدنة [illegible] على حديد بارد. والى يومنا

هذا تتمنى بفروغ الصبر ان تصرف بلديّتنا نظرها الى هذا الامر النافع فعسى ان يلقى مطلوبنا اذنًا سامعة

على انَّ بعض الجمعيَّات استدركت الامر وبذلت المال في تجهيز تلك الخزائن . فانَّ المدرسة الامركيَّة عُنيت بفتح مكتبة في معاهد كليتها يبلغ عدد كتبها نحو عشرة الاف بينها نحو ثلاثة آلاف كتاب عربي بين مطبوع ومخطوط وهي ترخص لأدباء البلدة فضلًا عن ذويها بمطالعة تلك المصنَّفات . وكذلك اهتمَّت احدى السيّدات الامركيَّة بانشاء غرفة للقراءة تُعرَض فيها الجرائد على القرَّاء وتتضمَّن مع هذا عددًا وافرًا من الكتب العربية وخصوصاً التآليف الدينيَّة البروتستانيَة

وكان روساء مدرستنا الكليَّة وجَّهوا جلّ اهتمامهم لانشاء مكتبة واسعة تشتمل على اخصّ الآثر الشرقيَّة فوكلوا الامر الى بعض رهبانهم فأنشئت سنة ١٨٨٠ المكتبة الشرقيَّة التي لم تزل تمتدّ وتتَّسع حتى ينيف اليوم عدد كتبها على الثلاثين الفًا . بينها مجموع المجلَّات الاسيويَّة واخطر التآليف واعزّها في كل ضرب من العلوم الشرقيَّة . هذا فضلًا عن الفي كتاب مخطوط في العربيَّة والسريانيَّة والكلدانيَّة والتركيَّة والفارسيَّة مع آثار قليلة في اليونانيَّة والقبطيَّة والحبشيَّة . فاذا أُضيف الى هذه الخزانة ما تحويه المكتبة الغربيَّة والمكتبة الطبيَّة والمكتبة المدرسيّة وغيرها بلغ عدد كتب كليتنا مئة الف . وكثيرًا ما تلطَّف الروساء فسمحوا لاهل الادب من الوطنيين والاجانب على اختلاف الاديان ان ينتفعوا من تلك الكنوز الادبيَّة ويقتطفوا ما شاؤوا من تلك الثمر الجنيَّة . ولم يريدوا ان يُحرم طلبتهم الاحداث من مراجعة كتب الآداب فقرَّبوا منهم منافعها وخصُّوا بهم مكتبة عربية يجدون فيها ما يهذّب اخلاقهم وينير عقولهم ويفكه ارواحهم

وممَّا يستحق الذكر بين مكاتب البلاد خارجاً عن بيروت مكتبة الملك الظاهر في دمشق جُمعت فيها على عهد مدحت باشا الكتب المتفرّقة الموقوفة على الجوامع والمدارس فاضحت من اخصّ المعاهد الادبية وهي تحتوي نحو سبعة الاف كتاب يغلب عليها الكتب الخطيَّة

وممَّا يعود فضلهُ الى بيروت خصوصاً في تعزيز الآداب العربيَّة فنّ التمثيل [illegible] كيفيَّة ظهوره على يد المرحوم مارون نقَّاش [illegible]

في المراسح العموميّة حيث مُثلت روايات مخلّة بالاداب. الّا انّ هذا الفن الجليل عاد الى شرف مقامهِ في المدارس المسيحيّة. وكانت كليّتنا اوّل من سبق الى تشخيص الروايات التمثيليّة العربيّة سنة ١٨٨٢ فكان مديروها يختارون لذلك الوقائع الخطيرة ولاسيما الحوادث الشرقيّة ليرسخ في قلوب طلبتهم مع حبّ الوطن ذكر تواريخ بلادهم. فمن جملة ما مثّلوا حكم هيرودس على والديه في بيروت واستشهاد القديس جرجس فيها ورواية صدقيّا ثم داود ويوناثان. وممّا اقتبسوه من تاريخ العرب رواية ابن السموءل ورواية المهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة واخوة الخنساء. وكان للطلبة في تأليف بعض هذه الروايات سهمٌ وافٍ الّا انّ معظمها بقلم الاباء او بعض اساتذة الكليّة

وكما مُثلت المآسي والروايات الفاجعة او الفكاهيّة كذلك كانت تعقد في كليّتنا محافل ادبيّة يحضرها اعيان البلد فيبحث الطلبة في بعض المشاكل التاريخيّة او الابحاث اللغويّة والادبية فياتي كل منهم بما جادت بهِ قريحتهُ نظماً او نثرًا حتى يستوفوا الموضوع حقّهُ ويبرزوا محاسنهُ من كل وجه. فدارت بعض هذه المجالس على مفاخر بيروت والآداب العربيـة وتنصُّر النعمان والقديس يوحنَّا فم الذهب والقديس يوحنَّا الدمشقي والرشيد وبني برمك والمامون وعصرهِ. وكان وجوه البلدة يحضرون تلك الحفلات على الرغبة والشوق. واخذت بقيَّة المدارس تجري على هذه الآثار لاسيما المدارس الكاثوليكية كالمدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة بهمَّة بعض اساتذتها الأُدباء وخصوصاً عبد الله افندي البستاني والمرحوم نجيب حبيقه

هذه لمعةٌ من احوال الآداب العربيـة في بلاد الشام في الخُمس الاخير من القرن التاسع عشر. وكانت مصر بعد تقدُّمها على الشام في النهضة الادبية اصابها بعض الخمول رغمًا عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ووفرة مطبوعاتها العربية وهمَّة خديويها محمَّد علي باشا ووزير معارفها الهمام علي باشا مبارك. ولعلّ سبب هذا الخمول انما كان انصراف نظر اهلها الى العلوم الاجنبية فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الاوربية الى العربية فيدرّسونها في مدارسهم فيشغلهم الامر عن الاهتمام بالآداب العربية

ثمَّ حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨٢ واحتلَّت الجيوش الانكليزيَّة القطر المصري فكان للاحتلال مضرًا للآداب العربيَّة من جانب ومفيدًا من جانب آخر اما ضررهُ فقد

حصل باتّخاذ اللغات الاجنبية كلغات التدريس فحُرمت العربية من التآليف المنقولة من غيرها اليها واهمل كثيرون درسها. الّا ان مصر اعتاضت عن هذه الخسارة بفوائد اخرى كتنظيم الدروس العربية في مدارسها وادخال تلك اللغة في جملة الدروس الثانويّة لنوال شهادة الحكومة. وزاد عدد المدارس الاجنبية التي لم تكن لتغضي عن درس العربية كمدرسة العائلة المقدّسة في القاهرة للآباء اليسوعيين ومدرستهم في الاسكندريّة وكمدارس الآباء الافريقيين في طنطا وزقازيق ومدارس عديدة لاخوة المدارس المسيحية

وكذلك المدارس الوطنية زادت عددًا ونموًّا في القاهرة وبقية بنادر القطر المصري حتى جُعل لها ديوان يهتمّ بشؤونها دُعي ديوان المدارس ثم عُرف بديوان المعارف العمومية. وفي هذا الوقت حُوّرت طرق التعليم في بعض المدارس المنشأة سابقًا لاسيما مدرسة الازهر التي نالها بعض الاصلاح بدخول فروع جديدة من التعليم كالجغرافية والتاريخ لكنّها لم تزل بعيدة عن رتبة الكليات الاوربية

وفُتحت اذ ذاك بعض المكاتب الجامعة لمنفعة العموم. وكان اخصّها المكتبة الخديويّة التي أُنشئت في عهد محمّد عليّ الّا انها لم تنظَّم ولم تحفل بالمطبوعات والمخطوطات النادرة الّا بعد ذلك بهمّة نظّارها الاوربيين كالدكتور ڤولرس المتوفَّى آخرًا والدكتور مورتس ناظرها الحالي

ونشأت عقيب الاحتلال الانكليزي الحياة السياسية بما مُنحتهُ المطبوعات من الحريّة واتسعت دوائر الصحافة خصوصًا فبلغ عدد الجرائد والمجلّات العربية في مصر ما يُربي على المئة. وكان للسوريين في هذه الحركة نصيب عظيم حتى كان اكثر مديري تلك المنشورات ومنشئيها من اهل سوريّة وزاد عددهم في وادي النيل بعد ضغط الدولة العثمانية على المطبوعات حتى اناف على ثلثي الكتبة المصريين فتقدّموا على غيرهم بما عُرفوا بهِ من النشاط والذكاء والتفنن في الكتابة. وحقّ يقال ان اكثر مجلات القطر المصري كالمنار والمقتطف والضياء والهلال واعظم جرائده كالمقطّم والاهرام والعمران كان يحرّرها السوريّون

وممّا اكتسبتهُ مصر من الاحتلال الانكليزي انتشار المذاهب وتوفّر المطابع وتحسين ماديّاتها فأمكن المصريين لوفرة ذلك ان يطبعوا الكتب طبعًا متقنًا [illegible] وقد استعاروا من مسابكنا حروفهم. فنشرت اذ ذاك في وادي النيل [illegible]

كلسان العرب وتاج العروس ونهاية ابن الاثير. وكتب لسانية خطيرة كسيبويه ومخصَّص ابن سيده. وكتب تاريخية اخصُّها ما نشرتهُ المكتبة الخديويَّة كتاريخ ابن اياس وتاريخ ابن دقماق وتاريخ ابن جيعان وتاريخ الفيُّوم. ومثلها تاريخ السخاوي وطبقات الاطبَّاء لابن ابي اصيبعة . وكتب ادبية كخزانة الادب وحلبة الكميت للنواحي وبعض دواوين وتآليف أُخرى . ومع ما اجدت هـذه المطبوعات المصريَّة من المنافع للعلم لا يسعنا السكوت عن نقائص كثيرٍ منهـا كسقم طبعها وكثرة اغلاطها وقلَّة ضبطها بالشكل وخلوّها من الشروح والملحوظات والروايات والفهارس. وربَّما عمـد اصحابها الى مطبوعات المستشرقين فنسخوها بحرفها ومسخوها بالتصحيف وجرَّدوها عن محاسنها وقد بيَّنَّا كل ذلك في نظر سابق انتقدنا فيه مطبوعات مصر (في المشرق ١١ : ٤٣٠—٤٤٠) فشكرَنا عليه أُولو الذوق ومحبُّو الآداب

امَّا الجمعيات الادبية في مصر فسعى بانشائهـا بعض ذوي الفضل والعلم من الفرنسويين وغيرهم فخدموا بهـا القطر المصري خدمًا صادقة كما تشهد على ذلـك منشوراتهم المطبوعة في كل عام وكان بعض الوطنيين من جلَّـة القوم يشاركونهم في الاعمال. وقد اراد الوطنيُّون غير مرَّة ان يجمعوا قواهم بالانضمام ويعقدوا جمعية علمية فلم ينجحوا وكان عقدُهم ينفرط بعد قليل لتباين الاغراض

امَّا الاقطار الخارجة عن الشام ومصر فكانت حركة آدابهـا خفيفةً لم يشتهر في نهضتها الَّا الافراد. ففي هذه المدَّة ابرزت مطبعة الجوائب مطبوعات مفيدة حسنة الطبع كديوان البحتري وادب الدنيا والدين وشرح مقصورة ابن دريد ورسائل فلسفيّة وادبيّة متعدّدة لابن سينا والثعالبي والضبي وغيرهم. وادَّى المرسلون الدومنيكان في الموصل بمطبوعاتهم الجديدة ومدارسهم خدمًا تُذكر فتُشكر. وكذلـك الآباء الكرمليُّون في بغداد عزَّزوا مدارسهم فزاد اقبال الناشئة العراقية عليهـا. وقصَّ آثارَهم الكلدان الكاثوليك بتهذيب الاحداث

وفي هذا العهد دخل فنّ الطباعة الى مكَّة فأُنشئت مطبعتهـا الاميريَّة واخصُّ ما طُبع فيها الفتوحات الاسلامية للسيّد احمد زيني دحلان وبعض الدواوين

ونُشرت في جهات متعددة منشورات بعضها تاريخية ككتاب مقاتل الطالبيين لابي فرج الاصفهاني ومعارضات [illegible] وبعضها ادبية ولغويّة واغلبهـا

دينيَّة واكثر هذه المطبوعات سيّئة الطبع يسقط بذلك معظم فوائدها. وربَّما كان طبعها على حجر في اسوإ صورة . ومثلها سقماً وسخافةً مطبوعات الهند في لوكنو وبمباي فانَّ مطبوعات كثيرة طُبعت هناك كشفاء ابن سينا وقواعد العقائد للطوسيّ وشرح الهداية الاثيريَّة لكنَّها لا تستحقّ اعتبارًا لسوء طبعها. واحسن منها رسائل اخوان الصفا وديوان عليّ بن ابي طالب وديوان الموسوي وديوان علي بن مقرَّب وديوان شرف الدين المقّري وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب. وللحكومة الانكليزيَّة في كلكوتا مطبعة اصدرت عدَّة تآليف مفيدة أتقن طبعها وقد مرَّ لنا ذكرها

امَّا المدارس العربيَّة في اوربَّة فانَّها نالت اكبر حظوى بهمَّة علمائها ومدارسها الكليَّة ومكاتبها الشرقيَّة نخصّ منها بالذكر المكتب الشرقيّ الذي انشأهُ الالمان في عاصمة برلين لدرس لغات الشرق و بالخصوص العربية

وممَّا افاد الدروس الشرقيَّة كثيرًا المؤتمرات الدوليَّة التي كانت تُعقد كل سنتين او ثلاث سنين في عواصم البلاد وكان اوَّل تلك الاجتماعات العموميَّة في باريس سنة ١٨٧٣ ثم في لندن (١٨٧٤) ثم بطرسبورج (١٨٧٦) ثم فيرنزا (١٨٧٧) ثم برلين (١٨٨١) ثم ليدن (١٨٨٣) ثم ڤينَّا (١٨٨٦). الى ان عُقد المؤتمر الخامس عشر العام الماضي في كوبنهاغن (اطلب المشرق ١١ : ٧٤٦). وقد أُلقيت في هذه المؤتمرات عدَّة دروس وابحاث كانت تُجمع عادةً فتطبع ومجموعها اليوم بمثابة مكتبة واسعة

وزادت المطبوعات العربيَّة في هــذه المدّة زيادة عظيمة فانَّ المجلَّات الاسيويَّة القديمة وفَّرت قسماً اكبر من صحائفها للعلوم العربيَّة ونشأت مجلَّات جديـدة في عدة بلاد للابحاث الشرقيَّة عموماً والعربيَّة خصوصاً كالمجلة الاسيوية النمسوية (WZKM) والمجلَّة الاسيويَّة الايطاليَّة وكمجلَّة الشرق المسيحي (ROC) و[illegible] الشرق

وفي المدَّة ذاتها طُبعت قوائم موسّعة [illegible] العربيَّة التي تحفظ في خزائن الدول حتى لم يكد يبقى بينها مكتبة لم توصف محتوياتها [illegible] وصف مستوفٍ

اما الآثار القديمة التي [illegible] في [illegible] وقد [illegible] مطبوعاتها العربيَّة مطبعة ليدن حيث [illegible] جغرافيَّة وتاريخيَّة [illegible]

اشرف المطبوعات واعظمها [illegible]

الآداب [illegible]

البلدان للبلاذري ومفتاح العلوم للخوارزمي والاخبار الطوال للدينوري ورسائل الجاحظ وجزيرة العرب للهمداني . وكانت بقيّة الدول تتنافس في نشر كنوز اخرى دفينة . فبرز في المانية كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني وكتاب تاريخ الهند لـهُ . وظهر في باريس كتاب مروج الذهب للمسعودي واخبار ملوك الفرس للثعالبي وكتاب ابدء والتاريخ للمطهَّر بن طاهر المقدسي . وظهر في رومية كتاب دياطاسرون طاطانيوس اي الاناجيل الاربعة التي جمعها هذا الكاتب في القرن الثاني للمسيح ففُقد اصلها ووُجدت ترجمتها العربية . وهناك طُبع ديوان ابن حمديس الصقلي وقسم من جغرافية الادريسي

وكذلك اخذ الاميركيُّون يوجّهون نظرهم الى الشرق فابرزوا مجلة اسيويَّة بلغ اليوم عدد مجلَّداتها فوق الثلثين . ولما هاجر السوريُّون الى العالم الجديد كان دخولهم الى تلك البلاد كبعثة أثارت في قلوب البعض الحميَّة لدرس اللغات الشرقية . وجعل السوريّون ينشرون هناك الجرائد فبرز منها في العشر الاخير من القرن التاسع عشر جريدة كوكب اميركا للمرحوم نجيب عربيلي سنة ١٨٩٢ . ثم طُبعت في فيلادلفيا جريدة الهدى لصاحبها نعوم افندي مكرزل سنة ١٨٩٨ وقد نقلها بعد مدَّة الى نيورك . واصدر نجيب افندي دياب جريدة مرآة الغرب في السنة عينها . ثم تعدّدت بعد ذلك الجرائد في اوائل القرن العشرين في اميركا الشماليَّة والجنوبية حتى كادت تبلغ الخمسين . امَّا المطبوعات غير الجرائد فكانت قليلة الجدوى مدارها غالبًا على القصص والروايات الخياليَّة

أدباء الاسلام في ختام القرن التاسع عشر

﴿ادباء الشام﴾ كان تقدُّم بين المسلمين في رفع لواء الآداب في ختام القرن التاسع عشر لاهل الشام فقد اشتهر بينهم بعض الافراد الذين لا يزال اسمهم الى يومنا شريفًا مكرَّمًا فنذكرهم اقرارًا بفضلهم

﴿الشيخ يوسف الاسير﴾ ولد الشيخ يوسف ابن السيد عبد القادر الحسيني الاسير في صيداء سنة ١٢٣٠ (١٨١٥) فتلقى في وطنه مبادئ العلوم ثم انتقل الى دمشق لمواصلة دروسه ثم درس في مصر واخذ العلوم العقليَّة والنقليَّة عن علماء الازهر . وبعد

سبع سنين عاد الى الشام وسكن في كثير من مدنها يتعاطى العلوم الفقهيَّة وتولى في الاستانة رئاسة التصحيح في دائرة نظارة المعارف لكنهُ آثر العود الى وطنهِ فتفرَّغ للتاليف في الفرائض والابحاث الفقهيَّة وخرَّج في الفقه كثيرين من الاحداث وعلَّم مدَّة في مدرسة الحكمة وكان زكي الفؤاد فصيح اللسان يجيد النثر والنظم ومن آثاره الادبية التي خلَّفها شرح اطواق الذهب للزمخشري وكانت وفاتهُ سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) والشيخ يوسف الاسير موشَّحات وقصائد متفرقة وابيات حكميَّة جمعها في ديوانهِ الروض الاريض الذي طبع في بيروت سنة ١٣٠٦. ومن حسن اقواله ما وصف به الشعر الجيّد وناظمهُ:

خليلي كم قد جدَّ في الناس شاعرٌ   وليس لهُ بيت من الشعر عامرُ
واحسن شعر ما تراهُ مهذَّبًا   مليحًا بهِ يلتذُّ بادٍ وحاضر
بهِ تطرب الاسماع من كل منشد   وتجري بهِ الامثالُ وهي سوائر
ولم يرَ عيبًا من شراهُ بمالهِ   وفيهِ بلا شكٍ تسرُّ السرائر

ولهُ في وصف لبنان بعد ان فاز بالدستور بعد مذابح سنة ١٨٦٠:

نرى لبنان اهلًا للتهاني   فقد نال الامان مع الاماني
واضحى جنة من حلَّ فيهِ   قرير العين مسرور الجنان
وجدَّت للعلوم بهِ دروسٌ   وكانت في الدروس وفي التواني
وللاخبار قد وُجدت ملوك   كذلك صح ذي لصحف الحسان
ومن ورَد الشريعة فيهِ يصدرْ   بحق كامل في ذي الاوانِ
وذاك بهمَّة الشهم المسمَّى   بداودٍ سليمانَ الزمان
عظيم الشان ذي الهمم العوالي   وذي الرأي المصيب بكل شان
سديد الحزم ممدوح المعالي   شديد العزم محمود المعاني

ومن مدحهِ قولهُ في اسرة بني العطَّار في دمشق·

يا بني العطار يا عطر دمشق   قد ملكتم [illegible] لطف رقّي
فاح في الكون شذاكم فغدا   طيب [illegible] الروض في غرب وشرقِ
[illegible] المجد سام [illegible]كم   وبكم [illegible] من حين عرقِ
فعلاكم نجمٌ وبدر [illegible]   تم ان شئت منكم شمس افقِ
يا بدور الشام يا اهل العلا   صونكم [illegible] غرب وشرقِ
سدتمُ الناس بعلم وتقى   وبمعروف وحسن ورفقِ
فاذا رام مجاراة لكم   [illegible] قصب سبقِ

حبذا الاسرة انتم في الورى   يا سراة احرزوا كل ترقي
انا لا ابرح اشدو باسمكم   حاكيًا في ورقي تغريد وُرقِ
زادكم ربي علومًا وهدى   مع رغيد العيش في اوسع رزقِ

وافتتح رثاء شريف بقوله:

انما موتتي كإطلاق اسري   حيث اني لرحمة الله أسري
انَّ اكدار هذه الدار يتلو   بعضُها البعض كأمواج بحرِ
ألفت انفسُ البريَّة اجسا   مًا ودنيا قد فارقتها بجبرِ
هم فيها مثل الاجنَّة في الار   حام يستخرجون منها بقسرِ
وهي كالفلك قد أُعدَّ لنقلٍ   او هي الجسر قد أُعدَّ لعبرِ
انس الغافلون فيها وأُنسوا   انها لا تكون دارَ مقرِّ
لو درى الغافلون فيها بقاءَ   ايقنوا انهم باعظم خسرِ
هي دار سلام ما تشتهي الانفس فيها من كل خيرٍ وبرِّ
لا يمل الانسانُ فيها مقامًا   اذ تخلَّت من كل شرٍّ وضرِّ

وللشيخ يوسف مراسلات نثريَّة وشعريَّة مع ادباء زمانهِ تجدها في تآليفهم كالشيخ ابرهيم الاحدب واحمد افندي الشدياق. وقد مدحهُ الشيخ ناصيف بقصيدة يقول فيها:

اسيرُ الحق في حُكمٍ تساوى   فما يُدرَى الحبيبُ من البغيض
يقلّبُ في المسائل كلَّ طرْفٍ   ويأتي الناسَ بالطَّرفِ الغضيضِ
إمام الشعر يبتدع القوافي   ويأمن دونها حَولَ القريضِ
يقلُّ لهُ الثناء ولو حداه   قوافيهُ من الروضِ الاريضِ

ولما توفي قال فيهِ الشعراء مراثي عديدة جمعها الشيخ قاسم الكستي في مجموع نشر بالطبع

الشيخ ابرهيم الاحدب كان مولده في طرابلس الشام سنة ١٢٤٢ (١٨٢٦) وطلب العلوم اللسانيّة والأدبيَّة منذ نعومة اظفارهِ فبرع فيها ثم عكف على التدريس في طرابلس وبيروت [illegible] من نوابغ عصره فتقرَّب اليهِ الادباء واتصل عليهِ الاعيان والحكام وقلدوهُ مناصب [illegible] الاحكام ورئاسة الكتابة ثم تعيّن كرئيس لكتّاب محكمة بيروت [illegible] سنة [illegible] احد اعضاء مجلس المعارف في الثغر [illegible] فيه [illegible] ذلك [illegible] حرر مدة [illegible] فاودعها كثيرًا من

اثار آدابهِ وكانت وفاتهُ في رجب سنة ١٣٠٨ (١٨٩١) . وقد تبلغ تآليفهُ الادبيّة نحو العشرين نُشر منها في مطبعتنا الكاثوليكية كشف المعاني والبيان عن رسائل بديع الزمان وكتاب فرائد اللآل في مجمع الامثال الذي نظم فيهِ امثال الميداني وقد أُتقن طبعهُ فجاء كطُرفة بين المطبوعات العصريّة . وكان للشيخ ابراهيم الاحدب قريحة شعريّة غريبة حتى انَّ مجموع ابيات قصائدهِ يكاد يبلغ ثمانين الف بيت . فلهُ ثلثة دواوين ومقامات جارى فيها العلامة الحريريّ عددها ٨٠ مقالة وألّف عدّة تآليف كروايات ادبية ومناظرات ورسائل ومجاميع حكميَّة ومقالات مسجَّعة وغير ذلك ممَّا عدَّدهُ نجلاه الاديبان في مقدَّمة مجمع الامثال . ومن شعرهِ ما قالهُ يمدح الامير عبد القادر الجزائري :

اني بمدح ابن محيي الدين ذو همم   غدا نظامي بها في ارفع الدرجِ
وفي مآثر عبد القادر اطَّردت   ابياتُ شعري فراقت كلَّ مبتهجِ
غوث النزيل وغيثٌ فيضُ نائلهِ   من الانامل يُجري الدرَّ في خُلُجِ
شمس انارت بلاد الشرق فابتهجت   سوريَّة بسناها الفائق البَهِجِ
في الكون آثارهُ كالمسك قد نفحت   الَّا لمزكوم طبعٍ عُدَّ في الهمَجِ
لله غربُ حسامٍ منهُ قد شُهدت   في الغرب آثاره كالصبح في البلجِ
لا زلتَ تُهدَى لك الامداح ما طلعت   شمسٌ بنورك تغنينا عن السُّرجِ

وقال في الرجز ناظمًا بعض امثال رويت لابي بكر الصديق :

قَرَنَ ربّي الوَعْد بالوعيدِ كي   يَرْهَبَ عَبْدَ راغبٌ في كل شيّ
ليست مع العزا مصيبةٌ ألا   تعَزَّ يا سامي بما قد نزلا
الموتُ مما قبلَهُ أشدُّ   مع أنَّهُ اهونُ مما بَعْدِ
قد ذلَّ قومٌ أسْندوا أمْرَهمُ   لِامْرأةٍ حيث جنَوا ضُرَّهم
انَّ عليك ابدًا عيونَنا   تراكَ ممَّن حلَّ فالْزَم ديناً
ورَحِم الله امرءًا اعانا   اخاهُ بالنفس وما أهانا
والنفسَ أصلِحْ يَصلحِ الناسُ كما   وافعل جميلاً يَغْنِ خيرٌ فعلكا

(ابو حسن الكستيّ) هو الشيخ ابو الحسن قاسم بن محمَّد الكستيّ اصلهُ من بيروت وفيها اشتهر نحو اربعين سنة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ اخذ الآداب عن ائمَّة زمانهِ فلما رسخت فيها قدمهُ صار مرشدًا لغيرهِ وتعاطى التدريس مدَّةً بين مواطنيهِ من اهل ملَّتهِ . وقد مات الكستي في منتصف السنة الجارية لكنَّا اتبعناهُ بالشيخين السابقين اذ اشتهر معهما [illegible] في الأدب

وقال اكثر شعرهِ في عهدها · ومن آثار فضله ديوانان احدهما ديوان مِرآة الغريبة طُبع على نفقة السيّد سليم رمضان سنة ١٢٧٩ (١٨٨٠) افتتحهُ بقصيدة ابتهالية هذا اوّلها :

اليك رفعنا الامر يا مَنْ لهُ الأَمْرُ فمن فضلك الاحسان والنفعُ والضرُّ
تعطَّفْ وجُدْ بالخير يا خَيْرَ منعمٍ على كَسْرِنا يا مَنْ بهِ يحصُلُ الجَبْرُ
عليك اعتمادُ الخلق في كُلّ لمحةٍ وبابك مقصودٌ بهِ الفتحُ والنصرُ
فقلتَ لنا ادْعوني دعوناك ربَّنا أَجِبْ سؤْلنا بالخيرِ يا ربُّ يا برُّ

والديوان الاخر ترجمان الافكار طُبع سنة ١٢٩٩ · ومن شعرهِ ما مدح بهِ سعيد باشا عزيز مصر لمَّا قدم الى بيروت :

عزيز مصرٍ سعيدُ الوقت ذو شرف الى علاهُ تناهى المجدُ والحسبُ
يتيمةَ العقد اضحى في العُلى ولذا قد صاغ مدحَ علاهُ العُجْمُ والعربُ
انَّا لنشهد منهُ كل مكرمةٍ لها المحامدُ دون الناس تنتسبُ
عن وصفهِ ومزاياهُ وأَنْعُمهِ تقاصر الدرُّ والازهارُ والسحبُ
مآثر اعزّ في علياه مشرقةٌ كالشمس لكن سناها ليس يحتجبُ
من معشر لهم في كل كائنةٍ ذكرٌ تولَّد من اسبابهِ الطربُ

وقال في الحِكَم :

وعالمٍ لا نَفْعَ في علمهِ ولم تكن اعمالهُ صالحَهْ
فهو بحُكم العقل بين الملا كوردة ليس لها رائحَهْ

ولهُ مضمّناً الشطرِ الاخير:

ايُّها الانسانُ لا تجنَحْ الى طُرقاتِ الغيّ والزمْ ورعَكْ
وأَفطمِ النفس عن الشرّ تجدْ كلَّ خيرٍ ترتجيهِ تبِعَكْ
وبحال العقر او حال الغنى كُنْ مع الله ترَ الله معَكْ

وسمع يومَ شاكربك يدقّ العود فاستفزَّهُ الطرب فقال بديهاً :

شاكر سدا بعصر طابت نفوسنا وثغرُ الهنا امسى بهِ يتبسَّمُ
ترى كرَّ عَود من جمادٍ وعودهُ يجسُّ ومن سرّ القلوب يترجمُ

وللشيخ قاسم الكستي عدَّة اراجيز طويلة حسنة منها ارجوزة تنيف على مئة بيت وصف فيها مكارم الاخلاق في النساء الصالحات · ومن اراجيزهِ الحكميَّة قولهُ :

لم يجنِ في سعيهِ كريمٌ من اذى ولو توارى في مغارات الخفا
ومن يظنّ انهُ [illegible] راحة منها يفوزُ بالمُنى

وأنْ يكون ناجياً من ضرّها — فقُل لهُ أخطأت يا هـذا الفتى
فتأنةٌ تُضحكنا لكنَّها — تخرج من اعيننا الضحك بكا
فلم نجد لعفوهـا من سببٍ — ولا لدائها سوى الصبر دوا

ونظم ارجوزة فكاهيَّة وصف فيها الملوخيَّة على سبيل المداعبة :

سُبحانَ من أنبتَ في الوجودِ — حشيشـةً كجوهر المنْقودِ
وقد سقاها من غيوث الرحمهْ — فحملتْ لكن ثمار الحكمهْ
هيَ الملوخيَّـة ذات الشهرهْ — ومَنْ بها المسرورُ يَلقى يُسرهْ
بحسنهـا كلّ النفوس ابتهجتْ — وألسن الناسِ بها قد لهجتْ
كم هطلت من فوقهـا الغمائمُ — وصُبغت بلونهـا العمائمُ
وكم مشى يأكلها كسيحُ — وصحَّ من ترياقهـا جريحُ
خيوطهـا بيضاءُ كالأُجَيْنِ — تظهر كالصُّبح لذي عينَينِ
فاقت على الرَّيحان بالروائحِ — صالحـةٌ لمدح كل مادحِ
لو انَّهـا قد نبتَت في اللذِ — يشمُّهـا مَنْ في بلاد الهندِ
يحرسها الناطورُ في البستانِ — خوفاً عليهـا من يدِ الرمانِ
بخارهـا يصعد بالهبـاء — كمصعد البـالون في الهواء
كأنها قد نزلت من السما — فاصبح الكون بهـا منسَّما
وطعمُهـا يجلبُ للافهامِ — سُكْرهِ حـلاوةَ المدامِ
ميَّاسة الأعطاف في الرياض — يأكلها كل شريف راض
عنها سَلُوا مِصْر وتلك الخطّهْ — فانهم ادرى بهـذي النقطهْ
اذ عندهم لها اعتبارٌ زائدُ — وقدرُهـا تسمو بهِ الموائدْ
ترى عليهـا كثرة الملاعقِ — تُقرَعُ بالاسنانِ كالصواعقِ
إن مُلئت بها بطون القصعِ — تشرقهـا الابصارُ قبل الشبعِ
وترجمت عنها فحولُ المغربِ — فلاذوا بها بطون الكتبِ
وخصَّهـا بالذكر أفلاطون — وقال منها يُصنعُ المعجونُ
كانت للقمان الحكيم مـأكلا — وحوفهُ لهـا ستقرّ [illegible]
وكان يوصي سائرَ الاطبا — [illegible] ن يستعملوه شربا
كذا ابن سينا قال في القانونِ — لا تجدو [illegible] على مصونِ

وهي طويلة تفنَّن فيها الشاعر [illegible] [illegible] ومن فكاهاته [illegible] رثى به طيراً من نوع الكنار مات لاحد اصحابه فقال يعزّيه :

يا صاحبي عُزّيت بالكنارِ — فانّهُ من حسن [illegible]
قد صدحت بمدحهِ الاخبارُ — وحُمدت [illegible] [illegible]

ولم تقصّر في أداء ما وجبْ … من حقّهِ وقمتَ بالذي طلبْ
من امّهِ كنتَ عليهِ اشفقا … ومن ابيهِ يا رفيقي أرفقا
ما مات من جوعٍ ولا من قلّهْ … لكن رماهُ ريشهُ بعلّهْ
لا يُرتجى لدائهِ شفاءْ … والموت ان حلَّ فما الدواءْ
عليهِ لا تحزن وكن صبورا … والتزم الشكرَ تكن مأجورا
لو كان يُفدى بالنفيس التالي … فديتُهُ من طارق الليالي
لكن اذا ما حادثُ الموتِ نزلْ … لا ينفعُ الحزمُ ولا تغني الحِيَلْ
عوّضك الرحمن عنهُ طيرا … يكون بالتغريدِ منهُ خيرا
فما رأينا قبلهُ من طائرِ … يشنّف الأسماع بالجواهرِ
يُغني عن المُدام والنديمِ … اذا شدا بصوتهِ الرخيمِ
اين الكمنجا منهُ صوتًا ان شدا … وربّما استغني عنها ان بدا
فيا لهُ من طائرٍ صَدوحِ … يدعو الى الغبوق والصَبوحِ
ذو ذَنَبٍ فاق وللهِ العجبْ … على اللُّجَين وهو بالحسن ذهبْ
مزيَّنٌ بالتاج كالطاووسِ … ملوَّن الرداء كالعروسِ
للهِ حسنُ ذلك المنقارِ … من ذهبٍ قد صيغَ لا من قارِ
قد كان في الدنيا من الزهّادِ … ملازمَ الخلوة بانفرادِ
وعاش محروسًا ولم يشكو الضجرْ … حتى اباده القضاءُ والقدرْ
فانّني اهدي اليهِ الفاتحهْ … وان يكن من الطيور الصادحهْ

(عبد السلام الشطّي) واشتهر في طرابلس الشام قبل هؤلاء بزمن قليل الشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بالشطّي الدمشقيّ. واصل اسرتهِ من بغداد وولد هو بدمشق سنة ١٢٥٦ (١٨٤٠) ثم درس العلوم الدينيّة والفقهيّة على علماء الفيحاء وتعبّد على الطريقة القادريّة. وكان محبًّا للآداب مشهورًا بفرط الذكاء وحسن النظم غلب على شعرهِ اللطف والعذوبة. ولهُ ديوان طُبع بهمّة حفيدهِ محمّد جميل الشطّي سنة ١٣٢٤. وقد سافر المترجم الى بلاد الروم مرّتين ودخل القسطنطينية سنة ١٢٩٣ ووُجّه عليهِ تدريس ادرنه وخُصِّص لهُ راتب سنوي من الصرّة السلطانيّة. توفي فجأةً في دمشق في ١١ محرَّم سنة ١٢٩٥ (منتصف كانون الثاني ١٨٧٨). ومن شعرهِ ما قالهُ في وصف بيروت وتهنئتها لسحب ماء نهر الكلب اليها:

بيروت التي في مرابها ارعبُ … من ثغرها ابسّام طابَ المشربُ
يا حسنها من بلدة قد خصّها … ربُّ العباد بما يسرُّ ويطربُ
بين البلاد بديعةٌ فكأنّها … شمسٌ على افقِ العلى لا تغربُ

يا طالما قد زرتُها فوجدتُها ظمآنةً من حرّها تتلهّبُ
حيرانةً حار الطبيب بدائها ودوائها قد عزّ فيهِ المطلبُ
تشكي وتبكي حسرةً وتأسُّفًا من فقدها ما تشتهيهِ وتطلبُ
من بعد ذاك اتيتها فوجدتُها تختالُ من عجبٍ وذيلًا تسحبُ
فسألتها من حالها فتبسَّمت واخلُّ من فيها فراتٌ اعذبُ
فاستيقنت نفسي ببرد حميها فغدوتُ في نعمائها اتقلّبُ
واتيتُ في هذا النظام مهنّئًا اذ جاءهم هذا الطَّهور الطيِّبُ
ورجوتُ من فضل الاله دوامهُ في كلّ حينٍ دائمًا لا يُسلبُ

وكتب رقعةً دعا بها بعض اصحاب الفضل من اصدقائهِ:

يا سادةً في دورهم تسلسلت قومٌ كرامْ
وزيّنوا بجمعهم ليل الشتا في كل عامْ
وشرّفوا بقربهم صديقهم عبد السلامْ
اذا اردتم انهُ يحظى بكم على الدوامْ
اعطوهُ منكم موثقًا بخطكم على الكلامْ
في ليلةٍ لطيفةٍ في دارهِ لكم تقامْ
ويرتجي من فضلكم ارّخ بهِ الدور ختامْ (١٢٨٩)

وقال مستغفرًا:

يا ربِّ انَّ العبد عبدٌ مذنبٌ وهو فقيرٌ ما لهُ عنك غنى
قد قطف اللذّاتِ في شبابهِ بجهلهِ فاغفر لهُ ما قد جنى

(محمد الميقاتي) وفي هذا الوقت عُرف شاعر آخر فاضل وهو الشيخ محمَّد افندي ابن عبد القادر الميقاتيّ وكان طرابلسيًا اديبًا لهُ النظم الرائق فجمع شعرهُ بعد وفاتهِ سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) الاديب عبد الحميد بن محمَّد حباص احد مواطنيهِ وطبعهُ في بيروت في المطبعة الادبيَّة سنة ١٣٠٤ ودعاهُ ديوان حسن الصياغة لجوهر البلاغة فمن قولهِ يعاتب الدهر:

الدهر شيمتهُ يبدي لنا العجبا فلا تكن من فعل الدهر منتحبا
ولا تثق بشراب منهُ وقت صفا فيستحيلُ سريعًا صفوهُ وهبا
ولا يغرَّك ما يوليك من منحٍ [illegible]
ان يسمح الدهر يومًا يستردُّ غدًا [illegible]
هيهات يجدي الفتى من دهرهِ سببٌ [illegible]
فالصبر اجملُ بالحرّ الكريم على ما خطَّهُ قلم الاقدار و كتبا

ما لي وللدهر يرميني بكلكلهِ كأنَّني قاتلٌ امًّا لهُ او ابـــا
ويلاهُ من زمني كم ذا يُقـــابلني من جورهِ بالأسى ويلاهُ وا حَرَبا
اهل البسيطة قد اثنت على ادبي واذعنت لي بأني سيّد الادباء
ودأبُ قومي معاداتي ومنقصتي ولا ارى ليَ ذنبًا لا ولا سببا
لا ذنب لي غير اني فقتهم شرفًا وانّني فقتُهم بين الورى رُتبـــا
ما ضرَّني لا اقال الله عثرتهـــم لو انَّهم قابلوا فضلي بما وجبـــا

ولهُ مؤرخًا دار بناها آل كتسفليس في طرابلس:

لكمُ الهنا يا آل كَتسِـــفليس يا أهلَ المآثرْ
جددتمُ فوق العلى بيت المكارمِ والمفـــاخرْ
بيتٌ لحسن بنائهِ بدرُ المسرَّةِ فيهِ سافِرْ
قد شادهُ اسكندرٌ مَنْ فضلُهُ في الناسِ ظاهرْ
والسعدُ حول رحابهِ بالعزّ والاقبال دائِرْ
وفم السعادة قد غدا ارّخ لهُ بالشكر فاغِرْ (١٨٦٨)

وقال مخمسًا:

لمن أشتكي ضعفي وضنكي وشدَّتي ومَن يَشْفِ اسقامي ويرحمْ لعبرتي
لجأتُ فما لي غير ذلّ مقالتي الهي بتقديس النفوس الزكيَّةِ
وتجديدها من عالم البشريَّةِ
وبالنور سرّ الكائناتِ ومن دنا اليك مقامًا لن يحيط بها سنا
وناديتهُ ها انت حيي وها انا أزِلْ عن فؤادي ما أُلاقي من العنا
فاني قليل الصبر عند البليَّة

(عبد الفتّاح اللاذقي) ونبغ في اللاذقية في الوقت عينهِ شاعر متفنّن ابو الحسن عبد الفتّاح ابن مصطفى بن محمّد المحمودي اللاذقي العطّـــار كان مولدهُ سنة ١٢٥٨ (١٨٤٢) ونظم الشعر في شبابهِ ثم جمعهُ في ديوان دعاهُ «سفير الفؤاد» فطبعهُ في بيروت في مطبعة جمعيَّة الفنون سنة ١٢٩٧ (١٨٨٠) وجعلهُ اربعة اركان في المدائح والتوسُّلات ثم في مدائح السادات ثم في التهانئ والمراثي واخيرًا في القدود والموشَّحات. فمن ذلك قولهُ مبتهلًا الى الله عزَّ وجل:

شكوت [illegible] و[illegible] تعلمُ بحالي ونار الفقر في القلب تُضرَمُ
ولم أخشَ لا شكو تقدّري وفاقتي فمن يشكُ للمخلوق لا شكَّ يندمَ
فحمد لي ربي [illegible] محمودُكَ لي عزٌّ وكنزٌ ومغنَمُ

والّا فصبّرني على ما قسمتَ لي   فأمرك يا ربَّ البريّة مُبْرَمُ

وكتب الى نائب المحكمة فيض الله افنـدي عن لسان شيخ كان خدم جبل الريحان وصلّى في اهلهِ فلم يعطوهُ حقَّهُ من الموسم:

اخا الافضالِ فيضَ الله يا من   حوى المجد المؤثّل واللطافهْ
فاقبِلْ شفّقي هذا فقيرٌ   وموصوفٌ بانواعِ النظافـهْ
لقد صلّى بأقوامٍ إماماً   وفي محراجهم جعلَ اعتكافـهْ
وفي شهر الصيام فكم تعنّى   وكم قد سار مع بُعد المسافهْ
لقد جحدوا امامتَهُ وجادوا   لهُ بالهزل جدًّا والكثافهْ
وما جادوا لـهُ ابدًا بِبُرٍّ   ولا عملوا لهُ ابدًا ضيافـه
وقد حرموه من اكل المحاشي   ومن اكل القطائف والكنافهْ
فهم قومٌ لقد مكروا بهذا   وليس لهم من المولى مخافهْ
وقد رُفعتْ قضيّتهُ اليكم   وفي انظاركم يرجو انتصافهْ
اخا الافضالِ فانظر امر هذا   فعينُ العدل لم تنظر خلافَهْ
فهذا قد أُضيف الى علاكم   وحاز الفخر في تلك الاضافهْ

ومن محاسن شعرهِ قولهُ في مولود سنة ١٢٧٩:

الروضُ زاهٍ زاهرُ   والغصنُ باهٍ باهرُ
والسعدُ وافى مقبلًا   والفخرُ وفٍ وافرُ
والطيرُ يشدو قائلًا   هلَّ الهلالُ السافرُ
اهلًا بهِ من قادمٍ   في كلّ جاهٍ جاهرُ
بشراك فيهِ أيّها الـ   ـسخلُ الفخيمُ الفاخرُ
فاهنأ بهِ لانهُ   نعمَ الغلامُ الناضرُ
بيت الهنا والسعدُ فيهِ   م كل عـامٍ عامرُ
والعزُّ فيهِ قد نما   والبشرُ فيهِ ظاهرُ
والفخرُ نادى منشدًا   ارّخْ غلامٌ باهرُ (١٢٧٩)

(احمد فارس الشدياق) كان مارونيًّا لبنانيّ الاصل مولدهُ في عشقوت سنة ١٨٠٤ ثم انتقل مع والديهِ الى ساحل بيروت سنـة ١٨٠٩ فسكن الحدث ودرس مبادئ العلوم اللسانية في عين ورقة ثم قصد القطر المصريّ فتقن فيهِ العربيـة وجعل يكتب في اول جريدة ظهرت هناك اي الوقائع المصريّة وفي السنـة ١٨٣٤ دعاهُ المرسلون الاميركان الى مالطة وولّوهُ ادارة مطبعتهم فتظاهر بالدين البروتستانتي وخدم

الرسالة الاميركيَّة بنشاط وطبع في مالطة بعض مصنَّفاتهِ والَّف هنــاك كتابهُ الموسوم « بالواسطة في معرفة مالطة » ثم تحوَّل مدَّةً في انحاء اوربَّة وخصوصاً في فرنسة وانكلترَّة فأكرم اهل تلك البلاد مثواهُ وصنَّف حينئذٍ كتابهُ الفارياق الذي لم يرعَ فيهِ جانب الادب وشفعهُ بكتاب آخر اجدى نفعاً واصوب نظرًا دعاهُ «كشف المخبَّا عن احوال اوربَّا » واشتغل في لندرا في تعريب ترجمــة التوراة فزادت بذلك شهرتهُ . ولمَّا جاء باي تونس احمد باشا زائرًا مدينة باريس مدحهُ الشدياق بلاميَّة جارى فيها لاميَّة كعب ابن زهير فأعجب من حسن نظمهِ ودعاهُ الى خدمة دولتهِ في تونس فلبَّى دعوتهُ ورحل الى المغرب وكان هناك يحرّر جريدة الرائد التونسيّ . وفي مدَّة اقامتــهِ في تونس سوَّل اليهِ اعيانهــا بان يعتنق الدين الاسلاميّ فجحد البروتستانيَّة طمعاً بالمناصب كما جحد الكثلكة طمعًا بالمال . وفي السنة ١٢٧٤ (١٨٥٧) طلبتهُ الصــدارة العظمى الى الاستانة وعهدت اليهِ تصحيح طباعتها بضع سنوات . وهنــاك باشر السنة ١٢٧٧ (١٨٦٠) جريدته الشهيرة بالجوائب فظهرت ٢٣ سنةً بانشائهِ وانشاء ولدهِ سليم الى السنة ١٨٨٤ فأبطلت . وكانت وفاة احمــد فارس بعد ذلك بثلاث سنوات ١٨٨٧ فنُقلت رفاتهُ الى لبنان كما اوصى قبل موتهِ . ولاحمــد فارس مؤلفات جليلة غير التي ذكرناها اخصُّها سرّ الليال في القلب والابدال على شكل معجم لم يتمّهُ . وكتاب منتهى العجب في خصائص لغة العرب اتلفهُ الحريق قبل ان يُطبع . ثم الجاسوس على القاموس انتقد فيهِ على قاموس الفيروزابادي . وكتاب غنية الطالب ومنية الراغب . وكتابان في تعليم اللغتين الانكليزيَّة (الباكورة الشهيَّة) والافرنسيَّة (السند الراوي) وردود على انتقادات الشيخ ابراهيم اليازجي اللغويَّة . وبهمَّة المترجم طُبعت في مطبعة الجوائب عدَّة كتب ادبيَّة قديمة استخرجهــا من مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلامبوليّ المُشرق . ومن مآثرهِ ايضاً عدَّة قصائد ومنظومات طبع منها نبذة في ٢١٩ صفحة سنة ١٢٩١ . فمن اقوالهِ الحسنة ما وصف بهِ الحرب السبعينيَّة بين فرنسة والمانية . وهذا مطلع تلك القصيدة التي تزيد عن مئة بيت :

أُصيبتْ فرنسا بالرجال وبالمالِ   فيا ويحها من بعد عزّ واقبالِ
اعدَّت جيوشاً للقتال وجهّزت   بوارجَ حربٍ في البحار كأجبالِ
وقالت الى برلين يا جندي انفروا   فتلك التي قد كدَّرت صفو احوالي

وتلك التي قد زاحمتني على العلى ولم تكُ قبلَ اليوم تخطرُ بالبالِ
وصولوا على جرمانيا كلّها فقد اراهــا بدا منهــا تحاولُ اذلالي
فلي قيصرٌ قومٌ حليــلٌ قنابهُ جميع ملوك الارض هيبــةَ رئبالِ
اذا أنذر الاملاك حرباً تزلزلت ممالكهم من بأسهِ ايَّ زلزالِ

وقال في مطاردة الالمان لنابوليون وفي موقعة سيدان وخلع الامبراطور:

فطاردهُ جيش العدوّ معقبًا فولّى الى شالون يَزِعُ كالرالِ
ومنها الى سيدان بالجيش كلّهِ عقيبَ معاناةٍ وبؤسى وآجالِ
وذلك حصنٌ عند بلجيكَ حولهُ ربًى وتلالٌ حبّذا الوَزَرُ العالي
ولكنّهم تأَوّوا سفاهاً عن الربى فجاءت بها الحرمان من دون امهال
هنالكَ عمَّ الويلُ والشرُّ والردى ترميل ازوجٍ وتيتيم اطفالِ
وتبضيع آرابٍ وتقطيع اوصالٍ وتفليق هاماتٍ وتدمير اطلالِ
وبزّهمُ الجرمانُ فاستسلموا لهم ثمانين الفًا او يزيدون في الحالِ
فلم يبقَ من ذا الجيش أجمعَ راجلٌ ولا فارسٌ فالجوُّ من ذكرهم خالِ
فلمّا درت باريس ذا الخطبَ اعولت وضجّت وباتت في شجون وولوالِ
وقالت مُنيتُني دولــةٌ قيصريّةٌ بإهلاك اجنــادي واتلاف اموالي
وانَّ صلاحي دولــةٌ جمهوريّةٌ تسدّدُ اعمــالي وتُصلحُ احوالي
فنادت بخلع الأمبَراطور وابنِهِ وثارت لأخذ الثأر ثورة قسطلِ

وختمها بهذا البيت الحكميّ احسنَ ختام:

اذا لم يكن للمرء من ربهِ هدى فلا شيءَ يهديهِ من القيلِ والقالِ (١)

(محمّد سليم القصاب) ومن فرسان حلبة الادب بين مسلمي الشــام في ختام القرن التاسع عشر الدمشقي محمّــد سليم بن انيس الشهير بالقصّاب حسَن. طُبع لهُ ديوان في دمشق في مطبعة الجمعيّة الخيريّة سنة ١٢٩٨ (١٨٨١). ومن اقوله الجيدة ما قالهُ من قصيدة في السيّد عبد القادر الجزائري واولادهِ:

لمّا بأرض الشام حلّ ركابهُ نادتها هي البلادَ ونفخري
أتموا بنا فاليوم جلّق اصبحت دار الخلافةِ وهو عند قدري
يا دوحةً طابت مغارسها فلم تُثمر سوى ليثٍ وشبلٍ كسر
من كل شهم في الانام محمّدٍ يعنو الى عليــاه كلّ مفاخر
مولاي محيي الدين مصباحُ الهدى ذاك علي الشأن احمد شاكر

١) وبينما هذا الكرّاس محتّل المطبع افادنا شيخ شعر نشديق حد اسباء احمد فارس بن المترجم مات كاثوليكيًا واعترف بخطايه قبل وفاته لدى احد كهنة الارمن. وقد شهد على ذلك خليل افندي يعقوب الذي حضر وفاتهُ

فكأنّهم لمّا تبدّوا حولهُ اقمارُ تمّ حولَ بدرٍ سافرِ
أكرم بهِ فرعاً يُفاخر فرعهُ باصولهِ فلكُ السماء الدائرِ
لا زال في اوج المعارج نجمهُ يسمو بمجدٍ ما لهُ من آخرِ

وقال في جنينة شادها مدحت باشا لاهل دمشق دعاها جنينة المِلّة سنة ١٢٩٦ :

هذه غرفةُ انسٍ ازلفت في رُبى الشام تسرُّ الناظرينْ
قد بدت ازهارها تثني على مِدْحَتَ العلياء صدر الاعظمينْ
شادها للملّـة الغرّاء قُلْ فادخلوهـا بسـلام آمنينْ

ومن رثائهِ قولهُ في وجيه قومهِ حسين بَيْهم لمّا توفي في بيروت سنة ١٢٩٨ :

هوى الكوكب الدرّي من أُفق العلى فجرَّ القضا ذيل الظلام وأسبلا
مصاب كسى بيروت بُرْدَ حدادها وحقّ لها بالحزن ان تتسربلا
فما كان الّا روحها وحياتها وقد اصبحت من بعدهِ جسدًا بلا . .
عفافٌ وحلمٌ وافتخارٌ ورفعةٌ وجودٌ حكى فيضَ السحاب ترسُّلا
اقيموا بني الآداب واجب نَعْيهِ فلم يبقَ ما للنفس ان تتعلّلا

وختم المرثاة بقولهِ :

فلمَّا دعاهُ الله جلَّ جلالهُ الى جنّة الفردوس لبّى مهلّلا
فقال بشير العفو تاريخهُ زها حسينُ المعالي قرَّ في جنّة الملا

ومن محاسن وصفهِ قولهُ في وطنهِ :

ما الشام الّا جنّـة الامصارِ تزهو بغوطتها على الاقطارِ
حصباؤها الدرُّ النضيدُ وتربُها م الكافورُ والبلّورُ فيها جاري
فيها الرياضُ الزاهرات محاسنًا فانهض بنا نشقْ شذا الازهارِ
قد هبَّ فيها الريحُ يُرقص غصنها والطيرُ غنّى في علىٰ الاشجارِ
وتفجّرت فيهـا المنابعُ انّما ذوبُ اللُجَيْن بجدولِ الانهارِ
هي موطني دون البـلاد وبُغيتي فيها انتعاشي وانقضا اوطاري
يا شامُ انّكِ شامةُ الدنيـا التي قد فاح عنبرُ طيبها المعطارِ

(السيّد محمود حمزة الحسينيّ) هو العالم الدمشقي العريق النسب من عائلة اصلها من حرّان ترقي نسبها الى الحسين. كان مولدهُ في دمشق سنة ١٢٣٦ وفيها توفي سنة ١٣٠٥ (١٨٢٠—١٨٨٧) واكبَّ منذ صغرهِ على العلوم اللغويَّة ثم انقطع الى العلوم الفقهيَّة فاصبح نبيها اماماً ومعظم مصنَّفاتهِ في الدين وفي كل ابواب الشرع الّا القليـل منها كاعلام الناس والبرهان على بقاء دولة آل عثمان. ولهُ قصائد حسنة وقد شرح بديعيَّة لوالدهِ وعُرف بحسن الخطّ . وكان السيّد محمود رجلًا مهيباً جليل القدر كريم الطباع

تولّى الإفتاء في دمشق دهرًا طويلًا وقد اظهر نحو المسيحيين في نكبة دمشق سنة ١٨٦٠ مروّة اجازتهُ عنها الدولة الفرنسويّة بهبة سنيّة. وقد اجتمعنا مع السيّد محمود في دمشق غير مرّة فلقينا منهُ شيخًا واسع المدارك غزير الآداب. ولهُ في تقريظ كتابنا مجاني الادب رسالة تنبئ بحسن ذوقهِ وتقديره للمشروعات الادبيّة. وفيهِ يقول محمّد القصّاب بمدحهِ:

مفتي الانام سليل المجد ملجأنا   تاج الفخام فخار الفخر ذو الهممِ
ماضي العزائم لا ندٌّ يضارعهُ   بالامر والنهي والاحسان والكرمِ
بحر المعارف بالامواج زاخرهُ   يلقي لنا جوهر الارشادِ والحكمِ
في كلّ فنٍّ لهُ باعٌ يصيد بهِ   ما شذّ ادراكهُ عن حاذقٍ فهمِ

(الامير عبد القادر الجزائري) نختم ذكر ادباء اسلام الشام في آخر القرن التاسع عشر بحسيني آخر عاش زمنًا طويلًا في دمشق وان لم يكن اصلهُ منها نريد السيّد الاجلّ والامير العظيم عبد القادر الجزائريّ فانهُ وان كان من رجال السيف الّا انهُ كان ايضًا من فرسان القلم. كان مولد هذا الامير في القيطنة من قرى ايالة وهران في بلاد الجزائر سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م) درس العلوم اللسانيّة في حداثتهِ على اساتذة وهران ثم رافق والدهُ في رحلتهِ الى الحجاز والشام والعراق وعاد الى وطنهِ فعكف على العلوم الخاصّة كالفلسفة والفلك والتاريخ حتى حمل الفرنسيس على الجزائر سنة ١٨٣٠ تلافيًا لاهانةٍ لحقت هناك بسفير ملكهم كرلوس العاشر واحتلّوا جهاتها فنشبت الحرب بين اهلها والفرنسيس وبايع الجزائريّون للامير عبد القادر فقاموا معهُ قيام الابطال للدفاع عن اوطانهم وكانت تلك الحرب سجالًا تارةً لهم وتارة عليهم ودامت خمس عشرة سنة أُلجئ الامير بعدها الى التسليم فسلّم ولقي من الفرنسويين كل احتفاء ورعاية وجعلوا له راتبًا سنويًا ثم تنقّل مدّة في مدن فرنسا وغيرها الى ان اتّخذ له دمشق سكنًا في اواسط سنة ١٢٧١ (١٨٥٥) فطابت لهُ هناك السكنى وفيها توفي في ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ (حزيران ١٨٨٣) ومن مبرّاتهِ جازاهُ الله خيرًا دفاعهُ عمّن احتمى في دارهِ من نصارى دمشق في مذابح سنة ١٨٦٠ وكان عددهم نحو اربعة آلاف. وكان الامير عبد القادر مغرى بالعلوم محبًّا للعلماء يعظّمهم ويحسن اليهم. قيل انهُ كان يبلغ ما يوزّع عليهم وعلى الفقراء مائتي ليرة في كل شهر. ولهُ تآليف مفيدة في التصوّف وعلم الكلام وبعض كتب

ادبيَّة منها « ذكر العاقل وتنبيه الغافل ». اتمَّهُ سنة ١٢٧١ (١٨٥٤). وقد نقلهُ الى الفرنسويَّة المستشرق غوستاف دوغا (G. Dugat) فطبعهُ في باريس سنة ١٨٥٨ وكان للامير سليقة جيّدة في نظم القريض . ومن قصائده رائيَّة اوَّلها :

أسعودُ جاء السعد والخيرُ واليُسرُ ووَلَّت ليالي النحس ليس لها ذكرُ

ومنها قصيدة حماسيَّة كان يتمثَّل في معاركهِ باحد ابياتها الفخريَّة :

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ ابطالي

ومن ابياتهِ الفخريَّة قولهُ يذكر فيها احد ايَّامهِ لمَّا حارب الفرنسويين :

ونحن لنا دينٌ ودنيا تجمَّعا	ولا فخر الَّا ما لنا يرفع اللّوا
مناقب مختاريَّة قادريَّةٌ	نسامت وعبَّاسيَّةٌ مجدَها احتوى
فان شئتَ علماً تلقني خير عالمٍ	وفي الروع اخباري غدت توهن القوى . . .
ونحن سقينا البيض في كل معركٍ	دماء العدى لمَّا وهت منهم القوى
ألم ترَ في خنق النطاح(١) نطاحنا	غداةَ التقينا كم شجاع لهم لوى
وكم هامةٍ ذاك النهار قددتُها	بحدّ حسامي والقنا طعنهُ شوى
واشقر تحتي كلَّمتهُ رماحُهم	ثمانٍ ولم يشكُ الوحى بل ولا التوى
بيومٍ قضى نحبًا اخي فارتقى الى	جنانٍ لهُ فيها نبيّ الرضى اوى
فما ارتدَّ من وقع السهامِ عنانهُ	الى ان أتاهُ الفوز رغمًا لمن عوى

ومنها في وصف الحرب :

واسيافنا قد جُرّدت من جفونها	ولا رُدّ الَّا بعد وردٍ بهِ الروا
ولمَّا بدا قرني بيمناهُ حربةٌ	وكفّي بها نارٌ بها الكبش قد شوى
فايقن اني قابض الروح فانكفا	يولي فوافاهُ حسامي بما هوى
شددت عليهم شدَّةً هاشميَّةً	وقد وردوا ورد المنايا على الغوى

وقد مدح الشعراء الامير عبد القادر بقصائد يبلغ مجموعها كتابًا ضخمًا . ومما قيل فيهِ لاحدهم :

بحر المعارف والعوارف والندى	ذو الحكمة العليا الكريم العنصرِ
مولى يتيه بهِ الزمان وحسبهُ	ان لم يفز بنظيرهِ مذ اعصرِ

﴿ ادباء مصر ﴾ لم يبلغ ادباء مصر من المسلمين في ختام القرن التاسع عشر ما بلغهُ ذوو دينهم في الشام وأشرنا الى سبب ذلك في ما تقدَّم . على انَّ مدرسة الازهر بعد الاحتلال الانكليزيّ كانت لا تزال ضابطة لرئاسة تعليم العربيَّة نائلة لقصبات السبق

(١) خنق النطاح مكان قريب من وهران حارب فيهِ جيش الفرنسويين

في القطر المصري رغماً عمّا اصابها من التأخر في ذلك الزمن كما اقرَّ بهِ ارباب الامر ومن ثم انشأوا سنة ١٣١٢ (١٨٩٤) مجلساً ليتدارك الخلل في ذلك وتُصلح طرق التعليم

وممّن نالوا بعض الشهرة في اواخر القرن التاسع عشر من شيوخ الازهر واساتذتهِ الشيخ (مصطفى العروسيّ) الذي تولى ست سنين (١٢٨١—١٢٨٧) رئاسة الازهر ولهُ ما خلا الكتب الاعتقاديَّة أحكام المفاكهــة في انواع الفنون المتفرّقات توفي سنة ١٢٩٣ (١٨٧٦) . ومنهم الشيخ (محمّد المهدي العبَّاسي)ولد سنة ١٢٤٤ (١٨٢٨ م) واشتهر في العلوم الدينيَّة وصارت اليهِ رئاسة الافتــاء في الديار المصريَّة واختارته عمدة الازهر لمشيخة تلك المدرسة فتقلّدها سنة ١٢٨٧ الى ١٢٩٩ وعاش الى سنة ١٣١٥ (١٨٩٨) فقال بعضهم مؤرخاً لوفاتهِ .

عليهِ دمع الفتاوى باتَ منحدرًا ... وللمحابر حزنٌ ضاق عن حدِّ
فيها المسائل قد باتت تؤرّخهُ ... مات المجيب الامام المقتدي المهدي

ومن تآليفهِ الفتاوى المنسوبة اليهِ المعروفة بالفتاوى المهديَّة

ومنهم الشيخ(محمّد الانبابي)ألّف عدَّة كتب في الصرف والنحو وآداب البحث وقد تخرَّج على يديه كثيرٌ ممّن تصدَّروا للتدريس . وتولّى مشيخــة الازهر مرَّتين . كان مولدهُ سنة ١٢٤٠ ووفاته سنة ١٣١٣ (١٨٢٤ — ١٨٩٦)

ومنهم (الشيخ عليش) احد مشايخ السادة الملكيَّة في مصر ولد بالقــاهرة سنة ١٢١٧ وبها توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٠٢—١٨٨٢) اشتغل بالعلم في الازهر حتى ادرك الجهابذة واخذ عنهُ جلّ الازهريين لهُ تآليف عديدة في الفقه وكتاب مواعظ

ومنهم (حسين بن احمد المرصفي) كان مكفوفاً وبلغ باجتهادهِ الى ان يدرّس في الازهر ومن تآليفهِ الوسيلة الادبيَّة الى العلوم العربية والكلم الثمين في الادب توفي سنة ١٣٠٧ (١٨٨٩م)

واشتهر غير الازهريين رجال يعدهم المصريون كاركان النهضة العلميَّة في وطنهم في العُشرَين الاخيرين من القرن السابق نختصر هنا اخبارهم

(عبد الله باشا فكري) هو احد نوابغ الناشئة المصرية في القرن الاخير ولد في مكّة اذ كان ابوهُ محمد مرافقاً في الحجاز الجنود المصريَّة سنة ١٢٥٠ (١٨٣٤) ثم نشأ في مصر وشاب في حضانة المعارف حتى تضلّع في كل علم وقلّدته الحكومة المصريَّة

لمناصب الجليلة كنظارة المدارس ووزارة المعارف . وكان سار قبلها في رفقة الخديوي اسماعيل باشا الى استنبول سنة ١٨٦١ ثم عُهد اليهِ تهذيب وليّ العهد محمد توفيق باشا او اخويهِ الحسن والحسين فقام بتلك المهمَّة احسن قيام . ولمَّا ولي نظارة المعارف سعى في تنظيم الدروس وصنَّف للدارسين كتباً يدرسون فيها ومن خدمهِ الطيبة انهُ لم يزل يحضُ الحكومة حتى انشأت المكتبة الخديويَّة التي تُعَدُّ من اغنى الخزائن الكتبيَّة بالمخطوطات والمآثر العربيَّة . ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة سنة ١٨٨٢ أُلقي القبض على عبد الله باشا فكري وبقي مدَّة تحت الاستنطاق الى ان عرفت برارتهُ وبُرئت ساحتهُ وكان الخديوي قد قطع معاشهُ فكتب اليهِ من قصيدةٍ :

مليكي ومولاي العزيز وسيّدي ... ومَنْ ارتجي آلاء معروفهِ العمرا
لئن كان اقوامٌ عليَّ تقوَّلوا ... بامرٍ فقد جاؤوا بما زوَّروا نكرا
فما كان لي في الشرّ باعٌ ولا يدٌ ... ولا كنت من يبغي مدى عمرهِ الشرَّا
فعفواً ابا العبَّاس لا زلتَ قادراً ... على الامر انَّ العفو من قادرٍ احرى
وحسبيَ ما قد مرَّ من ضنك اشهرٍ ... تجرَّعتُ فيها الصبرَ اطعمهُ مرَّا
يعادل منها الشهرُ في الطول حقبةً ... ويعدل منها اليومُ في طولهِ شهرا
أيجمل في دين المروءة انَّني ... أُكابد في ايَّامك البؤس والعُسرا

فما لبث أن اعادهُ الخديوي الى مقامهِ السابق فقال يشكرهُ من قصيدة طويلة :

ألا انَّ شكر الصنع حقٌّ لمنعمٍ ... فشكراً لآلاء الخديوي المعظّمِ
مليكٌ لهُ في الجود فضلٌ ومفخرٌ ... على كل منهلٍّ من السحب مرهمِ
ساشكرهُ النعماء ما عانقت يدي ... يراعي او استولى على منطقي فمي
فلا زال محروسَ الحمى متمتّعاً ... مع الخيرة الاشبال في خيرِ أنعُمِ

وتجوَّل عبد الله باشا بعد ذلك في جهات الحجاز والشام . ولمَّا عُقد في استوكهلم مؤتمر المستشرقين سنة ١٨٨٨ اوفدتهُ الحكومة للنيابة عنها وزار معظم الحواضر الاوربيَّة وكتب تفاصيل رحلتهِ في كتاب دعاهُ ارشاد الالبَّاء الى محاسن اوربَّا لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي قبل تمامهِ في اواخر سنة ١٣٠٧ (١٨٩٠) فانجزهُ نجلهُ بعد وفاتهِ . وقد خلَّف عبد الله باشا فكري آثاراً ادبيَّة جليلة كنظم اللآل في الحكم والامثال والمقامة الفكريَّة في المملكة الباطنيَّة والفوائد الفكريَّة للمكاتب المصريَّة جمع فيهِ فصولاً تهذيبيَّة حسنة لناشئة وطنهِ ولهُ شرح على ديوان حسَّان بن ثابت لم يتمَّهُ وقد جمع ابنهُ كثيراً من كتاباتهِ وقصائدهِ في كتاب دعاهُ الآثار الفكريَّ

وصفناهُ في المشرق (١٨٩:١) وكان المترجم بارعاً بالنظم والنثر راسخ القدم في بلاغة التعبير وكان بالخصوص اماماً في الانشاءات الديوانيّة فاستخدمهُ خديويّا مصر سعيد باشا واسماعيل باشا في اشغال الكتابة عنهما باللغتين التركيّة والعربيّة الى الملوك والسلاطين. ومن حكمهِ قولهُ:

اذا رُمتَ المروءة والمعالي وأن تلقى إله العرش بَرًّا
فلا تقرب لدى الخلوات سرًّا من الافعال ما تخشاهُ جهْرا

وقال يصف مؤتمر المستشرقين في استوكهلم من قصيدة:

نادٍ بهِ احتفل الافاضلُ حفلةً بحديثها تتقادمُ الاعصارُ
جمعتْ لثامن مرّةٍ معدودةٍ في الدهر لا يُنسى لها تذكارُ
متآلفين بعيدهم بقريبهم والفضلُ اقربُ وصلةٍ تُختارُ
من كل فيَّاض القريحة وِردُهُ عذبٌ وبحرُ علومهِ زخَّارُ
ومؤزَّرٍ بالفضل مشتملٍ بهِ منهُ شعارٌ زانهُ ودثارُ
لا زال ملكُ الفضل معمورَ الذرى بذويهِ ممدودًا لهُ الاعمارُ

وكان لعبد الله باشا ولد تقفّى آثار والدهِ اسمهُ (امين باشا فكري) درس الحقوق في فرنسا ثم عاد الى بلدهِ فتعاطى فن الدعاوي وبرَّز فيهِ حتى رقّتهُ الحكومة المصريَّة الى رئاسة النيابة سنة ١٨٨٨ ثم ولَّتهُ قضاء محكمة الاستئناف ثم محافظة الاسكندريَّة حتى انتدبتهُ لنظارة الدائرة السنيَّة لكنَّ الموت اهتصر غصن حياتهِ فمات سنة ١٨٩٩ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٦. ومن تركتهِ العلميّة كتاب مطوَّل في جغرافيَّة مصر والسودان. وكان رافق اباهُ مع الوفد المصري الى استوكهلم فانجز سفر رحلة ابيهِ كما انهُ جمع مآثرهُ المتفرّقة على ما سبق ذكرهُ ولهُ ايضاً فضلًا عمّا تقدَّم رسائل وقصائد لم يُنشر منها الّا النزر القليل

(علي باشا مبارك) هو ايضاً احد اركان النهضة المصريَّة ولد من عائلة فقيرة في قرية برنبال من مديريَّة الدقهليَّة سنة ١٢٣٩ (١٨٢٣) فتقلّبت به الاحوال الى ان توفّق الى دخول مدرسة القصر العينيّ وأرسل الى باريس فدرس فيها فنّ الحرب ثم أُلحق بالجيش المصري وحضر حرب القريم سنة ١٨٥٤ ثم انتدبتهُ الحكومة المصريَّة لوكالات ونظارات ودواوين مختلفة ابدى فيها جميعاً عن مقدرة عظيمة وقد خدم الآداب العربيَّة بتنظيم مكاتب القاهرة والبنادر وانشاء مدارس جديدة اخصّها مدرسة

دار العلوم وفتح المكتبة الخديويَّة وتولَّى نظارة المعارف فاجرى فيها اصلاحات مهمَّة وفي آخر حياتهِ اعتزل الاعمال الى سنة وفاتهِ ١٣١١ (١٨٩٣) ولهُ تآليف ذات شأن اجلُّها الخطط التوفيقيَّة حذا فيها حذو الخطط المقريزيَّة فوصف الخطط الجديدة التي أُنشئت في القاهرة ومدنها القديمة والشهيرة في ستَّة مجلَّدات. ومنها كتاب نخبة الفكر في تدبير نيل مصر وكتاب الميزان في الاقيسة والاوزان وكتاب علَم الدين في عدَّة اجزاء على طرز رواية ادبيَّة عمرانيَّة اودعها كثيرًا من المعارف والفنون كالتاريخ والجغرافية والهندسة والطبيعيَّات وغير ذلك ممَّا قرَّب الى قرائهِ فهمَهُ بعرضٍ شهي

(الشيخ الابياري) هو الشيخ عبد الهادي نجا الابياري احد الكتبة المعدودين في اواخر القرن السابق. ولد في ابيار في جهات مصر السفلى سنة ١٢٣٦ (١٨٢١) واخذ عن والدهِ مبادئ الآداب ثم حضر دروس اساتذة الازهر كالشيخ البيجوري والشيخ الدمنهوري وغيرهما ولم يزل بكدّ ويجدّ في تحصيل العلوم حتى نال منها ما لم ينلهُ الّا القليلون من معاصريهِ فعهد اليه الخديوي اسماعيل باشا تثقيف اولادهِ وتصدَّر للتعليم في الجامع الازهر فذاع صيتهُ في انحاء القطر المصري وجعلهُ الخديوي توفيق باشا إمام المعيَّة ومفتيها فقام بمهامّ رتبتهِ الى وفاتهِ سنة ١٣٠٦ (١٨٨٨) وكان يجلُّهُ الادباء ويراسلهُ فضلاء عصرهِ وقد جُمعت مكاتباتهُ للشيخ ابراهيم الاحدب في كتاب الوسائل الادبيَّة في الرسائل الاحدبيَّة. ومن تآليفهِ الشهيرة كتاب سعود المطالع في مجلَّدين ضمَّنهُ كلامًا واسعًا في ضروب العلوم العربيَّة ومنها كتابهُ نفح الاكمام في مثلَّثات الكلام كمثلثات قطرب. وكتاب الفواكه في الآداب. واتخذهُ صاحبا الجوائب والبرجيس كحكَم يفصل المناظرات اللغويَّة التي قامت بينهما فكتب كتابهُ النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجوائب فنظم احمد فارس قصيدتهُ الداليَّة التي يقول فيها:

هدى لنا في مصر نجماً ثاقباً ... لكن ثناهُ بكل مصرٍ هادِ

فيهِ الشواهد والفرائد فُصّلت ... موصولة البرهانِ بالاسنادِ

[illegible] لم يترك قولًا لذي ... او صال هال وطال كلَّ مُعادِ

من فصل في الحكم يرضى فصلهُ ... من كان لم يقنع من الاشهادِ

لولاه لم يُقطع لسانُ مفتري ... حتّى ولم يُفصَل جدال جلادِ

فلذلك كان من الرئيس مديحهُ ... حقًّا وايجد مدى الآبادِ

(الشيخ عليّ الليثي) كان من شعراء العصر السابق. ولد نحو السنة ١٨٣٠

وصرف همَّةُ الى العلوم اللغويّة والادبيَّة فصار منشئًا بليغًا وشاعرًا مفلقًا حتى نظمهُ أُولو الامر في سلك رؤساء المعيَّة السنيَّة ورافق الخديوي اسماعيل باشا في سفرهِ الى الاستانة سنة ۱۲۹۰ ومدح السلطان عبد العزيز. وكان الادباء يتسابقون الى مطارحة الليثي ويتفاخرون بمكاتبتهِ. وقد طال عمرهُ حتى توفي مأسوفًا عليهِ في ۲۵ ك ۲ سنة ۱۸۹۶ (۱۳۱۳ هـ). ولهُ منظومات جمَّة يُجمع منها ديوان الَّا انها لا تزال متفرّقة فمن محاسن اقوالهِ رثاؤهُ لعبدالله باشا فكري:

نذمُّ المنايا وهي في النقد أعدلُ   غداةَ انتقت مولًى بهِ الفضل يكملُ
كأنَّ المنايا في انتقاها خبيرةٌ   بكسب النفوس الغاليات تمحلُ
فتمَّ لها من منتقى الدرّ حليةٌ   بها العالمُ العُلويُّ انسًا يجمّلُ

ومنها في وصف الفقيد:

لقد كان ذا برٍّ عطوفًا مهذَّبًا   سجاياهُ صفو القطر بل هي امثلُ
رقيق حواشي الطبع سهلٌ محبَّب   الى كلّ قلب حيثُ كان محلّل
كريم السجايا لا الدنايا تشينهُ   عظيم المزايا اذ يقولُ ويعملُ
شمائلهُ لو قُسّمت في زماننا   على الناس لازدانوا بها وتجمَّلوا
فقدنا محيَّاهُ ولكنَّ بيننا   مديح مزاياه بها نتمثّلُ

وقال يمدح السلطان عبد العزيز في عيد جلوسهِ سنة ۱۲۹۰:

دَعْ ذكرَ كسرى وقيصرْ ان اردتَ ثنا   عن قيصر الروم حيثُ [illegible] معقودْ
واشرحْ مآثرَ مَن سارت بسيرتهِ   ركائبُ المجد تحدوها الصناديدْ
مولى الملوك الذي من يُمنِ دولتهِ   ظلٌّ لعدلٍ في الآفاق ممدود
عبد العزيز الذي آثارهُ حُمدت   [illegible] في مجد محمود
اجاد نظم امور الملك في نسقٍ   لا [illegible] مدى الارهاب [illegible]
وشاد فوق العلى اركانه فغدا   [illegible] شيدْ
فلا تقسهُ باسلافٍ لهُ كرُمتْ   وشبلُ من [illegible] مولود
ففخرهم عقدُ درٍّ وهو واسطةٌ   في جيد [illegible] معقودْ

ولهُ اللاميَّة المشهورة قالها بعد الفتنة العرابيَّة مستعطفًا مستصفحًا [illegible]:

كلُّ حالٍ لضدّهِ يتحوَّل   [illegible]
يا فؤادي استرح فما الصبر [illegible]   [illegible]
قدرٌ غالبٌ وسرٌّ خفيٌّ يا   فوق عقل الاريب [illegible] تكملْ
ربَّ ساعٍ لحتفهِ وهو ممن   ظنَّ بالسعي [illegible]

(السيّد عبد الله نديم) هو كاتب بليغ نبغ في مصر وسعى في تحرير وطنه فأنشأ عدّة جرائد سياسيّة كان يزرع فيها بذور آماله ويُنهض همم مواطنيه حتى لُقّب بخطيب الشرق. ولمّا ثارت الفتنة العرابيّة نُفي من وطنهِ ثم صُفح عنهُ وبعد قليل اضطرّ الى مغادرة بلادهِ فتوجّه الى الاستانة ونال الحظوى لدى السلطان وما لبث ان توفي في القسطنطينية سنة ١٣١٤هـ. وكان مولدهُ بالاسكندريّة سنة ١٢٦١ (١٨٤٤–١٨٩٦)

وكان عبد النديم خطيبًا لسنًا متوقد الذهن صافي القريحة شديد العارضة متفننًا في الكتابة نثرًا ونظمًا لهُ ثلاثة دواوين كبيرة ورسائل وتآليف لغويّة وادبية طُبع منها قسم في كتاب سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله نديم. فمن اقوالهِ ما ذمّ بهِ الخمرة:

طافَ النديمُ بكأسهِ في الحانِ ومشى يزفُّ البكرَ بالالحانِ
برزتْ تُقَهقهُ بين ندمان الطلا فخجلتُ اذ ضحكتْ على الاذقانِ
ذلَّت لدولة حكمها دول الورى من غير ما حربٍ ولا اعوانِ
خَفَت فطارت بالعقولِ وخلّفت تلك الجسوم بحالة الحيرانِ
ايُّ المحاسنِ ابصروا في وجهها وهي العتيقة من قديم زمانِ
امُّ الخبائث بنتُ عسلوج الهوى اخت الحشائش زوجة الشيطانِ
من زفّها من خدرهــا لفؤادهِ صرعَتْهُ عند مزالق الاطيانِ
واذا تستّر في ترشّفها بدتْ من فيهِ تفضحهُ لدى الاخوانِ
واذا مشى لعبتْ بهِ عن مكرها فيقال هذي مشية السكرانِ

ومن اوصافهِ الحسنة قولهُ يصف قطارًا بخاريا:

نظر الحكيم صفاتهِ فتحيَّرا شكلا كطَوْدِ البخار مُسيَّرا
دومًا يحنُّ الى ديار اصولهِ بحديدِ قلب باللهيب تسعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيده وجدًا فيجري في الفضاء تستّرا
تلقاهُ حال تسيّر أفعى تلتوي او فارس الهيجا اثار العثيَرا
او سبع غابٍ قد احسَّ بصائد في غابهِ فعدا عليهِ وزمجرا
او انّها شهبٌ هوت من افقها او قنّة المنطادِ تنبذ بالعرا

ولهُ في الفخر والحماسة:

اذا ما استجدّ ناداها جبنا ليظهر حين ينظرها حنينا
فانّا في عداد الناس قومٌ بما يرضى الاله لنا رضينا
اذا طاش الرماس بنا حلمنا وبكنّا نُحينــا ان تُحينا

وان شئنا نثرنا القول درًّا وان شئنا نظمناهُ ثمينـا
وان شئنا سلبنا كلّ لبٍّ وان شئنا سحرنا المنشدينـا

(محمّد عثمان جلال) هو ابن يوسف الحسني اوناني ولد سنة ١٢٤٥ (١٨٢٩) ودرس في صغرهِ اللغات في مدرسة الالسن في حيّ الازبكيّـة ثم دخل سنة ١٢٦١ (١٨٤٤) في قلم الترجمة ثم انتدبتهُ الحكومة لاشغال الكتابة في وزاراتهـا الى ان استوزرهُ توفيق باشا الخديوي واتخذهُ لصحبتهِ في رحلتهِ الى جهـات القطر المصري فكتب تأليفهُ السياحة الخديويّة وتقلّد القضاء في محكمـة الاستئناف وأُحيل على المعاش سنة ١٨٩٥ وكانت وفاتهُ في ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٩٨. وللمترجـم عدّة تآليف نقل بعضها من الافرنسيّة كرواية بول وفرجيني وكامثال لافونتين نظمهـا بالشعر ودعاها العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ دونك مثالًا منها وهو مثل البخيل والدجاجة :

كان البخيل عندهُ دجاجهْ تكفيهِ طول الدهر شرَّ الحاجهْ
في كل يومٍ مرّ تعطيهِ العجبْ وهي تبيضُ بيضةً من الذهبْ
فظنَّ يوماً انَّ فيها كنزا وانهُ يُزاد منـهُ عزا
فقبضَ الدجاجةَ المسكينُ وكان في يمينـهِ سكّينُ
وشقَّها نصفينِ من غفلتـهِ اذ هي كالدجاج في حضرتهِ
ولم يجد كنزًا ولا لُقيَّـه بل رمّةً في حجرهِ مرميَّه
فقال لا شكَّ بأنَّ الطمعـا ضيَّع للانسانِ ما قد جمعا

وكان محمّد عثمان يحبُّ اللغة المصريّة العاميّة فنقل اليهـا عدّة روايات تمثيليّة عن الشاعرين راسين وموليـار تصرّف فيها بعض التصرُّف ومن ظريف شعره قولهُ يمدح الحضرة الخديويّة العباسيّة سنة ١٣٠٩ :

مَنْ يضاهيكَ في العلى مَنْ يداني يا عزيزاً [illegible] يدانِ
يدُ حكمٍ بالعدلِ لا يعتريها عارضٌ لميل [illegible]
ويدٌ في العطاء كالنيل قد فا [illegible] بإنعامهِ [illegible]

ولهُ في رثاء عبدالله باشا فكري :

هُمامٌ علا فوق السماك بفكره [illegible] سمتهُ [illegible] بفكرِ
فتىً غاص في بحر المدارس رأيهُ وخرّج من حصبائهِ [illegible]
وسال غديرٌ من عذوبة لفظهِ فانضح [illegible] على [illegible]

زها نجمهُ دهرًا بمصرٍ فلم يَجدْ قرينًا ولكن لا امان الى الدهرِ
ثلاثُ لغاتٍ كالعرائس حازها بجمَّتهِ لا بالجهاز ولا المهرِ
من العرب العرباء كان اذا حكى وحرَّر بالنظم البديع او النثرِ
وكان لاهل الفارسيَّة تحفةً بعلومهِ الوهبيّ يحكي ليزدَجرِ (١
ونال بديوان المعارف رفعةً مفضَّلةً من فضل زيد على عمرو
فوا اسفًا واراهُ قبرٌ ولو درى لآثر سوداء القلوب على القبرِ
وما مات ليثٌ اورث الغاب شبلَهُ ولا كان هذا الغابَ يخلو من الزأرِ

وقد اشتهر في مصر غير هؤلاء ممن تخصَّصوا ببعض الفنون ونالوا السبق في بعض الاعمال فصنَّفوا فيها المصنَّفات المفيدة. منهم (محمود باشا الفلكي) ولد سنة ١٢٢٠ في مديريَّة الغربيَّة وتوفي في مصر سنة ١٣٠٣ (١٨٠٥—١٨٨٦) تقلَّب في المناصب الخطيرة وتولَّى وزارة المعارف وقد عُرف خصوصًا بتآليفهِ الفلكيَّة ورسم الخرائط وضبط التقاويم التاريخيَّة لاسيا العربيَّة ووصف مقياس النيل. ولهُ ايضًا بعض التآليف الاثريَّة كرسالتهِ في الاسكندريَّة القديمة وفي الاهرام وغير ذلك وقد صنَّف بعض هذه التآليف في الافرنسيَّة فحلَّ بين علماء الافرنج محلًّا اثيرًا

ومنهم (محمَّد مختار باشا) كان مولدهُ في بولاق مصر سنة ١٨٣٥ وتوفي في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٨٩٧ تعلَّم في مدرسة دار العلوم وانتظم في الجنديَّة وترقى فيها الى رتبة لواء سنة ١٨٨٦ وقد اشتهر في حروب السودان. وكان متضلعًا بالعلوم الفلكيَّة والرياضيَّة ألَّف فيها عدَّة تآليف بالعربيَّة والافرنسيَّة. ولهُ ما خلا ذلك تراجم لبعض الخاصَّة كمحمود باشا الفلكي والجنرال ستون الاميركيّ وكتب في وصف بلاد السودان والحبشة رسائل حسنة

ومنهم (محمَّد علي باشا الحكيم) ولد سنة ١٢٢٨ في مديريَّة المنوفيَّة وتوفي في الحبشة سنة ١٢٩٣ (١٨١٣—١٨٧٧). درس العلوم الطبيَّة فنال منها حظًّا وافرًا الى ان تعيَّن رئيسًا للمدرسة الطبيَّة في مصر وقد رافق سعيد باشا في رحلتهِ الى اوربَّا. ولما انتشبت الحرب المصريَّة مع الحبشة سنة ١٨٧٧ سار في رفقة الحملة الى تلك البلاد وفيها توفي. ولهُ تآليف صحيَّة في فنون جراحة وقانون طبيّ ورسائل مختلفة

وقد اشتهر مثلهُ في فن الجراحة (الدكتور درّي باشا) الذي ولد وتوفي في

١) اراد يزدجرد وهو رديف لخسرو

القاهرة (١٢٥٧—١٣١٨=١٨٤١—١٩٠٠) ودرّس في مدرسة القصر العيني وألّف التآليف المشهورة في الطبّ كتذكار الطبيب ورسالة في الهيضة. وصنّف غير ذلك ايضاً كترجمة حياة علي باشا مبارك والتحفة الدرّيّة في مآثر العائلة الخديويّة. وفيه قال الشيخ علي ابو يوسف الازهري يمدحهُ :

لو نلتُ في الدهر ما ابغيهِ لم ترَني ... في مدحِ من شئت الّا ناظم الدُرَرِ
او كنتُ ادلجتُ في المسرى فليس الى ... شيءٌ يكون سوى للكوكب الدرّي
او ان ألمّت بيَ الاسقامُ في زمنٍ ... لم استطبَّ سوى بالماهر الدرّي
فهو الحكيم الذي لم يشكُ ذو مرضٍ ... الّا ونادى بهِ يا كاشف الضرِّ

وقد اشتهر في فن الدعاوى وعلم القوانين والرياضيات والموسيقى الشرقية (شفيق بك) ابن منصور باشا يكن ولد في القاهرة ١٨٥٦ ومات في عزّ شبابهِ سنة ١٨٩٠ بعد ان خدم العلم مدّة بالتعليم والتصنيف. ومن تآليفهِ كتاب التفاضل والتكامل وكتاب في اصول الحساب والجبر والهندسة والهيئة ورسالة في الموسيقى. ونقل من الافرنسية بعض المؤلفات الى غير ذلك ممّا أثار الاسف على فقدهِ قبل بلوغهِ الكهولية

وقد كان لغير هؤلاء المصريين بعض الشهرة ايضاً في فنون شتى كالشيخ (ابراهيم ابن عبد الغفّار الدسوقيّ) الذي ولد سنة ١٢٢٦ وتوفي سنة ١٣٠١ (١٨١١—١٨٨٣م) ثم بعد ان درس في الازهر تولّى فيهِ تعليم العربيّة ثم نُقل الى المهندسخانة الخديويّة واشتغل في الرياضيّات وسعى بطبع الروضة الهندسيّة في الحسابات المثلثيّة. وتعيّن مدّة لتصحيح مطبوعات بولاق وانشأ جريدة الوقائع المصريّة. ومن تآليفهِ حاشية على المُغني. وعليهِ درس العربيّة الانكليزي المستشرق لان (E. W. Lane) الشهير بتحقيقاتهِ الشرقيّة ولاسيما معجمهُ العربيّ الانكليزي الواسع

ومنهم الاديب عبده حمولي (١٨٤٥—١٩٠١) نبغ بالموسيقى العربيّة واعاد لها شيئاً من رونقها المطموس بما وضعهُ من الأنغام واحدثهُ من صنوف الفنّ

❊ ادباء العراق ❊ اصاب قطر العراق بعض الخمول في اواخر القرن التاسع عشر فلم ينل فيهِ الشهرة في الكتابة الّا القليلون. هذا لانقطاع خبرهم عنّا وندرة المدارس والمطبوعات في تلك الجهات

وممن اتّصلت بنا منظوماتهُ (الملّا حسن الموصلي البزّاز) اشتهر في وسط القرن

التاسع عشر وتوفي في عشره الاخير. لهُ ديوان شعر طُبع بمصر سنة ١٣٠٥ بهمَّة تلميذه الحاج محمَّد شيث الجومرد الموصلي الذي ذيَّل الديوان بنُبـذٍ من شعرهِ . وقد اتَّسع حسن البزَّاز في قصائده بمدح اصحاب الطرائق المتصوّفين . ومن شعرهِ ما وصف بهِ اشتداد البرد وسقوط الثلوج في الموصل في اواخر رجب سنة ١٢٧٧ (كانون الثاني ١٨٦١) :

تجلَّى علينا عارضٌ غير ماطرٍ ولكنهُ بالثلج عمَّ نواحيـا
فاصبحت الخضراء بيضاء قد زهتْ وعادت رباها والبطاحُ كواسيـا
وكم بسطت منهُ يدُ البردِ والشتا بساطًا على وجه البسيطة باهيـا
وكم جبلٍ راسٍ يقولُ مُفاخرًا أَلم تنظروا قد عمَّم الثلجُ راسيـا
فقلتُ بهِ اذ كان شاذًّا وقوعـهُ ليذكرهُ من بعدُ مَن كان باقيـا
غمـامٌ بكانونٍ بدا يا مؤرخًا حبا مِصْرَنا بردًا من الثلج زاهيا (١٢٧٧)

ومن ظريف قولهِ في حبّهِ تعالى وعمل الصالحات لوجههِ عزَّ وجلَّ :

لئن لم يكن في الصالحات مَثُوبةٌ وليس على العصيان منهُ عقابُ
لَطاعتُهُ عندي نعيمٌ وجنَّةٌ وعصيـانهُ قبل العذاب عذابُ

وقال يرثي اخويهِ عليًّا ومصطفى :

بكينَ حماماتُ الأَراك لفرقتي ونُحنَ على فقدانِ ما انا فاقدَ
لقد غابَ عني فرقدٌ بعد فرقدٍ وقد بات عني ماجدٌ ثمَّ ماجدُ
وما لي عزاءٌ عنهم غير انَّني بهم ملحقٌ يومًا وما انا خالدُ

ومن أُدبا العراقيين (ابراهيم فصيح الحيدري) كان مولدهُ في بغداد سنة ١٢٣٥ (١٨٢٠ م) من بيت علم وفضل وسافر الى دار الخلافة وحصلت لهُ رتبـة الحرمين مدَّة وتولَّى نيابة القضاء في بغداد ولهُ بعض التآليف وفيهـا الغثّ والسمين توفي سنة ١٢٩٩ (١٨٨١ م)

ومنهم (الشيخ اسماعيل الموصلي) ولد في الموصل وجاء الى بغداد في اَبان شبابهِ ودرَّس في مدرسة الصاغة عدَّة سنين حتى وفاته في ٢٨ ذي الحجَّة سنة ١٣٠٢ (١٨٨٤) وكان حنفيَّ المذهب على الطريقة النقشبنديَّة . وكان اماماً في العلوم اللدنيَّـة وبرَّز في النحو وفي الفنون النقليَّة والعقليَّة . وقد اعقب جملةً من الابناء كلُّهم من طلبـة العلم اكبرهم محمَّد راغب خلف اباهُ في التدريس . ولاحمد فارس الشدياق قصيـدة يمدح فيها الشيخ ابراهيم ويثني على معارفه منها :

كل ما لذَّهم فذلك عندي ... ألَمٌ غير ذكر إبراهيما
عبقريٌّ مهذَّبٌ قد حوى في ... صدره قبل أن يشبَّ العلوما
ولهذا يُدعى فصيحاً وقد جا ... ء فصيحاً بكل فنٍّ عليما
كم لهُ من مَتنٍ وشرحٍ افادا ... واجاد المنثور والمنظوما
وقوافٍ من كل بحرٍ اذا ما ... سُردت خلتهنَّ دراً نظيما
عن ابيهِ وجدّهِ مستفيضٌ ... كلُّ فضلٍ فكان ارثاً مقيما

ومنها في شكر الشيخ لمدافعتهِ عنهُ وانتصارهِ لهُ:

رَدَّ عني السفيهَ بالنظم والنثر ... م فكانا لذا الرجيم رُجوما
علم الناس ابرهيمَ خليلًا ... وصديقاً لي ان دعوت حميما
هذه مدحتي فان كنت قصَّر ... تُ فاني مدحتُ بُرًّا حليما

ومنهم (عبد الله افندي العمري الموصليّ) من ادباء وطنهِ المعدودين واحد روساء علماء العراق. لهُ فصول نثريَّة واشعار متفرّقة لم تُجمع حتى اليوم وقد مدحهُ علماء زمانهِ منهم عبد الباقي العمرى نسيبهُ حيث قال:

ليت شعري ماذا اقول بمولًى ... قد اقرَّت بفضلهِ الاعداء
فيهِ قرَّت عيوننا واستنارت ... وازدهت في ورودهِ الحضراء
يا اديباً سما سماء المعالي ... كيف ترقى رُقيَّك الادباء
نلتَ حدَّ الإعجازِ نظماً لهذا ... خرست دون نطقك الفصحاء
انت يا سيدي بغير رثاءِ ... خُتم النظمُ فيك والانشاء

ورثاهُ حسن البزَّاز فقال من قصيدةٍ:

قضى الحبرُ الذي للعلم حبرٌ ... بهِ فرجاءُ هل العلم يأسُ
كفى ما قد جرى ان غاضَ بحرٌ ... وغابت من سماء المجد شمسُ
اساء الموتُ فيهِ كلَّ نفسٍ ... وطابت منهُ في الفردوس نفسُ
هو التاج الشهيرُ بكل فضلٍ ... تباهى فيهِ للعلياء رأسُ
كأن الموت نقَّادٌ بصيرٌ ... احسَّ بما يحاولُ منهُ حسُّ
تفرَّد فانتقى منَّا نفيساً ... تحسَّرَ بعدهُ عربٌ وفرسُ

وجارى عبد الله افندي العمريّ في معارفهِ وبلاغة كتاباتهِ (شهابُ الدين العلويّ) احد رجال وطنهِ المقدَّمين يعدُّهُ العراقيُّون كفارس حلبة الآداب في زمانهِ لهُ ديوان شعرٍ لم يُنشر بالطبع وكان يكاتب علماء عصرهِ ويناديهم الرسائل الادبيَّة والقصائد

الرنّانة ومن شعرهِ الذي قالهُ في الوصف قصيدتهُ التي رويناها في المشرق (١٠ : ٧٤٠) يصف فيها طغيان دجلة اوّلها:

طغيانُ دجلةَ خطبٌ من الخطوب المخلّهْ

ومن شعرهِ ابيات قالها في مدح مقامات مجمع البحرين للشيخ ناصيف اليازجي:

حديقةٌ أثمرتْ اوراقها حِكَماً لنا شماريخها امتدَّت وقد ينعَتْ
من يشأ يتفكَّهْ في مناقبها ومن يشأ يتفقَّهْ بالذي شرعتْ
طالعْ تُقابِلْكَ مرآةُ الزمان بها وانظرْ الى صورة الدنيا وقد نصعَتْ
كم أُودعت نُبذًا للسمع قد عَذُبَتْ ورِدًا ومن قلب ذاك الصدر قد نبعت
على الكمالات طبع اللطفِ أرَّخها لطفًا مقاماتُ ناصيفَ التي طُبعتْ (١٨٨٥)

ولهُ قصيدة في رثاء السيد الجليل اقليميس يوسف داود رئيس اساقفة دمشق على السريان سنة ١٨٩٠ اوّلها:

من قوم عيسى جانبٌ تهدَّما والدهرُ قد نكَّس منهُ عَلَما
خطبُ جسيم ومصابٌ عَظُما بموت من ابكى عليهِ الأُمما
قد فقدوا منهُ حكيمًا حكَمًا وكان ذا علم بطبِّ الحُكما

وممن مدح الشيخ شهاب الموصلي صاحبُ الجوائب فقال فيهِ من ابيات:

شهاب العصر خلّاقُ المعاني فهل من ذاكر للأرْجاني
عزيز الشأن تفتخر المعالي بهِ فخر المعالي والمعاني
لعمرُكَ انَّ ما يلقيهِ قولًا ليحكي ما يُنَمَّق بالبنانِ
فذاكَ الدرُّ للأسماعِ حليٌ وهذا الشذرُ نورٌ للعيانِ
وصفتُ حلاهُ عن بُعدٍ كأني اراهُ في علاهُ على التداني
كذاك الشهبُ توصفُ من بعيدٍ وإن خفيت سناءً في مكانِ

ولا نعلم اي سنة توفي الشهاب الموصليّ. كما أنّنا لم نقف على تفاصيل اخباره ونلحق بشعراء العراق ذكر كاتبين آخرين شتهرا في الهند احدهما السيّد ابو الطيّب صديق بن حسن القنوجيّ البخاري ولد سنة ١٢٤٨ (١٨٣٢) في قنوج واتّصل بخدمة بعض ملوك الهند فنال من رفده مالًا كثيرًا حتى تزوَّج بملكة بهوبال في الاقليم الهندي المسمَّى دكن رجب مكتبةً رسميةً واشتغل بالعلم ونشر عدَّة مصنَّفات زعم البعض انّها ليست له بل كشف علماء تصنيفها فعزاها انفسهِ كفتح البيان في مقاصد

القرآن وكتاب العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة والبلغة في اصول اللغة والعلم الخفّاق في الاشتقاق ولفّ القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامّة من المعرّب والدخيل والمولّد والاغلاط وكتاب لقطة العجلان وكتاب غصن البان المورق بمحسّنات البيان وكتاب ابجد العلوم. وقد جمع في كتاب دعاهُ قرّة الأعيان ومسرّة الاذهان ما اثنى بهِ عليهِ أدباء الزمان. توفي صديق حسن خان سنة ١٨٨٩ بعد ان تجوّل مدّة في البلاد وصارت لهُ سمعة واسعة

والاديب الثاني هو السيّد (حيدر الحلّاوي) وُلد سنة ١٢٤٦ (١٨٣١م) وتوفي سنة ١٣٠٤ (١٨٨٧م) كان شاعرًا وجمع شعرهُ في ديوان طبعهُ في بُمباي لم نحصل على نسخة منهُ حتى الآن

وفي هذه الحقبة ازهر في مكّة شيخ علمائها (احمد بن زيني المعروف بدحلان) ولد في حاضرة الحجاز وتولّى الافتاء للشافعيين واشتغل بالعلوم مدّة وفي زمانهِ أُنشئت في مكّة اوّل مطابعها فكان السيّد دحلان متوليًا نظارتها ونشر فيها تآليف من قلمهِ كالجداول المرضيّة في تاريخ الدول الاسلامية وكتاب الفتوحات الاسلاميّة في جزءين كبيرين . وكان طبع في مصر قبل ذلك كتبًا أخرى كالسيرة النبويّة والفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وخلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام طبعهُ في مصر ثم اضاف اليهِ ملحقًا طبعهُ في مكّة توفي الشيخ دحلان سنة ١٨٨٦ في المدينة بعد ان سار اليها في رفقة الشيخ عون الرفيق لمّا خرج هذا من وجه حاكمها عثمان باشا

ونختم هذا الفصل في ادباء المسلمين بذكر احد مشاهير رجال الدولة التركيّة الذي رفع في امّتهِ لواء الآداب فضلًا عمّا احرزهُ من المجد في تدبير الامور وحسن السياسة نعني بهِ الوزير الخطير (احمد جودت باشا). وُلد في لوفجة في ولاية اطونة سنة ١٢٣٨ (١٨٢٢) وانكبّ منذ حداثتهِ على درس العلوم الدينيّة والدنيوية وبرع في اللغتين الفارسيّة والعربيّة فضلا عن لغتهِ التركيّة وليس من غايتنا ان نتتبع آثار المترجم في المأموريّات التي تولّاها والمناصب التي تقلّب فيها في كل الدواوين منها ديوان الاحكام العدليّة ونظارة المعارف الى ان بلغ رتبة الوزارة السامية وانتظم في سلك شورى الدولة. وانما نكتفي بذكر مؤلفاتهِ فاعظمها شأنًا تاريخه لآل عثمان في تسعة مجلدات عرّب منهُ الاوّل جناب عبد القادر افندي الدنا وله رسائل عربيّة وتعليقات. ونقل قسمًا من

مقدّمة ابن خلدون الى التركيّة وصنّف عدّة كتب مدارسيّة للاحداث ظهر بعضها في العربيّة. وكان جودت باشا احد الاتراك القلايلين الذين بلغوا من آداب العرب مبلغاً واسعاً اما معارفهُ في اللغة التركيّة فيُعدُّ فيها اماماً وحجّةً. كانت وفاتهُ سنة ١٣١٢ (١٨٩٤)

ومن أُدباء الاسلام في تونس (الشيخ محمّد بيرم) ولد فيها سنة ١٢٥٦ وتوفي في مصر سنة ١٣٠٧ (١٨٤٠—١٨٨٩) تقلّب في بلادهِ في المناصب الخطيرة كنظارة المطابع ونظارة الاوقاف وقد لعب دوراً مهمّاً في مناهضة الحكم الاستبدادي في وطنهِ وعَضْد الشورى الّا انَّ آمالهُ خابت بعدّ فرنسة سيطرتها على بلاد تونس فانتقل الى مصر وخدم فيها السياسة الانكليزيّة ووُلّي القضاء في محكمتها الابتدائيّة. ولهُ آثار ادبيّة اخطرها كتابهُ صفوة الاخبار بمستودع الامصار ضمّنهُ تاريخ تونس واخبار سياحاتهِ في انحاء اوربّا. ولهُ ردّ على رينان في ما كتبهُ عن الاسلام وكتاب في فنّ العروض ومقالات اجتماعيّة حاول فيها بيان طُرق اصلاح الاسلام وتقرّبهم من عوامل التمدُّن الحديث

أُدباء النصرانيّة في هذه المدة

قد امتاز في ختام القرن التاسع عشر نخبة من كتبة النصارى الذين تلقّنوا الآداب العربيّة في مكاتب مللهم الخاصّة او في نوادي العلوم التي انشأها المرسلون ولو اردنا ذكرهم فرداً فرداً لاتسع بنا المجال وحسبنا تعداد من برز بينهم بمعارفهِ

وكان في مقدّمتهم رؤساء الطوائف من بطاركة واساقفة وكهنة افاضل لا يسعنا السكوت عن خدمتهم للآداب ومساعيهم الطيّبة في ترويج اسواقها فضلًا عمّا خلّفوهُ من آثار اقلامهم. فكان على الطائفة المارونيّة السيّد السند (البطريرك بولس مسعد) رعاها مدّة ٣٦ سنة بتقىً واجتهاد وكانت وفاتهُ في اواسط نيسان من السنة ١٨٩٠ ولهُ من العمر ٩٥ سنة. وكان متضلّعاً بالتاريخ الشرقي الديني والعالميّ ومن آثارهِ كتابهُ تحفة عربيّة في دوام بتوليّة العذراء وكتابهُ الدرّ المنظوم الذي طُبع في طاميس وسعى في طبع لاهوت فيلبس نفرنس بيوردي معرّباً الى غير ذلك من الاعمال المفيدة

واشتهر بين مطارنة الموارنة الطوباوي (يوحنا حبيب) مطران الناصرة شرفاً (١٨١٦—١٨٩٤) وهو منشئ جمعيّة المرسلين الكريميين. تولّى في لبنان القضاء زمناً على عهد الامير بشير الكبير وبرع في معرفة الفقه والحقوق وكتب في ذلك تآليفاً. ومن مآثرهِ تعريب

اللاهوت الادبيّ للاب يوحنا غوري اليسوعي في مجلّدين ولهُ ردّ على الشيعة الماسونيَّـــة وعدَّة رسائل في مواضيع مختلفة لا تزال مخطوطة

وممن عُرفوا بسمّو الهمَّـــة في تعزيز الآداب في الربع الأخير من القرن السابق اساقفة حلب الموارنة: (السيّد يوسف مطر ١٨١٤ — ١٨٨٢) انشأ في الشهباء مكتباً لملّتهِ واستجلب اليها مطبعةً ادَّت للحلبيين خدماً مشكورة سبق لنا تفصيل مطبوعاتها (في المشرق ٣: ٣٥٨). ودرج ادراجهُ خلفهُ (السيّد بولس حكيم الحلبيّ ١٨١٧—١٨٨٨) لهُ مواعظ وخطب شتَّى. وكان يقول بديهاً القدود والقصائد والزجليَّات والاناشيد التقويَّة على اللهجـــة العاميَّة

واناف عليهما شهرةً خلفهما السيّد (جرمانوس الشمالي) من سهيــلة كسروان (١٨٢٨ — ١٨٩٥) كان مثالًا حيًّا لكلّ الفضائل الاسقفيّة. امَّا شهرتهُ في الآداب العربيّة فتشهد عليها آثارهُ الباقية. منها مجلّدان ضمَّنهمـــا مجموع خطبهِ وعظاتهِ ثم ديوانه المسمَّى «نظم اللآلئ» وفيهِ كثير من المنظومات الجيّدة وقد سبق المشرق فأثبت ترجمة حياتهِ مطوَّلةً (٥: ٨٥٠—٦٨٠) فنحيـــل اليها القرَّاء. وهذا مثال من شعرهِ نضيفهُ الى ما هناك وهو مدحهُ لمصر قالهُ سنة ١٨٨٩:

أحسن بمصرَ وما شاءت مواليها ... من لي [illegible] الى مدحٍ [illegible]
عاينتُ اكثرَ مماً كُنت اسمعهُ ... من عزّةِ النفس وتقوى أهليه
محروسة صانها المولى بقدرتهِ ... وعينهُ لم تزل يَقظى [illegible]
فيها مباني عمادِ المجد من قِدَم ... تعدُّ اعجوبةَ الدنيا [illegible]
من فائض النيل تُسقَى مثلما شرعت ... من فائض [illegible] تَسقي [illegible]
تبارك الله ما اشهى خمائلها ... تستنشق الروحُ [illegible] فتحييها
فالبحرُ اوسطُها والبرُّ حاط بها ... والسهلُ و[illegible] فتحويه
سبحان من يجمع الدنيا واحدةً ... فتحتوي كل ما [illegible]
اهرامها الشمُّ والآثار شاهدةٌ ... بعزّةِ الملك من [illegible]
تُدعى بقاهرة الاعداء عن ثقةٍ ... [illegible]
ودَّعتُ قلبي لدى نظمي مؤرّخةً ... [illegible] مصر [illegible]

وعُرف ايضا في هذا الزمان احد رؤساء اساقفة [illegible] يوسف [illegible] درس في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير ثم علم في كلية [illegible] اللغتين العربيَّة والسريانيَّة وسعى في ايَّام اسقفيَّتـــهِ بانشاء مدرسة [illegible] سنة

١٨٨٥ فنالت بهمّتهِ نجاحًا. ولهُ كتاب في الفلسفة لم يسعدهُ الوقت على اتمامهِ. توفي في اواسط كانون الاوَّل من السنة ١٨٩٠

امّا الكهنة الموارنة فنال السبق بينهم في الآداب الخوري (ارسانيوس الفاخوري) وُلد في بعبدا سنة ١٨٠٠ وتوفي في غزير سنة ١٨٨٣ خدم الكنيسة والوطن بكلّ تفانٍ فأتخذهُ القصّاد الرسوليُّون كمعاون لهم في اشغالهم ولزم مدَّة اعمال القضاء في لبنان ودرَّس العلوم العربيَّة والقوانين الفقهيَّة لكثيرٍ من الطالبين كما ذُكر في ترجمتهِ المطوَّلة التي نشرناها في المشرق (٣: ٦٠٦–٦١٦) وعدَّدنا هناك ما أبقى من الآثار الجليلة كشرح ديوان المتنبي وشرح ديوان المطران فرحات ومطوَّل في الصرف والنحو. وقد طُبع من تآليفهِ كتابهُ روض الجنان في المعاني والبيان وكتابهُ زهر الربيع في فنّ البديع والميزان الذهبي في الشعر العربيّ. ولهُ ديوان كبير اقتطفنا منهُ بعض قصائدهِ في المشرق منها بديعيّتـهُ (المشرق ٤: ٢٦) وقصيدتهُ في قبر المسيح (٣: ٣٦٣) وغير ذلـك. ومن شعرهِ في الطهارة من ابيات:

يا صاحِ عِش متسربلًا بطهارةٍ تُصبِ المعالي في عُلى سربالها
لا إرثَ في ملك الإله لفاجرٍ هيهات ان يأوي السما مع آلها
فالله من دون الطهارة لن يُرى انَّ النعيم معلَّق بكمالهـا

وقال مخمساً لبيتين نظمهما احد الشعراء:

أتوق لودّ من يهـوى ودادي وفي شكلٍ كلانا باتحـاد
كأني في وفـاقٍ بالفؤادِ رأيتُ بنفسجًا في ظلّ وادي
وغصنُ البانِ منعكفًا عليهِ
فكلٌّ يجذبُ الثـاني لحبٍّ كمغناطيسَ قد كنَّا بجذبِ
وقلبـهُ شاخصٌ عينًا لقلبي فقلتُ تأمّلوا بصنيع ربّي
شبيهُ الشكل منجذبٌ اليهِ

وله ارجوزة طويلة قالها سنة ١٨٠٩ يبيّن فيها حرّية الانسان وخلوّ ارادتهِ من الاضطرار السابق هاك اوّلها:

الحمدُ لله الفرد السرمدي حمدًا يقينًا من شرور المعتدي
خلقنا الله على صورتهِ وشبهِ جلَّ علي قدرتهِ
لكي نحبَّهُ [illegible] ونعبدا ونرثَ الملك الذي قد خُلّدا

فينا اختيارًا كاملًا قد أوجدا لكلّ قولٍ ثم فعلٍ يُبتدا
حرّيّةٌ مطلقةٌ وفيَّهْ في فعل ما تريدهُ المشيَّهْ
قد ضلّ مَن قال بهِ اختلافا ولا يرى رأيًا بذا مُعافى
أمامك النيرانُ والماءُ فما تختارُ منها لهُ أمدُدْ معصما
بذا ابنُ سيراخَ الحكيمُ علّما كذا لنا الدينُ القويمُ سلّما
لولا اختيارٌ لفعالِ فاعلِ لم يُجزَ عنها من وليٍّ عادلِ

وفي هذا العشر التاسع اي نحو سنة ١٨٨٠ توفي احد شعراء لبنان الراهب الفاضل القس اغناطيوس الخازن من الاسرة الخازنيّة والرهبانيّة اللبنانيّة تولّى زمناً طويلًا رئاسة دير البنات وكان معروفًا بفضلهِ وجودة قريحتهِ عارفًا بالفقه. وقد وقفنا لهُ على ديوان مخطوط يدلّ على توقّد فهمهِ وذكاء عقلهِ ضمّنهُ كثيرًا من تواريخ لبنان بين السنتين ١٨٥٠ الى ١٨٧٧ لكنّ نسخة هذا الديوان سقيمة قد تشوّهت اكثر قصائدها باغلاط النساخ. وممّا يُروى له قولهُ في دير سيّدة ميفوق يشكو اثقال الرئاسة:

ويلٌ لمن طلب الرئاسة فاعتلى فالرفعُ بالخفض استبانَ ما ولى
كم بات مضطربًا لصرف ملمّةٍ كم ضاق من تعب الفؤاد فولولا
تبًا لها من مهنةٍ بل محنةٍ يُلْهي بها النساكُ عن ربّ الملا
كم حاسدٍ حلبت وردت حاسدًا وبال فيها لا يزال مُبلبلا
مملوءةٌ مرًّا ولا تحلو بها تحوي من الحلوى وهل صبرٌ حلا
ان قيلَ كلٌّ للرئاسةِ مائلٌ قلتُ نفرستهُ تشتهي ضوءًا صلى

وقال مؤرخًا وفاة الامير حيدر اللمعي قائمقام النصارى المتوفى سنة ١٨٥٤:

بكت العيونُ امير عُربٍ حيدرا من بعده هجر قلوبُ سلامِ
اذ غابَ عنها صاح كل مؤرّخٍ آها بيت المع صار ظلاما

وقال متفكهًا في أقرع اتاهُ من بعض اصحابهِ بترعة مملوَّة من الخمر الجيّدة فعثرت رجلهُ وافاض الخمر:

قد صبّ اقرعُ في طريقٍ قرعةً وأتى بعذرٍ يشتكي من نفسهِ
مزّيتُهُ بالقول طب نفسًا وسِر فكلّ شيء آفةٌ من جنسهِ

واشتهر بفنون الآداب كاهنان مارونيان من غزير وقعت وفاتهما في ربع الاخير من القرن السابق. الاوّل الخوري يوسف الهاني وكان يدعى قبل كهنوتهِ منصور همش

تعلَّم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وعلَّم فيها العربيَّة ومن آثارهِ مقامتهُ الغزيريَّة التي طُبعت سنة ١٨٧٢ في مطبعتنا الكاثوليكيَّة وفي آخرها قصيدتهُ العامرة الابيات في لاموريسيار وجنودهِ المتطوّعين البُسلاء المعروفين بالزواوة الذين ماتوا شهداء في خدمة الكرسي الرسولي في كستلفيدادو سنة ١٨٦٠ وكانوا من نخبة الشبيبة وانجال واشرف الأسر الكاثوليكيَّة. هذا مطلعها:

كريمَ النفس قُمْ بالنفس فادِ فقد نَسِيَ العَقُوقُ ثَدى الولادِ
عهدتُ الحرَّ يعتنق العوالي ويدفعُ عُنقَهُ عن ذي ودادِ
وان خان الدعيُّ حليبَ امٍّ فذاك بنفسهِ عنها يُفادي

ومنها يصف ثورة اعداء الدين:

أثاروا ضدَّ رأس الدين حربًا جرائمُهم بها كانت صَوادي
ونادوا اين من يحمي ذمارًا نرومُ نزالَــهُ في اي نادِ
فما لبث الزواوةُ ان أتَوْهم بأسرعَ من صدى صوت المُنادي
وصاحوا يا لحقّ بابويّ متينِ الاصل مرتفعِ العمادِ
وشاقَتْهم كؤوس الحَتْف شربًا وحنُّوا للمهنَّـدة الحدادِ
رويدًا ايهـا الابطالُ مَهْلا فسيفُ عُداتكم للـدَم صادِ
حسامٌ من جهنَّمَ قلَّدوهُ تقـدُّ شفارُهُ صُمَّ الجمادِ
ألا دعْنا نُلاقي الحتف عَفوًا ولا نُحْرِمْ حياءً حُسن زادِ
بمَ الأعضاءُ تحيا بعد رأسٍ وكيفَ الجسمُ دون القلب هادِ
فكُفَّ ملامـةَ الحُسَّادِ عنَّا ونادِ على السطوح وفي المهادِ
دَعوهم ينصرون الحقَّ جهرًا على اهل الضلالة والفسادِ
دعوهم في الفخار لحرٍّ ذيلٍ ونَيْلِ أكلَّة عُقبى جهـادِ
ولا تخشوا عليهم من ضلالٍ فلاموريسيارُ احقُّ هـادِ

الى ان قال:

[illegible] شهد الزواوة في الرزايا ونارَ الحرب تُضْرَمُ باتّقادِ
[illegible] الزكي أصفارها وما أحلى الدماء بذا الجهادِ
[illegible] حرائدُ سافراتٌ في حدادِ
[illegible] تواريت وليس أفولها حدَّ النفادِ
[illegible] بدارِ الخُلْدِ مجدًا بازديادِ
أتوا مولاهم [illegible] حقٍّ رأوا القَتْلَ أشهى من شِهادِ

وللخوري يوسف الهاني مآثر أخرى اخصّها كتاب منارة الطلّاب في التصريف والاعراب طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية . ولهُ اناشيد متفرّقة كقوله على لسان مريم العذراء عند مهد طفلها يسوع :

نَمْ يا حياتي بالهنا يا نور عيني والمُنى
ذوقنّ بطرفٍ أنعسٍ وسنًا يلذّ لنُعَّسٍ
في جنح ليلٍ الحندسِ فالى جفونك قد دنا

ولدي ايا زهر الرُّبى تسمو البنين كما الصّبا
قد فُقْتَ عقدًا مُذهبا بل عقدَ درٍّ بالسَّنا

ما سوسنٌ في جامهِ قد ذرّ من أكمامهِ
مع وردهِ وخزامهِ يحكيك يا بدر المُنى

كانت وفاة الخوري يوسف الهاني نحو السنة ١٨٨٥ . اما وطنيُّهُ الآخر فالخوري حنَّا رعد المعروف بالعاصي ايضاً كان ذا قلم سيَّال يُحسن الكتابة نظماً ونثرًا . وله ديوان شعر مخطوط يضنُّ بهِ آلهُ ويريدون نشرهُ وشعرهُ سلس مطبوع روينا منهُ سابقًا قصيدة في مريم العذراء (المشرق ٧ : ٤٣١) . ومن جملة اقوالهِ قصيدة دعاها جبْر الكسْر يذكر فيها وفاة البطريرك بولس مسعد ويهنّئ بها خلفهُ السيّد يوحنَّا الحاج سنة ١٨٩٠ :

بالأمس كان الرثا والدمعُ ينسجمُ والبومَ عمَّ الهنا والثغر يبتسم
طافت بنا الكاس من صابٍ ومن عسل والحمدُ لله في الحالين ملتزم
لا يهملُ الله في الحلى كنيستَهُ ولو احاطت بها الارزاء تنتظم
ازال بالحبر يوحنَّا مصائبنا فالكسْرُ منجبرٌ والجرح ملتئم

وهي طويلة ختمها بقولهِ :

انت المؤمَّل ان تضحى رئاستُهُ لنا ولدين حصنًا ليس ينهدم
آمالنا فيك كالألحاظ شاخصةٌ لها معابٍ وكل منا لها حرم
جئنا نهنّيك لكنَّ الهناء لنا فانَّ عيدك للانساء مغتنم
فاقبل ثناء بلا منٍّ وتهنئةٍ لها يترجم عن فحوى الفؤاد فم

وكان المترجم مولعًا بفرنسا يعظّم مفاخرها ويطري شهامة جنودها ويذكر ابرارها التي انقذت نصارى الشرق من نكبات العثمانيين فمن ذلك عينيتهُ الشهيرة في وقعة سنة ١٨٦٠ بعد حوادث الشام:

كفَّ البكا وامسحْ عيونًا تدمعُ … واحفَظْ بقيَّةَ مهجةٍ تتصدَّعُ
صبرًا ولا تملكْ أسًى وتوجّعًا … فلعلَّ سعدك في الطوالع يطلعُ
يا شرقُ امرُكَ مذهلٌ او مُعْضِل … والقلبُ حيران لذاك وموجعُ
قد كُنتَ آلفتَ المصائب ذلَّةً … حتى دهتكَ مصيبةٌ لا توسعُ
لبنانْ ما هذه الجماجمُ والدما … ما للمنازلِ وهي قفرٌ بَلْقعُ

الى ان قال على لسان الرب ملبّيًا دعوة المكروبين:

حتَّام تفترسُ الذئاب رعيَّتي … فقطيعيَ المختارُ كاد يُقطَّعُ
ولقد اقمتُ لنصر شعبي ظافرًا … بطلًا تخرُّ لهُ الجهات الاربعُ
صحنا وكان الى فرنسَ الصوت: يا … ناپوليون. اجابنا: لا تجزعوا
اني لَمُنْجِدكم وكاشف كربكم … برضى الالهِ سواهُ فخرًا يُمنَعُ

ومنها في وصف الحملة الفرنسويَّة:

وكواسرٌ لا الهَوْلُ في اوهامها … هولٌ ولا الموتُ المريع يُرَوِّعُ
لا ترهبُ الاسيافَ ان سُلَّتْ ولا … تحمي الجيوشَ ولا المدافع تدفَعُ
منها الزَّوَاقُ ولم تكن يومًا سوى السَّمْوتِ الزوَّاف وكلُّ عاتٍ موقعُ
تلك البُحور على ابْرور طمَتْ ولا … سدٌّ يصدُّ ولا حجابٌ يمنعُ
ليس الملا الَّا المراكبُ والموا … كبُ والقواضبُ والقنا والأَدرعُ
وهي السوابق والسرادق والبنا … دقُ والصَّواعقُ والمنيَّة تتبَعُ
سعدًا ليوم بَشَّرت أعلامُــهُ … انَّ الحياةَ من المنيةِ اسرعُ
لله درُّكِ يا فرنسا مركزًا … للدين والدنيا اليكِ المرجعُ
لولاكِ لم يشرق نهارُ سلامةٍ … فينا ولا زال الشقا المستفظَعُ

وهي طويلة ابياتها من غرر الاقوال تتدفَّق جودًا ورقَّةً . ولهُ قصيدة مثلها في بلاغتها وهي نونيَّة قالها سنة ١٨٧١ لمَّا زار لبنان القنصل الفرنسويّ روستان مطلعها:

حبٌّ قديمٌ ثابتُ الاركان … لفرنسَ قام على ذُرى لبنانِ

وللخوري حنا رعد عدَّة اناشيد يتغنَّى بها النصاري الى يومنا في المجتمعات التقويَّة كقولهِ في مسح البتول:

مَجْد مريم يتعظَّمْ … في المشارق والغروبْ

وقوله:

عليكِ سلامْ بلا مَلَل … يا نجمة البحر والامل

وقوله في الميرون الاقدس:

لك التسبيح والشكرانْ لك المجد يا سرَّ القربانْ

توفي الخوري يوحنَّا رعد في ١٣ ايلول من السنة ١٩٠٠

وفي السنة ١٨٨٩ فقدت الشهباء احد كهنتها الموارنة الاجلّاء القس اغوسطينوس عازار. درس العلوم في مدرستنا الاكليريكيَّة في غزير وكان يسمَّى جرجس وبرع في اللغة العربيَّة فلمَّا عاد الى وطنهِ انقطع الى التدريس والتأليف ونَقْل الكتب الى العربيَّة وخدم الاداب نحو عشر سنين. ومن تآليفـهِ كتاب خلاصة المعرفة في اخصّ قضايا الفلسفة طُبع سنة ١٨٨٦ في بيروت (١. ولهُ ديوان شعر اخذتهُ يد الضياع الّا بعض القصائد التي نُشرت في المجاميع الادبيَّة. فمن قوله في رثاء يذكر الموت:

من اين يرجو المرءُ خلدًا اذ يرى كلًّا يزول مع الزمانِ ويُدفعُ
انَّ الحياة لدى الحقيقةِ عهدُهـا يمضي كلمع البرق او هو اسرعُ
كلّ لهُ يومٌ يودّع اهلَهُ فيـهِ وداعًا مطلقًا ويودَّعُ
لا فرق عند الموت بين اكابرٍ واصاغرٍ حين القضـاءُ يُلعلعُ
ما هذه الدنيـا لدى عيني سوى سفرٍ الى ابـديَّةٍ لا ترجعِ
ان رمتَ يا صاحِ السعادةَ والبقا فاسلك سبيل الله صدقًا تنجعِ

ولهُ في يوبيل البابا لاون (سنة ١٨٨٧—١٨٨٨) قصيدة غرَّاء افتتحها بقولهِ:

نادى المنادي بوَحْي الله ما كتبا في آية الصبر انَّ الليث قد غلبا
ليث من الانس تخشى الارضُ سطوتهُ في الغرب والشرق إنْ عجماً و[illegible] عربا
فاعجب لهُ اسدًا بالبأسِ منتصرًا بالانس مشتهرًا في الكون مرتقبا

ومنها:

رِعيًا لراعٍ رعى حقّ الاله ولم يُبدِ التساهلَ فيما لعدلِ قد صدا
مذ قام حقَّ قيامٍ في رسالتـهِ حكمةً [illegible]
ووفَّق الدينَ والدنيـا بحكمتـهِ ولم يَدعْ لهم عذرًا ولا سندا
يمناهُ حاملةُ الانجيـل ما برحت يسراه تعضدُ ساداتِ الورى [illegible]
قوَّى الملوكَ على اعداء سلطتهـم بكبحهِ ثورةَ [illegible]
وقام يجهد في العمران طاقتـهُ [illegible]
هزَّ العصا وأراع الكُفرَ فارتعدت منها العُصاةُ فاذا [illegible]

١) ولاخيهِ القس بولس كتاب الادلّة الدهرية في وحدة النفس البشريّة

وهي طويلة بليغة ختمها بهذا التاريخ :

قد حاز لاوون ما التاريخُ ينشدهُ اسماً مدى الدهر يبقى ذكرهُ عجبا

ولم يتأخّر الاكليروس السرياني الكاثوليكيّ في نهضة الآداب العربيّة في ختام القرن التاسع عشر ففي سنة ١٨٧٤ توفي البطريرك (فيلبُّس عركوس) وكان متضلّعاً بعدّة لغات شرقيّة وغربيّة. لهُ كتاب مخطوط عنوانهُ قوت النفس فيهِ ارشادات ومواعظ. فخلفهُ السيّد البطريرك (اغناطيوس جرجس شلحت) الحلبيّ الاصل (١٨١٨—١٨٩١) اشتهر بالعلوم الطقسيّة وعزّز الموسيقي الكنسيّة. ومن آثارهِ الطيّبة كتابان احدهما يحتوي على مواعظ وخطب دينيّة والآخر ضمّنهُ تاريخ الكنيسة الشرقيّة . هذا فضلًا عن عدّة كتب طقسيّة سعى بتنقيحها وطبعها في السريانيّة والعربيّة

وقام من بعدهِ السيّد (اغناطيوس بهنام بنّي) الموصلي (١٨٩١—١٨٩٧) درس في رومية العظمى ونال شهادة الملفنة في اللاهوت والفلسفة. وقد نشر في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل كتاباً اثبت فيهِ حقيقة الكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الدرّة النفيسة في حقيقة الكنيسة ولهُ كتاب كلندار السّنة لابرشيّة الموصل السريانيّة . وطُبع لهُ في لندن سنة ١٨٧١ كتاب انكليزي عنوانهُ تعليم الكنيسة السريانيّة في رئاسة بطرس وخلفائهِ الاحبار الرومانيين

وزيّن الشام في اواخر ذلك العصر حبران جليلان من الطائفة نفسها اعني السيد (ثاوفيلس انطون قندلفت) الحلبي (١٨٣٦—١٨٩٨) الذي تعيّن مطراناً على طرابلس وسكن بيروت ولهُ تركة علميّة واسعة منها دينيّة كالسراج الوهّاج في سنّة الزّواج والرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزيجيّة عند الشرقيين وكتاب مواعظ دعاهُ عقود الجمان في شرح قانون الايمان في ثلاثة مجلّدات اردفهُ بكتاب القلادة الدريّة في شرح الوصايا الالهيّة وكتاب القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهيّة جمع فيهِ تسابيح واناشيد تقويّة ادرجها في الكنائس وكل هذه الكتب الّا الاخير نشرت بالطابع. امّا كتبهُ الادبية فمنها رواية ظريفة تُدعى الذّميم والذميمة وكتاب الذكرى لمن اعتبر يحتوي انتقادات وحكماً ومنثورات ادبيّة بالنثر والنظم لم يطبع . ولهُ عدّة مقامات وقصائد وروايات طُبعت في مجلّة الجنة وفي الجنان وفي بعض المجاميع فمن ذلك قولهُ في مدح احد ادباء الاستانة يوسف نعمة الله جد :

مالي وللدهر دعني انني ثمل من راح اهل الوفا والفهم والكرم
من جدهم جاد واستملت معالمهم حتى غدا فضلهم نارًا على علم
من اهل جدٍّ فتى رام العُلى فعلا بالفصل والفضل والاحسان والشيم
سميّ رأيٍ سنيّ الفكر ذو حذقٍ في وصف جانبهِ قد حار كل فم

ولهُ مجيبًا لقدسي زاده قدري بك وكان ارسل اليه قصيدة يُعرب فيها عن اشواقه الى وطنهِ وخلانهِ في الشهباء اوّلها:

يا راقيًا يبغي ذري الشهباء ومعرّجًا للبلدة البيضاء

فوجّه المطران انطون اليهِ بهذه القصيدة من بحرها وقافيتها:

يا صاعدًا أوج العلى بثنـاء ولواك مُنعقدٌ على الجوزاء
وسواك يبغي المجد لكن جدُّهُ هيهات مثلك يا ذرى الفضلاء
حسبٌ وفضلٌ قد جمعتَ كليهما مع رقّـةٍ ومكارمٍ وسنـاء
اوليتني الإحسانَ بالتوديع في مصرٍ بخير قصيـدة غرّاء
فيها الحنينُ الى المواطن والحما والى الافاضل من بني الشهباء
فلثمتها وتلوتُهـا ونشرتُهـا وحسبتها من اوجه النعماء

ومنها:

انت الملاذُ لآل قُدسي وانسـتَ الفخرُ للاوطانِ يا مولائي
لم تنسَ شيمتَك الكريمةَ دائمًا بالحل والترحال دون وفاء
فلتفتخر حلبٌ بعبد القادر م القدسي على الأقطار و الانحاء

وختمها بقولهِ:

خذها لردّ صدى الوداد على الندى من ذي وفاء ودُّهُ بصفاء
واصفح بفضلك عن قصوري انني في كنفِ عفوكَ قد وجدتُ [illegible]

وزاد على من سبق ذكرُهم شهرةً السيّد (اقليميس يوسف داود) [illegible] في الموصل من أُسرة كلدانيَّة في ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٨٢٩ وبعد ان درس فيها مدّة في مدرسة الآباء الدومنيكيين ثم في مدرسة الآباء اليسوعيين في غزير اتمّ دروسهُ في رومية وحاز السبق على كل اقرانهِ في العلوم الدينيَّة والدنيويَّة ثمَّ انضوى الى الطائفة السريانيَّة وعاد الى وطنهِ وعلّم عدَّة سنين في مدرسة الآباء الدومنيكيين فتخرَّج عليهِ كثيرون عرفوا بآدابهم ومنشآتهم ووكل المرسلون اليهِ نظارة مطبعتهم واصلاح منشوراتها [illegible] قام بالامر احسن قيام واهتمّ بطبع تآليف جمّة لا تزال واسطة قلادتها. وقد اتمّ [illegible] الرسوليَّة

اهتمام العبد الصالح فخدم النفوس بالمواعظ والكتابة والتأليف وانشاء المدارس الى أن عهد اليهِ الكرسي الرسوليّ تدبير ابرشيّة دمشق فلبّي دعوتهُ مرغوماً . وآثارهُ العديدة في الفيحاء لا تزال تنطق بفضلهِ وهناك أُقيم لهُ نصف تمثال من الرخام في الدار الاسقفيّة التي زانها بفضائلهِ وعلومــهِ من السنة ١٨٧٨ الى تاريخ وفاتهِ في ٤ آب ١٨٩٠ . وقد استوفى جناب الكنت فيليب نصر الله طرّازي ذكر اعمالهِ في كتابهِ القــلادة النفيسة في فقيد العلم والكنيسة الذي طبعهُ في مطبعتنا سنة ١٨٩١ وهناك تجد جدول تآليفهِ المطوَّل ومجموع آثارهِ العلميَّة في كل الفنون والمعارف العصريَّة تنيف على الثمانين تأليفاً او تعريباً او اصلاحاً وتنقيحاً . بينها قسم واسع في الآداب العربيَّــة من صرف ونحو وعروض وخطب وتاريخ وآداب شعريَّة ونثريَّة ولعلَّــهُ اوَّل من زوَّد المدارس الكاثوليكية بكتب تعليم منقَّحة . وتعريبهُ للاسفار المقدَّسة ينبئ بفضلــهِ العميم . وامَّا آثارهُ بالسريانيَّة فتكاد لا تُحصى . ولهُ حتى يومنا عدَّة تصانيف لم تنشر بالطبع مع كثرة فوائدها وكان للسيد اقليميس داود مقامٌ جليل بين العلماء الاجانب يقدّرون قدرهُ في كل الابحاث الشرقية وقد رثاهُ كثيرون بالمراثي النفيسة ومن اجودها قول الدكتور لويس صابونجي :

وترثي دمشقُ الشام فَقْدَ عزيزها ... مع الموصل الحدباء اذ قام مشهَدُ
سأبكي عليهِ ما تقطَّر مدمعي ... وراح يمامٌ في الأراك يغرّد
بكتهُ طروسٌ واليراعُ ونثرُهُ ... وناح عليهِ الشعر اذ بات يُنشَدُ
بكتْهُ علوم الاوَّلين بأسرها ... بدمعٍ غزيرٍ سيلــهُ لا يُجمَّدُ
وراح عليهِ المجدُ يبكي تأسُّفاً ... وقَلْبُ المعالي بالمرائر يَفسَدُ
وراح من السريان مجمعُ شرفةٍ ... يُقرّ لهُ بالفضل فيها مجدّدُ
ومجمعُ واتيكان يندبُ فَقْدَ مَنْ ... لديهِ تقاليد الطوائف توحَدُ

وهي طويلة منها قولهُ في قبر الفقيد :

عليك سلامُ الله ما ضاء فرقدٌ ... ودمتَ بقَطرِ الغيثِ تُسقى وتقصَدُ
سألت الهي ان يمنَّ بفضلــهِ ... عليَّ بتقبيل الضريح فأحمَدُ
وإن عسر ذاتُ القبر فالدمع فرجةً ... لانَّ غليــلي بالدموع يُبرَّدُ

وممَّن اشتهر بين كهنة السريان الخوري (يوسف معمار باشي) المــارديني تلميذ مدرسة بروبغندا ودير الشرفة رحل الى اميركا سنة ١٨٨٠ وسطر اخبار رحلتــهِ في

كتاب دعاهُ ارشاد القريب والبعيد الى معرفة العالم الجديد. توفي سنة ١٨٨٩

وكذلك عُرف كاهن فاضل كان من تلامذة مدرستنا في غزير ومدرسة الشرفة الخورفسقفوس (ميخائيل دلّال) تولّى كتابة الاسرار للبطريرك جرجس شلحت زمنًا طويلًا وكان شاعرًا مجيدًا. ومن آثارهِ روايات ادبيَّة كإحسان الانسان والنفح العاطر في الفتى المهاجر والفتاة الخرساء. ولهُ ديوان شعر غير مطبوع فمن اقواله الزهديَّة:

أرى الدنيا جاهها لا يطولُ　　وزخرفها برمّتهِ يزولُ
فعزَّتها وبهجتها خيالٌ　　وزهرُ الحقل برهان دليلُ
فهذا الزهرُ عند الصبح يزهو　　ويفتك في المساء بهِ الذبولُ
فكيف الناس في لهوٍ حيارى　　ورأسهمُ تدورُ بهِ الشَّمولُ
ألا ليت الانامَ يَعون قولي　　ففي الاخرى لهم خيرٌ جزيلٌ

وقال من قصيدة طويلة في مديح لاوون الثالث عشر:

حبرُنا لاوون مَن قدرًا سما　　وتعالى سؤددًا دون مثيلْ
مَن حباهُ الله اوفى منحةٍ　　اذ رآهُ مستحقًّا للنحلْ
خلف المغبوطَ شمعونَ الصفا　　من مفاتيح السماوات اقتبلْ
فبقي نصرًا لحقِّ الدين في　　كل حالٍ منهُ لا يهوى بدلْ
وازاح الستر عمَّا قد فشا　　من ضلال الكفر في كل محلْ
ان أفُلْ فيهِ ختامًا قد غدا　　محورُ الدنيا عليه لا تحدْلْ

توفي القس ميخائيل دلال سنة ١٨٩٤

وقد جارى الاكليروسُ الكلدانيّ اخوتهم السريان في رفع لواء الآداب لأنّ همتهم كانت مصروفة الى لغتهم فانَّ مطبعتهم في الموصل عُنيت خصوصًا بنشر الآثار الكلدانيَّة. على انَّ البطريرك (جرجس عبد يشوع خيّاط الموصلي) كان يُتقن اللغتين السريانيَّة والعربيَّة ولهُ في كلتيهما مصنَّفات. ومن تآليفهِ العربيَّة مجموع بالنثر والنظم لافادة طلبة المدارس دعاهُ روضة الصبي. ولهُ فصول في التواريخ المقدسية عرَّبها من تاريخ بيليز (Belèze) وذيَّلهُ وطبعهُ في مطبعة الآباء الدومنيكان. توفي السيد عبد يشوع سنة ١٨٩٩

وممّن عُني من الكلدن بنشر الآثار العربيَّة القس يعقوب نعمو نشر كتابًا جليلًا للبطريرك النسطوريّ ايليا الثالث المعروف بابي الحليم ابن الحديثي في القرن الثالث

عشر يُدعى التراجم السنيَّة للاعياد المارونيَّة يحتوي عددًا من انفس الخطب الدينيَّـة وابلغها كلّها مسجعة يقرّ لها بالبلاغة كل من يسمعها . وقد نشرنا في المشرق خطباً لهُ لم نجدها في هذا المجموع

امَّا الروم الارثذكس فلا نعرف احدًا اشتهر في اكليرسهم بالآداب العربيَّـة غير السيد (جراسيموس يارد) مطران صيدنايا ومعلولا وزحلة . كان مولدهُ في راشيا سنة ١٨٤٠ وبعد درسهِ في مدرسة طائفته في دمشق علّم في مدرسة حماة ثم أُرسل الى موسكو سنة ١٨٠٨ لتدبير اوفطش ملتهِ فيها فوجّهت اليهِ الدولة الروسيَّة انظارها ودعتهُ الى تدريس اللغات الشرقيَّة في مدارسها وقد ألف هناك كتباً بالروسية طُبعت على نفقـة الدولة منها تاريخ فوطيوس . وفي السنة ١٨٨٣ عاد الى بلاد الشام وخدم الكرسي الانطاكي بنشاط حتى رُقي الى رتبة الاسقفيَة سنة ١٨٨٩ فدبّر ابرشيَّتـهُ عشر سنوات وكانت وفاتهُ في ايلول سنة ١٨٩٩ . ومما تركهُ من الآثار تعريب كتاب خلاص الخطأة ورواية واقرار بيلاطس وكاريس في الرتب والطقوس والاعياد الكنسية . وكان خطيباً مصقعاً

*

(البستانيُّون) نقدّم ذكرهم على بقيّة الادباء العالميين الذين اشتهروا في ترقيـة الآداب العربيَّة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وكان اشهرهم المعلم (بطرس البستاني) فانَّهُ وُلد في الدبيَّة من اقليم الخرُّوب سنة ١٨١٩ من عائلة مارونيَّة وجيهة وفي صغرهِ تلقَّى العلوم في مدرسة عين ورقة وهو يريد الانتظام في سلك الاكايروس ثم جنح الى البروتستانيَّة واخذ عن مرسليها المعارف المستحدثة ودرس عليهم العبرانيَّة وعلّم في مدرسة عبيه لرسالتهم الاميركيَّة واظهر من الاجتهاد في التحصيل والبراعة في التعليم ما حبَّبهُ الى اصحاب تلك الرسالة كالدكتور عالي سميث والدكتور ڤان ديك فاستدعوهُ الى بيروت لموازرتهم في اعمال مطبعتهم فساعدهم في عدَّة تآليف اخصّها ترجمة التوراة من العبرانيَّة الى العربيَة وتولّى مدَّةً منصب الترجمة في قنصليَّـة اميركا ثم تفرَّغ للتآليف ووضع عددًا من الكتب المدرسيَّة في الصرف والنحو والحساب ثم باشر بقاموسهِ المطوَّل المعروف بمحيط المحيط واختصرهُ في قطر المحيط فنال من السلطـان عبد العزيز الوسام المجيدي من الصنف الثالث ومبلغاً وافرًا من المال كجائزةٍ على عملهِ . ولما رأى للصحافة في سورية نهضة النطاق عدل الى انشاء الصحف فحرَّر مع آلهِ الجنان

والجنَّة والجنينة وكان الجنان مجلّةً تتضمَّن المباحث السياسيَّة الحرَّة والمقالات العلميَّة والتاريخيَّة والادبيَّة ثم عهد الى ابنهِ سليم مواصلة هذا العمل وابتدأ اوَّل دائرة علميــة ظهرت في اللغة العربية فابرز منها سبعة اجزاء قبل وفاتهِ. وكان المعلم بطرس مع وفرة هذه الاعمال يتعاطى التدريس فأنشأ في بيروت مدرستهُ الوطنيَّة التي نالت بهمَّتهِ نجاحًا الى ان اضطرَّتهُ اعباء الاشغال الى انتداب ابنهِ سليم الى ادارتها ثم أُقفلت بعد حين. وكانت وفاتهُ فجأة في غرَّة ايار سنة ١٨٨٣ وممن رثاهُ الشيخ خليل اليازجي فقال من قصيدة :

يا قُطْر دائرةِ المعارفِ والحجى ومحيطَ فضلٍ فاض في إمدادهِ
تبكي العلوم عليك واللغة التي بقريضها ترثيك في انشادهِ
فاذا المحيط بكاك لم يكُ دمعهُ دون المحيط يزيد في إزْيادهِ
يبكي الحسابَ عليك متَّخذًا لهُ دمعًا يسيل عليك من أعدادهِ
تبكي المدارس والجرائد حسرةً والشرق بين بلادهِ وعبادهِ

وفي السنة التالية ١٨٨٤ نشبت مخالب المنون في نجلهِ (سليم البستاني) وكان سليم يتقيَّل أباهُ في نشاطهِ وهمَّتهِ وآدابهِ وقد ساعدهُ في تحرير مجلّة الجنان فكتب فيها فصولًا واسعة وتولّى ادارة صحيفة الجنَّة وانجز الجزء السابع من دائرة المعارف ونشر جزءهُ الثامن. ولم يظهر من هذا التاليف بعد ذلك الّا ثلاثة اجزاء ولعلّ الباقي لن يُنشَر ابدًا. وكان الاجدر بمؤلف هذه الدائرة ان يقسّم الشغل على جملة من الكتبة فيتولّى كلٌّ منهم تحرير القسم الخاصّ بهِ فانَّ ذلك كان أضمن بانجازه فضلًا عن كونهِ أشمل لموادّها واوفى بفوائدها فانَّ هذه الدائرة مع محاسنها بعيدة عن الدوائر الاوربيَّة التي يتولّاها قومٌ من الاختصاصيين. ومن اكبر خللها انَّ موادَّها الشرقية قليلة فانَّ مؤلّفيها نقلوا خمسةً او ستَّة من الكتب العربيَّة الشائعة ولم يعنوا ببحث عن المسائل التي تهمُّنا من تاريخ بلادنا

ولسليم البستاني روايات قصصيَّة نشر كثيرًا منها في الجنان وروايات تمثيلية كرواية الاسكندر وقيس وليلى جرى تمثيلها في الجمعيَّة السورية وكان احد اعضائها المتميزين. ونشر ايضًا تاريخ فرنسا بمجلَّد كبير استعان في نشره بجناب الشيخ خطَّار الدحداح. توفي سليم البستاني في ١٣ ايلول ١٨٨٤ وكان مولدهُ في عبيه في ٢٨ ايار سنة ١٨٤٨ وكان في العربيَّة احد المتخرّجين على الشيخ ناصيف اليازجي

وممن شرّفوا الأسرة البستانيّة بآدابهم دون ان تصيبهم في دينهم شائبةٌ كالمعلّم بطرس وابنهِ سليم السيّدُ الجليل (بطرس البستاني) رئيس اساقفة صور وصيداء على الموارنة (١٨١٩—١٨٩٩) واحد تلامذة عين ورقة خلف عمّهُ المطران عبد الله البستاني منشئ مدرسة مشموشة في تدبير كرسي صور وصيدا وكان متضلّعاً بالعلوم الدينيّة والفقهيّة واشتهر بتعليم الحقوق والفرائض واتّخذهُ مدّة السيّد البطريرك بولس مسعد لكتابة اسرارهِ الى ان سامهُ اسقفاً سنة ١٨٦٦ واستصحبهُ الى رومية في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٧ احتفالاً بالتذكار المئوي لاستشهاد القديسين الرسولين بطرس وبولس وسنة ١٨٧٠ لحضور المجمع الواتيكاني توفي في ٢ تشرين الثاني ١٨٩٩

ومنهم الخوري (يوسف البستاني) من تلامذة مدرستنا الاكليريكيّة في غزير حرّر البشير مدّة سبع سنوات واشتهر بالكتابة وعرّب عدّة تآليف نُشرت في مطبعتنا كتاريخ الكنيسة لِلومُند والحديث المانوس في هداية النفوس وجمع مع الخوري بطرس الزغبي كتاب نخب الملح وغرّة المنح وذيّلهُ بالملحوظات التاريخية والحواشي الواسعة فطُبع على الحجر. كانت وفاتهُ السنة ١٨٩٦

واشتهر كذلك سميُّهُ الخوري (يوسف جرجس البستاني) الذي عُرف بفضلهِ وفضيلتهِ وانضمّ الى جماعة المرسلين الكريميين ففلح معهم كرم الربّ حتى انتدبهُ الطيّب الذكر السيد يوسف الدبس الى ادارة مدرسة الحكمة في بيروت واتّخذهُ كاتباً لاسرارهِ فقام بكل مهمّاتهِ احسن قيام ولهُ عدّة خطب ألقاها في النوادي العلميّة المارونيّة طُبع بعضها ولهُ خطب أُخرى وقصائد وتآليف شتى لم تطبع. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٦

ومنهم ايضاً (سعيد البستاني) توفي في الحدث في ربيع سنة ١٩٠١ عن بضع واربعين سنة وكان محرّراً لجريدة لبنان وكان سكن مدّةً القطر المصريّ وتولّى منصباً رفيعاً في نظارة الداخلية. ومن مآثرهِ الادبيّة رواية ذات الخدر مثّل بها احوال مصر وعاداتها على اسلوب لطيف. واشهر منها رواية سمير الامير اودعها صورة احوال لبنان وعادات امرائهِ واخلاقهم

والاسرة البستانيه لا تزال ممتازةً الى يومنا بمشاهير ادبائها كنجيب افندي البستاني وسليمان افندي مبعوث بيروت في المجلس الدستوريّ ومعرّب الالياذة ثم الشاعر العصري

عبد الله افندي . ولا غرو فإنهم يحققون معنى اسمهم فيغنون الآداب بما يغلّهُ بستانهم من الاثمار الجنيّة

ومن مشاهير لبنان في الادب وفنون الكتابة (يوسف حبيب باخوس) الكسرواني الغزيريّ من الاسرة الباخوسيّة الشائعة الفضل وُلد في ٥ ايار سنة ١٨٤٥ في غزير وفيها توفي سنة ١٨٨٢ في ريعان شبابهِ وقد ادّى للآداب العربيــة مع قصر حياتهِ خدمًا مشكورة . فانهُ بعد ان تلقَّن العلوم في مدرسة مار عبدا هرهريا قريبًا من عرامون انقطع مدَّةً للتدريس في مدرسة عينطورا ثم في مدرسة الحكمة في بيروت حتى انتدبتهُ حكومة دولة ايطالية الى تحرير جريدة عربيّة في كالياري من اعمال سردينية فرضي بذلك وباشر بالعمل وانشأ جريدة « المستقلّ » وحرَّرها سنتين . ثم حرَّر جريدة البصير في باريس خدمةً للمصالح الافرنسيَّة وقد اصابت الجريدتان بهمَّتهِ بعض النجاح لولا ان المرض احوجهُ الى مغادرة القلم للاهتمام بصحتهِ . فرجع الى وطنــهِ وما نشب ان توفي . وقد نشر المشرق ترجمتــهُ مطوَّلةً بقلم احد آلهِ الادباء نجيب افندي باخوس (المشرق ٥ : ١٥١ و٤٩٧) وهناك عدّة مقاطيع نثريّة وشعريّة نشهد لهُ بانسجام الكلام ورقَّة النظم والتفنن في الكتابة فعليك بها . وكذلك مرَّ لنا وصفــهُ للربيع في باريس (في المشرق ٣ : ٣٤٨) ولدمار پومپاي (٣ : ٤٦٢) وقصيدتهُ في حكمة النفس (٣ : ٣٢٢) وليس في الاعادة افادة

وفي السنة ١٨٨٣ رُزئت الآداب باحد ابناء عائــلة شريفة في بيروت المرحوم (سليم بن موسى بسترس) كان مولدهُ في ٢٩ آب سنة ١٨٣٩ وأقبل صغيرًا على درس الآداب العربيَّة وبعض اللغات الاجنبيّــة وفي السنة ١٨٥٥ تجوَّل في انحاء اوربا وزار عواصمها وقد وصف رحلتهُ في كتاب طبعهُ في المطبعة السوريَّة دعاهُ النزهة الشهيَّة في الرحلة السليميَّة . ثم تعاطى بعد ذلك الاشغال التجاريَّة في الاسكندريَّة ثم انتقــل الى انكلترَّة وسكن ليفربول ولندن واتسعت هناك اشغالهُ وعُرف بفضلــهِ وسخاء يدهِ فتوفَّر عدد اصحابهِ بين وجوه البلاد واعيانها ونال من محاسن الامبراطور اسكندر الثاني التعطّفات الفائقة وحاز الامتيازات الخاصّة وكذلك الدولة العثمانية منحتهُ اوسمة العالية الشان . وكانت وفاتهُ في لنـدن في ٣ شباط سنة ١٨٨٣ لكنَّ جثتهُ نُقلت الى بيروت فدُفن في ضريح عائلتهِ وقد رثاهُ كثير من الادباء نثرًا ونظمًا منحبة الاقوال

التي جُمعت في كتاب خاصّ . فمن رقيق ما قيل عن لسان الفقيد عند نقل جثتهِ الى بيروت ابيات لالياس افندي نوفل :

لمَّا قضى السقمُ ان يسطو على بدني قد رقَّ حتى رأيتُ الروح تثقلني
فقلتُ لا تدفنوا جسمي بغربتهِ فالشرق اقربهُ تربًا الى عدنِ
هناك فوق رباهُ خيرُ من تركتُ عيني وثمت ثراهُ خيرُ مُرتهَنِ
قد جئتكم اثرًا يا جيرتي واسا العينُ التي شخصت للاهل والوطنِ
فعند مشهد نعشي فاندبوا اسفًا صباي او عند قبري فاذكروا زمني
اودعت جسمي لديكم في الممات وكم اودعتكم في حياتي القلبَ في شجني
فاستعطفوا الله من اجلي فرحمتهُ هي الغناء لنفسي يوم يحشرني

وكان سليم دي بسترس شاعرًا بليغًا لهُ منظومات متعدّدة جمع فيها بين سلاسة الكلام ولطف المعاني . فممَّا استحسنَّاهُ من نظمهِ قولهُ في رثاء :

لا شيء غير نفوسنا يتخلَّدُ تلك البقيَّة غيرها لا يوجدُ
وسواؤُها فوق البسيطة كلهُ يفنى وضمن ترابها يتوسَّدُ
روحُ إلهِ الكون ارسلها الى جسد الفنا نورًا بهِ يتوقدُ
فتقود ذاك الجسمَ في طرق الهُدى وترى لهُ الحقَّ المبين وترشدُ
حتى اذا كملت مواعيدٌ لها نادى بها عودي اليَّ فتصعدُ
وتُفارق الجسم الذي سُجنت بهِ بحياتهِ والى السعادة تقصدُ
حتى اذا تمَّ المعادُ وقد أتى يومٌ بهِ كل الخلائق تُحشدُ
تعطي الى رب العباد حسابها في محفل فيهِ الملائكُ تشهدُ
في ساعةٍ يا هولها من ساعةٍ ان لم تكن فيها الفضائلُ تعضدُ
وتبيت مع طغمات اجنادِ العلا تجثو الى العرش المنير وتسجدُ
وتشاهدُ المجد المشعشعَ نورُهُ وتسبّح الربَّ العظيم وتحمدُ

ولهُ تهنئة في عام جديد :

اتى العام الجديدُ يزيد عامًا بتاريخ المحبَّة والودادِ
على قدر السنين اليك يُهدى تحيَّات السليم على بعادِ
امرٌ بكل عام حيث فيهِ محبَّتنا تدومُ على اتحادِ
وان كنتُ البعيد فانَّ قلبي على طول المدى بين الايادي
اوكلهُ ينوب اليوم مني بتقديم التحيَّات الحدادِ

(المعلّم ابرهيم سركيس) هو اخو وطنيّنا الاديب خليل افندي سركيس صاحب مطبعة الآداب ومنشئ جريدة لسان الحال كان مولدهُ في اعبيه سنة ١٨٣٤

من عائلة مارونيَّة الَّا انهُ درس على المرسلين الاميركان فجنح الى مذهبهم وصار احد شيوخ الكنيسة الانجيليَّة في بيروت وعلَّم في احدى مدارسها ثم اشتغل عدَّة سنين في مطبعة الاميركان فاحكم صناعة الطباعة وتولَّى تصحيح المطبوعات ومبيع الكتب الى ان توفي في ١٠ نيسان سنة ١٨٨٥. وكان ذكي الفؤاد محبًّا للعلوم وقد نفع مواطنيهِ بعدَّة مؤلَّفات عربيَّة اخصُّها الدرّ النظيم في التاريخ القديم والدرَّة اليتيمة في الامثال القديمة وصوت النفير في اعمال اسكندر الكبير والاجوبة الوافية في علم الجغرافية واوضح الاقوال في متلف الصحَّة والصيت والمال وتحفة الاخوَين الى طلبة اللغتين (عربي وانكليزي) ولهُ تآليف اخرى دينيَّة وكان ينظم ايضاً فمن منظوماته ترانيم روحيَّة في مجموع اغاني البروتستانت. هذه ترنيمة منها في الحرب الروحيَّة:

١ هلمَّ جميعًا قريبًا بعيدْ فها صوتُ بوقٍ لاجل القتالْ
جنودُ الاعاديّ نراها تزيدْ فهاتوا سلاحًا لذاك النزالْ

قرار

مرغّبين نحن مرغّبينْ سيوفكم احملوا هاجينْ
هوذا الحربُ شديد طويلْ سيروا بقوّات ربّ اسرائيلْ

٢ عدوّي امامي يصفّ القتالْ فأثبتُ لا عن طريقي أحيدْ
ونعمتُنا قوّتي ذو الجلالْ فسيروا بايمان عزمٍ وطيدْ . . .

(اسكندر ابكاريوس) وتوفي في هذه السنة ١٨٨٥ كاتب آخر اصاب بعض الشهرة في اوربَّة فضلًا عن الشرق بمنشوراتهِ العربيَّة اعني بهِ اسكندر آغا ابكاريوس وكان ابوهُ يعقوب بن ابكار ارمنيًّا غريغوريًّا ذا شأن يسكن بيروت فلمَّا مات أرَّخ وفاتهُ الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٤٥ بقوله:

مضى الى الله من طابت سريرتهُ بانه وهو بعفو الله مصحوبْ
فقُل لمن جاء بالتاريخ يطلبهُ قد صار في حضن ابرهيمَ يعقوبْ

ونشأ ابناهُ اسكندر ويوحنا على حبّ الآداب منذ حداثتهما وجال اسكندر في انحاء اوربَّة ثمَّ عاد الى بيروت واشتغل بالتأليف ثم دخل مصر وخدم اصحابها ومدحهم فاجازوهُ بتقليدهِ عدَّة مناصب. توفي اسكندر في واخر سنة ١٨٨٥. ولهُ مصنَّفات مفيدة انبأ في تآليفها بحسن ذوقهِ وكثرة مطالعتهِ منها كتابهُ «نهاية الارب في اخبار العرب» طبعهُ اوَّلًا في مرسيلية سنة ١٨٥٢ ثم زاد عليهِ وجدَّد طبعهُ في بيروت في

المطبعة الوطنيَّة سنة ١٨٦٧. وألَّف سنة ١٨٥٨ كتاب روضة الادب في طبقات شعراء العرب قرَّظهُ كثيرون من الادباء منهم الشيخ ابو حسن الكستي حيث قال من ابيات:

لله روضةُ آداب لقد جمعت اوراقُها غرر الاخبار والسيَرِ
ناهيك من طبقاتٍ شاد محكمَها اسكندرٌ فاحتوت من مبدعِ الاثرِ

ومن آثارهِ الادبيَّة كتاب نزهة النفوس وزينة الطروس. ولهُ ترجمة ابراهيم باشا دعاها المناقب الابراهيميَّة والمآثر الخديويَّة وكلُّها مسجَّعة يتخلَّلها الشعر. ومثلها ايضاً المآثر الخديويَّة ووزراء الحكومة المصريَّة نشرها في اعداد الجنان سنة ١٨٧٤. ولهُ تاريخ مخطوط في المكتبة الخديويَّة (٥ : ١٧١) قدَّمهُ لمصطفى فاضل باشا وسمَّاهُ نوادر الزمان في وقائع جبل لبنان ومن شعرهِ قولهُ يهنئ الخديوي سعيد باشا لمَا زار بيروت سنة ١٨٥٩ :

شرَّفتنا فتزيَّنت اقطارنا ورهت معالمها وطاب الموردُ
وتنوَّرت بيروت حتى اصبحت من نور مجدك كوكباً يتوقَّدُ

وقال يمدح ابراهيم باشا:

همامٌ كان في الدنيا فريداً وركناً في المهمَّات العظامِ
ولا زالت وقائعُهُ المواضي مخلَّدةً على طول الدوامِ
وقائع لو رآها الطفل يوماً لشاب لهولها قبل الفطامِ

وقال في محمد توفيق باشا اذ كان ولي العهد:

يا من بهِ آمالنا تتعلَّقُ ونفوسنا للقائهِ تتشوَّقُ
فيك الفضائل واللطائف والتُّقى والمكرماتُ وكلُّ حسنٍ يُرمقُ
لم تجتمع فيك المحاسن انما منك المحاسنُ كلُّها تتفرَّقُ
تاهت بكم مصر السعيدة عزَّةً وغدا جبين العصر فيكم يشرقُ
لا زلت للقصَّاد احسن كعبة وطريقَ رزقٍ بابهُ لا يُغلَقُ
واسلم ودُمْ في غبطةٍ وسعادةٍ وبذاك مأمول وانت موفَّقُ

امَّا (يوحنا ابكاريوس) اخو اسكندر فانَّهُ عاش بعده الى سنة ١٨٨٩ وتوفي في سوق الغرب في لبنان وقد جارى اخاهُ اسكندر بتآليفهِ منها كتاب قطف الزهور من تاريخ الدهور طُبع غير مرَّة في المطبعة الامركيَّة وقد تأسَّفنا لكون مؤلفهِ ضمَّنهُ بعض الفصول التي تحطُّ من شأن الكنيسة. ولهُ كتاب نزهة الخواطر جمع فيه عدَّة

اخبار ومقاطيع ادبيَّة وقصص شائقة فطبعهُ سنة ١٨٧٧ . ومن آثارهِ معجم انكليزي عربي مطوَّل اختصرهُ لطلبة المدارس وقد عرَّب ايضًا للاميركان بعض كتبهم الدينيَّة

(اديب اسحاق) كان من الطائفة الارمنيَّة الكاثوليكية دمشقي الاصل وُلد في اوائل سنة ١٨٥٦ في الفيحاء وتعلَّم في مدرسة مرسليها اللعازريين الفرنسويَّة والعربيَّة ثم أغرم بالكتابة والانشاء ونظم الشعر منذ ريع شبابهِ وقدم بيروت واجتمع بقوم من شبَّانها العصريين فنزع منزعهم واشتغل بالسياسة والتأليف ثم انتظم في سلك جمعيَّة انشأها الماسون سنة ١٨٧٣ وكان المترجم من اخصّ اعضائها العاملين وقد الغتها الحكومة مدَّة لتطرُّف اصحابها وطعنهم في الحكومة والدين كمألوف عادتهم . ثم تولَّى تحرير جريدة التقدُّم فضمَّنها فصولًا ثوريَّة دحضتها جريدة البشير . ثم تنقَّل بعد ذلك فسافر الى فرنسة ثم عاد الى مصر وكتب في عدَّة جرائد وانشأ جريدة مصر ولمَّا حدثت الثورة العرابية انكفأ الى بيروت وسكنها مدَّة ثم بارحها الى مصر وحرَّر في جرائدها الى ان أُصيب بداء السلّ فاقفل راجعًا الى سواحل الشام ولم يلبث أن توفي في قرية الحدث قريبًا من بيروت سنة ١٨٨٥ ودُفن دفنًا مدنيًا . وكان اديب اسحاق سلس القلم سريع الخاطر ذلق اللسان الَّا ان مجاهرتهُ بمعاداة الدين واتباعهُ للتعاليم الماسونية اظلما عقلهُ وافقداهُ اصالة الرأي وسداد الفكر في امور كثيرة . وكان انشاؤهُ عصريًا يتشبَّهُ فيهِ بانشاء كتبة الفرنج وها نحن نذكر من نثرهِ فقرةً كتبها في « الجزويت » تفكهةً للقرَّاء وبيانًا لما اقرَّ بهِ من صفاتهم وهو الدّ اعدائهم

ما ادراك وما رهبانيَّة الجزويت ? طائفة من اهل الكهنوت على مذهب الكاثوليك يبلغ عددهم ثمانية آلاف او يزيدون (اليسوعيون اليوم ستَّة عشر الفًا) . . . وهم اهل العلم والسياسة (كذا) والذكاء والاجتهاد والهمَّة والفضل والثبات والبأس لا يعارضهم في ذلك معارض ولا يُدرَك شأوهم فيهِ . يُنشئون المدارس ويجلبون المنافع ويكشفون الغوامض ويستخرجون اسرار العلوم منتشرين في اقطار الارض واصلين بياض النهار وسواد الليل سعيًا في تعليم الجهلاء وتهذيب المتوحّشين وتمدين الاقطار وجمع آثار المعارف

ثم شوَّه هذه المحامد بما اضافهُ اليها من تُهم اعداء الجزويت جعلها على لسانهم مع كونها مضادَّة تمامًا للفقرة السابقة فنقل عن اولئك الخصوم ان الجزويت « يجيزون الكذب ويتسامحون في السرقة ويحلّلون القتل » الى غير ذلك من الترهات التي تضحك

الشكلي وابطلها الكاتب من حيث لا يدري بنسبتها الى اعداء الدين فقال:

وذلك بعض ما يدَّعيه اعداء الجزويت وما اعداؤهم بقليل فان فرقة البروتستانت وهي الوف الوف وجماعة الماسون واهل حريَّة الضمير اي الذين لا يدينون بدين كل هؤلاء لو تمثَّل لهم الجزويتي في الماء لما وردوهُ وان كانوا ظماء

وكأنَّ بالكاتب احسَّ ما في نقل مثل هذه السفاسف من العار فالقى التبعة على القائلين كأنَّ الناقل لا يحتاج الى التروّي في صحَّة ما ينقلهُ لاسيما بعد مدحهِ للجزويت واقرارهِ بما عرفهُ فيهم من « الفضل والهمَّة والثبات وتعليم الجهلاء وتهذيب المتوحشين » :

وانَّا لنبرأ من موافقتهم على جميع ذلك او على بعضهِ ولا تبعة علينا في الحكاية وانَّما نحن نقلهُ وليس على الناقل من سبيل

ولأديب اسحاق شعر حسن نختار منهُ قولهُ في وصف المرأة:

حسبَ المرأةَ قومٌ آفةً مَن يدانيها من الناس هلكْ
ورآها غيرُهم أُمنيَّةً ملكَ النعمةَ فيها مَن ملكْ
فتمنَّى معشرٌ لو نُبذت وظلام الليل مشتدُّ الحلَكْ
وتمنَّى غيرهم لو جُعلت في جبين الليث او قلب الفلَكْ
وصوابُ القولِ لا يجهلهُ حاكمٌ في مسلك الحقّ سلَكْ
انَّما المرأة مِرآةٌ بها كلُّ ما تنظرهُ منك ولكْ
فهي شيطانٌ اذا افسدتَها واذا أصلحتَها فهي ملَكْ

وقد جمع الاديب جرجس افندي نحَّاس منتخبات من انشاء الاديب فطبعها بكتاب دعاهُ الدرر. وللمترجم غير ذلك من التآليف لاسيما روايات عرَّبها او صنَّفها كاندروماك ورواية الباريسية الحسناء

(الياس صالح) توفي ايضًا في سنة ١٨٨٥ في اواخر شهر تشرين الاوَّل . وهو الياس بن موسى بن سمعان صالح ولد سنة ١٨٢٩ في اللاذقية وكان من طائفة الروم الارثودكس وبعد درسهِ مبادئ العلوم في وطنهِ تمكَّن بكدهِ وذكاء طبعهِ وثباتهِ من التاليف ونظم الشعر. وسافر الى مصر ومدح حضرة الخديوي اسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ بقصيدة مطلعها :

البِشرُ في قطر مصرٍ فاح عاطرهُ واليمن قد نوَّرت فيهِ ازاهرهُ

يقول فيها:

ربُّ المكارم اسماعيلُ من شرُفت به المعالي وزانتها مفاخرُهُ
مولًى عليٌّ اثيلُ المجدِ باذخهُ شديدُ عزمٍ سديد الرأي باهرُهُ
منيفُ فضلٍ وريفُ العدلِ ناشرُهُ كثيرُ حلمٍ غزير الجودِ زاخرُهُ
هموم كل كئيبٍ فهو فارجها وكسرُ كل كسيرٍ فهو جابرُهُ
ركابهُ السعدُ بالاقبالِ يحدوها وجيشهُ الله أنَّى سار ناصرُهُ

كانت وفاة الياس صالح في وطنهِ وأبقى من بعدهِ آثارًا منها نظم المزامير ونبذة في تاريخ اللاذقية ولهُ ديوان شعر لم يُطبع. وكان متقنًا اللغة التركية فعرَّب بعض تآليفها كالدستور الهمايوني وقوانين الدولة

وللالياس المذكور سميٌّ آخر عُرف مثلهُ بالياس صالح من مأتهِ ولعلَّهُ من قرابتهِ اشتهر بعدهُ بقليل. ولد في بيروت سنة ١٨٦٩ وقيل ١٨٧٠ وتلقَّى العلوم في الكلية الاميركانية ونبغ في العربية الَّا ان الموت لم يسمح لهُ بخدمة الآداب زمنًا طويلًا فقصفتهُ المنية غصنًا رطبًا في ٢ حزيران سنة ١٨٩٥ وكان سافر الى مصر فكتب في جريدة المقطَّم ولهُ قصائد كثيرة وكان سلس النظم مبتكر المعاني يقول الشعر عفوًا وكان حرَّ الافكار يجاري في ذلك بعض المحدثين. ولهُ قصيدة في الحرّية مزج فيها الغثَّ بالسمين. ومن اقوالهِ الزهديَّة الحسنة ما ورد له في جملة موشَّح:

يا إلهي من ذنوبي والخطا مُلئَ الدَّلوُ لقد اكُرِبَ
وفدَ الشيب نفودي وخطا واحاطت بي دعاوي الكُرَبِ
يا مليكي في يدي قد سُقِطا وانا بعدُ انا لم أتُبِ
انما في دم فادي الأممِ ارتجي تطهير كل الدنسِ
فهو عوني كلَّما الخطبُ طما وادلهمَّ الهمُّ وسط الحندسِ

ومن ظريف قولهِ لغزٌ في اسمهِ (الياس صالح):

أفصح لنا يا صاحبي ولك منَّا المننُ
ما اسم فتى تفسيرهُ قطعُ الرجاء حسنُ

ولهُ في ذمّ النحو متفكّهًا:

ما ذا الذي يهمُّني ان قامَ زيدٌ او قعد
او ان ذهبتُ ماشيًا او راكبًا نحو البلَدْ
او كان زيدٌ مبتدا او فاعلًا سدَّ المسدّ
او ان يكُنْ ذا الإسمُ يُبنى او يكُنْ هذا يُعدّ
تصالح العقلاء او تنازعا طول الابد

في النحو لا تقهرني الّا تفاصيل العدَدْ
وافعل التفضيل كم قد شذَّ فيهِ وشرَدْ
وغيرُ هذي عُقَدٌ تبًّا لهاتيك العُقَدْ
ترى بها قواعدًا بدون معنًى وزَبَدْ
مختومةٌ جميعهـا بقِس عليهِ ما ورَدْ

وقال يصف سفينةً سافر عليها :

تلك السفينةُ بسم الله مجراها ... على دموعيَ مسراها ومرساها
تجري وفي قلبها النيرانُ موقدةٌ ... مثلي كأنَّ هوى الاوطانِ اشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتسكرهم ... وهمًا فكيف اذا ذاقوا حُميَّاها
وليس بدعٌ اذا سارت بنا مرحًا ... فتلك جاريةٌ يهتزُّ عطفاها
هيفاء لكنَّها بالقار قد خُضبت ... كالخود يُخْضَب بالحنّاء كفَّاها
سلطانة البحر اذ ترسو يحيط بها ... من القواربِ جندٌ من رعاياها
وان سرت نشرت أعلامها وشدا ... صوت البخار لها والموج حيَّاها
طورًا تُرى في قرار اليمّ غائصةً ... وتارةً فوق هام السحبِ تلقاها
لم انسَ ليلة بتنا والرفاقُ بها ... نرى النجوم ولو شئنا مسسناها
وحولنا الماء من كل الجهات ولا ... شيءٌ سوى الماء يغشانا ويغشاها

(انطون صقَّال) هو ايضًا احد رجال النهضة الادبيَّة التي حصلت في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولد في ٣ آذار سنة ١٨٢٤ وتوفي في الشهباء في ٨ كانون الاوَّل سنة ١٨٨٥ . اقبل على الآداب صغيرًا وتعلَّم اللغات الشرقيَّة والاوربيَّة في مدرسة عين ورقة ثم في حلب ومالطة . وخدم في هذه الجزيرة المعارف زمنًا طويلًا ثم رافق الجنود الانكليزيَّة في حرب القريم بصفـة ترجمان اوَّل سنة ١٨٥٤ . ولهُ مراسلات نثريَّة ومنظومات شعريَّة ومقالات ادبيَّة تنوّه بفضلهِ ووفرة اطّلاعـهِ على دقائق اللغة . ولهُ ديوان شعر اكثرهُ حكم لم يُطبع . وقد نشر منهُ شيئًا نجلـهُ الاديب ميخائيل افندي صقَّال في كتابهِ السَّمَر في سكَّان الزهرة والقمر وهو على شكل رواية فلسفية ضمَّنهُ رؤيا خيالية شخَّص فيها والدهُ بعد وفاتهِ نازلًا من مقامهِ في الزهرة ليُعلمهُ ما يجري في العالم الآخر وقد ادَّعى فيها الكاتب بعض المدَّعيات الغريبة التي تبعد عن التصديق او قل انَّها تمويهٌ وتلفيق لولا كونها من اضغاث الاحلام . وممَّا روى في كتابهِ لوالدهِ من الشعر قصيدتهُ العينية ومنها :

تدورُ بيَ الأسواءُ لم أدرِ مأتَي وما ليَ اسعافٌ بذي الدار من عَيْنِ (١
ودهري وقد انفقتُ دينارَ حظّهِ يطالبني بالاصل منهُ وبالدَينِ (٢
فيا ايّها الدهر الخؤونُ ألا ارتدع على انني ما بعتُك العَينَ بالعينِ (٣
فعين الهوى دمٌ وآخرُهُ دَمٌ ومعظمهُ ليلٌ فما فيه من عينِ (٤
لعمري هم الاعيانُ بالعينِ خُضَّعٌ جُثيًّا على عينٍ (٥ اذلّاء للعَينِ (٦
وفيتَن في المكيال والعينُ (٧ شأنهم يجودونَ بالارواحِ فضلًا عن العينِ (٨
يرؤّون في حقل الاماني بذورَها بتسكاب دمع سال كالماء من عينِ (٩

ولهُ قولهُ :

كم اراعي النذلَ حلمًا وهو مشتدُّ الخصامْ
وألين القول لطفًا وهو فظٌّ في الكلامْ
جازِ من جازاك يا م قلبي بقطعٍ وانصرامْ
واعتزلْ من خان عهدًا واخلُ من سوء اتّهامْ

(نوفل الطرابلسيّ) هو نوفل نعمة الله نوفل ولد في طرابلس الشام سنة ١٨١٢ من اسرة وجيهة . ولَّا ترعرع رافق والدهُ في خدمة محمّد عليّ باشا الى مصر فدرس على اساتذتها ثم عاد الى الشام سنة ١٨٢٨ و بعدَ سنتين قتل والدَه ظلمًا ابراهيم باشا وكان خُدع بوشاية اعدائهِ ثم عرف غلطهُ فقدَّم نوفل ابن المرحوم وقلّده عدَّة مناصب في بيروت وطرابلس الى ان استقال من الخدمة وتعيَّن كترجمان لقنصليَّتي المانية واميركا في وطنهِ . وقضى بقيَّة عمرهِ في التأليف الى سنة وفاتهِ سنة ١٨٨٧ . ولهُ تآليف حسنة تشهد لهُ بسعة علومهِ وتنقيبهِ . طُبع منها كتاب زبدة الصحائف في اصول المعارف وسوسنَّة سليمان في اصول العقائد والاديان وصنَّاجة الطرب في تقدّمات العرب وهو اعظمها فائدة . ونشر عدَّة مقالات في جرائد بيروت ومجلّاتها لاسيما الجنان . وقد عرَّب عن التركيَّة كتاب قوانين المجالس البلديَّة وكتابًا في اصل ومعتقدات الأمة الشركسية وكتاب حقوق الامم وكتاب دستور الدولة العلية في جزئين نال عليهِ جزاء من الدولة

ومن انسباء نوفل نعمة الله المذكور (سليم دي نوفل) وُلد في طرابلس سنة ١٨٢٨ و بعد ان احرز جانبًا من مبادئ اللغة والعلوم في وطنهِ تعيَّن وكيلًا لشركة

١) واحد الاعيان للاخوة من ابٍ وامٍّ واحدة ٢) لرِبا ٣) اي حاضرٌ لحاضر
٤) الشمس او شعاعها ٥) نقرة الركبة ٦) النظر
٧) الميل في الميزان ٨) الدينار ٩) ينبوع الماء

البواخر الروسية ثم ترك الوكالة وسافر الى اوربة وعاين التمدُّن العصريّ في انكلترة وفرنسة. وبعد عودته الى مسقط رأسهِ اكبَّ على الدرس والمطالعة ونقل الى العربية رواية المركيز دي فونتانج فطبعها سنة ١٨٦٠ وبقي على ذلك مدَّة الى أن انتدبتهُ الدولة الروسية بإشارة قنصلها في بيروت الى تدريس العربية في كلّية بطرسبورج فشخص اليها مع اهلهِ واقام فيها الى سنة وفاتهِ في خريف سنة ١٩٠٢ بعد ان حصل في عاصمة الروس على عدَّة امتيازات نالها بفضلهِ وسعة معارفهِ ومصنَّفاتهِ حتى نُظم في جملة مستشاري الدولة وكان يعرف لغات متعدّدة يكتب فيها ويتكلّم بفصاحة ولاسيما الفرنسويَّة ومن مصنَّفاتهِ بالفرنسويَّة سيرة محمّد صاحب الشريعة الاسلامية وغير ذلك. وكان ينظم في العربية ومن شعرهِ رثاؤهُ لوطنيه وصديقهِ سليم دي بسترس السابق ذكرهُ فقال عند نقل رفاتهِ الى وطنهِ ليدفن في ضريح اسرتهِ:

العيدُ وافى يا سليمُ الى ما هذا التنائي عن الديار الى ما
ما حظّنا فيهِ التهاني وانّما اهدي اليكَ من الدموعِ سلاما
هاجت شجوني بعد موتك كلّها واسودَّ عمري حاضرًا وأماما
اقفرتَ قلبي والديارَ كلاهما اضحى بعدك يا سليمُ ظلاما
ابكيكَ لا اسفَ الحياة فانّها حلمٌ تبطّنَ جوفهُ احلاما
ابكيكَ لا اسفًا لفقد شبيبةٍ مرّت كما خرق الشعاعُ غماما
أجلُ الزهور موقّتٌ بصباحها وكذا الملائك لا تطيلُ مقاما
لكنّني ابكي السماحةَ والنهى ابكي العُفاةَ اذا اتوكَ زحاما
ابكي الفقير على ضريحكَ واقفًا يذري الدموع على الخدود سجاما
ابكي اليتيم وقوتهُ اين الذي كنّا نقبّل كفّهُ اكراما

وختمها بقولهِ:

اعجزتَ شعري يا سليمُ فلا تَلُمْ هذه دموعي فلا تسأَلني كلاما

وقد عُرف من أُسرة نوفل غير المذكورَين كمريم نحّاس نوفل المتوفَّاة في ٢ نيسان سنة ١٨٨٨ ألّفت كتاب معرض الحسناء في تراجم مشاهير النساء طُبع قسمهُ الاول في مصر سنة ١٨٧٩. وكالياس افندي نوفل من شعراء العصر المجيدين وشعره متفرّق لم يجمع بعد. فمن ظريف قوله ما رثى بهِ سليم دي بسترس:

تلك الليلة مرسلة خطبًا كلَّ آنٍ ولم تزل منهُ حبلى
حاء بالبرق صعقة الرعد تدوي خبرًا منهُ امطرَ الجفنَ وَبلا

بعزيزٍ عماجد بـأميرٍ قد فُجعنا ونحن بالشوق نَصلى
قُل لوحش المنون يكفاكَ ظلماً قد غادى جفاكَ فتكًا وقتلا
خير شهمٍ اضعتَ من خير آلٍ لو بألفٍ فديتَـهُ قلتُ قلّا

وختمها بهذا التاريخ :

ربهُ قال يا مبادي صبرًا مثل هذا الامين اخترت عدلا
جنّتي بالصلاح ارّختُ ترحى مَن اتاني سليم قلبٍ تولّى (١٨٨٣)

(ميخائيل مشاقة) ومن المتوفّين في السنة ١٨٨٨ الدكتور ميخائيل مشاقة كان مولدهُ في رشميّا سنة ١٨٠٠ من عائلة كاثوليكيَّة ملكيَّة وكان ابوهُ من المقرَّبين الى الامير بشير الكبير فانتقل مع اهل بيتهِ الى دير القمر فلمَّا انس في ولدهِ الذكاء خرَّجهُ في مبادئ اللغة والحساب ومسك الدفاتر ثم درس الفتى على خالهِ بطرس عنحوري شيئًا من العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفلكيَّة ورافقهُ بعد مدَّةٍ الى دمياط واشتغل بالتجارة وكان في اوقات الفراغ يتعاطى الآداب ويدرس الرياضيَّات والموسيقى والطبَّ فنال من كلّها حظًّا ورجع الى وطنهِ وخصّ نفسهُ بالطبابة والجراحة مع كونهِ لم يدرس الفنّين في مدرسة ولم يزل يمارسهما حتى إمكنهُ ان يحضر دروس مدرسة القصر العيني في مصر سنة ١٨٤٥ فقدَّم فيها فحصًا احظاه بالشهادة الرسميَّة سنة ١٨٤٦. ثم استوطن دمشق مع اهلـهِ وتعيَّن فيس قنصلًا للولايات المتحدة فيهـا. وكان ذلك خصوصًا بمساعي مُرسلين الامريكان الذين اجتذبوه الى دينهم فجاهر بالبروتستانيَّة سنة ١٨٤٨ وصوَّب السهام الى اهل دينهِ وملَّتهِ فقام بينهُ وبين الكاثوليك جدالٌ طويل لم يزده الّا عنادًا فبقي على مذهبهِ الجديد الى وفاتهِ في ٦ تموز من السنة ١٨٨٨. وكان الدكتور مشاقة ذلق اللسان سهل الانشاء لكنهُ كان ركيك العبارة قليل البصيرة في التاريخ والفلسفة كثير الثقـة بنفسهِ وكان يتعقَّب آثار الملحدين كفولتار وفولناي فحذا حذوهم. ولهُ كتب مختلفة خلا الكتب الجداليَّة السابق ذكرها منها كتاب « الجواب على اقتراح الاحباب » ضمَّنهُ حوادث بلادهِ منذ اواخر القرن الثامن عشر الى زمانه وقد اتّسع في حوادث سنة ١٨٦٠ التي كاد يذهب هو ضحيَّتها ونجا منها بأريحيَّة الامير عبد القادر وكذلـك افاض في تاريخ اسرتهِ وهذا الكتاب قد طُبع في مصر موجزًا بعد ضبطهِ وتنقيح انشائه الضعيف على يد الاديبين ملحم عبدو واندراوس شخاشيري فسمَّياه مشهد الاعيان بحوادث سوريا

ولبنان. ومنها رسالتهُ المعنونة الرسالة الشهابيَّة في قواعد الحان الموسيقى العربيَّة. التي نشرها في المشرق (٢: ١٤٦ الخ) حضرة الاب لويس رتزفال وعلّق عليها الحواشي ثم طبعها على حدة مع التصاوير. ولهُ كذلك التحفة المشاقيَّة في علم الحساب. وكتاب المعين على حساب الأيام والاشهر والسنين

(ابراهيم بك كرامة) هو ابن بطرس كرامة شاعر الامير بشير الذي مرَّ لنا ذكر ترجمتهِ (ج ١ ص ٥٤–٦١) جرى صغيرًا على آثار والدهِ وبرع في العربيَّة ودخل ديوان الكتابة في لبنان ثم سافر الى الاستانة وتوظَّف في جملة عمَّال الدولة وامتاز هناك في العلوم الشرعيَّة. ومن ظريف ما مُدح بهِ ابراهيم بك قول الشيخ ناصيف اليازجي فيهِ لَّما رحل الى القسطنطينيَّة ليستلم مأموريَّتهُ:

خلتِ الديارُ فلا كرامةَ عندها ... تُرجى ولا ابنُ كرامةٍ للمُعتَفي
هيهاتِ انَّ ابن الكرامة حلَّ في ... دار الخلافة بالمقام الاشرفِ
سبحانَ ذي العرش المجيد فقد بدت ... في شخصِ ابراهيمَ صورةُ يوسفِ
أصلى بنارِ فراقهِ قلبي ولا ... بَردٌ هناك ولا سلامَ فتنطفي
ذاك الكريمُ ابن الكرام ومَن لهُ ... الذكر الشهيرُ ومن لهُ اللطف الخفي
ورث الكرامة عن ابيهِ وجدّه ... لكنَّهُ بتليدها لا يكتفي
شهدتْ لهُ الاتراك بالفضل الذي ... شهدت بهِ الأعراب دون تكلُّفِ
قد نال ما هو اهلُ ما هو فوقهُ ... فأنظر لأيهما الهناء وأنصفِ

ثم عاد ابراهيم كرامة الى وطنهِ واعتزل الاشغال وكانت وفاتهُ في بيروت سنة ١٨٨٨. فقال يؤرخ ضريحهُ جناب الاديب فيليب دي طرَّازي:

مثوًى غدا في حماهُ الانَ مضطجعًا ... مَن كان في قومهِ من اكبر العمدِ
سليلُ بيتٍ رفيع الشأن مشتهرٍ ... في الشعرِ والنثرِ والتدبير والرشدِ
بعلمهِ عَلَمٌ قد زانهُ عَمَلٌ ... برأيهِ غُرَّةٌ في جبهةِ الاسدِ
بنو كرامةَ قد ناحوا عليهِ كما ... عليهِ ناحت ديار العرب من كمدِ
مضى واحرفُ تاريخٍ لنا رقمت ... حُيّيت يا قبرَ ابراهيمَ للأبدِ (١٨٨٨)

وكان ابراهيم بك كرامة مغرمًا بالآداب يتداول الرسائل مع مشاهير عصرهِ كالشيخ ناصيف اليازجي وجبرائيل الدلَّال وكان ينظم النظم الحسن ولهُ ديوان لم يطبع فمن قولهِ بيتان في تاريخ ظهور جريدة السلام في الاستانة سنة ١٢٧٨ (١٨٦١):

نُشرت صحيفتنا السلام ونشرُها قد طاب يا اهل الوفاء لديكمُ
ان ضنَّ بالخبر الصحيح مؤرخٌ يتلو حوادثهُ السلامُ عليكمُ

ويروى لهُ في فتاة لبست ثوبًا ورديًّا :

ورديَّةُ الخدّ بالورديّ قد خطرت تميسُ تيهًا وتثني القدَّ إعجابا
لم يكفِ قامتَها الهيفاء ما فعلت حتى اكتست من دم الطلّاب اثوابا

(الكونت رشيد الدحداح) وفي هذه المدَّة انطفأ سراج حياة احد وجهاء اللبنانيين في فرنسة . اعني الكونت رشيد الدحداح . وليس هو اوَّل من امتاز بين المشايخ الدَّحادحة بذكاء عقلهِ وآدابهِ في القرن التاسع عشر . فان تاريخ لبنان ذكر منهم كثيرين نالوا شهرةً في دواوين الكتَّاب كالشيخ سلّوم الدحداح واخيهِ الشيخ ناصيف كاتبي الامير يوسف الشهابي في جهات طرابلس ثم عاملي الامير بشير . وكالشيخ منصور الدحداح ابن سلّوم مدبّر الامور في لبنان مدَّةً (توفي سنة ١٨٦١) . وكالشيخ امين الدحداح رئيس الكتبة عند الامير حيدر ومؤلف تآليف ادبيَّة منها رسائل وحكم ومراثٍ . وكالشيخ يوسف ابنهِ من شعراء زمانهِ توفي قبل والدهِ سنة ١٨٥٠ وغيرهم من فرسان القلم

الّا ان الشيخ رُشَيد فاق الجميع . ولد سنة ١٨١٣ في قرية عرامون كسروان ثم درس في عين ورقة . وفي سنة ١٨٣٨ اختارهُ الامير امين الشهابي ابن الامير بشير كاتبًا لاسرارهِ . ثم خدم لبنان في مناصب شتَّى لولا انَّهُ وجد في وطنهِ من سوء المعاملات واسباب العداء ما حملهُ الى ان يتغرَّب في البلاد فانتقل الى مرسيلية سنة ١٨٤٥ في صحبة الشيخ مرعي الدحداح الذي كان عاد الى سوريَّة بعد فتحهِ هناك محلاًّ تجاريًّا فرافقهُ الشيخ رشيد واقترن بابنتهِ وشاركهُ في الشغل الى السنة ١٨٥٢ حيث فتح محلاًّ تجاريًّا لحسابهِ مع اخيهِ سلّوم . لكنهُ بعد حين انقطع الى خدمة العلم والآداب معرضًا عن التجارة فأنشأ جريدة برجيس باريس وحظي لدى الحكومة الفرنسويَّة ثم اتَّسعت شهرتهُ بين الادباء واتَّصل بباي تونس لمَّا حضر الى باريس سنة ١٨٦٢ فمدحهُ بلاميَّتهِ التي نشرناها في المشرق (٥ : ١٥٥) وعارض فيها لاميَّة كعب بن زهير فاجازهُ عليها الباي واتَّخذهُ كترجمانهِ الخاصّ وقلَّدهُ الامور الخطيرة في دولتهِ

ثم عاد الكونت رشيد الى باريس وابتنى فيها قصرًا بديعًا واقتنى قرية دينار في

مقاطعة بريطانية فاجال فيها يد العمارة وشيَّد فيها دارًا فخيمة سكنها مع اهلهِ ولم يزل في آخر حياتهِ يُعنى بالمطالعة والتأليف الى يوم وفاته في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ . وللكونت رُشيد من الآثار الادبيَّة ما اكسبهُ اسمًا طيّبًا في الشرق والغرب معًا. فمن ذلك انَّهُ سعى بنشر معجم السيّد جرمانوس فرحات في مرسيلية سنة ١٨٤٩ بعد ان رتَّبهُ وهذَّبهُ واصلح ما فيهِ من الخطإ . ثم طبع فيها ايضًا سنة ١٨٥٥ شرحين مستوفيين على ديوان ابن الفارض للشيخ حسن البوريني وللسيّد عبد الغني النابلسيّ. وهما الشرحان اللذان اعاد طبعهما المسمَّى محمد السيوطي في المطبعة الخيريَّة في مصر سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم الكونت وانما اشار اليهِ اشارةً خفيفة لئلَّا يُعرَف متولّي العمل فدعاهُ « رشيد بن غالب المجتبي » . وكان الكونت اوَّل من نشر كتاب فقه اللغة الذي اعدنا بعد ذلك طبعهُ . ولهُ مقالات شتّى سياسيَّة طبع بعضها على حدةٍ منها كتاب التمثال السياسي مع بيان احوال فرنسة في عهد نابوليون . ولهُ مجموعان احدهما يشتمل على اشعار حكمية جناها من كتب العرب يُدعى « طرب المسامع في الكلام الجامع » والثاني يتضمن مقالات ادبيَّة وفوائد لغويَّة يُعرف بقمطرة طوامير طُبع في فيينَّة سنة ١٨٨٠ . ولهُ غير ذلك ممَّا لم يزل مخطوطًا ونتمنَّى نشرهُ كمقالة واسعة في فنّ المناظرة دعاها « ترويح البال في القلم والمال » ولاسيما تاريخهُ الكبير الذي دعاهُ « السيَّار المشرق في بوار المشرق » وكان الكونت ينظم الشعر الجيّد كما يُستدلُّ عليهِ من قمطرتهِ ومن لاميَّتهِ التي ذكرناها . وممَّا انشدهُ في مدح نابوليون الثالث سنة ١٨٥١ اذ كان في اوج عزَّتهِ ولم تُعرف غير سجاياهُ الطيّبة قولهُ من قصيدة :

الله اكبرُ مُعطٍ من يشاء فها	كلُّ المحاسنِ والاحسان في رَجُلِ
وليس ذا من غلوّ الشعر اذ ظهرت	للعين انوارهُ كالشمس في الحَملِ
فيهِ المحالُ وسيعٌ للمقال لذا	قد عاد بسطُ كلامي ضيّق الحِيَلِ
ذو همَّة لم يُثَبِّط عزمها خطرٌ	ولم يكن لصعابٍ قطُّ بالوكلِ
ولم يضعضعهُ هول الخَطب آونةً	ولم يَضق صدرهُ في حادثٍ جللِ
وما وصي قد انقاد انذاك لهُ	شهبَ الرئاسة فانقادت على عجلِ
وفي السياسة كم دانت براعتهُ	حذقًا بهِ عادت الحُذَّاقُ في فشلِ

وختمها بقولهِ :

اهنّاكُ الله يا فخر الورى فبك	للسلمِ والأمن والاقبالِ والجَذَلِ

وبعد سنتين لموت الكونت رشيد (١٨٩٠) فُجعت الطائفة المارونيَّة بوفاة شقيقهِ السيّد نعمة الله الدحداح مطران دمشق الذي اشتهر بفضائلهِ الاسقفيَّة اكثر منهُ بآثار قلمهِ وبهمَّتهِ نال من افضال الكرسي الرسولي تجديد المدرسة المارونيَّة في رومية (١

(اسعد طراد) هو اسعد بن ميخائيل طراد من أُسرةٍ شائعة الفضل في هذه الاصقاع ومن نخبة شعراء سوريَّة. ولد في بيروت سنة ١٨٣٥ وتخرَّج في حداثتـهِ في مدرسة عبيه الاميركانيَّة ثمَّ تردَّد على الشيخ ناصيف اليازجي فاخذ عنهُ وجتمع بأفضل اساتذة العربيَّة في عهدهِ حتى أتقن العلوم اللغويَّة ونظم الشعر في شرخ الشباب فطُبع عليهِ وكان يقولهُ بديهًا. خدم عدَّة سنين الدولة العليَّة بنشاط ثمَّ انتقل الى مصر سنة ١٨٧٢ وتعاطى في انحائها التجارة الى وفاتهِ سنة ١٨٩١. ولـهُ شعر كثير متفرّق جُمع معظمهُ في ديوان بعد وفاتهِ بهمَّة بعض انسبائهِ فطُبع سنة ١٨٩٩ في الاسكندريَّة. ولهُ غير ذلك من الآثار منها مقالات ادبيَّة نشرها في الجنان. ومن شعرهِ الذي لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في موت بعض الكرام:

يا ارحمَ الناس قلبًا عند نائبةٍ هلَّا رحمتَ عويل الصارخ الوجلِ
دارت عليك من الاقدار وا اسفًا كأسٌ قلتَ بها كالشارب الثملِ
هذا الشرابُ الذي لا بُدَّ منهُ لنا وليس تمنعُ منـهُ كثرةُ الحِيَلِ
وكيف يجزع اهلُ الارض من حدثٍ جرى على انبياء الله والرسلِ

ولهُ في نعمة الله طراد المتوفى سنة ١٨٥٥ ولم يُروَ في ديوانهِ:

ركنٌ لبيت طرادٍ مال منهدمًا يومًا وابكى جميع الاهل وغيرهِ
حاز التقى والرضا والبرَّ في دعةٍ ورغبةَ الخير والاحسانَ والأدبِ
مضى الى الله مبرورًا يحقُّ لهُ شكرٌ على صفحات الكتاب قد كُتبا
كرامةٌ كلّ تاريخٍ مجودها لنعمة الله حقُّ الشكر قد وجبا

وقال يرثيهِ:

لا تختشِ يا قلبُ احراقًا من الألمِ أما ترى دمع عيني ممزوقًا بدمِ
كلٌّ بكى نعمة الله التي فقدت منًا وكم في الورى باكٍ على نعمِ

---

١) اقتطعنا هذا الفصل من ترجمة مطولة للشيخ الفاضل والكاتب المحقق سليم خطَّار الدحداح نشرها في المشرق تحت العنوان «الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ» (المشرق ٤: ٢١٥: ٦: ٢١٦: ٤)

وهي قصيدة طويلة وجدناها في احد مجاميع مكتبتنا الشرقيَّة . ويليها ابيات ثانية ختمها بهذا التاريخ :

لمَّا خلا من ديارٍ كان يؤنسها فحزنهُ ما خلا من قلبِ مَيلتهِ
وبتُّ انشد تاريخًا بهِ ابدًا لا اعدم اللهُ قلبًا فيضَ نعمتهِ (١٨٥٥)

وقد اشتهر من اسرة طراد شاعر آخر وهو (جبرائيل حبيب طراد) ويسمَّى ايضًا جبران ابا خير كان درس في المدرسة الوطنية في بيروت وتمكَّن من نظم الشعر الجيّد الذي لم يُعنَ بجمعهِ . توفي في سنة ١٨٩٢ وكان مولدهُ سنة ١٨٥٤ فمن شعرهِ قولهُ يرثي اسبير يدون طراد ياور السلطان عبد العزيز المتوفى سنة ١٨٧٠ :

ركنٌ هوى بديار اسلامبولَ اذ رجَّت لسقطتهِ المدائنُ والقُرى
لم يَحْمِهِ السيفُ الصقيلُ ولا الصبا والاهلُ والصحبُ الفطاحل والذُّرَى
قد كان يجمع في حماهُ كتائبًا واليوم اضحى في المقابر اقفرا
من كان لا يرضى القصور مساكنًا سكن الترابَ فبات فيهِ معفَّرًا
من كان غوثًا للفقير وعاضدًا امسى أضرَّ من الفقير وافقرا
ان غاب عن ابصارنا يبقى لهُ رسمٌ بطيِّ القلب دام مصوَّرًا
فعليهِ نعمةُ ربّهِ وسلامُهُ وعلى ثراهُ الغيثُ يسكب ممطرا

ومن قولهِ في ذكر محامد الفقيد سليم دي بسترس :

على انهُ قد كان احرى بنا بأن نغبّط مَن مثل السليم غدا سعدا
حصيفٌ قضى دنياه في خوف ربّهِ فحدّثْ ولا تطلب لأفضالهِ حدًّا
فكم غاث محتاجًا وأطعم جائعًا وعاد اخا سُقمٍ فأوسعهُ رفدا
وكم من ايادٍ جاءها ومكارمٍ فكانت بجيد الدهر من فضلهِ عقدا
علا طيب جدواهُ على الورد نفحةً وذكرُ اسمهِ بالفضل قد زيَّن المجدا
جديرٌ بانَّ الفخر يشكو فراقهُ ومنهُ رواق الفخر قد كان ممتدًّا

(جرجس زوين) وفي السنة ١٨٩٢ في ٢٨ تموز كانت وفاة كاتب آخر بليغ من أسرة مارونية فاضلة وهو جرجس زوين . تلقَّى المذكور كل دروسهِ عندنا في مدرستنا الاكليريكية في غزير ثم عدل الى الكتابة والتأليف فكان اوَّل محرّر لجريدتنا البشير فاقام على تحريرها نحو سبع سنوات ثم تولَّى تحرير جريدة لسان الحال وفي آخر حياتهِ جريدة لبنان . وكان كاتبًا مجيدًا متوقد الذهن سريع الخاطر واسع الاطّلاع . وقد عرَّب عدَّة كتب طُبعت في مطبعتنا كروايتَيْ وردة المغرب وفريدة المغرب وكتآليف دينية

منها مصباح الهدى لمن اهتدى وكتاب رواشق الافكار لأمبرتوس وكتاب كنيسة الروم الشرقية بإزاء المجمع المسكوني الفاتيكاني . وله تأليف ردّ فيهِ على الدكتور ميخائيل مشاقة لمّا اخذ هذا يطعن بالكنيسة الكاثوليكية دعاهُ الردّ القويم على ميخائيل مشاقة اللئيم . وكان جرجس زوين احد اعضاء الجمعية السوريّة له فيها خطب ومقالات منها خطبة في تاريخ سوريّة

(جبرائيل الدلّال) وفي هذه السنة عينها ١٨٩٢ ذهب ضحيّة آرائهِ الدستوريّة جبرائيل الدلّال . كان سليل اسرة حلبية عريقة في الادب وكان جدّهُ عبدالله ذا عزّ وجاه وتُقى فلمّا توفي سنة ١٨٤٧ ارّخ ضريحهُ بطرس كرامة بقولهِ :

لحدٌ ثواهُ ابن دلّال التقي فغدا برحمة الملك القدّوس مغمورا
قضى الحياة على نهج الصلاح وقد لاقى المنية مبرورًا ومشكورا
ناداهُ ربٌّ غفور اذ نؤرخهُ نَلْ جنّة الخلد عبد الله مسرورا

ولابيهِ نصرالله آثار ادبية منها مقالاتهُ في المال والاعمال نشرها في الجنان وكان بيتهُ اشبه بمنتدى لعلماء وطنهِ يجتمع فيهِ الشعراء والادباء فمدحهُ بعضهم بقصائد غرّاء ولنصرالله كتاب فلسفة دعاهُ اثمار التدقيق في اصول التحقيق . ولد جبرائيل بن نصرالله في ٢ نيسان سنة ١٨٣٦ ونشأ على آداب والدهِ ودرس في مدارس المرسلين في عين طورا وحلب وكان مغرمًا بالعلوم العصريّة فاحرز منها حصّة حسنة وانكبّ على الفنون العربية ودرس آثارها نثرًا ونظمًا فصار من اوسع اهل وطنهِ معرفةً بآداب العرب وسافر غير مرّة الى الاستانة وتعلّم فيها التركية وتجوّل في الاقطار حتى بلغ اسبانية والبرتغال وبلاد الجزائر وحطّ عصا التسيار في باريس فحرّر مدّة صحيفة الصدى [illegible] لسان حال السياسة الفرنسويّة وصار ترجمانًا لوزارة المعارف وتعرّف في منصبهِ بكثيرين من اهل الوجاهة القادمين الى باريس . ثم استدعاهُ الوزير خير الدين باشا [illegible] منصب الوزارة في دار السلطنة لينشئ فيها صحيفة السلام لكنّ تلك الجريدة [illegible] بعد استقالة خير الدين باشا فطلبهُ المكتب العلمي في [illegible] لتدريس العربية في كليتها فقضى مدّة سنتين . وصنّف هناك بعض المصنّفات منها [illegible] تاريخ [illegible] ورسالات لغويّة . ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٧٤ بعد تغيّبهِ عنهُ نحو عشرين سنة . وبقي مدّة يتعاطى الآداب وهناك اجتمعنا بهِ سنة ١٨٨٧ ونقلنا بعض مخطوطات مكتبته وكنّا نظنّ

انَّ هذه المكتبة ستُباع يوماً ويقع في يدنا كثير من آثارها . . وكأن صاحب الترجمة لاختلاطهِ باهل السياسة في اوربة عرف ما تقتضيهِ بلاده من الاصلاحات ففرط منهُ بعض اقوال نُقلت الى ذوي الامر فأُلقي في الحبس وبقي هناك الى يوم وفاتهِ في سنة ١٨٩٢ وقيل انَّهُ قُتل مسموماً في اليوم الذي جاء الامر باطلاقهِ والله اعلم . وكان بين جبرائيل الدلّال وبعض مشاهير العصر وشعرائهِ مراسلات ومساجلات . ولهُ قدود غناء وكان بارعاً باصول الموسيقى . وقد جمع الاديب البارع قسطاكي افندي الحمصي ما وجدهُ من آثارهِ الادبية في كتاب دعاهُ السحر الحلال في شعر الدلّال وصفناهُ في المشرق (٦ : ٨٥٩) واقتطفنا بعض جناهُ . ولهُ فيهِ قصائد غرّاء مدح فيها علية زمانهِ فمن ذلك قصيدة نظمها في ناصر الدين شاه ملك ايران قال في جملتها في مدح السلم والعدل :

فالسِلمُ اوفى واقيــاً ولثروة البلـدانِ اوفَرْ
والعدل ان عمَّ المما لك شاد علياها وعَمَّرْ
والباقيـاتُ الصالحـا تُ على مرور الدهر تُذكَرْ

ومن طيّب نثرهِ ما روي لهُ هناك من جواب الى صديق :

كتبتُ اعزَّك الله وقد وصلني طرسُك الذي فاق الدرَّ النضيد ببهجتـهِ . وازرى على رخيم التغريد بلهجتهِ . وانّي لأحقُّ بابتدائك بما ابتدأتني بهِ من الصلة تفضُّلًا ولكن قُدِّر لك عليَّ السبق وان تكون في كل شيءٍ اوَّلًا فلساني عاطر بشكرك . وقلبي عامر بذكرك . غبتَ او حضرتَ سرتَ او أقمتَ . فوالله لم اذكر ايّام اللقاء ولذَّتها الَّا وطارت نفسي شعاعاً . ولا تخيّلتُ ساعـات الوداع وكربتها الَّا وزادني الشوقُ التياعاً . . . فان تأملتُ قصر مدّة أُنسنـا هاج بي الشوق آلاماً . وان تذكَّرتُ حميم صحبتنا زادني التذكار هياماً . واذا فكَّرتُ في فرقتنا قلت ما كان اللقاءُ الَّا مناماً

(سليم بك تقلا) وكأنَّ تلك السنة ١٨٩٢ كانت مشئومةً على الآداب العربيَّة فتوفي في اواسط تموز رجل لبنانيٌّ نبغ في تحرير الجرائد خصوصاً نريد سليم بك تقلا . ولد المذكور سنة ١٨٤٩ في كفرشيما وكان روميًّا ملكيًّا كاثوليكيًّا فاستنشق ريح الآداب التي نمَّ شذاها في مسقط رأسهِ من الحديقة اليازجيَّة فدرس في صغرهِ في مكتب قريتهِ ثم دخل مدرسة اعبيه الامريكانيَّة الى سنة ١٨٦٠ حيث نزل الى بيروت فاكمل دروسهُ في المدرسة الوطنيَة على المعلّم طرس البستانيّ وابنهِ سليم وكان في كل تقلّباتهِ مثالًا لاقرانهِ يسبقهم بذكائه ورغبتهِ في احراز العلوم . ولمَّا أُنشئت سنة ١٨٦٥

المدرسة البطريركية في بيروت انتدبهُ اصحابها الى تدريس العربيَّة فيها فكان رصيفاً للشيخ ناصيف اليازجي وكان يلقي عليهِ مشاكلهُ اللغويَّة حتى رسخت قدمهُ في العلوم اللسانيَّة وامكنهُ وضع كتاب مدرسي في الصرف والنحو دعاهُ مدخل الطلَّاب فاتخذتهُ المدرسة دستورًا للتعليم وزادت ثقة الرؤساء بهِ فجعلوهُ رأس اساتذتهم ووكيل اعمالهم. ثم اجتذبتهُ مصر لِما رأى في ربوعها من الحريَّة وفي امرائها من الاريحيَّة والتنشيط فأمَّها ورفع الى خديويِّها اسماعيل باشا قصيدة رنانة مهَّدت لهُ سبيل النجاح فنال الامتياز بانشاء جريدة الاهرام سنة ١٨٧٥ وهي التي لا تزال الى اليوم احدى جرائد مصر اليوميَّة الكبرى فتحيا بروح منشئها وقد لعبت في حياتهِ بهمَّتهِ دورًا مهمًّا مع ما صادفتهُ في سيرها من العوائق لاسيما سنة ١٨٨٢ وقت الحوادث العرابيَّة الَّا انَّ عزم محررها لم يُغلب بتلك العوارض بل زاد نشاطًا وعانى اعمال الصحافة الى وفاتهِ فتوفي في بيت مري سنة ١٨٩٢ وكان قصد لبنان تغييرًا للهواء وطلبًا للشفاء من الم اصابهُ في القلب فلم يمهلهُ رجلهُ زمنًا طويلًا ونُقلت جثتهُ الى موطنهِ باكرام. وكان لسليم بك تقلا موقع عظيم في نفوس ارباب الامر من دولتهِ فنال منهم والدول الاجنبيَّة عدَّة رُتب وامتيازات شرفيَّة. وهو قد ابقى من آثار قلمهِ ما خلا فصولهُ ومقالاتهِ المتعدّدة في الاهرام مجموعاً فيهِ مقاطيع من نظمهِ ونثرهِ. فمن حسن شعرهِ قولهُ يصف اساطيل حربيَّة:

تلك الاساطيلُ فوق الغمر سابحةٌ … والغمرُ منها كسهلٍ وهي كالقُلَلِ
دانت لهيبتها الامواه خاضعةً … فحيثما قصدتْ حلَّت بلا مللِ
خاضت عبابَ بحار الارض آمنةً … عصفَ الرياح وقصفَ الرمي بالكللِ
اذا شكت سفُنُ الخصم العبيد ظمًا … تُنزّلها اوردتها الماء للذَّللِ
وان تشامخ حصنٌ دُكَّ عن أُسسٍ … ولو تطاولَ مرفوعًا الى زُحَلِ
تهابها الجنُّ ثمَّ الانسُ من بشرٍ … والنَّسرُ في الجوِّ مثل الحوت في الوشلِ
هذي قوى الماء فوق الماء ناشرة … بند الهلال فصفْ ما تبتغي وقلِ

ولسليم بك تقلا غير ذلك مما لم يُطبع كرسائل ونُبذ تاريخيَّة وروايات معرَّبة منها رواية مندريات ورواية أيوب البارّ. وهذه رسالة كتبها في تهنئة:

السيّد السند اطال الله بقاءهُ. لا ادري اي الثلثة اهنّئ بك أم الرتبة ام نفسي حيث تساميك وان كنتَ فوق ما نلتَ واما الرتبة فبتشرُّفها لأنها دون من سمت بهِ واما انا فلأنّي اوّل مُخلص لك وذلك فتهنئتي بما أفتخر بهِ لك ويا حبّذا لو كان في مداد برقي ويراع [illegible]

أفيك بهِ حقَّك من سروري ولعلَّ ما بين قلبينا يقوم هذا المقام عني فأقول:

فان أشكك أراجع فالدليل معي   وان تشكك فراجع فالدليلُ معك

ومن ظريف قولهِ في من عذله على التدخين:

عذلَ التدخين قومٌ قد رأوا   بيدي سيكارةً اعشقُها
قيل دعها فهي سمٌّ ناقعٌ   قلت لا والله لا اعتقُها
ان تكن سمَّاً فاني محرقٌ   شرَّها بالنار اذ أحرقُها
وعليهِ فاعذلوا او فاعذروا   فعلى الحالين لا أطلقها
ان حلالاً او حراماً اشربها   فانا الصبُّ الذي يعشقُها

وقام من بعد سليم بك شقيقهُ (بشاره باشا تقلا) وكان ثنيانهُ في التأليف والعمل وتولَّى شؤون الجريدة بنشاط تسع سنوات اعرب في اثنائها عن همَّة عالية وعزم شديد استحقَّ بهما اعتبار الجميع فانقادت لهُ الدنيا عفوًا ونال كأخيه الانعامات. لكنَّ الموت عاجلهُ فتوفي في حزيران من السنة ١٩٠١ وهو في اوَّل كهولتهِ كاخيهِ لا يتجاوز عمرهُ ٤٨ سنة

(القانونيّ نقولا نقَّاش) هو نقولا بن اليـاس نقاش اخو المرحوم مارون نقاش الذي سبق ذكرهُ (في المشرق ١١: ٣٨٢) وهناك اشرنا الى اصل العائلة من صيدا وانتقالها الى بيروت. وكان مولد المترجم في هذه المدينـة سنة ١٨٢٥ وجرى على آثار اخيهِ في طلب العلوم ودرس اللغات وساعدهُ في انشاء الروايات التمثيليَّـة. ثم تعاطى التجارة من السنة ١٨٥٩ الى السنة ١٨٦٨ فانتدبتهُ الحكومة الى خدمتهـا كعضو مجلس الادارة في لواء بيروت وكمدير جمارك الدخان فانكبَّ على مطالعة قوانين ونظامات الدولة العليَّة وتخرَّج في العلوم الشرعيَّة على مشائخ العلماء اخصّهم الشيخ يوسف الاسير فاحرز شهادة وكلاء الدعاوي ونُصب عضوًا دائمًا لمحكمة بيروت التجاريّة واشتغـل وقتئذٍ بالتأليف وعرَّب عن التركيَّة عدَّة كتب قانونيَّة واضاف اليهـا الشروح والفوائد حتى صارت في دوائر الحكومة المحليَّة بمثابة الترجمة الرسميَّة يُرجع اليها في حلّ المشاكل. ونمت شهرة المؤلف لذلك حتى وقع عليهِ الاختيار سنة ١٨٧٨ كمبعوث بيروت الى الاستانة في الندوة الدستوريّة لولا انَّ ثمرة الدستور لم تنضج بعد فعاد بعد مدَّة الى وطنهِ وانشأ سنة ١٨٨٠ جريدة المصباح الكاثوليكيّة فنالت بتدبيره ومقالاتهِ شهرة واسعة طول

حياتهِ. وقد ضعف نور ذلك المصباح بوفاة منشئهِ حتى انطفأ تماماً. وكان المرحوم نقولا نقّاش شديد التمسُّك بالدين مجاهرًا بإيمانهِ كما تشهد بهِ بعض تآليفهِ كتكريم القديسين ومجموع صلوات تقويَّة وله من الكتب الادبيَّة خطب في مواضيع شتى سياسيَّة واجتماعيَّة ولهُ ديوان شعر طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٨٧٩ ضمَّنهُ كثيرًا من المعاني الحسنة والاوصاف العصريَّة فمن ذلك قولهُ من قصيدة طويلة ارَّخ فيها وصول ماء نهر الكلب الى بيروت سنة ١٨٧٥:

يا اهل بيروت بشرى قد صحَّ فينا الرجاء
هذا هو الماء جارٍ فلترتوِ منهُ الظماء
ماء لذيذٌ شهيٌّ ردُوهُ فيهِ الشفاء
بيروت ضاهت دمشقًا وزال عنها العناء
فقلْ لمن عيَّرونا وقلَّةُ الماء داء
تعالَوا الآن تلقوا ماء وفيهِ النماء
سقيًا لبيروت ارّخْ في ثغرنا حلَّ ماء (١٨٧٥)

ومن اوصافهِ تعديدهُ لعجائب العصر:

الله اكبرُ هذا عصرُ تجديدِ عصرُ المعارف لا بل عصرُ تمجيدِ
عصرٌ جديدٌ لهُ الاكوان باسمةٌ تثني على اهلهِ الغرّ الصناديدِ
ذيَّاك ينطق في تسبيح خالقهِ وذاك يبهج في حمدٍ وتوحيدِ
هذا يطير الى العليا بخفَّتهِ وذاك يحرقُ احبال الجلاميدِ
ترى السفائنَ اعلامًا مدرَّعةً إن تصدم الحصنَ ألقى بالمتاليدِ
ما البيضُ ما السُّمرُ إن ألقت مدافعُها كُرَاتِها الحُمْرَ من أفواهها السُّودِ
كما نخافُ من الأفلاك صاعقةً أضحت من اليمّ تأتينا بتهديدِ
تجوبُ اخبارُنا كالبرقِ مسرعةً تكاد تسبق فكرًا عبر مولودِ
اضحت قوافلنا والنارُ تحملها تسير كالطير لا كالعيس في البيدِ
والله ما فعلُ قوَات البخار سوى ضربٍ من السحر لكن غير محمودِ
هي الطبيعةُ حلَّ الله مبدعُها الى الوجودِ بدت من عمق معقود
كلٌّ يحاولُ منها كشف معجزةٍ فكلُّ مَن جدَّ يلقى حلَّ مقصودِ

ومن محاسن نظمهِ قولهُ في لبنان ومقاطعاتهِ بعد حوادث سنة ١٨٦٠:

لله درُّك يا حمى لبنانِ اذ اصبحت معتصمًا لشعبي

نُشرت معارفهُ الجليلة اذ غدا — يروي حديثًا عن بني نبهانِ
وبقاعُهُ ذاك العزيزُ مقامهُ — اضحى عزيزًا اخصب الوديان
وبمتنهِ وبفرعهِ حلَّ المنى — والجُرد اضحى ساحلًا لأمانِ
وبشوفهِ يُشفى العليلُ تيمنًا — غَرباهُ قُلْ بالخير يلتقيانِ
قد عُدْتَ يا عرقوبهُ عمّا مضى — وغدوتَ معروفًا بصِدْقِ لسانِ
وكذا المناصِفُ أنصفت لمّا صفت — في خدمةٍ تُهدى الى الأوطانِ
وبكسروانَ ترى الامانَ موطَّدًا — من سيفِ كِسراهُ الجليلِ الشانِ
وترى القُوَيطع كالقطيع مطاوعًا — وكذاك قاطعهُ بوصلٍ دانِ
وجُبَيلُهُ وجبالهُ وسهولهُ — ووعورهُ حاكت رياض البانِ
وبزاويتهِ (كذا) قد بني نعمَ البنا — هل لا وذا وعدٌ من الرحمانِ
تحمى بسيفٍ باترٍ بترونهُ — وكذا غدت أميونهُ بأمانِ
نادى حسامُ العدلِ فيهِ هاتفًا — أَلقَى «بشرّي» كلُّ من عاداني
يجنو بهِ وبهالهِ تلقى الهنا — وبشرقهِ وبغربهِ هنآنِ
قم أيها الشيخُ القديمُ زمانهُ — وانظرْ هضابك بهجةَ الأكوانِ
نسجَ الربيعُ نحو هامك خوذةً — كزبرجدٍ قد صيغ مع مرجانِ
هامٌ تكلّلهُ الثلوجُ أكلّةً — بيضاء تُكني عن جليل معاني
والخصبُ في اكفانهِ ووسوطهِ — قُل جنّةٌ تردانُ بالافنانِ
حتى الصخورُ غدت رياضًا أثمرت — من كل فاكهةٍ بها زوجانِ
ومناهل يحيي القلوبَ ورودُها — وعيونُهُ تروي ظما الظمآنِ
هو جنّةٌ في الارض تحكي للسما — والخلق ترتع في رياضِ امانِ

ولهُ قصيدة طويلة تنيف على ١٤٠ بيتًا دعاها التوبة وضمّنها المعاني الزهديَّة. وقد روينا لهُ في المشرق (٥ : ٦٣١) نشيدًا نظمهُ لجمعيَّة مار منصور. كانت وفاة نقولا نقّاش في ٤ كانون الاوَّل سنة ١٨٩٤ فأبنهُ اصقع الخطباء ورثاهُ جلُّ الشعراء فجُمعت اقوالهم في كرّاس مخصوص. وقد ورث اولادهُ من بعدهِ آدابهُ فعُرف منهم كبيرهم المرحوم يوسف ولهُ بعض الآثار الادبيَّة. والقانونيّ جان صاحب كتاب مغني المتداعين عن المحامين. ومن الاسرة عينها اشتهر (سليم بن خليل) المتوفى في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٨٨٤ وهو صاحب جريدة المحروسة ومحرّر العصر الجديد ولهُ تاريخ المسألة المصريَّة سمّاهُ «مصر للمصريين» وكتب عدّة فصول ومقالات وروايات طُبعت في بيروت ومصر. ونضيف الى هؤلاء (جرجس بن حبيب) المتوفّى في ١٧ تشرين الاوَّل سنة ١٩٠٧ وكان من ادباء طائفتهِ لهُ بعض المصنَّفات في تاريخ العرب اوقفنا عليها وهي

لم تُطبع . وسليم وجرجس ابنا اخوي نقولا نقّاش

(يوسف الشلفون) كان احد انصار النهضة الادبيَّة في الفصل الثاني من القرن التاسع عشر . وهو يوسف بن فارس بن يوسف الخوري الشلفون وكان جدُّهُ حاكماً على ساحل لبنان من قبل الامير بشير الشهابيّ الكبير . اما حفيدهُ يوسف فكان مولدهُ نحو السنة ١٨٤٠ . درس في مكاتب بيروت مبادئ العربيَّة واللغات الاجنبيَّة واشتغل مدَّة في المطبعة السوريَّة التي انشأها المرحوم خليل افندي الخوري سنة ١٨٥٧ بصفة مرتّب حروف ومصحّح مطبوعات . وفي اثر حوادث سنة ١٨٦٠ استدعاهُ فؤاد باشا معتمد الدولة العليَّة لترتيب ونظارة المحرَّرات الرسميَّة التي كانت تُطبع في التركيَّة والفرنسويَّة . وبعد ان تقرَّر نظام جبل لبنان انشأ على حسابهِ مطبعتهُ المعروفة بالمطبعة العموميَّة سنة ١٨٦١ ونشر فيها عدَّة مطبوعات عدَّدناها في المشرق (٣ : ١٠٠١ — ١٠٠٣) وكان يوسف الشلفون ذا همَّة عظيمة فانتدبهُ اوَّل متصرّفي لبنان المرحوم داود باشا لتنظيم مطبعة في مركز المتصرّفيَّة فقام المندوب بهذه المهمَّة القيام الحسن . ثم صرف عنايتهِ الى انشاء الجرائد فنشر منها اربعاً وهي الزهرة ثم النحلة ثم النجاح واخيراً التقدُّم وذلك بالاشتراك مع بعض الكتبة المجيدين كالقس لويس صابونجي الخوري يوسف الدبس واديب اسحاق . ثم اشترك مع المرحوم رزق الله خضرا فجعل مطبعتهُ في خدمة الطائفة المارونية الى ان انفصل عنها وانشأ المطبعة الكليَّة كما فصّلنا كل ذلك في تاريخ الطباعة في المشرق (٣ : ٥٠١) وقد اضرَّ بالمترجم تقلّبهُ في الاشغال وميلهُ الى ذوي المبادئ الحرَّة . وكان احد اعضاء الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة وفي مطبعتهِ نشرت اعمالها في السنتين ١٨٦٨ و ١٨٦٩ . وكان حسن الكتابة ولهُ نظم جمعهُ في ديوان وطبع قسماً منهُ في مطبعتهِ الكليَّة سنة ١٨٧٤ ودعاهُ انيس الجليس . فمن نظمهِ قصيدة في مدح داود باشا هذه بعض ابياتها :

ضاءت بشمس سعودكَ الايَّامِ وزهت طالعة مجدك الاعوامِ
وسما بذاتك سفحُ لبنانُ الذي حسدتْهُ مصرُ بعزّهِ وشآمِ
فكأنّهُ فلكٌ وانت بأُفقهِ بدرٌ لهُ دون البدور تمامِ
اقطارهُ بالعدلِ منك استأمنت ورعت بها لآسدُ والانعامِ
يا ايُّها المولى الذي عن وصفهِ وثنائهِ قد كلَّتِ الاقلامِ
قلّدتَ قوماً تحت امركَ منّةً لم تُحصِ واجبَ شكرها الارقامِ

ونسخت آيات المظالم عدما قامت على ساقٍ بها الأقدامُ
ونصبتَ يا داودُ احكامًا بها ظهرَ اليقينُ وزالتِ الاوهامُ
فينا لك الذكرُ الجميلُ مخلَّدًا هو في الحديث بداءةٌ وختامُ

وقال مهنئًا احد الرهبان اليسوعيين في عيدهِ فافتتح كلامهُ بهذه الابيات :

المرءُ يُعرَفُ في جميل خصالهِ ويُعَزُّ عند مقالهِ وفعالهِ
والشَّهمُ مَن نال العُلى في جدّه حتى غدا الراقونَ دون منالهِ
ويشيد صرحَ الخيرِ في طلب العُلى كي يُدرك الأفلاك في اعمالهِ
ويرى اتّقاء الله خيرًا يُرتجى يومًا ويَشفِي قلبهُ بزُلالهِ
ويميل عن كل الانام تعفُّفًا ويرى بحبّ الله راحةَ بالهِ

ولهُ قصائد في اماثل الرجال وكبار الامراء الذين قدموا بيروت ومدح امبراطور النمسا ووليّ عهد المانية وانكلترَّة وسموّ الخديوي اسماعيل باشا فاستحقّ بذلك بعض الامتيازات الشرفيَّة لكنَّهُ توفي خاملًا

(سليم جدي) وفي السنة ١٨٩٥ عينها انتقل في ربيع عمرهِ شابٌّ اديب قصفتهُ المنون غصنًا يافعًا نريد بهِ سليم بن نصر الله جدي من أُسرة جدي المعروفة بفضلها في بيروت . كان مولدهُ نحو السنة ١٨٧٠ وتخرَّج في الآداب والعلوم في كلّيتنا . وقد عرفناهُ حق معرفةٍ اذ كنَّا ندرّسهُ العربيَّة وكان في مدرستنا مع المرحوم (نجيب حبيقه) صاحب الفارس الاسود فعهدناهما طالبين يتلهَّبان شوقًا الى خدمة الاوطان فيجريان منذ ذاك في ميدان الآداب كخيل الرهان ولكليهما مآثر نثريَّة وشعريَّة لدينا منها اشياء متفرّقة والبعض منها قد نُشر بالطبع كعدَّة قصائد وروايات . وكأنَّ دار الآخرة حسدت الوطن على فضلهما فاشرتهما كأس المنون المرَّة عاجلًا . الَّا ان نجيبًا عاش بعد قرينهِ عشر سنوات فمات في ٢٥ ك١ سنة ١٩٠٦ ولسليم جدي رثاء في الشيخ خليل اليازجي صحّ فيهِ فكأنَّهُ سبق ورثى نفسهُ بقولهِ :

لك بين الانام ديوانُ شعرٍ بمعانيهِ حرَّك الجلمودا
تلك امّات للعصر مبتكرات ومن المجد ألبستك برودا
لو درى الموت ان ذلك درٌّ للمعاني نظمتَ منهُ عقودا
ما اصابت سهامهُ لك قلبًا كان قبل اللسان يُنشي القصيدا

ولزميلهِ نجيب مصنَّفات مدرسيَّة اخصُّها درجات الانشاء في ثلاثة اجزاء . ومن قولهِ وصفهُ للسفينة البطرسيَّة في يوبيل البابا لاون الثالث عشر وهو اذ ذاك تلميذنا :

عصفتْ على بحر الانام رياحُ حجب النهارَ من الظلام وشاحُ
وهوت صواعقُ مصعقاتٍ أزعجت بشرًا فكادت تزهقُ الارواحُ
والبحر عاد عرمرميًّا مُصخبًا والموجُ ثار فساء منهُ جماحُ
والناس في غمر الخِضَمّ جميعهُمْ خاضوا فليس من الغمار براحُ
ورأوا المياه تلاطمت امواجها وعلت عليهم كالجبال وصاحوا
طمَتِ المُصيبة فالمنيَّة قد دنت آهًا اليس من الهلاكِ مراحُ
لكن على سطح الخِضَمِّ سفينةٌ وعلى مُقَدَّمها يُرى مصباحُ
قد أقبلت وتطايرت لخلاصهم شكرًا لجدّك ايها الملّاحُ
فيكَ النجاة وليس غيرك يرتجى واليك كلٌّ قلبهُ ملتاحُ
ها قد تقدَّمت السفينةُ نحوهم فنجا بها قوم وفيها راحوا
لم ينأَ عنها غيرُ مَن قد آثروا شربَ الحتوف فذي الفعالُ قباحُ
شاموا البروقَ فأمّلوا منها الهدى خابت ظنونهمُ فليس نجاحُ
لا نور في غير السفينة فاعلموا من ينأَ عنها ضاع منهُ صلاحُ
جدُّوا ايا فِرَقي وامُّوها يقو دكمْ اليها نورها الوضّاحُ
جدُّوا فليس لكم خلاص دونها ولجميعكم فيها الدخول مباحُ
اعداؤها سخروا بها قبحًا لهم قالوا بأن ستُحَطَّم الألواحُ
فالموجُ يصدمها فيدفعها فلا املٌ لنفسٍ بالنجاة متاحُ
واذا بصوتٍ صارخٍ كن آمنًا بين السفينة والخِضَمِّ كفاحُ
فسفينة الصياد تقهر خصمها ابدًا لانَّ لها الصفا ملّاحُ
للحين عاد النوء صفوًا رائقًا وعن البلايا زالت الاتراحُ

(شاكر شقير) وفي خريف السنة التالية خسرت أُسرة كريمة من الروم الاورثذكس كاتبًا آخر من اسرة قديمة وهو شاكر مغامس شقير عُرف في بلاد الشام مدَّةً بتفنُّنهِ بالكتابة ونظم الشعر ثم انتقل الى مصر وانشأ فيها مجلَّة الكنانة في نيسان سنة ١٨٩٥ فماتت بموت محرّرها بعد سنتها الاولى . وكانت وفاتهُ في وطنهِ الشويفات والمذكور عدَّة مقالات وروايات وقصائد تجدها متفرّقة في كثير من المجلّات . وقد روينا عنهُ قصَّة ظريفة في المشرق (٩ : ٧٥١) عنوانها الطواف بالقربان الاقدس . ولهُ كتاب مصباح الافكار في نظم الاشعار طُبع في بيروت سنة ١٨٧٣ ومنتخبات الاشعار طُبع سنة

١٨٧٦ وعُني بتكرار طبع ديوان ابي العلاء المعرّي دون ان يزيد عليهِ شيئاً يُذكَر من المحسّنات. ولشاكر اخ اسمهُ فارس تركَ ايضاً بعض المؤلفات والمنظومات وخدم الحكومة في ولاية بيروت ومتصرفيَّة لبنان. كانت وفاتهُ سنة ١٩٠٨. ومن حسن شعر شاكر قولهُ من رثاء في سليم دي بسترس دعاهُ «حقيقة الاسف» وقد تفنَّن فيهِ كثيرًا:

فتلهُّبٌ وتأَهُّبٌ وتأَسُّفٌ وتأَفُّفٌ وتحسُّرٌ وتحرُّقُ
كبدٌ تذوبُ وانفسٌ تشكو العنا اذنٌ تطنُّ واعينٌ تتدفَّقُ

ثم انتقل الى بحر آخر وقافية أُخرى فقال:

سليمُ الفؤَادِ لهُ طلعةٌ تحيّي الشموسَ وتزري القَمَرْ
وذو هيبةٍ كأُسودِ الشَّرى وانسٍ كانسِ الغزال الأَغَرْ
تخرُّ الذقونُ لهُ سجَّدًا تسرُّ العيونُ بهِ اذ حضَرْ
عليُّ المكان جليُّ البيانِ طليُّ اللسانِ مليُّ البَصَرْ
نقيُّ البنانِ تقيُّ الجنان رقيُّ الزمانِ بقيُّ الأَثرْ

وممَّا قالهُ سنة ١٨٦٩ في مدح الجمعيَّة السوريَّة:

زهرة روضٍ كلَّما طال وقتها تزيد نموًّا بالجمال مُقلَّدًا
بها افتخرت بيروت حتَّى لقد سمت على كلّ مصرٍ وهي تُشبهُ فرقدا
مؤلفةٌ من كل صاحبِ غيرةٍ ذوات بنَوا للخير بيتاً مشيَّدا
كواكب سعدٍ يسطعُ اليوم نورهم ويهدي الذي في الجهل ضلَّ الى الهدى
وقد البسوا بيروت حلَّة سؤددٍ تتيه بها اذ اصبحت منبع الندى
فكلُّ لسانٍ في ثنائم لاهجٌ يصيغ بهِ لفظًا لدرٍّ منضَّدا
وكل جنانٍ حمدهُ فيهِ راسخٌ وكلّ مديحٍ في سواهم تفنَّدا
فلا زال مسعاهم بذلك ناجحًا ونالوا المنى ما الطير في الغصن غرَّدا

ومن نظم فارس قولهُ من قصيدة في رثاء نقولا نقَّاش:

من كان بالامس نقَّاش الصحافِ هدًى يُنسيك حسَّانَ او يزري بسحبانِ
من كل نثر انيق الوصف مندمجٍ وكل شعرٍ رشيق النظم طنَّانِ
كم حرَّر اللفظ والمعنى تصوَّرهُ بما استرقَّ لهُ احرارَ تبيانِ
اذا انبرى لا يبارى في مناظرَةٍ وان جرى لا يجارى بين اقرانِ

وختمها بقولهِ:

مضى الى الله حيث الدارُ خالدة مستوفيًا أجْر اعمالٍ وايمانِ
لا يبرحِ العفوُ فيهِ فوق مضجعهِ تحت الأَكلَّةِ من آسٍ وريحانِ

(امين شميّل) اسرة شُميّل هي فرع آخر من دوحة الآداب التي نمت في كفرشيما. يقال ان اصلهم من حوران فاستوطنوا كفرشيما في مبادئ القرن التاسع عشر. وكان مولد امين بن ابراهيم شُميل في ١٤ شباط سنة ١٨٢٨ وتلقّى مبادئ العلوم واللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان في بيروت فامتاز بين اقرانه. ثم سار الى رومية في بعض شؤون طائفتهِ فاصاب فيها نجاحاً. ثم رحل الى انكلترَّة وتعاطى فيها التجارة فاتّسعت اشغالهُ وفتح محلاً في الاسكندرية فلم يزل في تقدُّم ونجاح الى ان دار دولاب الدهر فاباد ثروتهُ . الّا انَّ تلك الاحوال المشؤومة لم تملَّ شباة عزمهِ فصفَّى اشغالهُ وقصد مصر سنة ١٨٧٥ ليتعاطى فنَّ المحاماة فبرَّز فيهِ واشتغل بالآداب وانشأ مجلَّة الحقوق فكانت باكورة المجلَّات الشرعية. ونشر في تلك الاثناء بعض التآليف القانونيَّة كالمباحث القضائيَّة ونظام الحكومة الانكليزية والتآليف السياسية للمسألة الشرقية. وكان وضع قبل ذلك رواية سياسية دعاها الزفاف السياسي. وكان ضليعاً بالآداب حسن الكتابة نثرًا ونظماً وكان يضمّن تآليفهُ المعاني الفلسفيَّة والاعتبارات النظرية والرموز كما تشهد لهُ بعض مصنَّفاتهِ كبستان النزهات في فن المخلوقات الذي لم يُطبع وكالمُبتكَر في وصف الحياة البشرية ومقاماتها المختلفة منذ الولادة الى الموت انجز تأليفهُ في ليفربول سنة ١٨٦٧ فطبعهُ في المطبعة السورية في بيروت. وكان لامين شميّل اولاد نجباء تهذَّبوا كلّهم في كلّيتنا البيروتيَّة الا انَّ يد المنون اغتالت سنة ١٨٨٥ اثنين منهم في وقت واحد فتوفي ارثور في بيروت وفردريك الكبير في مصر وكان كلاهما من اذكى تلامذة مدرستنا واكملهم ديناً وادباً وارقاهم في سُلَّم النجاح في الدروس فكان موتهما مصاباً اليماً على والدهما أضعف قواهُ وهدَّ ركن حياتهِ. لكنَّهُ لم يزل يجاهد جهاد المستميت حتى أُبي دعوة ربّهِ في اواخر سنة ١٨٩٧ في ٦ كانون الاوَّل منها بعد وفاة اخيهِ اسعد ببضعة اشهر في لبنان

ولأمين الشميّل أخوان آخران ضارعاهُ عقلاً وذكاء الواحد منهما ملحم كان ايضاً عالماً وشارك اخاهُ في اعمالهِ التجاريَّة وآدابهِ توفي في ١٧ شباط سنة ١٨٨٥ في سنة وفاة نجلي امين فقال الشيخ خليل اليازجي مؤرخاً وفاتهُ :

يا مُلحماً جرحتْ سهامُ مُصابهِ ... منَّا القلوبَ جراحةً لا تُلحَمُ
اسكرتَ عند البَيْنِ آل شميّلٍ ... بشَمولِ حزنٍ ليس يرشفهُ الفمُ

للمجد والعليا عليك مناحةٌ ولكلِّ فنٍّ في المعارفِ مأتمُ
غادرتَ مجدكَ واستويتَ من العُلى أرّخ لدى المجد الذي هو اعظمُ (١٨٨٥)

ولد مُلحم في ٥ نيسان سنة ١٨٢٦ وتقلّب في مناصب التعليم فالتجارة فالسياسة حتى ادركتهُ الوفاة. ومارس الطبّ مدَّة على الطريقة الاختباريَّة القديمة. ومن آثاره الادبيَّة ارجوزة وضعها في علم الجبر والمقابلة والهُ مقدَّمة طويلة على علم الحساب وكان شاعرًا مجيدًا لهُ عدَّة قصائد منها واحدة مدح فيها الخديوي اسماعيل باشا ورثى كريمتهُ زينب هانم برثاة افتتحها بقولهِ:

يوسعُ القلبَ صاحبُ الحزم صبرا يومَ بينٍ يجرّعُ الصبَّ صبرا
وحكيمٌ من يزدري بحياةٍ كلّ يومٍ تزداد بالطول قصرا

وفي آخر عمرهِ دخل ملحم حكومة لبنان وخدم وطنهُ الى سنة وفاتهِ

امَّا الاخ الآخر فهو الدكتور شبلي شُمَيّل الشهير بكتاباتهِ ويسوءنا ان نراهُ في عداد المعادين للدين فشتَّان بينهُ وبين اخيهِ امين الذي هو القائل في العزّة الالهيَّة وفي نفس الانسان الناطقة:

هو المهيمنُ والاكوانُ صاغرةٌ تجثو لقدرتهِ العليا وترتعدُ
هو العزيزُ هو الباقي بقوَّتهِ هو الرحيمُ هو المحيي هو الصَمَدُ
يا مُبدعَ الكلّ هل في ذاك من مدٍ يُبغى لديك وماذا يا ترى الأمدُ
انتَ الكريمُ وتُعطي ما تشاء كما تشاء من بَحْرِ جودٍ نَبْعُهُ الزَّبَدُ
نفختَ في منخرَي هذا المركّب من طينٍ فأصبحَ ذا نفس بها البَدَدُ
هل نالت العُجْمُ نفسًا لا تموتُ كما نلْنا والّا فما البرهانُ والسَّنَدُ
النفسُ من عالم الارواحِ لا عَرَضٌ يَفنى ولا كائنٌ ينحلُّ او جسدُ
فارحب بها مَلَكًا من فضل واهبها تَنَلْ بها مُلْكًا كرسيُّهُ الأبَدُ
وهبتُها لك تمييزًا وقد ظهرتْ نورًا فكن مؤمنًا ويلٌ لمن جَحَدوا

ولامين شميّل قصائد متفرّقة لم تجمع نُشرت في مجلّات شتى كقصيدة كنز المُنى في المقتطف (١٨٨٥ ص ٩٠) وكقصيدتهِ الشرعيَّة في الجنان (١٨٨٥ ص ٢٢٨) وغير ذلك ممَّا اخذتهُ يد الضياع

(حنّا بك اسعد الصعب) من اسرة المشايخ الموارنة ابي الصعب الشهيرين بنواحي البترون. كان ابوهُ سرعسكر الامير بشير الشهابي الكبير فنشأ صغيرًا على التّقى

وحبّ الآداب فاتّخذهُ الامير في خدمتهِ فتعلّم العلوم اللسانيّة وبرع في الخطّ العربي حتى ضُرب المثل في خطّهِ البديع. ولمَّا سار الامير بشير الى مالطة اختار المترجمَ بصفة كاتب لاسرارهِ فرافقهُ الى تلك الجزيرة ثم الى الاستانة العليّة وانتهز ثمَّ الفرصة ليتعلّم عدَّة لغات كالايطاليّة والفرنسويّة والتركيّة ودرس الفنون العصريّة حتى اصاب لهُ شهرةً واسعة. ولمَّا عاد الى وطنهِ انتدبتهُ الحكومة الى خدمتها فخدمها في عدَّة مناصب جليلة مدَّة اربعين سنة وكان اوَّل من حاز لقب البك بين نصارى لبنان وبرّ الشام. توفي في اواسط سنة ١٨٩٦ ولحنَّا بك الصعبيّ رسالات وشروح لم تُطبع ولهُ شعر كثير تفنَّن فيهِ واجاد وقد جمعهُ في ديوان واسع طُبع في مطبعتنا سنة ١٨٩٣ وفي صدرهِ صورة ناظمهِ. وقد ختمهُ بقصائد تركيَّة تشهد على حسن قريحتهِ في اللغة العثمانيَّة وفي شعرهِ منظومات متعدّدة تفيد تاريخ لبنان من السنة ١٨٥٠ الى السنة ١٨٩٠ فمن ذلك قولهُ مهنّئًا دولة رستم باشا عند قدومهِ الى لبنان سنة ١٨٧٣ بقصيدة هذا مطلعها:

ما بالُ لبنانَ يُبدي النَّوْرَ أنوارا ... هل وجهُ رُستمَ اهدى النُّور انوارا
او تلك ألطافهُ الحسناء مُذ لمعتْ ... ازاحتِ الشمسَ للتنوير استارا

الى ان قال:

حُيِّيتَ لبنانُ كُنْ بالله مُعتصماً ... وكُنْ شكورًا بحمد الله مكثارا
ها قد أتى السرُّ والاقبال يسعدهُ ... والضرُّ غاب مع العقلاء قد طار
ضاءت مشارقنا لاحت بيارقنا ... طابت حدائقنا عَرْفًا وأثمار
جادت محابرنا زادت مخابرنا ... ناغت منابرنا سجعًا وأشعارا
حسَّنْتَنا سَنَنًا كمَّلْتَنا سُنَنًا ... نوَّلتنا منًا شيَّدت امصارا
مكَّنت محرَسَنا عليَّت ارؤسنا ... خوَّلت أنفسنا بالحامدِ أحدارا
لا زلتَ يا علَمٌ تجثو لك أُمَمٌ ... سيفٌ كذا قلمٌ مُذكيتَ احرارا

وكان قال سابقًا لمَّا تعيَّن داود باشا اوَّل متصرّف نصرانيّ على لبنان:

لنا البُشرى لقد نلنا انتصارا ... وفزنا في سرور لن يُبارى
مليكُنا قد حبا لبنان قدرًا ... وخوَّلهُ مقامًا واقتدارا
بوالٍ من بني عيسى وزيرٍ ... وهذا الفخرُ ودنا افتخارا
شدا باليمن تاريخ بفخرٍ ... وزيرٌ جاء نصرًا النصارى (١٨٦٢)

ولهُ من قصيدة يوبّخ فيها الخاطئ ويستدعيهِ الى التوبة :

أَلا أرفِقْ بنفسٍ انَّ كل نفائسٍ لديها بذي الدنيا اخسُّ الخسيسةِ
أأنت عدوّ النفس ام انت خِدْنُها فمن شيمة الاخوانِ صونُ الخدينةِ
اراك بلا الاشفاق تبغي عذابها وترمقها شذرًا بعينِ غضوبةِ
فلو شامت الاعداء ما انت فاعلٌ لرقّت لها رُحمًا وايَّةَ رقَّةَ
أتجهلُ ما للنفس من هولِ موقفٍ امام العلي الديَّانِ في كلّ رهبةِ
وفيهِ لإعلان الخطايا مظاهرٌ على مشهد الابصار من كل حدقةِ
مصاحِفُها مفتوحةٌ اذ تُرى بها ذنوبٌ ولم يُترَك بها قدرُ ذرَّةِ
فدَرْها ولا تعبأْ بظلٍّ عبورُهُ يكونُ كطَرْف العين في كلّ سرعةِ

ولحنًا بك عدَّة اناشيد تقويَّة في السيّد المسيح والبتول الطاهرة نقلنا منها سابقًا بعض شذرات . ومما لم نجدهُ في ديوانهِ قولهُ في سبت العازر :

لمَّا توفّي عازرُ فورًا بلحدٍ بادروا
جثمانهُ مذ غادروا في جوف رمسٍ قد غدا

اللازمة

يا عازرٌ ربٌّ الفدا وافاك لا تخشَ الردى
والموتُ ولّى مذ بدا مولًى قديرٌ مُذ بدا

وختمها بقولهِ :

فقام من جوف الضريحْ في صوتهِ العالي يصيحْ
انت العلي انتَ المسيحْ مستوجبٌ ان تُعبَدا

(نجيب الحدَّاد) ولد في بيروت في ٢٥ شباط سنة ١٨٦٧ ورحل صغيرًا الى الاسكندريَّة فتلقَّى في مدارسها العلوم . ولمَّا حدثت الثورة العرابيَّة عاد الى بيروت فأتمَّ بها دروسهُ في المدرسة البطريركيَّة وكان رضع صغيرًا افاويق الادب في قرابة الشيوخ اليازجيّ وامهُ كريمة الشيخ ناصيف فعاش مدَّة في معيَّة اخوالهِ الكرام . ولمَّا سكنت الامور في القطر المصريّ كرَّ راجعًا اليهِ وعكف على الكتابة في عدَّة جرائد انشأها وكان رئيس تحريرها او احد كتبتها الاوَّلين كلسان العرب وانيس الجليس والسلام . الَّا ان الاسقام لم تزل تنتابهُ حتى هصرت غصن حياتهِ رطبًا قبل بلوغهِ الكهولة فمات في مصر

في ٩ شباط سنة ١٨٩٩ . وكان نجيب الحدّاد متضلّعاً بالكتابة يجمع في انشائهِ بين متانة العبارة وسهولتها . ولهُ المقالات السياسيّة الحسنة . واشتهر بانشاء الروايات او تعريبها وقد لقي بعضها اقبالاً ونجاحاً كرواية السيّد للشاعر كرنيل الفرنسويّ من تعريبهِ ورواية البخيل ورواية المهدي . وكان شعرهُ اجود من نثرهِ حذا فيهِ حذو الشعراء العصريين . من ذلك قصيدتهُ في ذمّ القمار التي رويناها سابقاً في المشرق (٧ : ٦٧٣) ومن شعرهِ الطيّب قولهُ في وصف السكك الحديديّة وقطراتها :

تحلَّ عن التشبيب بالبيض والسمرِ ودَع عنك تشبيه المحاسن بالبدرِ
وعُج بي الى طُرق الحديدِ ووصفها الـ ـجديد ودَع ما مرَّ من قِدَم الدهرِ
ففيها يروقُ الوصف وهو حقائق وفيها يحقُّ النعت لا مذهبُ الشعرِ
وعنها يصحُّ القول ان قيل بارقٌ يشقُّ العلا لا عن حوادٍ ولا مُهرِ
فطيرٌ بلا جنح وطودٌ بلا بقا وبرقٌ بلا حوّ وهادٍ بلا فكرِ
ملى هي طيرٌ والبحار جناحهُ وطود اذا شبهتَ بالطود ما يسري
وبرقٌ ولكن الدخان سحابهُ وهادٍ لهُ لبٌّ توقّدَ عن جمرِ
يسير فما يدري لسرعة سيرهِ أيجري لديهِ الارض ام فوقها يجري
وللريح حولَيهِ حفيفٌ كأنهُ حفيفُ جناح الصقر حنَّ الى الوكرِ
اذا سار ثارت فوقهُ راية من الد م خان لتنبي انهُ ملك القفرِ
تمزّقها الارياح حنقاً كأنّها تحاول في تمزيقها الاخذ بالثأرِ
لعمرك ما هذا جادي البلاد بل هو القائد الهادي الى العزّ والنصرِ

واحسن من ذلك قصيدتهُ الغرّاء التي قالها في احتراق سوق الشفقة في باريس سنة ١٨٩٧ حيث رُزئ الكاثوليك بموت قوم من كرامهم لاسيما النساء الشريفات فماتوا في تلك السوق التي انشأوها لمساعدة الفقراء والبائسين بعد ان اتّقدت اسلاك آلتها الكهربائية وامتدَّ اليهم لهيب النار :

سوق برّ تُباعُ فيها اللُّهى بيسماً ويُشرى اشواب فيهِ شراء
زيّنتها بيض الايادي وايدي م البيضِ من محسنٍ ومن حسناء
أنفسٌ تشتري السماء فما امسَيْنَ الّا وقد بلغنَ السماء
ادركت ما تروم من جنّة م الخلد ولكن كان الطريق صلاء
من رأى قبلها جحيماً يؤدّي لنعيمٍ نساءهُ الشهداء
او رأى محسناً يجود على النـاس فيلقي نار الحريق جزاء

أترى كان ذاك مطهرَ من ما توا فيمحو من النفوس الخطاء
ام هو الدهر لا يزالُ مسيئًا لكريمٍ ومكرمًا من اساء
يا ربوعًا كانت معاهد احسا نٍ وحسنٍ فاصبحت قفراء
وديارًا كانت منازل ايا سٍ فاضحت بلاقعًا وخلاء
وكرامًا كانوا مناهل جودٍ لعفيرٍ فاصبحوا فقراء
أمراءٌ نادى الندى فاطاعو هُ اميرًا لهم ولبّوا نداء
وحسانٌ قد جُذن برًا كأن م البرّ ثوبٌ يزيدهنّ بهاء
ساحة تُنبت المكارم والرأ فة والمجد والندى والاخاء
فنساءٌ بها تدري رجالًا ورجال بها تباري النساء
اوجهٌ يشرق السَّنا من محيًا ها فتزداد بالجميل سناء
رُحن يزهون بالبياض فما امسَيْن إلّا كوالحًا سوداء
رِمَمًا لم تدع بها النار الّا رسم جسم واعظمًا جرداء
نقمة صبّها القضاء على الام برار ظلمًا ومن يردُّ القضاء
رحم الله من قضى وشفى الجر حى وعزّى الباكين والتُّعساء

(سليمان الصوله) هو سليمان بن ابراهيم الصوله الرومي الملكي الكاثوليكي . كان مولدهُ في دمشق سنة ١٨١٤ وفيها قضى اوّل سني حياتهِ ولما ترعرع انتقل مع والديهِ الى مصر ونشأ فيها وتلقّن العلوم في مدارسها وكان يتردّد على اساتذة الازهر فأخذ عنهم العلوم العربيّة ونظم الشعر وقد اخبر عن نفسهِ انهُ في أيام الشباب كان يعارض قصائد ابي فراس الحمداني ويخمّس قصائد الحلّي ويشطّر منظومات المتنبي وقد ألّف كتابًا سمّاهُ حصن الوجود في عقائد اليهود وتآليف أُخرى راحت حرقًا او غرقًا في حوادث سنة ١٨٦٠ . وتقلّد سليمان الصوله المناصب في الدواوين المصريّة وصحب ابراهيم باشا لمّا جاء لفتح الشام ثم استقرَّ بعد ذلك في دمشق وتقدّم في خدمة الدولة العليّة وتقرّب من الامير عبد القادر الجزائريّ وبفضلهِ نجا من الموت في فتنة سنة ١٨٦٠ المشؤومة . ولما كانت السنة ١٨٨٤ عاد الى مصر وفيها اقام الى وفاتهِ في ١٤ ايار سنة ١٨٩٩ عن ٨٥ سنة . ولهُ ديوان واسع في ٣٨٢ صفحة طبعهُ في مصر سنة ١٨٩٤ واعتذر في مقدّمتهِ انهُ بعضٌ من عددٍ ومجموعٌ صغير بقي من ديوان كبير « غادرتهُ اللصوص . بين محروق ومقصوص . فقال وهو يتعزّى : اذا ما كان لي ابل فمعزى » . ثم اضاف اليهِ ما جدّ عليهِ من النظم فضعفهُ مفضّلًا القليل المقبول على الكثير المرذول . والحق يقال انّ شعرهُ رائق منسجم ومواضيعهُ مبتكرة اقرب الى المنظومات العصريّة . ومن شعرهِ ما

قالهُ ارتجالًا يمدح يوحنَّا بك البحري وكان الشاعر في الرابعة عشرة من سنّهِ فاحبَّ البحري ان يسمع نظمهُ :

امرتَ لك الامرُ المطاع بأن ترى   فرائد شعري وهي اعوزُ من شَعْري
فوا خجلي من عقد درٍّ أصوغهُ   لديك وكلُّ الدرِّ بعض حصى البحرِ

ومن مدحهِ قصيدة طويلة قالها في فقيد القطر المصري آخرًا الوزير بطرس باشا غالي منها :

رجلٌ وحسبُك انهُ الرجل الذي   نجت البلادُ بهِ من الإقلالِ
احيا الندي وامات بالكمد العدى   ونفى الصدى بسماحهِ الهطالِ
تبدو الغيوبُ لدى لواحظ حذقهِ   غررًا مجرَّدةً من الإشكالِ
وتناولت منهُ المجالس حكمةً   سادت على الماضي بهِ والتالي
نظر العزيزُ بهِ فطانةَ يوسفٍ   فأحلَّهُ منهُ المحلَّ العالي
وامدَّهُ بالرتبة العظمى التي   ما نالها قبلُ من الاقيال
فافاد مجد القبط مجدًا ثانيًا   مترفعًا لتبيرهِ المتعالي
والناس حول ندى يمينهِ أرّخت   نيلُ الهناء يمينُ بطرس غالي

ولهُ عدَّة مراثٍ حسنة قالها في ابيهِ ابراهيم المتوفَّى سنة ١٨٨٣ وابنتهِ السيّدة ليلى. فمما قالهُ في ليلى :

يا ليلةَ غادرتْ ليلى بلا نفَس   وغادرَتْني أقاسي حرَّ انفاسي
لولاكِ لم يدجُ نورُ الشمس في بصري   ولا تبطَّن جوفَ اللحد نبراسي
ولا جفا الراحُ راحي والكرى بصري   وصار دمعي سُلافي والهوى كاسي
اين التي كنتُ ان غابت اقولُ لها   ما قالهُ شاعرٌ من آل عبَّاسِ
ما اقبح الناسَ في عيني واسمجهم   اذا نظرتْ ولم ابصرْكِ في ناسِ
قالوا نسيتَ بها ابراهيم قلت لهم   لا عشتُ ان كنتُ يا ناسٍ له ناسي
ولا رستْ بين ارباب العلى قدمي   ان كان غيرهما في خاطري راسي

وقد روينا لهُ في المشرق (٧ : ٤٣٢) ابياتًا قالها في مريم السيّدة البتول. ولهُ قصيدة اخرى في مدحها نجت من حريق الشام على منوال عجيب وفيها يقول مستغيثًا من داء اصابهُ :

ايا بابَ النجاةِ وسلسبيل الــحياة وسورَ ربَّاتِ الخدورِ

خذي بيدي الشقية وانصفيني ونجّيني من الخطر الخطيرِ
وداوي علّتي أعدي حبوري لانهض بالسرور عن السريرِ
فانّي بين اشواك المنايا أعذّبُ في الاصائل والبكورِ
أيُكسَرُ خاطري يا امَّ ربّي لديكِ وانت جابرةُ الكسيرِ
ويبلغني الجحيمُ وانتِ غوثي وادخلُ في الظلامِ وانت نوري
أجيريني اجيريني والّا فدلّيني لمن اشكو اموري
وهل يرضى حنوُّكِ بافتقاري لغير نداك يا بحر البحورِ
تبارك مَنْ بنورك جلَّ قدرًا من التشبيه أخجل كلَّ نورِ
واعطاكِ الشفاعةَ يا سماء تخيّرها لخلّاقِ البدورِ
سأبذلُ في امتداحكِ كل جهدي لعلَّ اللهَ يسمحُ عن قصوري
ويغفر لي ويصفح عن ذنوبي ويصلح عند خاتمتي اموري

وبسليمان الصوله قد خُتم القرن التاسع عشر الذي اخذنا على نفسنا تاريخ ادبائهِ. على انّهُ في هذه الحقبة الاخيرة قد اشتهر غير الذين ذكرناهم ممّن لم يبلغوا شأوهم او لم نحظ بآثرهم. وممّن نالوا بعض الشهرة من النصارى فنذكرهم هنا تلميحًا (الياس فرج باسيل) اشتغل مدّة بالآداب في مطبعة الرهبان الفرنسيسيين في القدس الشريف وكان يُصلح مطبوعاتهم وقد صنّف لهم عدّة كتب مدرسيّة كمبادئ القراءة لافادة الاحداث سنة ١٨٧٨ ورغبة السائل في انشاء الرسائل (١٨٦٧) ومجموعة الازهار من رُبَى الاشعار (١٨٧٩) ولهُ دليل الزوّار الى الاماكن المقدّسة تكرّر طبعهُ. ونظم ايضاً بعض المنظومات منها نشائد تقويّة طُبعت في كتاب روضة الالحان سنة ١٨٧٠ وقد شاع بعضها بين الكاثوليك كنشيدهِ في البتول الذي اوّلهُ «يا بتولًا زاد فوحًا مجدكِ الزاهي البها» وكقولهِ «انَّ مدح البكر فخري والثنا فرضٌ عظيمٌ» وقولهِ في الانفس المطهريّة «يا الهي جُدْ بعفوٍ في نفوسٍ في لهيب»

ومنهم بطل لبنان (يوسف بك كرم) الذي ولد سنة ١٨٢٤ في اهدن من اسرة كريمة وتخرّج في مدرسة عينطورا وتولّى في لبنان بعض المناصب الى ان حدثت بينهُ وبين متصرّف الجبل داود باشا تلك المنازعات المشئومة التي انتهت بسفر يوسف بك الى اوربة ثم الى الاستانة حتى قضى آخر عمرهِ في نابولي وفيها توفي معتزلًا عن الاشغال السياسية منقطعًا الى خدمة ربّهِ في اوائل نيسان من السنة ١٨٨٩. وقد ذكرناهُ هنا لما كان عليهِ من الاقتدار في الكتابة وقد نشر في العربيّة والفرنسويّة عدّة مقالات

سياسيَّة طُبع بعضها مفردًا. وكان ينظم الشعر العربيّ. قيل انهُ في ريعان شبابه نظم كتاب سفر نشيد الاناشيد. ولهُ قصائد روى بعضها صاحب الجوائب كقصيدته في راشد باشا التي يقول فيها :

ذا راشد البرَّين وجهُ مدينة م البحرَين ولاهُ العزيز على الورى
يكفي العباد بودّهِ وبجدّهِ فبنَدْرِهِ وجهُ الزمان تعطّرا
اضحت لهيبتهِ القلوبُ كبيرةً والخطب في الامر الكبير تصغَّرا

وقد اثبتنا لهُ في المشرق (٥ : ٤٩٧) قصيدة ارسلها الى صديقهِ الاديب يوسف حبيب باخوس

ومنهم الدكتور (سليم بك الجريديني) المتوفَّى سنة ١٨٨٥ واخوهُ (اسكندر الجريديني) وكان كلاهما من انصار الآداب انشأا مقالات علميَّة وادبيَّة نشراها في اعمال الجمعيَّة السوريَّة وفي بعض المجلَّات

ومنهم (الحاج يوسف فرنسيس) الذي نشأ في حاصبيا وتوطَّن القليعة في مرجعيون وكان عالمًا بامور الخيل كما يدلُّ عليهِ كتابهُ سراج الليل في سروج الخيل. كانت وفاته سنة ١٨٩٢. ولهُ شعرٌ

ومنهم ايضًا (سليم دياب) احد محرّري مجلَّة الجنان نشر فيها عدَّة فصول تاريخيَّة وقصائد توفّي سنة ١٨٩٥

ومنهم الاستاذ (فرنسيس شمعون) من تلامذة المدرسة الاميركانيَّة في عبيه كان راسخ القدم في العلوم العربيَّة متضلّعًا بالرياضيَّات ولهُ مؤلف لطيف في الحساب طُبع غير مرَّة في بيروت توفي في ١١ شباط سنة ١٨٩٩

ومنهم (حنين بن نعمة الله الخوري) من اعضاء الجمعيَّة السوريَّة لهُ في نشرتها عدَّة مقالات وعرَّب تأليف الوزير گيزو الفرنسويّ في التمدُّن الاوربّي. لا نعلم سنة وفاتهِ

المستشرقون الاوربيون في ختام القرن التاسع عشر

قامت الدروس الشرقيَّة على ساق في ختام القرن التاسع عشر في الاصقاع الاوربيَّة وانَّ الدول كلها بفضل السلام السائد في بلادها استنهضت همم ذويها لدرس اللغات

الشرق والبحث عن آثارهِ . وكان للغة العربيَّة حظٌّ اوفى من سواها لوفرة كنوزها واتّساع نطاقها

(الفرنسويّون) بعد ان فقدت فرنسة فئة من كبار مستشرقيها وخمد نوعًا نشاطها المألوف بسبب رزايا الحرب عادت الى سباقها في حلبـة الآداب . على انَّ درس الآثار الشرقيَّة غاب شيئًا على الدروس اللغويَّة . وها نحن نذكر بالتلخيص اسماء بعض الذين استحقُّوا شكر الادباء بما خلَّفوهُ من ثمار قرائحهم على حسب تاريخ الوفيات كما فعلنـا سابقًا

فقدت مصر في اواخر كانون الاوَّل من السنة ١٨٨٠ إمام علمائها بالعاديَّات المصريَّة اوغست ماريت (A. Mariette) بعد أن اعدَّهُ لمواجهة ربّهِ احد آباء جمعيَّتنا . كان مولدهُ في ١١ شباط سنة ١٨٢١ وقدم مصر سنة ١٨٥٠ فقضى ثمَّ ثلاثين سنة توالت فيها اكتشافاتهُ العجيبة وتآليفهُ التي جعلتهُ في مقدّمـة علماء زمانهِ وكان يُحسن العربيّة ويعرف آثارها وقد عُرّب كتابهُ تاريخ قدماء المصريين بهمّة الشيخ عبد الله ابي السعود

وفي ١٤ كانون الثاني سنة ١٨٨٢ توفي في باريس اثريّ آخر فرنساويّ هنري دي لونپاريه (H. de Longpérier) عن ٦٦ سنةً خدم فيها العلوم الاثريَّة لاسيما النقود الشرقية فكتب فيها الكتابات الجليلة . وقد جُمعت آثارهُ في عدَّة مجلَّدات . وممَّا يفيـد تواريخ هذه البلاد خصوصًا كتابهُ في نقود ملوك العجم في دولتي بني ارشـك وبني ساسان . ولهُ كتاب آخر في نقود ومسكوكات دول الاسلام في المغرب والاندلس . وكان المذكور مع علمهِ كثير التحمّس في الدين

واشهر منهما في العلوم الشرقية فرنسوا لونرمان (Fr. Lenormant) ابن شرل لونرمان السابق ذكرهُ ولد سنة ١٨٣٧ وتوفي في باريس سنة ١٨٨٣ وقد احبّ الشرق منذ شبابهِ فتجوَّل في بلاد اليونان ومصر والشام وكتب في ما عاينهُ المقالات الواسعة . وقد اشتهر خصوصًا بالعلوم الاثريَّة والتاريخ . ومؤلَّفاتهُ تنيف عن خمسين مجلدًا نخصُّ منها كتاب تاريخ امم الشرق القديمة في تسعة مجلَّدات . وكان عالمًا بآثار العرب كما تدلُّ عليهِ كتبهُ . وكان لونرمان كثير الدين يدافع عنهُ دفاع المؤمن الصادق

وممَّن عُني خصوصًا بدرس العربيَّة الاستاذ شربونو(J. Aug. Cherbonneau) ولد سنة ١٨١٣ وتوفي سنة ١٨٨٢ في باريس . درس على المستشرقَين دي ساسي وكوسان

دي برسفال ثم انتدبتهُ الدولة الفرنسويّة لتنظيم مدارسها العربيّة في الجزائر فاهتمّ بالامر اهتماماً عظيماً وعلم في قسنطينة مدّة وكان ينشّط الطلبة على درس آداب العرب وآثارهم وقد صنّف لذلك عدّة كتب مدرسيّة القرّاء وتمام الاصول والتكلّم ولهُ معجم كبير عربيّ وفرنساوي ونشر في المجلّة الاسيويّة مقالات متعدّدة في شعراء العرب وكتّابهم ونقل الى الفرنسويّة عدّة تآليف قديمة منها رحل وتواريخ وقصص كرحلة العبدري وتاريخ ابن حمّاد وكان مغرماً خصوصاً بتاريخ المغرب والجزائر له في ذلك عدّة آثار وفي آخر حياته استدعتهُ الحكومة لتدريس العربية في مكتب لغاتها الشرقية في باريس

وكان يعلّم في ذلك المكتب مستشرق آخر اختطفتهُ المنون سنة ١٨٨٩ وهو بافه دي كورتيل (Pavet de Courteille) لكنّهُ برّز في درس اللغة التركية واحيا كثيراً من آثارها المدفونة. واشتغل بترجمة كتاب مروج الذهب للمسعودي بمعية بربيه دي ميتار (Barbier de Meynard) الذي توفي حديثاً سنة ١٩٠٨ . ومن تصانيفهِ كتاب بالفرنسويّة في صفة احوال البلاد العثمانية

وفي سنة وفاة شربونو توفي رحل همام متضلّع بمعرفة العربيّة المسيو شرل دفرامري (Ch. Defrémery) وُلد في ٨ كانون الاوّل سنة ١٨٢٢ وتوفي في ١٩ آب سنة ١٨٨٣ درس العربيّة على كوسان دي برسفال والفارسية على العلامة دي كاترمار وبرع في اللغتين فاختارتهُ دولتهُ ليعلّم في مدرستها العليا. ولهُ عدّة تآليف اخصّها تواريخ الدول الاسلامية في خوارزم وتركستان وما وراء النهر وتاريخ الاسماعيليين وهو اوّل من نشر رحلة ابن بطوطة وترجمها الى الفرنسويّة وساعدهُ في عملهِ المستشرق الايطالي بنيامين سنغيناتي (B. Sanguinetti) الذي كان استوطن فرنسة منذ سنة ١٨٣١ . ومن غريب الاتّفاق انّ الرصيفين توفّيا في السنة عينها. وكان سنغيناتي اعدّ للطبع عدّة تآليف عربية كتراجم الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الصفدي المسمّى الوافي بالوفيات وبعض الكتب الطبية وكلها لم تُطبع . وممّا نشرهُ في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة سنة ١٨٥٩ كتاب فيه رسوم قديمة «تدعى احكام» لعتيقة لطائفة مسيحية زعم انها طائفة الموارنة

وخسرت الدروس العربية في فرنسة عالماً آخر كانوا يبنون عليهِ آمالاً طيّبة في خدمة الشرقيّات وهو ستانسلاس غويار (St. Guyard) ولد سنة ١٨٤٦ ومات

منتحراً سنة ١٨٨٤ . تعلّم عدّة لغات شرقية كالسنسكريتية والفارسية والاشوريّة وقد نشر فيها كلها مصنّفات عديدة الّا انهُ خصّ قسماً كبيرًا من حياتهِ القصيرة في العربية فألّف فيها تآليف جليلة اخصّها كتاباتهُ عن الباطنية والاسماعيلية المعروفين بالحشّاشين ولهُ تأليف جليل في الاعاريض العربية واشتغل بتاريخ الطبري مدّةً . وكانت غلبت عليهِ السويداء فحملتهُ على قتل نفسهِ

واشتهر بين الفرنسويين غير هؤلاء ممّن لا يسعنا الافاضة في ذكرهم كرسال دوڤيك (M. Devic) المتوفى سنة ١٨٨٦ نشر في العربيَّة كتاباً قديماً يُدعى عجائب الهند نقلهُ الى الفرنسويَّة . وقد ألحق معجم ليتره (Littré) بجدول للالفاظ الفرنسويّة المستعارة من اللغات الشرقيّة . وكريشار بوشه (R. Boucher) المولود سنة ١٨٤٣ والمتوفى في تشرين الاوّل من السنة ١٨٨٦ نشر قسماً كبيرًا من ديوان الفرزدق عن نسخة ايا صوفيا ونقلهُ الى الفرنسويَّة . وقد اتمّ نشر هذا الديوان جناب الاديب الالماني نزيل كليّتنا الدكتور يوسف هال (Dr J. Hell)

ومنهم ارنست رِنان (E. Renan) المتوفى سنة ١٨٩٢ اشتهر خصوصاً بمعاداتهِ للدين . امّا ما عُرف لهُ من التآليف الشرقية فتاريخ اللغات السامية في جزئين وكتابهُ عن ابن رشد بالفرنسويَّة . وتجوّل مدَّة في سوريَّة فنشر آثار سواحلها في كتابهِ بعثة فينيقية . لكن في تآليفهِ المذكورة الغثّ والسمين كما بيَّنهُ قوم من العلماء

ومنهم الدكتور لوكلار (Dr Leclerc) المتوفى سنة ١٨٩٣ وهو الذي نقل الى الفرنسويّة مفردات ابن بيطار وكتب تاريخ الطبّ في الشرق نقلًا عن ابن ابي اصيبعة وغيره من كتبة العرب في اربعة اجزاء

ومنهم غستاف دوغا (G. Dugat) احد معلّمي مكتب اللغات الشرقيّة في باريس (١٨٢٤ — ١٨٩٤) لهُ تاريخ المستشرقين الاوربيين الذي لم يطبع منهُ الّا قسمين وصنّف مقالات في جغرافية بلاد الاسلام

ومنهم الاستاذ جوزف درنبورغ الموسوي (J. Derenbourg) المتوفى سنة ١٨٩٥ نشر رسائل لغويّة لابي الوليد بن جناح واشتغل مع غيرهِ من الموسويين في طبع الاسفار لمقدَّسة لربّي سعديا الفيُّومي . وقام من بعدهِ ابنهُ هرتويك (Hartwig Derenbourg) ففاق على ابيهِ في العلوم العربيَّة ونشر كثيرًا من آثارها ككتاب

سيبويه وديوان النابغة مع ترجمته وترجمة اسامة بن مُنقذ وجدَّد طبع تاريخ ابن الطقطقى المعروف بالفخري. توفي هرتويك سنة ١٩٠٨ وعمره ٦٤ سنة

ومنهم العلامة هنري سوڤار (H. Sauvaire) المتولى القنصليَّة لدولتهِ في بلادنا لهُ تآليف شرقية جليلة منها كتاب في المقاييس والموازين العربية وكتاب عيون التواريخ لمحمَّد بن شاكر ونشر تاريخ مدارس دمشق ونقل الى الفرنسويَّة الانس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمجير الدين. وغير ذلك مما يشهد لهُ بطول الباع في العلوم الشرقية. توفي في ايَّار من السنة ١٨٩٦. ومنهم ايضاً الخوري جان برجس (J.-J. Bargès) الكاهن الفرنسويّ الذي علَّم العربية في مرسيلية واشتغل في باريس في جريدة البرجيس وترجم تاريخ بني زيَّان للتنّيسي وتاريخ بني جلَّاب للسيد حاج محمَّد الادريسي ونشر منتخبات من كتب عربية نادرة كالفَيض المديد من اخبار النيل السعيد للمَنوفي. وابرز بالطبع سفر الزبور ونشيد الاناشيد لربّي يافث بن علي البصري وميمر ساويرس بن المقفَّع في القديس مرقس الانجيليّ

ومنهم العلامة الشهير شرل شيفر (Ch. Schefer) توفي في ٣ اذار ١٨٩٧ كان تجوَّل في حداثتهِ في الشرق وتولّى شؤون الدولة الفرنسويَّة في الشام والعجم وبرع في الفارسيَّة وقد نشر بالعربية وصف الشام لابي الحسن علي الهرويّ. وترأس مدَّة سنين عديدة مكتب اللغات الشرقيَّة في باريس فخدم الشرق خدماً مذكورة ولهُ منشورات فارسية جليلة

ونضيف الى هؤلاء الافرنسيين خمسة من آباء رهبانيَّتنا خدموا الدين والآداب العربية معاً في هذه البلاد. احدهم الاب لويس كساڤاريوس اوجي (L. X. Abougit) ولد في مدينة پوي (Puy) وقصد سورية بصفة مرسل سنة ١٨٤٩ فأتقن العربية حتى امكنهُ ان يحرّر المبشّر ويصنف الكتب في العربية او ينقلها اليها من اللغات الاوربية وقد بلغت تآليفهُ وتعريباتهُ الخمسة عشر منها كتب دينية وجدلية كردودهِ على المقتطف وتزييفهِ لبعض مزاعم البروتستانت وكتراجم بعض القديسين ومنها مدرسيَّة كمختصر الجغرافية وغرماطيقين عربيّ شرحهُ بالفرنسويَّة وفرنساوي شرحهُ بالعربية. توفي الاب ابوجي في ١٦ تموز سنة ١٨٩٥ في غزير وكان مولدهُ سنة ١٨١٩

والثاني هو الاب فيلبُّوس كوش (Ph. Cuche) ولد في مقاطعة فرنش كونته

سنة ١٨١٨ وتوفي في بكفيا في ٢٧ آب ١٨٩٥ بعد ان خدم الرسالة خمسين سنة بصفة رئيس مدارس واديرة وكمدير للمطبعة . له قاموس عربي فرنسوي اصاب شهرة بين المستشرقين وهو المعجم الذي جدَّد طبعهُ الاب حنَّا بِلُو (J. B. Belot) المترجم في المشرق (٧ : ١١٤٤) واضاف اليهِ اضافات عديدة وسمَّاه القلائد الدرّية

والثالث هو الاب يوسف روز (J. Rose) جاء الى سوريَّة قبل كهنوتهِ فتعلَّم اللغة العربية حتى برع فيها . وكان احد المشتغلين بترجمة التوراة . ومن آثارهِ مكالمات عربية وفرنسويَّة في جزءين ولهُ سبعة مجلَّدات مواعظ مخطوطة انشأ بعضها ونقل بعضها الآخر عن اللغات الاوربية ولهُ معجم عربي فرنسوي لم يُطبع . توفي الاب روز في ١٠ اذار سنة ١٨٩٦ في بيروت ومولدهُ سنة ١٨٣٤

وفي ٢ كانون الثاني سنة ١٨٩٧ توفي في زحلة الاب يوسف هوري (J. Heury) المولود في اڤيون سنة ١٨٢٤ جاء كمرسل الى سوريَّة سنة ١٨٥١ واشتغل فيها بالتعليم والتبشير . لهُ قاموس فرنسويّ عربيّ تكرَّر مرارًا طبعهُ لرواجهِ

وكان اشتهر قبل هؤلاء الاب يوسف ڤان هام (J. Van Ham) الهولندي المولود سنة ١٨١٣ والمتوفى في ١٣ آب سنة ١٨٨٩ في تعنايل لهُ عدّة تأليف في الآثار الفلسطينيّة . وكتب مقالات واسعة في الاسفار المقدَّسة وتاريخ الاصلاح الموهوم ولهُ ردود مختلفة على مزاعم البروتستانات في بيروت طُبعت في مطبعتنا

(الالمانيُّون والنمساويُّون) كانوا بعد الفرنسويين ابعد همَّةً من سواهم في تعزيز الدروس الشرقيَّة . اشتهر منهم فردريك دياتاريشي (Fr. H. Dieterici) الذي ولد في برلين ١٨٢١ وبعد ان ساح في جهات الشرق تعيَّن كاستاذ العربية في وطنهِ سنة ١٨٥٠ . وهناك توفي نحو السنة ١٨٨٨ ولهُ تآليف عربية متعدّدة منها معجم عربي والماني وشرح الفيَّة ابن مالك والَّف كتاباً في الشعر العربي ونشر نخبًا من يتيمة الدهر للثعالبي ومن ديوان المتنبيّ . ودرس خصوصاً تآليف العرب الفلسفيَّة كالفارابي واخوان الصفا ونشرها

ومنهم الاستاذ فليشر (H. L. Fleischer) المولود سنة ١٨٠١ والمتوفى سنة ١٨٨٨ درس اللغات الشرقية في باريس على دي ساسي وكوسان دي برسڤال ثم خلف المستشرق روزنمولّر في تعليمهِ في كليَّة ليبسيك . فكان في المانية احد ائمَّة الدروس

الشرقية مدّة خمسين سنة مجاراً لفريتاغ ولفلوغل وكان يكاتب ادباء سوريّة وينشر كتاباتهم وقد ألّف نحو مائة تأليف في كل الفنون الشرقية لاسيما العربية ومن منشوراته تفسير القرآن للبيضاوي والمفصَّل للزمخشري وكتاب الف ليلة وليلة مع الاستاذ هابشت (Habicht) ورسالة [illegible] في زجر [illegible] وتآليف متعدّدة في نحو العربية ·

ومنهم الاستاذ غوستاف ڤيل (G. Weil) ولد في سولزبورغ سنة ١٨٠٨ وتوفي في فريبورغ برسغاو سنة ١٨٨٩ · درّس التاريخ الشرقي في كلّيّة هيدلبرغ وكتب تواريخ الدول الاسلامية العامّة واخصّة وكلها [illegible] من [illegible] تواريخ [illegible] لاسيما تاريخ الخلفاء في ثلاثة مجلّدات وتاريخ العباسيين في مصر في مجلّدين

وفي تلك السنة ١٨٨٩ توفي البارون فون كريمر (Baron Alf Kremer) الذي وُلد في ڤيينّا سنة ١٨٢٨ ومات بقربها سنة ١٨٨٩ تجوّل في مصر والشام وعلّم العربية في حاضرة بلاده · الى ان أُرسل الى مصر [illegible] قنصلاً [illegible] في بيروت سنة ١٨٧٠ حتى عيّنته [illegible] حكومته وزارة [illegible] ووزارات غيرها [illegible] سنة وفاته له كتب متعدّدة في آداب العرب [illegible] وقد نشر من ذلك نحو عشرين كتاباً منها كتاب الاستبصار في [illegible] الامصار وكتاب المغازي للواقدي وكتاب الاحكام السلطانية للماوردي [illegible]

وجاراهم في فضلهم هنري تورنكه (H. Thorbecke) المولود [illegible] سنة ١٨٣٧ برّز بين اترابه في معرفة الآداب [illegible] وهال توفي سنة ١٨٩[illegible] ومن مآثره نشره كتاب [illegible] لابن دريد ودرة الغوّاص للحريري · وكان مثال الضبع [illegible]

وفي السنة ١٨٩١ [illegible] لاغرد (P. de Lagarde) [illegible] ١٨٢٧ [illegible]

[illegible] في نشر الآثار [illegible]

[illegible]

[illegible]

ومن قوانين الرسل ومن بعض [illegible]

ولاتيني للراهب [illegible]

وفي السنة ١٨٩٣ توفي الدكتور لويس سپرنغر (Al. Sprenger) الذي ولد في معاملة التيرول سنة ١٨١٣ وكان رحل الى لندن ودخل في خدمة الانكليز فسار الى الهند وتولّى ادارة مدرسة دهلي سنة ١٨٤٣ واشتغل في مطبعة كلكوتّا فنشر فيها تآليف خطيرة منها كتاب اصطلاحات الصوفيَّة لعبد الرزّاق السمرقندي وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي وتاريخ الغزنويّة للعتبي وكتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني وكتاب الاتقان في علم القرآن للسيوطي وكتاب حدود الفاكهي . ثم رجع الى وطنهِ وعلّم اللغات الشرقية في برلين ثم انقطع الى التأليف في هيدلبرغ . ومن تآليفهِ سيرة مطوّلة لمحمَّد نبيّ الاسلام في ثلاثة مجلّدات وكتاب في تعليم محمَّد

وغلب كلَّ هؤلاء مع نشاطهم الغريب كاتبٌ الماني آخر أنشبت فيهِ المنون مخاليبها سنة ١٨٩٩ العلّامة هنري فرديننـد وستنفلـد (H. F. Wustnefeld) المولود في اعمال هانوفر سنة ١٨٠٨ . درس اللغات الشرقيّة على اكبر اساتذة وطنهِ ثم جُعل استاذًا للعربية في غوطا وتآليفهُ العربية عبارة عن مكتبة واسعة تنيف عن مائتي تأليف بين صغير وكبير وقد ادَّى العلوم الشرقية خدمًا لا تُنسى بما نشرهُ من المصنَّفات القديمة كطبقات الحفّاظ للذهبي وتراجم ابن خلكان وقائمة تواريخ العرب وتصانيف اطبّائهم وكتاب الاشتقاق لابن دريد ومعجم البلدان لياقوت الحمويّ ومعجم ما استعجم للبكري وسيرة الرسول لابن هشام وتهذيب الاسماء للنووي وكتاب الالباب في تهذيب الانساب لابي سعد السمعاني وكتاب المشترك وضعًا لياقوت وكتاب عجائب المخلوقات للقزويني وآثار البلاد لهُ واخبار قبط مصر للمقريزي وكتاب المعارف لابن قتيبة وتاريخ مدينة الرسول للسمهوديّ وتواريخ مكّة في ثلثة مجلّدات وكتب عديدة غيرها مع تذييلات وحواشٍ وفهارس تدهش العقل بوفرتها . احيا الله لنا امثالهُ كثيرين

(الهولنديون) عُرف الهولنديون بانصبابهم على اللغات الشرقيَّة ولاسيما العربية . وممن اشتهر بينهم في آخر القرن التاسع عشر ب . دي يونغ (Pieter de Jong) احد معلّمي كلّية وترخت ولد سنة ١٨٣٢ وتوفي سنة ١٨٩٠ اشتغل مع العلّامة دي غوي (de Goeje) في وصف مخطوطات كلّيّة ليدن ونشر كتاب المشتبه لابن القيسراني وكتاب لطائف المعارف للثعالبيّ وفصولًا شتى لبعض مؤرخي العرب

وزاد على السابق شهرةً الهولندي رينهرت دوزي (R. Dozy) الذي ولد وتوفي

في ليدن (١٨٢٠—١٨٨٣). أولع منذ حداثتهِ بحبّ الشرق والعلوم الشرقيّة وتعمّق في درس العربيَّة حتى دُعي الى تدريسها في كلّيَّة بلدهِ ومنشوراتهُ العربيَّة عديدة نفيسة منها كتابهُ في ملابس العرب بالفرنسويَّة (في ٤٤٦ صفحة) ونشرهُ لتاريخ بني زيَّان ثم تخصَّص بدرس الدول الاسلاميَّة في الاندلس والمغرب فنشر عدَّة مجلَّدات في ذلك كتاريخ المعجب لعبد الواحد المرّاكشي وتاريخ البيان المغرب لابن العذاري وجغرافيَّة الادريسي وتاريخ الاسلام في الاندلس في اربعة مجلّدات ولهُ معجم واسع في مجلَّدين ضخمين جعلهُ ملحقًا للمعجمات العربية (١ وكتب تاريخًا مطوَّلًا في الاسلام منذ ظهورهِ الى ايَّامهِ وألَّف كتابًا عن الاسرائيليين في مكَّة وغيرها جرًّا

في ختام القرن التاسع عشر توفي الهولندي ڤات (P. J. Veth) المولود سنة ١٨١٤ والمتوفَّى في ارنهيم سنة ١٨٩٩ كان من معلّمي الشرقيَّات في كلّيَّة ليدن واشتهر خصوصًا بكتاباتهِ عن الهند والمستعمرات الهولنديّة ونشر في العربيّة كتاب لبّ اللباب في تحرير الانساب لجلال الدين السيوطي

هذا وقد فقدت الآداب العربيَّة مؤخرًا رجلين عظيمين من علماء هولندة مات احدهما في ريعان شبابهِ هو ڤان ڤلوتن (G. van Vloten) الذي نشر كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ومعظم رسائل الجاحظ الادبيَّة توفي سنة ١٩٠٧ منتحرًا. والآخر امام العربيَّة في اوربة العلامة دي غوي المتوفى في العام المنصرم ١٩٠٩ وهو متولّي طبع الطبري وتاريخ اليعقوبي والفتوحات الاسلاميَّة للبلاذري وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ومجموع جغرافيي العرب في عشرة مجلّدات وقد ابقى لهُ في القلوب ذكرًا مخلَّدًا

(الانكليز) عُرف منهم في ختام القرن السابق ادورد بالمر (E. H Palmer) من اساتذة كلّيَّة كمبردج المتوفَّى سنة ١٨٨٣ خلَّف كتابًا انكليزيًا في صرف نحو العربية. ونشر ديوان بهاء الدين زهير مع ترجمتهِ الانكليزيَّة على ضرب شعرهِ وله ايضًا ترجمة القرآن الى الانكليزيَّة

ومنهم المستشرق الشهير وليم رَيت (W. Wright) ولد في هند الانكليزيَّة في اوائل سنة ١٨٣٠ ثم درس فى اسكوتلندة وتعلَّم العربية في ليدن تحت نظارة

١) قد انتقد الشيخ ابراهيم اليازجي هذا التأليف في مجلة الطبيب سنة ١٨٨٤ ص ٦٠٣ و٣٠٥ و٣٤٦)

الاستاذ دوزي ثم عاد الى لندن ودرّس العربية وتولّى نظارة المخطوطات الشرقيـــة في خزانة كتبها العظمى فوصف مخطوطاتها السريانية الثمينة في قائمة لا تقلّ عن ثلاثة مجلدات ضخمة. وفي سنة ١٨٧٠ طلبته كلية كمبردج ليعلّم فيها العربية فبقي في مهنتهِ الى سنة وفاتهِ في ٢٢ ايار ١٨٨٨. ولوليم رايت مطبوعات عربية جليلة منها الكامـــل للمبرّد ومنها رحلة ابن جبير ومنتخبات من شعراء الجاهلية دعاها «جرزة الحاطب وتحفة الطالب» واشتغل في استخلاص القسم التاريخي من نفح الطيب للمقّري. ولـــهُ كتب اخرى لغوية منها غرامطيق عربي بالانكليزيّة تكرّر طبعهُ

وفي السنة ١٨٩٠ توفي في تريستة حيث كان قنصلًا لدولتهِ السائح الشهير اللورد ريشرد برتون (Richard F. Burton) . ولد في كـاتّـــة نورفلك في انكلترّة وساح في عدَّة بلاد وكان في افريقية سنة ١٨٥٢ بجيرة تنغنيكا. وتعيّن مدَّةً كقنصل في دمشق ورحل الى بادية الشام وبلاد تدمر. وكان قبلًا بلغ الى مكّة وزار المدينـــة وكتب تفاصيل سياحته اليهما في مجلدين. كانت امرأتهُ كاثوليكية فلم تزل تسعى في امر اهتدائه الى دينها القويم حتى ادركت بغيتها. ولمَّا توفي زوجها اقامت لـــهُ في لندن مشهدًا من الرخام على شكل خيمة عربيّة وسكنت بقربه الى موتها

وفي السنة ١٨٩٢ توفي انكليزي آخر صرف قسمًا من حياته بمهنة ترجمان في سفارات دولتهِ في الاستانة وفي القاهرة هو جمس ردهوس (J. W. Redhouse) . وكان في اوقات الفراغ يشتغل بالتأليف لاسيما في التركية وله معجم عربيّ وفارسي وانكليزي ونشر قصيدة لاميّة العرب للشنفرى مع شروح مختلفة ونقلها الى الانكليزيّة

(الروسيون) تعزّزت بينهم الدروس الشرقيّة في ختام القرن التاسع عشر وازهرت العربيّة خصوصًا في كليتي بطرسبرج وموسكو. ومن اعلامهم وتشتهر برنرد دورن (B. Dorn) ... في ... سنة ١٨٠٥ ودرس اللغات الشرقية على مشاهير المستشرقين ... سنة ١٨٢٥ ... التعليم في كليـــة خركوف ثم في ... بطرسبرج تولّى نظارة مكتبتها الشرقيّة ومتحفها الامبراطوري.

توفي سنة ١٨٨١ ... تآليفـــه لاسيما في تاريخ الشرق العجميّ والشرق الاسلامي كتاريخ ... في وصف الآثار الشرقيّة كالنقود العربيّة والمخطوطات ... نحو ١٢٠ ...

ومنهم المعلم گرگاس (W. O. Guirgass) كان مولدهُ في روسية نحو السنة ١٨٣٥ ودرس اللغات الشرقية في بطرسبورج ثم في باريس ثم قصد الشرق فسكن سنتين بنيف في جوار بيروت . ولما عاد الى روسية قُلّد منصب التعليم في حاضرتها فاقبل عليه الدارسون وكان من جملتهم العلامة البارون ڤون روزن الذي نشرنا في المشرق (١١ : ١٧١) خلاصة ترجمته . توفي المعلم گرگاس نحو السنة ١٨٨٤ . ولهُ مؤلفات مفيدة منها كتاب حقوق النصارى في البلاد الاسلامية ومنتخبات عربية ومعجم عربي روسي . ونشر كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري وتاريخ الآداب العربية طبعهُ بالروسية على الحجر

وممن اسفت على فقده ايطالية من المستشرقين الاستاذ ميشال ماري (M. Amari) وُلد في بالرمة سنة ١٨٠٦ وتوفي في فلورنسة سنة ١٨٨٩ . تعلم اللغات الشرقية في باريس وخصَّ نفسهُ بالعربية وبآدابها وتاريخها في بلاده . فكتب تاريخ المسلمين في صقلية ونشر رحلة ابن جبير الى تلك الجزيرة وصنَّف تأليفهُ الذي دعاهُ بالمكتبة الصقلية وعزَّزها بالكتابات والمعاهدات التجاريَّة المُبرمة بين العرب والايطاليين وغير ذلك مما اوجب لهُ شكر المستشرقين عموماً واهل بلاده خصوصاً

وفقدت اسبانية في السنين الاخيرة من القرن التاسع عشر [illegible] من [illegible] المستشرقين جوزه دي لرخندي (J. de Lerchundi) مؤلف معجم عربي اسباني ومجموع منتخبات عربية وفرنسوا كسفيه سيمونت (Fr. X. Simonet) [illegible] في غرناطة الذي نشر تاريخ النصارى المستعربين (Mozarabes) في الاندلس و[illegible] بعض كتب مدارسية عربيَّة ونشر اعمال مجمع طليطلة عن نسخة عربية قديمة [illegible] مقالات متعددة عن العرب نشرها في المجلات الاسبانية [illegible] في [illegible] وأخذنا العجب من سعة علمه توفي في غرناطة في ٧ تموز سنة ١٨٩٠ . [illegible] فهو استاذ العربية في مدريد العلامة بسكوال كيانكوس (D. P. de Gayangos y Arce) المولود في اشبيلية سنة ١٨٠٩ [illegible] كتب مختلفة [illegible] منها تاريخ الدول الاسلامية في اسبانية ترجمة تاريخ [illegible] في مجلدين ضخمين ووصف آثار قصر الحمراء [illegible] توفي [illegible] سنة ١٨٩٧ [illegible] اخذوا عن مستشرقين سبقاهم [illegible] الاول [illegible] [illegible]

cantara) المولود في جهات مالقــة سنة ١٨٢٧ والمتوفى سنة ١٨٥٦ . كتب تاريخ غرناطة ونشر كتاباتها العربيّة . والثاني امادور لوس ريوس (Don José Amador de Los Rios) ولد في نواحي قرطبة سنة ١٨١٨ وتوفي في اشبيلية سنة ١٨٧٨ . علّم العربيّة في مجريط ثم صار مديرًا لكلّيتها ونشر آثار قرطبة واشبيلية

واشتهر في اسوج هولبـــو (Chr. A. Holmboe) المولود سنة ١٧٩٧ والمتوفى سنة ١٨٨٢ كان استاذًا في عاصمة بلاده كرستيانية بعد ان تخرَّج في باريس على دي ساسي وكوسان دي پرسڤال واشتهر خصوصاً بالعلوم الكتـــابيّة واللغات الهنديّة . وقد ترجم الى الالمانيّة كتاب كليلة ودمنة ونشر عدّة مقالات عن الاسلام في الهند

وفي ١٨٩٨ رُزئت دنيمرك بموت مستشرقها الشهير اوغست مِهْرن (A. F. van Mehren) ولد سنة ١٨٢٢ واخذ العربيّة عن فلَيْشر وعلّم في كوبنهاغ اللغات الشرقيّة نحو ٥٠ سنة . ألّف كتابًا في بيان اللغــة العربيّة ونشر كتاب عجائب البرّ والبحر لشمس الدين الدمشقيّ وعدّة تآليف للرئيس ابن سينا نشرها ونقلها الى الفرنسويّة

امّا (الامركيّون) فلا نعرف منهم احدًا اشتهر بالعلوم العربيّــة الّا نزيل بيروت الدكتور كرنيليوس فان ديك المولود في ولاية نيويورك سنـــة ١٨١٨ والمتوفّى في بيروت في ١٣ ت ٢ سنة ١٨٩٦ . قدم الى سوريّة بصفة مرسل بروتستـــاني سنة ١٨٤٠ فصار الى آخر نسمة حياتهِ قطب الرسالة الامركيّة في هذه البلاد وقد نشر سيرتهُ الدكتور اسكندر افندي نقولا البارودي في المطبعة العثمانية فنحيل القرّاء الى تفاصيلهـــا . وفي آخرها جدول تآليفهِ البالغة نحو ٣٠ كتابًا في العلوم العصريّة كالرياضيّات والآثار الجويّة والطبّ والجغرافية ولهُ كتاب النقش في الحجر في ثمانية اجزاء ونقل الى العربيّة الكتاب المقدّس دون الكتب الثانويّة وألّف عدّة كتب جدليّة ردَّ عليها الاب ڤان هام اليسوعي وغيرهُ من آباء جمعيّتنا فألجأوهُ الى السكوت

وهنا نختم كلامنا عن الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر وكنّا نوينا ان نضيف اليهِ ملحقاً في احوال الآداب في القرن العشرين لكننا آثرنا ان نرجئ العمل الى فرصة أخرى . واكتفينا بان نقدّم للقرّاء مثالين من الشعر العصر الجديد دعونا الاوّل الحماسة الدستوريّة وفيهِ كثير من شعر المحدثين في الانقلاب العثماني الاخير وضمّنا الثاني اقوال مشاهير شعراء العصر في احوال السنة الدستوريّة الأولى . وعلى الله الاتكال

زيادات واصلاحات

ص ٧ س ٢١ (رفاعة بك الطهطاوي) تجد لهُ ترجمةً مطوّلةً في اعداد الجوائب ٦٩٧ — ٧١٠ تأليف صالح بك مجدي

ص ١٩ س ٤ (الحاج حسين بيهم) لهُ ارجوزة في العلم نُشرت في السنة الاولى من اعمال الجمعيَّة العلميَّة السوريَّة (ص ١٦—٢٦)

ص ٣٣ س ١—٢ « الثورة العربيَّة » والصواب « العرابيَّة »

ص ٣٩ س ٢٤ (الشيخ راجي اليازجي) وفـاتهُ ليست في سنة ١٨٥٧ كما روينا عن دواني القطوف لاسكندر افندي عيسى المعلوف بل سنة ١٨٥٦ كما يظهر من تاريخهِ في بيتين قالهما حنَّا بك اسعد الصعب :

مذ سار راجي اليازجيُّ الى السما وغدا الى المولى العليّ مُناجيـا
قد جاء في ذاك المؤرّخ راقماً قد زار فضلك يا الهي راجيـا (١٨٥٦)

ص ٤١ س ٥ (فرنسيس فتح الله المرَّاش) روى الاديب عبد المسيح الانطاكي قطعاً من شعرهِ في مجلَّة الهلال لسنتها الثانية ص ٣٩٨

ص ٤٥ س ٧ (رزق الله حسُّون) نشر موءخرًا ترجمتهُ جناب اسكندر افندي عيسى المعلوف في عددي المقتطف الثالث والرابع من السنة الجارية ١٩١٠ ص ٢٢٤ و٣٢١

ص ٤٧ س ٢٠ « يوسف حجَّار نصر الله الدلّال » الصوب « يوسف حجَّار احد عَمَلة نصر الله الدلّال

ص ٥٠ س ٨ (المعلم سعد العضيمي) بلغنا انهُ حتى الآن حيٌّ يُرزَق

ص ٥٢ س ٩ (قيصر ابيلا) توفي في شرخ شبابهِ سنة ١٨٧٣ في صيدا فرثاهُ نقولا النقَّاش برائيَّة ختمها بهذا التاريخ :

وبعم فقدتُمْ قيصرًا لكنَّما أرّخْ غدا بالله قيصرُ قيصرا

٥٩ س ٢٥ « اغناطيوس كراكتشكوفسكي » يُصْلَح كرتشكوفسكي (I. Kratchkowski)

٦٠—٦١ نشرت مجلَّة الطبيب سنة ١٨٨٤ ص ٢١٦—٢٢٠ فصلًا في مدارس بيروت ولبنان فيهِ بعض المعلومات تضاف الى ما اوردنا هنا

ص ٦٢–٦٣ في المجلّة الفلسطينيّة الالمانيّة (ZDPV, XII, 124—128) قائمة الجرائد العربيّة التي كانت تطبع في الشام والجزيرة والعراق سنة ١٨٨٩

ص ٩٤–٩٥ ابيات احمد فارس في الشيخ ابراهيم لم تُروَ في مكانها وحقّها أن تُتقدَّم على ذكر الشيخ اسماعيل فانّها قيلت في ابراهيم فصيح الحيدري

ص ٩٦ وممّن فاتنا ذكرهم في ادباء العجم السيّد جمال الدين الحسينيّ الافغاني المولود سنة ١٢٥٤ (١٨٣٨) في بلاد الافغان والمتوفى بداء السرطان سنة ١٣١٤ (١٨٩٧) في الاستانة . كان لهُ حظٌ وافرٌ في نهضة الآداب الشرقية عموماً لكنّهُ مع علمهِ بالعربيّة وخطابته فيها لم ينشر فيهـا الّا بعض المقالات وقد عرَّب لهُ الشيخ محمّد عبده رسالتهُ المفيدة في ابطال مذهب الدهريين وقدَّم عليها ترجمة المؤلف مطوّلةً فنحيل اليها القرّاء

ص ١٠٦ اطلب ترجمة مطوّلة لمن ذكرناهم من مشاهير الاكليروس السرياني في الكتاب الذي نُشر مؤخرا بقلم الفيكنت فيليب دي طرّ زي « السلاسل التاريخيّة في اساقفة الابرشيّات السريانيّة »

ص ١٢٤ س ٢٧ لم تصدر جريدة السلام سنة ١٢٨٧ ولكن سنة ١٣٠٢ الموافقة لسنة ١٨٨٤–١٨٨٥ كما اصلحهُ جناب اسكندر افندي عيسى المعلوف في مجلّة حمص ص ٣٤٢ ورواه من قبلهِ لاديب قسطاكي الحمصي في كتاب السحر الحلال في شعر الدلال ص ٢٢ . امّا قول لمستند من البيتين في الفتاة اللابسة الثوب الوردي هما لبطرس كرامة لا لابراهيم بك ابيه فانّه استند في روايتهما الى صاحب نزهة الالباب محمّد حسني العامري (ص ٢٢٥) ولعلّهُ غلطٌ في روايته لانّ البيتين يُنسبان الى بطرس في ديوانه (ص ٣١٦)

ص ١٤٩ س ٥ [illegible] ذكر [illegible] آخر استحق بآثاره ذكرًا خصوصيا وهو الأب [illegible] ([illegible]) [illegible] سنة ١٨٢٥ وتوفي في [illegible] في ١٥ [illegible] سنة ١٨[illegible] [illegible] عشرين سنة [illegible] تاريخ [illegible] وكتابا [illegible] تسام ولهُ مقالات واسعة في حرب سنة ١٨٦٠ [illegible] سورية نحو ٤٠ سنة

ملحق

لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الحماسة الدستوريّة

هذا فصل كنّا نشرناهُ في المشرق (١٢ : ٨١-٩٦) بعد الاعلان الدستوريّ اودعناهُ عدّة منظومات للشعراء العصريين. وقد اثبتناهُ هنا كملحق لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر لان فيهِ اجود مثال للآداب العصرية وللاساليب الشعريّة في ايّامنا

غنيٌّ عن البيان انَّ اجود الشعر ما اختمرت بهِ مشاعر قائلهِ. لانَّ الكلام اذا ما تأثّرت منهُ النفس وانطبع في اعماق القلب تكاد الطبيعة تقذف بهِ عفوًا دون تصنُّع ولا تعمُّل البتَّة. وان سبكتَهُ وعرضتَهُ على محكّ الانتقاد وجدتهُ مصوغًا بابلغ المعاني مفرغًا في اجود قالب من اللفظ والتعبير

على انهُ بين ضروب المنظومات ليس ما يفضلُ في ذلك الشعر الحماسي لانهُ يعبّر عن اشرف ما في قلب الانسان من العواطف ويترجم عمّا يكتهُ صدرهُ من الخواطر السنيّة والهمم السامية التي تنكّبهُ عن الدنايا وتسمو بهِ الى المعالي فيذكر ما لاسلافهِ من المفاخر ويتوق الى معارضتهم بالمآثر ويناصب كل ما يحول دونهُ من العوائق في ادراك غايتهِ الجليلة حتى انهُ يضحّي في سبيلها كل نفسٍ ونفيس

وان تصفّحتَ تواريخ الامم الغابرة ووقفت على آدابهم وجدتهم في الحمسيّات اشعر منهم في سواها من فنون الشعر وهم يقدّمون تلك المنظومات الحماسيّة على غيرها ويكرّرونها في مفاوضاتهم ويتغنّون بها في اناشيدهم ويلقّنونها صغارهم حتى تصبح كقسم من حياتهم الاجتماعيّة وعمرانهم. فهذه الالياذة لهوميروس بين اليونان ونشيد إنياذه لورجيليوس بين الرومان وشاهنامه للفردوسي بين الفرس فانها كلّها منظومات حماسيّة تذكّر كل قوم بمفاخرهِ وتبعث في قلوب ذويهِ شواعر الحميّة والتحمّس

ولم يخرج العرب عن هذا الحكم وان كانت منظوماتهم الحماسيّة قديمةً لا

تتجاوز ابيات القصائد . وقد عُني بعض الائمّة بتأليف تلك الآثار او نُخب منها اودعوها في مجاميع عُرفت بالحماسات كحماسة تمّام التي استفاضت شهرتها وحماسة البحتري التي نحن اليوم ساعون بنشرها وحماسة البصريين وحماسة الخالديين وغير ذلك ممّا يشهد للعرب القدماء بالنخوة والاباء

ولمّا أُعلن في اواسط الصيف المنصرم بالحكومة الدستوريّة وفُكّت الاغلال التي كانت تنوء تحتها نفوس العثمانيين باستبداد السلطة الحاكمة سابقًا نشطت الارواح وانطلقت الالسن وجادت قرائح الشعراء بأثمارها الطيّبة وقد نُظم من ذلك الوقت الى الآن من القصائد ما لو جُمع لأربى على كل المجاميع الحماسيّة السابقة . ولمّا كان لهذه الاقوال شأن عظيم في تاريخ الآداب العصريّة رأينا ان نُعمل فيها النظر اجمالًا ونستوقف ابصار الادباء لئلّا يندثر ذكرها وتطمس معالمها

وكان اوّل ما شعر بهِ العثمانيون يوم الاعلان بالدستور الجذل والاغتباط فسُرّي عنهم همّهم وثلج بالبشرى صدرهم واسترسل قلم الشعراء بوصف فرحهم . فقال الشاعر الوطنيّ جناب الامير شكيب ارسلان في مطلع قصيدة غرّاء :

ألا يا بني عثمانَ حسبكمُ بُشرى لقد جاد ربُّ العرش بالنعمة الكبرى
وقد فزتمُ ذا اليوم بالغاية التي عليها رجالٌ قد قضوا دونكم قهرا
اطالت عليكم بغتةٌ شُرّد المُنى تُحقّق بعث الله مع عسرهِ اليُسرى
اتت وحجابُ اليأس قد حال دونها كما ينشر الديّانُ مَن سكن القبرا
فمن غير وعدٍ بدّل اللهُ حالكم لتضحي لكم رحمى وتغدو لكم ذكرى
ويُعلَمَ انّ الله لا ربَّ غيرهُ وليس سواهُ يملك النفع والضرّا
اراد تلافي الشرق من عثراتهِ فألقى عليهِ من عنايتهِ سترا

وانشد اخوهُ الاديب احمد عادل ارسلان معارضاً حالة البلاد بالبعث والنشور :

هذه الحياةُ فاين العُدْم والعَدَمُ وذا الضياء فاين الظُلْم والظُلَمُ
لقد جلاها عن الاسلام ذو شُطَب ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ
يا بغيةً لم تزل في العمر نطلبها لا اليأسُ يُقعدنا عنها ولا السأَمُ
قد بشّرتنا بها الاداء ناقلةً أمرَ الخليفة نِعم الآمِرُ الحَكَمُ
احيا بها مةً كادت عزائمها الى حضيضٍ من الإعياء تنهدمُ

واجاد في وصف تقلّب الاحوال جناب الاديب يوسف حيدر :

مضى عصرٌ وذا عصرٌ حديثٌ بهِ صرنا نفيد ونستفيدُ

وقد ولّى زمانُ البؤس عنّا　　واقبل نحونا زمنٌ سعيدُ
بدأنا وانقطعنا ثم عُدنا　　تبارك ربّنا المبدي المعيدُ
كذاك الله يفعل في البرايا　　فيخفض ثم يرفع مَن يُريدُ
لحقًّا ان ذا عصرٌ حميدٌ　　وحقًّا انّ هـذا اليوم عيدُ

وكما تباشروا بالنجاة وهنّأ بعضهم بعضاً بنيل الاماني كذلك صرفوا نظرهم الى الجيش العثماني وضبّاطهِ البسلاء الذين بفضلهم حصل هذا الانقلاب العظيم فشكروهم واطرأوا حزمهم ودعوا لهم بالفوز والنصر . فقال جناب الشاعر المطبوع محيي الدين افندي الخياط :

بني الشرق هل إلّا الجيادُ القواضبُ　　بنوكم وهل الّا الجيادُ الشوازبُ
بنيتم فأعليتم وشِدتم فسُدتمُ　　ألا هكذا تُبنى العُلى والمراتبُ
سَلُوا صُحف الأنباء هل غير ما روت　　عن الجيش اروى الشرقَ والشرقُ ناضبُ
سرتْ نبأةٌ من جانب الجيش قد دوت　　مشارقُنا اهتزّت لها والمغاربُ
مضت حقبةٌ يا شرقُ والقومُ نُزّعٌ　　الى الجانب الغربيّ والكلُّ راغبُ
فرُحماك يا شرقيُّ لا تغلُ واتّئِد　　فقد فُزت بالدستور والدهرِ شاغبُ
ووالله ما ندري أأحلامُ نائمٍ　　أَلمّت بنا ام انت يا دهرُ لاعبُ

وقال الكاتب الاديب نجيب افندي مصوّر يحيّي الجنود البسلاء :

حيّاكمُ المولى واسعد دولةً　　وحمى هلالًا في سماها يسطع
يا قادة الافكار والارواح في　　قلمٍ يخطُّ وفي حسامٍ يقطع
علّمتمونا كيف تحيا امةٌ　　كادت تموت وصوتها لا يُسمع
علّمتمونا الاتّحاد ولم نكن　　نرضى بهِ بل في سواهُ نطمع
وأريتمونا انّ فيكمُ مجدنا　　والى حماكمُ في الشدائد نسرع
يا جُند عثمانَ السلامُ عليكم　　فلقد دوت بكمُ الجهاتُ الاربع

وقال الشاعر المجيد شبلي بك ملّاط يطنب في مديحهم ويخصُّ منهم زعماءهم وانصار تركيا الفتاة من ابيات :

ومشت جنودُ الترك فاهتزّت لها　　م الدنيا وضجّ المسلمون وكبّروا
وتعاهدوا ان ينقذوا الوطن الذي　　بالجور منهُ الموتُ اشمتُ انبرُ
فتقدّموا والله ناصرهم وقد　　فازوا وكان العارُ ان يتأخّروا
فلتحيَ تركيّا الفتاةُ ورددوا　　عاشَ انورُ تركيّا وعاش العسكرُ

حملتْ الى الترك الحياةَ وأقسم لولا العتاةُ وقومُهـا لم ينشروا
خرجوا من الاكفان وانتفضوا كما يتنفّسُ العبـدُ الذي يتحرّر

وقال جناب الشاعر المُفلق عبد الله افندي البستاني في الموضوع:

يا رعى اللهُ مجـد كلِّ همامٍ شاد بالسيف المجد للعسكريّهْ
هل يوازي الآسادَ غيرُ ياري مَن حمى حوزة العُلى بالحميّهْ
لا يباريـهِ في الصرامة الّا صادقُ البأس أنورُ الالميّهْ
بنيـا للاحرار في كلّ قطرٍ شرفًا لا يزولُ بالمترفيّـهْ
جاريا البرقَ في الوميض ومرًّا مثلَ سهمَيْن انفذا في الرميّهْ
لم يُقيما على المضاضـةِ لكن ربطا الجأشَ بالقلوب الجريّهْ
واستمانا مستبسلَيْن وشـدًّا كالدواهي بالنخوة الجاهليّهْ
فاستحر الجنودُ طرًّا وقالوا حرّ تمّوزَ هائجُ الحُريّهْ...
ايُّ مجدٍ يُعلي بنيهِ كمجدٍ كاد يمضي بانيهِ عنّا ضحيّهْ
ايّهـا المانعو الحفيظة ملتمْ بطُى المُرهفاتِ شكرَ البريّهْ
لا تزالون بالصوارم سورا يدفع الهول عن بني سوريّهْ

وأكثر الشعراء في قصائدهم يعودون بالنظر الى الاحوال السابقة ويعدّدون ما ألمّ بالاوطان من النكبات وما دهم اهلها من الشدائد لاستبداد العُمّال وترفّع ذوي الامر فيعارضون بتلك الاحوال السقيمة ما اصاوهُ اليوم بتغيّر الامور عاقدين الرجاء بانتظام الاحكام. فممّن احسن في هذا الباب جناب الدكتور نقولا فيّاض حيث قال:

يا بني عثمان انتم امّـةٌ اصبحت موضوع اعجابِ الامَمْ
سيعيدُ العدل تاريخًا كم طُبع المجدُ بهِ منـذ القِدَمْ
في حمى جيشٍ عزيزٍ باسلٍ واسع الهمّة كشّافِ الغمَمْ
درب الظُلْمَ سيفٍ قاطعٍ شق منهُ الوزْ اكبادَ الظُلَمْ

...

يصيح ما ...ك فكانت صيحة أيقظت من ضجعةِ الموتِ الهمَمْ
و...ى ا... ...ب هزّةٌ شبّت يلذّ من ذاك الصمَمْ
فهي ا... ...ب ... لو تمنّاهُ في الاحلام لم...
ور... ... الماضي رقد كتب الموتُ عليها لا رحم

وقال الشاعر المجيد نقولا افندي رزق الله.

يا ايها الناس حيّوا ذلك العلَما وسبّحوا مانح المرتّبة الأسما
وقبّلوا البندقيّاتِ التي فضلت اقلامنا بعد ما كانت لنا خدما
وظاهروا عصبة الاحرار انّهمُ اتوا بما اعجز الابطال والعلما
هيّا افتحوا يا بني عثمان اعينكم تدفّق النورُ حتّى بدّد الظلما
تزيّنوا بجديد من ثيابكمُ او فاخلعوا ذلك الثوب الذي قدما . .
وادعوا لمن بعث الدستور من جدثٍ بكت عليهِ عيون العالمين دما
فقد حرمناهُ ظلماً وانقضى زمنٌ عليهِ حتّى حسبناهُ غدا عدما
واليوم جرّد سيفَ الحقّ صاحبُهُ وهاجم الظلمَ حتّى فرَّ منهزما
تعانق الشيخُ والقسيسُ واصطحبا من بعد ما افترقا ضدّين واختصما
تعانقا في حمى الدستور واتّحدا ورفرفت راية التوحيد فوقهما . . .

ومثلهما اجاد الاديب طانيوس افندي عبده في مخمّسهِ حيث قال :

ذلك اليوم يوم نلنا الفخارا وشمخنا بأنفنا استكبارا
يوم بات الظلام فينا غبارا يوم كنّا نرى المسيح سكارى
لا بخمرٍ بل من حميّا الحميّهْ

قد رأينا الاتراك اهل الحماسهْ أدهشوا الارض بالدها والسياسهْ
واستطالوا الى مقام الرئاسهْ فقضوا مأربًا اطالوا التماسهْ
دون ان يسفكوا دماء زكيّهْ

ورأينا بيروت ترقصُ تيها وبنوها يعانقون بنيها
بعد ان كانت التحيّاتِ فيها بالمُدَى اصبحت كأنّ ذويها
اخوةٌ بالسلام والمدنيّهْ

ورأينا القلوب قبل الايادى نزعت للسلام والاتّحادِ
فغدا الآن كلّ حرّ ينادي يا لقومي نفسي فداء بلادى
فلتكن واحدًا جموع الرعيّهْ

يا بني قومنا اذا ما ظفرْتم فبذاك الجيش المظفر فزْتمْ
وبفضل الاحرار ها قد سلمتمْ فاذكروا الفضل واعجموا ما حييتم
بجلال الحميّة التركيّهْ

ومن الشعراء من ذكر اعمال الاستبداد التي تركت في النفوس اسوأ عاقبة ورث بعضهم الاحرارَ الذين ذهبوا ضحيّة مروءتهم وظلم الحكّام ففدوا بدمائهم روح اخلافهم . قال صاحب العزّة سعيد بك شقير :

احرارُ تركيّةٍ اصبتمْ وطنًا نكم سيباع بدوا دونه بسحب

فكم صبرتم على ضيمٍ ألمّ بكم وما ثنى عزمكم ضيمٌ ولا وصبُ
وكم سعيتم وكان الموتُ يحصدكم فما ربحتم وما خارت لكم رُكَبُ
ما مات من بطلٍ الّا انبرى بطلٌ للعيش محتقرٌ في الموت مرتقبُ
في الدردنيل وفي البوسفور أعظُمكم منها بقايا عليها المجدُ مكتتبُ
علّمتم الشرق والاقطار قاطبةً انّ العظيم لديهِ تصغرُ النُّوَبُ
ولا تنالُ المُنى والمرءُ مُقتعدٌ في بيتهِ جزعاً انّ المُنى تعبُ
ماتوا فعشنا واحيوا بعدهم وطناً فكلُّ ما نحنُ فيهِ بعضُ ما وهبوا
ولم تُمتْ روحهم مل دبّ ثائرُها في من أتى بعدهم كالنار تلتهبُ

وكذا استدرّ العبرات على ضريح الموتى في سبيل الدستور جناب اسعد افندي ملحم :

اذكروهم في كلّ صقعٍ ونادِ انّهم حرّروا رقابَ العبادِ
بعد ما جاهدوا وايّ جهادِ اذكروا كلّ خادم للبلادِ
من ثرى عاثمٍ الى البستاني

رفرفي فوقهم ايا روح مِدْحَتْ انتِ مَنْ في هذا السبيل تضحّتْ
عن عناها لولا الرّدى ما تنحّتْ تلك احلامُها وها اليومَ صحّتْ
بعد عشرين حجّةً وثماني

يا شهيدًا لم يجنِ غيرَ الوفاءِ وطبيباً ارداهُ وصفُ الدواءِ
لمريضٍ ما رام نيلَ الشفاء حولك الآن عسكرُ الشهداءِ
ولارواحكم تليقُ التهاني

واذكروا ذلك الامير العظيما اي صباح الدين الشريفَ الحكيما
انهُ غادر الغنى والنعيما حيثما كان سيّدًا مخدوما
وتلاشى في خدمة الاوطان

ومنهم من عدّد مساوئ الجواسيس وقبّح اعمالهم الاثيمة . قال جناب عبد الله افندي البستاني :

بؤساً لايّامٍ علينا سوّدت دهمَ الليالي والنحوسُ حوارِ
ايّامَ انشاء امهانة غرّروا وبنو المهانة خيّسوا بصغارِ
فغدا لعيون على الضمائرِ عزّةً عدوَ الجوادِ بحلبةِ المضمارِ
واستأنسوا في ظلّ اذيال الدجى فاستوحشوا مطالع الاقمارِ
واستمرءوا منذ اتهم مأذاتهم رتنعموا بتصرّم الاعمارِ
يتحسّسون من المعائش طرفةً كانت لأنفاس النسيم تباري

ولكم تواروا ان يمسوا بالأذى كلُّ امرئٍ يشاهُ زلَّة وارِ
يتجرمون على البريء جناية مع انَّهُ مما جنوهُ صارِ
فكأنَّ من اخلاقهم صلد الصفا ونفوسهم فُطرت من الدينارِ

وغيرهم رشقوا بألسنة حداد جنايات المرتشين من العُمَّال . فمن ذلك قول الشاعر الفكه اسعد افندي رستم يصف دخولهُ بيروت بعد عودتهِ من اميركة :

ودخلتُ بيروت الجميلة تائقاً للأهل بعد تشوُّقٍ وتحسُّرِ
فأتى اليَّ مفتشاً مأمورها قال افتح الصندوقَ قلتُ لهُ اصبر
فضمزتهُ ووضعتُ في يدهِ مجيدياً فقال الشكرُ يا «حضرتلري»
لقبٌ حصلتُ عليهِ مجاناً وكم لقبٌ هنا أُعطي ببذلِ الاصفرِ
هذه البلاد فقيرةٌ فالذَّ ما فيها الهوا والماء والحسن الطري
ارضٌ على فقرائها ساد البلا لا يستريح بها سوى الرجل السري
ما دامت الحكَّامُ فيها ترتشي ينجو بها الخاطي ولا ينجو البرى
لا شغل للساعي المجدّ بها ولا ربحٌ هناك لبائعٍ او مشترِ
الجيش عريانٌ وحافٍ حوفهُ خالٍ ومن سنتين لم يقبض «كري»
وطنٌ تعرَّبَ اهلهُ وسيغتدي بعد القليل وليس فيهِ «دومري»
لا بدع ان سمَّوه مسقط رأسنا فرؤوسنا سقطت بهِ تتقهقرِ
لكنَّ هذي الحال زالت وانمحت وتغيَّرت حالًا واي تغيُّرِ

وتفكَّه آخرون بمراقبي الصحافة والمطبوعات . فقال شيخ الشعراء المصريين شوقي بك :

لنا رقيبٌ كان ما أثقلَهْ الحمدُ لله الذي رحلَهْ
لو ابتلى اللهُ بهِ عاشقاً مات بهِ لا بالهوَى والولَهْ
لو دام للصُّحف ودامت لهُ لم تنجُ منهُ الصُّحُف المُنزَلَهْ
اذا رأى الباطلَ غالى بهِ وان بدا الحقُّ لهُ أبطلَهْ
لو خال «باسم الله» في مصحفٍ تُعضب «تحسيناً» محا البسملَهْ
وعزَّة الله بلا «عزَّتٍ» لا تنفعُ القاري ولا خردلَهْ
جرائد الترك على عهدهِ كانت بلا شأنٍ ولا منزلَهْ
ان تذكر الخنجر لفظاً نُصِبْ من شدَّة الذعر بهِ مقتلَهْ
وان تصفْ قنبلةً لم يَنمْ من هول ذكرى حادثِ القنبلَهْ

ومثلهُ في حسنهِ قول جناب عبد الله افندي البستاني في حرّية اليراع .

سرّ الضمير بمادة الافكار   فأنالها ما حلَّ من اسرارِ
قد كنتُ ذا وله زمانٌ ظننتُها   وردتْ حياضٌ حماهـا بدياري
يا طالما شاء اليراعُ بكاءها   فارتاح حابس دمعهِ المدرارِ
ولشدّ ما استوقدتْ صدري بعدها   بأسى يذيبُ جوامدَ الاحجارِ
كم عذتُ بالباري فخالوا انّني   كلفٌ بمن هو لليراعة بارِ
لم اذكر الشعرى مخافة انّني   في الناسِ الفظُ احرف الاشعارِ
أيدينُ لي حرّ الكلام ومقولي   عبدُ الرقيب يشـدُّه بإسارِ
ان قلتُ وا « حرّبا » توهّم انّني   اسعرتُ نار « الحرب » بالبتّارِ
ومن الخطوب الدُّهم اني قائلٌ   ملتُ « المراد » ومنتهى الاوطار
او منشد يا واهب النعمى اهدني   سل « الرشاد » ولا يطلّك عثاري
او هاتفٌ نافست باذخة الذُّرى   بالمجد « يا وطني » رفيع منارِ
فلكم كتاب كان طُعم بصيرتي   قد اصدّرتْهُ الناس طُعم النارِ
فاذا ابتدرتُ الى اثارة خاطري   خطرت عليَّ ملمّتي ببدارِ
لكنَّ بعض أسىَّ وقاني من أذى   شرٍ قد انحالوا على الاحرارِ

وزاد على فكاهة الشعراء السابقين اصحـاب الشعر العامّي المعروفين بالقوّالة فنظموا في الاحوال الجديدة القرّاديات والمعنّى ومنظومات شتى نختار منها ما رأينـاهُ جديرًا بالذكر لحسن ذوقـهِ وجودة سبكهِ وتفنن قائليهِ . فمن ذلك مخمّس للقوّال الشهير خليل سمعان فرح الفغالي الشحروري (اطلب المشرق ٥ : ٩٥٨ و ١٠ : ٩٥٥) دعاهُ « صوت الحرّية » فقال في جملتهِ :

صوت العلي من قاع بوسفور العميقْ   لما وصل لله من أقوم طريق
المجد ظال حزب تركيا الفتاة   وانتصر عهد الجديد على العتيقْ

المجد ظلّل حزب تركيا الفتاةْ   والروح لبستها بعد ذاك الممات
والرب اولاها علا ونصر وحياةْ   من بعد ما كانت حريته بائسه
والمظالم راح تحتها خنيق

من بعد ما كانت حريته بائسه   ومعالمه بقيود ضمن المحبسه
صنعت علينا من باستير لابسه   توبًا طهر من طيبه نور ونار
وحاميه منشور دستور الوثيقْ

ثوبًا ... من صيب نور ونارْ   وحاماه منشور انهى من النهارْ
من فوق جبل مقدونيه لما انتشر   ملوتك احرارها قالوا السلام
على ... الحياة من كل ضيقْ

سلونيك اجرارها قالوا السلام على فتاة منها اتلد عصر السلام
والنور في سطنبول ساد على الظلام والرب على البوسفور حلّ من السما
يسمع ندا من كان في قاهر غريق . . .

حينئذٍ حق المكون من سماه والتفت في كل من يبغي رضاه
وصار الطبيعي يقرّ بوجود الاله والبري في عطف خالقه اشتمل
والظلّوم اصبح مسيرو للحريق

والبري في عطف خالقه انشملْ والظلم بالانصاف والحق انبدلْ
في قوة الرب العظيم الشعب نالْ

وجاراهُ في لطف قولهِ رصيفهُ القوّال الياس افندي القرّان فنظم القرّاديّة الآتية :

كنت بأكبر بليّه بسجن العبوديّه

نادى عسكر السلطانْ كل الرعايا اخوانْ بيته بشّرلي السجّانْ
باطلاق الحريّه

كلّهم سوى بالحقوقْ وصار الظالم عالخازوقْ والخاين اصبح مخنوقْ
واعوانه الجاسوسيّه

صاروا الجواسيس السودْ ساعة رجمه طعام قرودْ اسلام ونصارى ويهودْ
صاروا بالحق سويّه

صاروا اخوان واحبابْ من ختياريّه وشبابْ وما بقي احد جابْ
من جاسوس السريّه

يا ما يتّموا اطفالْ ويا ما كسّروا اقفالْ ويا ما خصوا اموالْ
وداسوا حقوق الرعيه

ناداهم كل الاولادْ حاك السمرمر يا جرادْ ليطلّع ملك البلادْ
نفعلك صارت محويّه

لمّا لعب دور الترْ نطقها نياري وانورْ الله ينصر العسكرْ
وتحيا كل الحديّه

تحيا تركيا الفتاة لولاها كنّا اموات وكانت كل المطبوعات
بالزوايا مخفيه . . .

يا عالم متنا وعشنا . ورب السما انعشنا ما عاد حدًا يدفشنا
عالملطه البوسفوريّه

ما عدنا نخشى الظلّامْ وصرنا نطلق للاقلامْ ما من مراقب يتحكّمْ
ويضيم الحرناجيّه

كان مزير «للاحوال» ومقطّع «للسان الحال» وكان مؤخر «للاقبال»
«والنشره الاسبوعيه»

ربّي بقلب «الثمرات» «والبشير» كل المسرات «بيروت» تبكي بالاناث
وتقول يا حسره عليّه

من ريحه انطفى «المصباح» وانتثت كل الارياح «والمنار» مانوره ناح
ناره صارت مطفيه

من جوره عا «المحبه» ربّى بقلبها غبّه زالت عن قلبها الكربه
وحمدت رب البريّه

ولاحد مهاجري اميركة قصيد في هذا المعنى وهو القوّال جرجس افندي عبد الله معلوف :

الاحرار عمّال يرجعوا عابلادنا كل منهم كان بالغربه اسيرْ
كانوا اسارى انما اقلامهم من هولها شابوا الطفالى بالسريرْ
لا تظن الشعب خامل بالتمام مثلما بفكرك وقايم للشخيرْ
في التمادي كل شيء بينوجد وما احد نال المعالي مالحميرْ
عندك بلبنان كل شهم بتفتخر فيهِ البلاد واليهِ بالاصبع تشيرْ
ظلم الحكومه غصب عنهُ بيجبره ان يكون ذليل وجبان وحقيرْ
حيث لو تلفظ بكلمه واحده بيسركلوه وبينشروا عنقه نشيرْ
كام مرّه فتّشوا ضمن البيوت عشرين مرّه يفتّشوا بيوم القصيرْ
عاشان ورقه او جريده عادله للكبير بيلقطوا ثم الصغيرْ
ويرفعوا قرارات عليها يصادقوا القاضي والقائمقام ثم المديرْ
ذاك الزمان الحمد لله قد مضى والظلم مات وعمره اصبح دثيرْ

ومما نظمهُ في جونية ارتجالاً القوّال ناصيف مخايل مراد العروموني قولهُ بعد مطلع القصيدة :

يا اسلام ومسيحيه اسمعوا لي ها القضيه اهل الارض بطول وعرض
يقولوا تحيا الحريه

(الردّة) يا اهالي كسروان صيحوا معي بفرد لسان فليحيَ آل عثمان
ركن الدوله العليه

اهل الارض بطول وعرض يقولوا تحيا الحريه فليحيا نياري وانور
والجيوش الشاهانيه

اهل الارض بكاملها من اولها لآخرها تركيا الله يسرها بجاه ربّ البريه
طل روح الاستبداد نادوها بكل البلاد زمان الماضي ما بينعاد الظلم نجومه مختفيه
مات الظلم وتلاشى الناس تغنت بعاشا الله يديم انور باشا ابو الهمه القويه

ما شا الله مدينة بيروت ونصارها ومسلمين شعبا مكيّف مبسوط وكل البشر فرحانين
فيها ما عاد حدا يموت لا قواس ولا سكين ولا يصير فيها طرح صوت السطا والاشرفيه

وما اكتفى شعراؤنا بتزييف ما مضى وكشف القناع عن سيئات الاشرار بل استرسلوا في وصف الهناء الحاضر والامان الشامل واطلقوا العنان للآمال الطيّبة في انحسام الداء واستقامة العوج فمدحوا العدل وعظّموا الاخاء وأثنوا على المساواة فكادوا يسقوننا كوثر السعادة فنثمل بسلافة الاجيال الذهبية. قال صاحب العزّة سعيد بك شقير يخاطب الجند العثماني:

اليوم نمرح احرارًا بفضلكمُ ... نغدو ونمسي ولا همٌّ ولا نصَبُ
قد أُطلق الحرُّ من سجنٍ أُهين بهِ ... وعاد للوطن المحبوب مُغترِبُ
فلا جواسيس نخشى من وشايتهم ... ولا جرائد تأتينا فنرتعبُ
وان مشينا فلا جاسوس يتبعنا ... وان جلسنا فلا جاسوس يرتقبُ
ننامُ في الليل لا الاحلام تقلقنا ... وننهضُ الصبح لا خوفٌ ولا رعبُ
كم بين حالٍ انتنا كلُّها طربٌ ... وبين حالٍ عدتْنا كلها رهبُ

وقال اسعد افندي رستم:

يا معشر القرَّاء سرُّوا وافرحوا ... بشرى تطيبُ بها قلوب المعشرِ
من ذا يصدّق انّنا في سنة ... كبرى هنا من بعد ويلٍ اكبرِ
فالعدل قد شمل الجميع بظلّهِ ... والناسُ بين مهلّلٍ ومكبّرِ
لمَّا رأى الاحرارُ انَّ الظلم لم ... يعمل في الورى فعل الهواء الاصفرِ
هذا تضيعُ حقوقهُ ويُسامُ ذا ... خسفًا وذا يقضي بطعنة خنجرِ
نجّوا الرعايا سؤلهم فتخلَّصوا ... من كل مأمورٍ يجورُ ويفتري
والخائنون تشتّتوا فتطهَّرت ... اوطاننا من شرّ ذاك العصرِ
ولقد تمدَّن اولياء امورنا ... حتى لنبدر ان يقولوا «...»
وخلاصة الاقوال يا قرَّاءنا ... حوتُ السياسة راق بعد تعكّرِ

ولقد اقيمُ اليوم مجلس امّــةٍ   يقضي ويمضي عن هدًى وتبصّرِ
وعلى التظلّم صار يجسر كلُّ من   قبلًا عليــهِ مخافةً لم يجسرِ

حتى ختمها بقولهِ :

تحيا المساواة التي لا فرق ما   بين ابنِ سرسقَ عندها والسكري

وهذه الشواعر يجاهر بها العثمانيُّون على اختلاف وَلاياتهم وتباين نزعاتهم نسمعها من الحدباء والزوراء كما يتغنّى بها اهل الشهباء والفيحاء . قال السيّد عبــد القادر العبادي البغدادي :

تولّى زمانٌ كنّا فيــهِ نُحقَّرُ   واقبــل عصرٌ صرنا فيهِ نوقَّرُ
ولاحت بافق المجد شمسُ عدالةٍ   بها قد غدا وجهُ البسيطةِ يزهرُ
ألا انّ عصرًا جاء بالعدل مشرقًا   هو العصرُ لا عصرٌ من الظلم اغبرُ
رعى الله عصرًا فيهِ لحرٍّ راحةٌ   يقولُ فلا يخشى الانامَ ويظهرُ
يبيتُ قريرَ العين غير مفكّرٍ   بما كان قبل اليومِ فيهِ مفكّرُ

وقال الشيخ معروف افندي الرصافي :

أكرمْ بعصرٍ حبانا بالمساواةِ   وخصّنــا بالتهــاني والمسرّاتِ
عصرٌ بهِ الحرُّ مأمونٌ ومحترمٌ   وكان يُرمى بانواعِ الضلالاتِ
عصرٌ بهِ العــدل وافانا بامرتهِ   والظلمُ ولّى باصحاب الدناءاتِ
عصرٌ بهِ قد تآخينا فليس ترى   بعــد الاخاء طريقًا للعداواتِ
عصرٌ بهِ قد امنّا كلّ غائلــة   من عصبة الشرّ ابناء السفاهاتِ
اللهُ اكبرُ هذا العزُّ فابتكروا   خير الدعاء الى ربّ السماواتِ

وقال في دمشق الاديب محمّد شاكر ياسين :

قلْ ولا تخشَ ملامًا او مللْ   انّ نجمَ الحيفِ والخوف أفلْ

الى ان قال :

فتهنأ أيهــا الشرقيّ وقلْ   بلغ الشرقيّ غايات الأمــلْ
نال الشرقيّ ما يأملــهُ   والى العلياء بالجدّ وصلْ
ايها الشرقيّ قد بلّغتَ ما   كنتَ ترجوهُ فهل ثمَّ خللْ
نل لمن شاء الذي بلّغتــهُ   انّ طيب الورد مؤذٍ بالجُعَلْ
فانبذ البغضاء والحقد ودعْ   كل ما فيهِ فســادٌ وزغلْ
كنتَ لا تملك امرا ثم قد   صرتَ ذا امرٍ فلا تخشَ الزللْ
صرتَ حرًّا تسنّ قانونًا بهِ   كلّ ما يأملهُ الشرقيُّ حصلْ

كلّ من في الشرق اخوانٌ فلا فرقَ بين الخَلْقِ من كلّ النِّحَلْ
واذا رمت افتخارًا فافتخر بالذي تأتيهِ من خير العمَلْ
قُلْ لمن كان ظلومًا غاشمًا اعتدلْ او فاعتزلْ فالعدلُ حَلّ

ولم يشاؤوا ان تنحصر تلك النعم في الرجال وحدهم بل دافعوا عن حقوق المرأة ايضًا وطلبوا تهذيبها وتحريرها. فقال حضرة الشاعر خليل افندي بطرس حاوه :

أطلقوا روحها أنيروا نُهاها قد كفاكم إذلالُها وكراها
هي ليست من دونكم هل يكُ م الله كما قيل منكم قد براها
ان تكونوا من الثرى قد نشأتم فلقد كان مثلكم مثواها
أجهلتم انَّ الاضالع بالإخلاص م تحمي قلوبكم في حماها
فافتحوا عقلها ألا حرِّروها نحن نحيى اذا غوت بعماها
هل نسيتم ايّام كنتم على الثد يِ وكانت تقرُّكم يمناها
هي مفتاح ذلّنا وعلانا فارفعوها وأكرموا مثواها
ليس احلى من قلب مرأةٍ فضلٍ تهتدي في طريقنا بهُداها

لكنّهم عرفوا انَّ هذا التغيير لا يأتي بنتيجة الّا اذا ثبت على اصول راهنة ودعائم وطيدة لاسيا الاتّحاد. قال جناب أيوب افندي ثابت يلعن الانقسام :

قاتل الله كلَّ من رامَ شرًّا باخيهِ وعاشَ بالوطنيّهْ
قسمتنا يدُ المفاسد دهرًا فانقسمنا فكان ذلك بليّهْ
يا لقومي ان تُقسَموا لا فلاحٌ انّما تفلحون بالعصبيّهْ
ان ضحكنا فلنضحكنَّ كفردٍ او بكينا قموا لنبكِ سويّه

وبيّن الاديب بشير الفورتي في التقدّم التونسي فضل الاتّحاد بقوله :

ليس يُرجى لامّةٍ من فلاحٍ غير ان هبَّ كلّهم فردَ هبّهْ
شعراء الزمان كم نبّهتنا بمناها وكم خطيب بخطبهْ
انّ كسر العصاة سهلٌ ولكن كسرةُ العشر بانضمامٍ صعبهْ
نحن ان ظلَّ جمعُنا في شتات ليس يُرجى لحالنا من قُبّهْ
من رمى بالدواء وهو عليلٌ كيف تقوى على شفاهُ الأطبّه

وكذا يحرّض جناب الشاعر نعوم بك شقير على التعاضد :

بني امّي اسودَ البرّ هيّا نموتُ اليومَ او نحيا سويّهْ
حذارِ فتنةً تسعى الينا تحرّكها مطامعُ اشعبيّهْ
حرامٌ أن تُراقَ لنا دماء مزكيّةٌ وارواحٌ بريّه
ليعضدَ بعضُنا بعضًا ونبني امانينا على أُسسٍ قويّهْ

ففي ضمّ القلوب الخير بادٍ وفي تفريقها شرُّ البليّه
وُقيتم كلَّ نازلةٍ وكربٍ وأعلى شأنكم ربّ البريّه

هذه بعض الشذور الذهبيّة والاقوال الدريّة (١ نظمناها على شبه عقد يزدان بهِ جيد الآداب العصريّة ولعمري انّها لجديرة بالاسم الذي حلّيناها بهِ فدعوناها « بالحماسة الدستوريّة » اذ كلها ترمي الى غرض واحد اي الدستور الذي حظي بهِ العثمانيّون فحسبوهُ كنهاية عالم عتيق كبا زندهُ وتضعضع ركنهُ وكمفتتح عهد جديد اشرقت بهجتهُ وتلألأت غرّتهُ فكأني بهم يردّدون جميعاً بلسان واحد قول نعوم بك شقير:

لتهجُر بيضُنا الأغمادَ حتى نُقِرَّ العدل والدستور فينا
من الدستور لا نرضى بديلًا ولو طُحنت اضالعُنا طحينا

فكلُّ هذه الاقوال وغيرها ايضاً مما يطول ذكرهُ تُعرب عن رغبة الأمّة في خلع نير العبوديّة وعن ارتياحها الى الامن والسلام والوفاق والانضمام. وهي عواطف شرعيّة لا ينبذها الّا الذين يودّون الضغط على النفوس ويريدون ترويج نيّاتهم السيئة وغاياتهم الشخصيّة

ولو كان الذين قرضوا القريض ونظموا القصائد اكتفوا بان يترجموا عن هذه العواطف الشريفة لأثنى عليهم كلّ عاقل وشكر احساساتهم اللطيفة واطنب على رغبتهم في الخير العامّ ونقلَ اقوالهم العسجديّة في كل ناد ورواها على رؤوس الاشهاد وقد يسوءُنا انَّ بعض هؤلاء الناظمين تجاوزوا الحدود ومالوا الى التطرّف

فمن تلك المبالغات التي لا يرضى بها العقل ويستقبحها شرع الامم المتمدّنة والهمجيّة معاً نبذ بعضهم لمبدإ الرئاسة. لا بأس ان تكون الرئاسة مقيّدة لئلّا تستبدَّ ولكن اين هذا من مبدأ اهل الفوضى الذين لا يرضون برئيس ولا سلطان فيعرّضون العمران البشري لكل الآفات وضروب النكبات. وعليهِ لا يسعنا المصادقة على ما قالهُ في اميركة جرجس افندي عبد الله معلوف في جوابهِ على الاديب اسعد افندي جرجس مارون وهو يدّعي انهُ من المتأخرين لمدافعتهِ عن الرئاسة:

دافعت يا ابن الذكا بدون اقتدار عن الرياسة مع انّها اصل الخرابْ
هما حكت وقت عندي تعذر حيلك من الجيل العتيق بتنحسبْ

(١ لا جرم انهُ فاتنا شيء كثير من القصائد الدستوريّة التي لم تبلغ الى يدنا او بلغتنا بعد كتابة هذا الفصل. ولعلّنا نعود اليها ونجمع منها نبذة ثانية اذا توفّرت لدينا المادّة

ثم يندّد مساوىء البعض حاملاً على المجموع ذنب الافراد فيقول سامحهُ الله:

جبينة السوداء ودفون الكبار خربوا الجبل حتى نعق فيه الغرابُ
رجال الحكومه كلهم كانوا غجر ما همّهم غير بطنهم مثل الديابُ

فيا لله أهكذا يُعرَف فضل مئين من الذوات من اساقفة وكهنة وشيوخ الذين سعوا في اجيال الظلم في الدفاع عن حقوق المظلومين ومساعدة البائسين. وهل نال اليوم الشعبُ كل رغائبهِ لتشدّق بعض اهل الثورة كما قال:

والجرائد اظهرت افكارها بتقدّمهم صار جرنال الصغيرُ !!
وانتقد في كلّ لهجه قاسيه ما بقا يهمّه مليك ولا وزيرْ

واساء بعض الشعراء ايضاً اذ نادوا بالمساواة ليس فقط في الحقوق والعدل ولكن بالرتب ايضاً وتباين الطبقات (راجع مقالتنا في المساواة في المشرق ١١ :٨٦٣) فلا يرضون لا بسيّد ولا امير ولا بعالم ولا غنيّ. وقد احسن جناب الاديب الحلبي ويكتور خياط اذ افحمهم بقولهِ:

عظمَ الخطبُ واعترانا البلاء ودهتنا المصيبةُ الدهماء
وبُلينا من الزمان بقومٍ هم بما يفعلونهُ اغبياء
زعموا انّ في المساوي التساوي فبغوا كيفما احبّوا وشاؤوا
واستباحوا المحرّمات ونادوا تلك حرّيةٌ وهذا اخاء
كلّنا اليومَ سيّدٌ واميرٌ كلّنا اليوم في العلى أكفاء
ليس فينا علّامةٌ يتباهى بعلومٍ بل كلّنا علماء

أيها الناسُ قد ضللتم سبيلاً وخبطتم كأنّكم عشواء
ما التساوي ان تستوي ادنياءٌ وسراةٌ او ظلمةٌ وضياء
ما التساوي ان يساوى الجهلُ والعقلُ م وتعلو المناصبَ السفهاء
واذا استنسر البغاثُ بقطرٍ فعلى تلكمُ البلادِ العَفاء
فدعوا الفصل للحكيم وقول م الحقّ للعاقلين يا جهلاء
ليس من ينكر المساواة حكماً انّما نحن في الحقوقِ سواء

ومنهم من اطرأوا حرّية المطابع الى حدٍّ فاحش فجعلوا الطعن بالاشخاص ديناً وشتم الكرام ديدناً. وعليهِ قد اصاب الاديب جرجي افندي نخله سعد في تنديدهِ بالصحافة السيئة بقولهِ:

كثرت عددا الجرائد حتى اوشكت ان تُناهز العشرينا
وكثيرٌ يسعى لنيل امتيازٍ فكأنّ الموجود لا يكفينا..

ازعجوا القارئين في كل يوم ٍ بمواضيعَ ملّها القارئونا
ثم قلتم حريّة القول ان م يتّخذوا الطعن والوقيعة دينا
ما اري في جرائد العصر الّا سفسطاتٍ تُخطّ حيناً فحينا
نعمٌ واحدٌ يعادُ علينا قد شبعنا من سمعهِ ورويْنا
ليت شعري كم يبحثون بامرٍ ليس يدرون غثّهُ والسمينا
أتُهم يعلم السياسة والفقه وعلم الجغرافيا والفنونا . . .
ليس يكفي ان ندرس الصرف م والنحو وندري التحريك والتسكينا
انَّ فنّ التحرير اصعبُ ممّا ظنَّ بعضٌ وقد اساء الظنونا

واسوأ من هؤلاء اولئك الذين توسّلوا بالدستور فاستباحوا في شعرهم ذمار الدين وانتهكوا حماهُ وبخسوا حقوق ممثّليهِ . فترى هذا ينسب الى الدين كلّ الشرور واسباب النفور والدينُ كما لا يخفى يأمر بالاخاء والتحابّ (راجع مقالتنا عن الاخاء في المشرق ١١ : ٩٣٢) . وذاك يزري بالخطباء ويتهمهم حتى انهُ آثار عليهِ خواطر الجموع . وغيره يدّعي انَّ الدين لا دخل لهُ في العمران وانهُ من المسائل العرضيّة :

خلّ قسّي وشيخكم في جدالٍ واحكِ لي في المسائل الجوهريّه

وان ذكر الذين حُكم عليهم بالظلم في وقت الاستبداد تعجّب انهم لم يُكرَموا كآلهة مثل السيّد المسيح (زه زه) :

مات عيسى فألّهتهُ الوفٌ وألوفٌ ماتوا وراحوا ضحيّه !!!

ويجعل آخر كلّ الاديان متساويةً كلها صحيحة والله موجدها على اختلافها :

أوَلا تدري انَّ ربّك يُعبَدْ بجميع الاديان اذ يتمجّدْ
ذاك يدعو عيسى وهذا محمّدْ انَّ لله في التباين مقصَدْ
فاتّقوا الله موجد الاديانِ

فعلى هذا القول يكون الله موجد دين الهنود والصين والاصنام الرجسة وكل الطواغيت ولهُ تعالى عمّا يقولهُ الكافرون مقصدٌ بتباين هذه الاديان . فليت شعري أيوجد كفر اعظم من هذا . فننشدكم الله ايها الشعراء صونوا قرائحكم من كل امتهان . ولا تبتذلوا موهبةً جاد بها عليكم المنّان . بل اشحذوها لمدح كل جميل . ونزّهوها عن كل قبيح ذليل . فكل ما يشين الاقلام . سوف يجد الانسان تبعتهُ في آخر الايام . كما قيل :

فارغب بنفسك ان تخطّ بنانها خيرًا تخلّفهُ بدارِ غرورِ
فجميع فعل المرء يلقاهُ غدًا عند التقاء كتابهِ المنشورِ

ملحق ثانٍ

لتاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر

منظومات الوقائع الدستورية

وصفنا سابقًا (١٥٣—١٦٨) ما كان لاعلان الدستور في قلوب العثمانيين من حسن الموقع وكيف اورى الامر زناد قرائحهم فنظم شعراؤهم في ابراز عواطفهم تلك القصائد المطربة التي انتقينا منها بعض فرائدها في مقالة دعوناها بالحماسة الدستوريّة لِما وجدنا بين شعر ناظميها والحماسات العربيّة من العلاقة والائتلاف

ومذ ذاك الحين قد جرت في انحاء الدولة عمومًا وفي عاصمة تركيا خصوصًا امور خطيرة ووقائع اثيرة اهتزّت لبعضها الالباب فرحًا وأَدْمت غيرها القلوب ترحًا فقامت الاقلام تتراوح بين وصف المسرّات وتعداد المفجعات وتمثل ما يسيل في عروق تاليها من دم الغيرة الناريّة وعزّة النفس والحريّة · فرأينا ان نجمع تلك اللآلي فننظمها في سلك واحد فانّ في جمع شتاتها وصَوْغ سبائكها اجود مثال لتعريف الآداب العصريّة ولبيان الترقية العقليّة في العشر الاوَّل من القرن العشرين

وقد توفَّر عدد تلك الآثار الادبيّة حتى انّها لو جُمعت لتألّف منها ديوان كبير ولعلّ بعض الادباء يهتمّ في نشرها يومًا · وقد اثبتنا منها هنا نخبةً فقط بياناً لفضل اصحابها · وقد اتّبعنا في تدوين تلك الشذرات تاريخ الوقائع كما جرت بعد اعلان الدستور الى تاريخ هذا اليوم

١ قصائد عربيّة في الدستور وجمعيّة الاتحاد والترقي

انّ كثيرًا من الشعراء وجدوا في مدح الدستور وجمعيّة الاتحاد والترقي مجالاً واسعاً اطلقوا فيه العنان لطرف قرائحهم فمما وقفنا عليه من اقوالهم بعد [illegible]

الشاعر الوطني عبد الله افندي البستاني قال فيها واصفاً لشقاء البلاد قبل الدستور:

لا آبَ عصرٌ لم تكن ساعاتهُ ... الّا ليحسبها الأبيُّ عصورا
قد كان يبكيهِ اليراعُ اذا بكى ... دمعاً تنظّم في الطروس سطورا
ونفى الكرى عنهُ مخافة ان يرى ... رؤيا يهبُّ لهولها مذعورا

الى أن قال:

فبغرَّة الدستور آبَ ذوو النهى ... من كلّ صقع يسمون ثغورا
وعت رقاب المصلات لكل ذي ... رأي به انقلب العسيرُ يسيرا
وتهتّكت حُجبُ الظلام وكم ابى ... متهتّك تحت الهلال النورا
ان يذوِ غصنُ الروض في زمنٍ خلا ... فبنعمة الدستور عاد نضيرا

وقال شاعر مصر الشهير احمد شوقي بك:

بشرى البريّة قاصيها ودانيها ... حاط الخلافة بالدستور حاميها
لمّا رآها بلا ركنٍ تداركها ... بعد الخليفة بالشورى وباديها

ثمّ وصف الشورى شاكرًا للسلطان عبد الحميد على رضاهُ بها:

الرأي رأي امير المؤمنين اذا ... حارت رجال وضلّت في مرائيها
وانما هي شورى الله جاء بها ... كتابهُ الحقُّ يعليها ويغليها
حقنت عند مناداة الجيوش بها ... دم البريّة ارضاءً لباريها
ولو منعتَ أُريقت للعباد دما ... وطاح من مُهجِ الاجراد غاليها
ومن يَسُس دولةً قد سُسْتها زمنًا ... تَهُن عليهِ من الدنيا عواديها
اثنى ثلاثون حولًا لم تذق سِنَةً ... ولا استخفَّك للذّات داعيها
مسهّد الجفن مكدور الفؤاد بما ... يضني القارب شجيّ النفس عانيها
تكاد من صحبة الدنيا وخبرتها ... تُسيءُ ظنَّك بالدنيا وما فيها

وقال في المساواة واتحاد العناصر:

الدين لله من شاء الالهُ هدى ... لكل نفس هوًى في الدين يعنيها
ما كان مختلف الاديان داعيةً ... الى اختلاف البرايا او تعاديها
محبة الله اصلٌ في مراشدها ... وخشية الله اسٌّ في مبانيها
وكلُّ خير يلقّى في اوامرها ... وكلّ شر يوقّى في نواهيها

وختم بقوله:

يا شعب عثمان من تُركٍ ومن عرب ... حيّاك من يبعث الموتى ويحييها
ثبّت لدولتكم [illegible] ... [illegible] الاوطان [illegible] باريها

وجاراهُ قيصر بك المعلوف معتمد الدولة العثمانيّة في سان باولو يمدح ابطال الدستور بقولهِ:

سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند   سلامٌ على سيف ابن بغداد في الغمدِ
سلامٌ على الابطال في ساحة الوغى   سلامٌ على من باتَ منهم في اللحدِ

ومنها:

لك اللهُ يا جيشَ ابن عثمان ناصرٌ   فانت خليقٌ بالتجلّةِ والحمد
نصرتَ على الظلمِ المساواةَ والاخا   ولم تكترث لا بالوعيد ولا الوعد
جعلتَ لنا الدستور اعدلَ حاكمٍ   وكنّا رهيني ظلمِ محتكمٍ فَرْدِ
اعدتَ حياةً للورى بعد اذ غدت   تعدُّ البقا من جملةِ الطالعِ النكدِ
فما كان من عيشٍ سوى الذلّ للفتى   وما كان غير الموت انجحَ من وردِ

وختمها بقولهِ:

سلامٌ عليكم من فتى يعشق الوفا   سلامٌ على الشورى سلامٌ على الجند

وقال شاعر آخر من مهاجري اميركا شبلي افندي ناصيف دموس قصيدة طويلة وسمها بدار السعادة هذا مطلعها:

دارَ السعادة عاد المجدُ فابتسمي   ورمّمك [illegible] السعدِ [illegible]
دارَ السعادة انت اليومَ آهلةٌ   بالظافرين من الاحرار فاحتكمي
بالامسِ وجهُك بالظلمات ملتثم   واليومَ بالنور اضحى غير ملتثمِ

الى ان قال:

نادى نيازي فحولَ الحرب حين بدا   داءُ [illegible] [illegible]
هبّوا فقد مادتِ الدنيا بأمّتكم   كمن أُصيبت بداء [illegible]

ثم وصف نهضة الجيش قائلًا:

علت من الجيش ضوضاء لها سكتت   من شدةِ [illegible] في [illegible]
تحالفَ الجيشُ لا يملكُ يشهرهم   [illegible] تسيلُ دما [illegible]
او ينشروا فوق اسطنبولَ ألوية   [illegible] سيوفهم
ماجت فيالقهم [illegible]
وحتّموا [illegible] يكون [illegible]
وعندما أعلن الجيش [illegible]
وغادر الظالمون الملكَ [illegible]
لله من [illegible] الجيش قد [illegible]
وابترقت فوق [illegible]

فوحّدوا امّة من قبلُ مزّقها الـتفريقُ في الدين والاجناسِ والقِسَمِ
تألّقت دولـة الاحرار ماحيـةً آثار دولة ظلمٍ كالحٍ قَتِمِ
فطهّرت كل إفسادٍ وقد نهضت كليثِ غابٍ على موذيهِ مقتحمِ
تبني بأمّتها العلياء مترلـةً تنالها بصحيحِ الرأي والهممِ
لا زلتِ يا دولةَ الاحرار ثابتـةً منيعةً لا تخافي غـدر مهتضِمِ
فابقي لهم دولة الاحرار ساكـنةً دار السعادة في عزٍّ وفي نعمِ

وعارضهُ نزيل نيويورك سليمان افندي داود فقال قصيدة في معناها نختار منهـا الابيات الآتية :

صاح بوق الاخاء والحريّهْ والمساواة من فروق العليّـهْ
صاح بوق الانصاف والعدل حتى زعزع الارض والذُّرى العلويّهْ
وانبرى طُرْبيدُ الحقيقةِ يدوي كهزيمِ الرعود في تركيّهْ
حسبَ الغربُ هبّة الشرق نوماً ورماها بأنهـا وهميّـةْ
كذب الغربُ انَّ في الشرق قوماً بشفار الصمصام شقّوا الدجيّهْ (؟)
صبروا حقبةً وماتوا كراماً وقلالٌ اولو النفوس الابيّهْ
رحم الله كلَّ من مات حرًّا في سبيل المصالح الوطنيّهْ
ايّها البوسفورُ طوبى لارضٍ فيك فاحت روائحًا عطريّهْ
كنتَ قبلًا خلوًا من الطيبِ والبو م لقد بتَّ روضةً عبقريهْ
أغرق الظالمون فيك أناساً دون أن يأتوا منكرًا او فريّهْ
بَيد أن الاحرار هبّوا اسودًا من مُنَسْتِرْ جمّة شرقيّهْ
فتعزَّ يا شرقُ من غابر الاز مانِ واركب متنَ العلاء مطيّهْ
وانظر الغرب فهو سارٍ حثيثاً ولقد اعلى في العُلَى كرسيّهْ
ها زمان القعود ولّى وقد حان زمان النهوض يا تركيّهْ

وهذه ارجوزةٌ حيّا بها الحريّة الدكتور توفيق افندي سلوم فقال :

الحمد لله على الحريّهْ فهي اجلُّ منحةٍ سنيّهْ
كم سفكت للاحرار دماءً ومزّقت انيابها احشاءً

ومن ابياتها العامرة قولهُ :

قد زال بل قد مات الاستبدادُ والظلمُ والجورُ والاستعبادُ
وجاءنا السرورُ والهنـاءُ والعدلُ والسواءُ والإخاءُ
وجاءت الحريّة المزدهره وطيّبت قلوبنا المنكسره
فرحباً بها واهـلاً مرحبْ يا ما أحلى ذكرها واطيبا
لكنَّ بعض الناس قد اساؤوا تفسيرها فخبطوا ما شاؤوا

ما الحرُّ من يرتكب الجرائما ويفعلُ المنكرَ والمآثما
ما الحرُّ من يقلّــل الحياء ســفلةً ويكثر الهراء
الحرُّ ذو الضمير والوجدانِ والطــاهرُ الفؤادِ واللسانِ
من لا يخاف في سبيل الحقّ لوماً ولا يقولُ غير الصدقِ
الحرُّ من يوقّر الكبيرا تأدّباً ويرحم الصغيرا
يعطي لكلٍّ حقّــهُ من اللا ولا يضرُّ احداً ولا ولا...
هذا هو المراد بالحريّهْ ليس تعدّينا على البريّه

٣ مجلس المبعوثان — الارتجاعيّون

لا تقوم الحكومة الدستوريّة الّا بشورى تتألّف من رجــالٍ ذوي خبرة وتروّ يمثّلون الأمّة وينوبون عن افرادها. اما انتخاب هؤلاء النوّاب فيجري بمقتضى قوانــين تختلف في كل بلد. ولا حاجة أن نثبت ما جرى في جهاتنا بعد ان روتهُ الصحف السيّارة بكل تفاصيلهِ. وقد نجز تعيين المندوبين في اوائل كانون الاوّل من العام الماضي. وفي ١٧ منهُ افتتح السلطان عبد الحميد ذلك المجلس باحتفال عظيمٍ اشتركت فيهِ كل الولايات وتكرّرت المظاهرات الشائقة التي جرت يوم اعلان الدستور. ومما قالهُ الشعراء في ذلك اليوم قصيدة انشدها عزتلو نعوم بك شقير يحيّي بها مجالس المبعوثان فقال:

رفاقي ردّدوا صوت المنادي الى الافراح في كل البلادِ
فهذا اليوم في الاوطان عيدٌ تسرُّ بهِ الحواضر والبوادي
وفيهِ يُشادُ للاصلاح ملكٌ على انقاض مملكة الفساد
وتأهل دارُ ندوتنا بأسد لهم في كل مأثرة ايادي
فسرّوا وارفعوا الرايات بيضاً فقد ادركتمُ اقصى المرادِ
وحيّوا اليوم جامعة الترقّي وأعلوا شأنها في كل نادِ
فما يُرجى لمملكةٍ رقيٌّ ولا نصرٌ بغير الاتحادِ

وختم ابياتها الحماسيّة بقولهِ:

فهبّوا يا بني عثمان طرّاً نجاهد نعلي خيرَ الجهادِ
وتنهض كلّنا ديناً وجنساً بمجدٍ يكفّ يد الاعادي
ونبني المجد صرحاً فوق صرحٍ ونحيي عزّ منيض الجدودِ
وننصر راية الوطن المفدّى رجاء النصر من ربّ العبادِ

ورحّب جناب الشاعر النبيغ وليّ الدين يكن المصري بنوّاب الدستور بقصيدة رائيّة مطلعها:

جلتِ النواظرُ للنواظرْ برحَ الخفاء عن الضمائرْ

ثم ذكر البؤس السابق:

بالامس كنا معشرًا يبكي لحالتنا المعاشرْ
تقتادنا الايدي الاثيـمة للسجون او المقابرْ
ويصول انصارُ المليـكِ على الاكابر والاصاغرْ

وانتقل الى وصف مجلس النوّاب بقولهِ:

لله قصرٌ شامخٌ مدُّ النواظرِ عنهُ قاصرْ
قصرٌ بهِ يعلو النسا وي رأسَ مأمورٍ وآمرْ
ضاعت مفاتيحٌ لـهُ واليومَ تفتحهُ السماهرْ
جمعت مداره فيهِ عن كلّ القبائل والعشائرْ
يتـاشورون بامرهم ولله في عون المشاورْ
الآن لمّا صار مـا خلناهُ دهرًا غيرَ صائرْ
وسعى الكريمُ الى الكريـم موَازرًا نِعم الموَازرْ
كادت بلاد الله تر قص حين اقبلتِ البشائرْ
لم يبقَ ظلمٌ يُتّقى دارت على الظلم الدوائرْ

وقد احسن في هذا المعنى جناب الشيخ علي النقي زغيب من شعراء بعلبك:

الفتحُ والنصرُ والاقبالُ والظفرُ والخيرُ والفوزُ والعمران والاثرُ
مطالبٌ بعلوّ العزم يبلغهـا اهلُ العزائمِ لا مَن بالشقا أتزروا

ومن ابياتها العامرة في وصف النوّاب:

لله درُّ رجالٍ للوغى نشروا لواء عزّ عليهِ يُعقد الظفرُ
باعوا نفوسًا ابتْ الّا العلى وأتوا امرًا عظيمًا لديهِ حارتِ الفكرُ
واسّسوا مجلسًا للخير منعقدًا اضحى جنان المنى يُجنى بها الثمرُ
شادوا بمسعاهمُ للمجد بيت علًى اوتادهُ العدلُ والشورى لهُ دُسُرُ
فيهِ رجالٌ جاب الدهر بأسهمُ مدرَّبون على الانصاف قد فُطروا
لا يستميلهمُ مالٌ ولا غرضٌ ولا يروّعهم خطبٌ لهُ خطرُ
فالامرُ شورى ورأي الكلّ متّبع والفوزُ منهُ بدا والنصرُ مشتهرُ
والملكُ كالجسم والاعضاء تجمعهُ فان تفرّق افنت شملَهُ الغيرُ

ومسك ختامها قولهُ:

يا شهر كانونَ كم ارويتَ من ظمإٍ وكم كويتَ قلوبًا ملئُهـا وغرُ
اصبحتَ عيدًا لورى اذ فيك قد سعدت ايّامنا فهي تدعى في الورى غُرَرُ

وارضُنا جنّةٌ والسّعد أرّخها يُجبّيها المجدُ مخصوصٌ ومنحصرُ

وللجناب الشيخ مصطفى افندي الغلاييني في ذلك اليوم قصيدة اودعها مثل تلك المعاني واستهلّها بهذا البيت:

حياةُ الفتى موتٌ اذا لم يكرَّمِ وموتُ امرئٍ في عزّهِ خيرُ مغنمِ

ومنها في تقريع الظَّلَمة:

اماتوا شعور الناس بالظلمِ جهرةً وباعوهمُ بيعَ الرغيفِ بدرهمِ
فلا حكم الّا العدل يا ظالمَ الورى فبالعدلِ والدستور لا غيرَ فاحكمِ

على انَّ الدستور أُصيب بضربة أُولى لمّا اخذ كامل باشا يتصرّف بالامور على هواه دون ان يرجع الى رأي مجلس النوّاب فأدّى ذلك الى سقوط وزارتهِ فقال شاعر بغداد معروف افندي الرصافيّ قصيدةً غرّاء يذكر فيها تلك الاحوال:

سقتنا المعالي من سلافتها صِرفا وغنّت لنا الدنيا تهنّئنا عزفا
وزفّت لنا الدستورَ احرارُ جيشنا فاهلًا بما زفّت وشكرًا لمن زفّا

الى ان قال:

تربّعَ في صدر الوزارة كاملٌ فخطَّ من النقصان في وجهها حرفا
لقد اغضب الدستورَ فعلًا ونيّةً ومَن اعلنوا الدستورَ والشعبَ والصُّحفا
قد استوضحوا للأمرِ والامرُ واضحٌ فأعياهُ ايضاحُ الحقيقة فاستعفى
ولم يطلب الإمهالَ الّا لانّهُ رأى عذرهُ ان لم يطُلْ سبكهُ زَيفا
كذلك مَن صاغ الكلام ملفّقًا تمهّل حينًا يُكثر الحكَّ والحذفا
ومن قال حقًّا قالهُ عن بديهةٍ ويحتاجُ للتفكير مَن موّه الخلفا
فيا ايها الصدرُ الجديد اتّعظ بهِ فايّاك ان تطغى وان تنتسي الضعفا
ويا مجلس النوّابِ سِرْ غير عاثرٍ الى المجد لا تلقى كلالًا ولا ضعفا

ثم اخذت الامور بعد ذلك تختلّ بحيث استشفَّ الشعراء من ورائها شرًّا وخشوا ان يقوم الاستبداديّون لمقاومة الدستور فكتب في جريدة الشام صاحب العزّة سعد بيكباشي اركان الحرب:

ارى خلَل الرماد وميضَ نارٍ ويوشك ان يكون لها ضرامُ
اذا لم يطفها عقلاء قومٍ وانّ وقودها جُثثٌ وهامُ
ارى الويلاتِ تقحمنا شديدًا وتبتعدُ السكينَةُ والسلامُ
واركان السياسة في اضطرابٍ ولا رأسٌ يتمُّ به الوئامُ

أرى الانحاء في هرج ومرج وحبلَ الأمن هدَّده انفصامُ
وحالُ الناس تنذرنا اموراً يكونُ وراءها الداء العقامُ
فان لم يعضدِ الوزراء حزمٌ فلا عجبٌ اذا قعدوا وقاموا
ممالكنا تُطلُّ على شفيرٍ اذا لم يُنجها الصيدُ الكرامُ
وصحتُ من التعجُّب ليت شعري أأيقاظٌ بنوها ام نيامُ

وكثر وقتئذٍ القال والقيل وكانت جرائد الاستانة تنشر المقالات المتضاربة يدقّ كل منها على طنبورهِ فقال الشاعر العراقيّ المفلق من قصيدة:

جرائد في دار الخلافة اضرمت لهيب خلافٍ بيننا غير خامد
فهذا الى هذي وذاك لغيرها من الصُّحف يدعو آتياً بالشواهد
وما هي الَّا ضجَّةٌ كلُّ صائتٍ بها مدَّ للدنيا حبالةَ صائدِ
اضاعوا علينا الحقَّ فيها تعمُّداً وعقبى ضياع الحقّ سودُ الشدائدِ
ولم أرَ شيئاً كالجرائد عندهم مبادئهُ منقوضةٌ بالمقاصدِ
يقولون نحن المصلحون ولم أجدْ لهم في مجال القولِ غيرَ المفاسدِ
فايَّاك ان تغترَّ فيهم فكلُّهم يجرُّ الى قرصَيهِ نارَ المواقدِ
على رسلكم يا قومُ كم تسمعوننا مقالةَ محقودٍ عليهِ وحاقدِ
ألا فارحموا بالصفح عن نهج صُحفكم فقد اوردتنا اليومَ شرَّ الموارد
وما الصحفُ الّا ان تدور بنهجها مع الحقّ أنّى دار بين المعاهدِ
وأن تنشر الاقوال لا عن طاعةٍ فتأتي بها مشحونةً بالفوائدِ
وان لا تُعاني غير نشر حقائقٍ وتنوير أفكارٍ وانهاض قاعدِ
اتبغون في تلفيقها نفع واحدٍ وتغضون عن اضرارها الف واحدِ
لعمرك ان الصُّحْف مرآة اهلها بها تتجلّى روحهم للمشاهدِ
كما هي ميزانٌ لوزنِ رقيّهم وديوان اخلاقٍ لهم وعوائدِ

٣ الهرسك والبشناق (البوسنه) — استقلال بلغارية

من اوَّل المشاكل التي قامت في وجه تركيّا بعد اعلان الدستور مسألة الهرسك والبشناق فانَّ النمسا رأت الفرصة مناسبة للمجاهرة بضمّهما الى بلادها خلافاً لمعاهدة برلين فاستاء العثمانيّون من ذلك وجعلوا يقاطعون البضائع النمسويَّة واظهر الشعراء تحمُّساً عظيماً فمن جملة ما كتبوا ابيات للشاعر المجيد شبلي افندي ملاط:

ألا من يبلغ النمسا كلاماً نسجناهُ ونورثهُ البنينا
بأنَّ عهودها كانت سراباً وكان ودادها «بلفا» مبينا

وكان سكوتها قبلاً رثاء وآخر ما جنت طمعاً مشينا
وانّا لا نريد بها امتزاجاً ويبقى حقدنا داء دفينا
فلا تجد السنون الى التصافي سبيلاً ما تعاقبت السنونا
او النمسا تكفّر عن ذنوب جنتها فاغتدت عاراً وهونا
ذنوبٌ ضجَّ منها العدل شرقاً ورنَّ الغربُ اجمعهُ رنينا
اتحسبُ جارةُ الدانوب انّا نُذلّ لمثلها يوماً جبينا

بيد انّ هذه الأُربة حُلّت بعد حين بتساهل تركيا وتعويض ماليّ قدّمته النمسا ·
فقال محرّر الوفاء يوسف افندي مراد الخوري:

قد جاء في صُحف برلين العظيمة ما يؤكّد الأمل الصافي بلا كدرِ
ويمل الكلّ يرجون النهاية من امرٍ غدا شاغلاً للعقل والفكرِ
حكومةُ المجرِ والنمسا التي لعبت دوراً مهمّاً وكانت نجعة النظرِ
قد استعدّت الى حسم الخلاف بما فيهِ السلامُ ودفعُ الخوف والضررِ
تُريد تعويض تركيّا التي طلبت مالاً كثيراً ولم تعمد الى الضجرِ
عشرون مليون دولارٍ هو القدَر المطلوب منها وهذا صادقُ الخبرِ
لانها امتلكت صقعَين خارقةً عهداً ببرلين لا ينفكّ ذا صورِ
ولم تكن قبلُ ترضى الدفع جانحةً الى التريّث جنبَ الصارمِ الذكرِ
لكن رأت انّ تركيّا تناقشها مرّ الحسابِ بصدرٍ (١ قُدَّ من حجرِ
فاذعنت للمطاليب التي ذكرت وكان فوز عظيمٌ باهر الأثرِ

وكذلك بلغارية استفزّتها نشوة الحرّية فأعلنت باستقلالها · امّا الدولة العثمانية فتصدّت لمطامعها ونادت بحقوقها ولم تزل تطالبها بها حتى راضتها بلغارية بمبلغ وافرة فانقشعت تلك السحابة بعد ان تفاقم الامر وكاد يبلغ السيل الزُبى · وكان اشار الى الامر الشاعر السابق بقولهِ:

كذاك بلغاريا لا شكّ دافعةً مالاً بهِ حسمُ ذاك المشكلِ العسرِ
وحلُّ بعضِ قضايا اصبحت ضرماً في الشرقِ للحرب والاهوالِ والغِيرِ
لذاك عمّا قريب سوف تنظرُ في مرابعِ الشرق سلماً غير منتظر
وتُغمَد البيضُ في تلك الجفونِ بلا سفكِ الدماء واعلانٍ لحرب تابشر

ثم قال بعد ذلك ينوّه باتفاق الدولتين:

انّ بلغاريا استقلّت وصارت تبتغي بذل الاصفرِ الرنّانِ

(١) اي الصدر الاعظم كامل باشا

رضيت تركيًّا جدًّا وامست لا ترى في الرضاء معنى الهوانِ
وانقضى ذلك الخصامُ بسلمٍ رضيَتْهُ السيوفُ في الاجفانِ
يا إله السلام وطدْ على الار ضِ سلامًا معزّزَ الاركانِ

٤ حوادث نيسان — الثورة في الاستانة والولايات — ظفر الاحرار

دخل نيسان والناس في انتظار لا يدرون ما ستؤول اليه امور الاستانة وقد كثرت فيها الاحزاب وتألّفت الجمعيات الارتجاعيّة القائمة في وجه الدستور كالجمعيّة المحمّديّة والاتحاد المحمدي . وكان للسلطان عبد الحميد في هذه الاحزاب يدٌ محجوبة وراء قصر يلدز فبُثَّت العيون ونُشرت الاوراق الثوريّة متستّرةً في طيّ الشرع والدين وانضوى قسم من الجنود الثائرين الى الحزب الاستبداديّ فاحيوا معالم الفتنة في دار السلام واصبحت العاصمة كدار حرب كادت تدور فيها الدوائر على الدستور وذويه وقُتل كثير من الضباط وذهب وطنيُّنا واحد طلبة كليتنا سابقًا الامير محمد ارسلان مبعوث اللاذقيّة ضحيّة شهامتهِ فافتدى كلُّ هؤلاء الدستورَ بدمهم وقد رثى شعراؤنا جناب الامير بقصائد رنّانة منها قول الاستاذ الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني من ابيات :

هل للعلاء سوى انتياب السودِ ام للوفا الّا بكا المنجودِ
اطفتْ يد الشغب الاثيمة شعلةً كانت ضياءً في الخطوب السودِ
حرموا البلادَ محمّدَ ابن المصطفى غوث اللهيفِ ومنقذ المجهودِ
فلذاك تركيا الفتاة حزينةٌ كالامّ قد مُنيت بقتل وحيدِ
لُعن الفسادُ وكلُّ من يسعى بهِ حمل الالهُ رجالهُ كثمودِ
صبرًا بني رسلانَ ليس فقيدكم يمضي كزرعٍ اخضرٍ محصودِ
فعلى الدمِ المسفوح تنبتُ عزّةٌ تُلقي الضلال على ضريحٍ عميدِ
ويصيب دستورَ العدالة عِلّةٌ فيموت ناشئهُ ممات حسودِ
هذا عزاءٌ عن الامير محمد ليس العزا بالمشهد المشهودِ

وقال نسيم افندي العازار يصف شهامة الامير في موتهِ :

قدم الشهمُ والضواري قيامٌ في ايادِيهم الهلاكُ مصوّبُ
لم تَرُعه تلك الذئابُ وأنّى يرهبُ الليثُ مَن يُجرّد احدبْ
فانبرى يخرق الجموعَ ارُوءًا ثابت الجأش والجبينُ مقطّبْ
فأتى المجلسَ العليَّ ولكن نُشب الحرُّ في الهوى سوءُ منشبْ

فرماهُ وا لهفتاهُ عليهِ بسنان السفاح مَنْ لم يخَف رَبْ
فهوى هادئاً وخرَّ صريعاً ذلك الشاب في دماهُ مخضَّبْ
. انمَّا قال قبل ان فارقتهُ روحهُ والمقالُ في الصدر يُكتَبْ
هاانذا قد قضيتُ فرضي فاقضوا يا رفاقي فرضاً اعزَّ واصعبْ
نَمْ هنيئاً يا من قضيتَ كريماً وعلى فقـدك الورى يتلهَّبْ
انَّ تلك الدماء تُثأرُ يوماً وعلى الظـالمين قد تتغلَّبْ

على ان الأحرار لم يرضوا بالرجوع القهقرى فما كان من زعمائهم كـنور ونيازي وشوكت الَّا ان ضمُّوا القوى وشمَّروا عن ساعد الجدّ فزحفوا الى الاستانة لنصرة انصار الدستور وتأييد الحرّيَّة فانشد في ذلك محرّر الميزان اسطفان افندي غابوني قصيدتهُ التي مطلعها :

ظروف الزمانِ ألا أقصري وعهدًا برَمْناهُ لا تخفري
أرى العسكر الحرَّ في زحفةٍ فسيري دواماً مع العسكرِ
ولا تتركي مُظلم العقل يلقى م انتصارًا على البطلِ الانورِ
ألا لا انالَ الالهُ مراماً لأعـداء دستورنا المزهرِ
ألا ليكن نصر ربك للجيش م عسكر احرارنا المظفرِ
ألا حقَّق الله هذا الرجاء بتأييد عصر العلي النيّرِ

وقال جناب معروف افندي الرصافي ابياتاً غررًا عارض فيها المعلَّقة الكلثوميَّة :

لقد سمعوا من الوطن الانينا فضجُّوا بالبُكاءِ لهُ حنينا
ونادام لنصرتهِ فقاموا جميعاً للـدفاع مستعدينا
وثاروا من مضاربهم اسودًا بصوت الاتحاد مزمجرينا
شبابٌ كالصوارمِ في مضاء يُرَوْنَ وكالشموسِ منورينا
لقد جمعوا الجموع فمن نصارى ومن هودٍ هناك ومسلمينا
هي الاوطان تجمل في بنيها اخاء في محبّتها رصينا
وتتركهم أُولي أُنف كبار يرون حياة ذي ذلّ جنونا
وانَّ الموت خيرٌ من حياةٍ يظلّ المرءُ فيها مستكينا
مشوا والوالدات مشيّعاتٌ خرجنَ وراءهم ويوادعونا
يقلنَ وهنَّ من فرحٍ بولدٍ وهم من حرصهم متبسّمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدُّوا وراموا كيدنا وتحوّنونا
فان لم تنقذوا الاوطان منهم فلستم بـ بنين لنا بنينا..

وكم قد قلنا من قولٍ شجيٍّ لهم فترَكْتُهم متهيّجينا
ومذ حان الوداعُ دنونَ منهم فقبّلن الصوارمَ والجفونا
وما أنسى التي برزت وقالت وقد افنوا لرؤيتها العيونا
ألا يا راحلين لحربِ قومٍ لئام ضيّعوا الوطنَ الثمينا
خذوني للوغى معكم خذوني ممرِّضةً لجرحاكم حَنونا
وان لم تفعلوا فخذوا ردائي بهِ شدُّوا الجروحَ اذا دمينا

ومنها في وصف الظفر:

اتينا دار قسطنطين صبحاً وقد فُتحت لهم فتحاً مبينا
وظلَّ الجيشُ جيش الله يشفي بحدّ سيوفهِ الداء الدفينا
فاهرق انفس الطاغين حق سقاهم من عدالتهِ المتونا
وردَّ الخائنين الى جزاء احلّهم المقابر والسجونا
وحطُّوا قصر يلدزَ عن سماه لهُ فانحطَّ اسفل سافلينا

وكان امل الاستبداديين ان تنتشر الثورة انتشار الوباء وتشبّ شبوب النار في انحاء المملكة وكانوا لهذه الغاية ارسلوا سرًّا الى كل ولاية يأمرون اهلها باثارة الفتن لكنَّ تلك الاوامر لم تلاق اذنًا صاغية الّا في ولاية آطنه وما جاورها الى نواحي انطاكية حيث قُتل الوف من الارمن وتجدَّد من الفظائع في التنكيل بهم ما احيا ذكر مذابح سنة ١٨٩٥ في الاستانة ودياربكر ومعمورة العزيز وسوَّد بصفحة جديدة تاريخ تركيَّة . وقد وجد الشعراء الاحرار في تلك النكبة الهائلة مجالًا واسعًا لبثّ لوعات قلوبهم وابداء شواعرهم . فقال نعوم افندي مكرزل منشئ الهدى يمثّل ارمينيا منطرحةً كالثكلى على قاعدة الصليب:

سجدتْ تناجي ربّها بدموعها والنارُ بين فؤادها وضلوعها
غيداء من عود الصليب توقّعت أن يرأب المصلوبُ بعض صدوعها
أنّت كما انَّ الصريعُ مضرَّجًا بدمائهِ من بعد لثم رضيعها
روحان من قبل افتراق تعانقا للموت في قتلٍ وفي توديعها
نشرت ذوائبها حدادًا بعدهُ ورثتْه كالورقاء في ترجيعها
هذا اسوادُ على المصيبةِ شاهدٌ من ثوبها من عينها من رُوعها
فعل الخضيب بشفرة التركي اذ قطرت دمًا مسلولةً بربوعها
فمن لصليبٍ دمٌ يسيل ممازجًا تلك الدماء نجيعها بنجيعها

ارمينيا أبكي بالدموعِ سخينةً فالفوزُ عند سخينها وهموعها

والشمس تسمحُ للظلام بوقفةٍ ... سوداء بين غروبها وطلوعها
لا تيأسي فالله يكشف ظلمةً ... تتألّق الانوارُ بعد وقوعها

وهو القائل :

اذا كنت يوم الحرب بالسيف فاتحا ... فلا تكُ يوم السلم بالسيف ذابحا
ولا تكُ والدستورُ اضحى فخارنا ... على ذلك الطغيان للدم سافحا
فقد ملأت اشلاؤنا كلَّ حفرةٍ ... واطفالنا والامهات البطائحا
عُراةٌ على ذاك العراء تناثّرت ... عصائب ايتام تبعنَ النوائحا
كأنّ غلاة الترك قد صافحوا الأُلى ... يعادونهم حتى يسلّوا الصفائحا
فما استمرأوا الّا الدماء سوائلا ... ولا استنأوا الّا اللحومَ شرائحا
ومن لم يكن عن قدرةٍ متسامحاً ... فلا يرجونّ اللهَ للذنب صافحا

وممّن رثى لضحايا الارمن من شعراء المسلمين سعادتلو وليّ الدين بك يكن وله قصيدة غرّاء امتدحها الأُدباء اوّلها « ارحمي يا قلوب هذه الضحايا » ولم نحصل منها على نسخة لتنقل منها بعض غُررها . ومثلها حسناً قصيدة لصاحب العزّة نعوم بك شقير دعاها النجدة هذا مطلعها :

من لي بمعرفة الاثيم الجاني ... الجالبِ الويلات للاوطانِ
من ذا الذي اجرى الدماء جداولًا ... وأثارَ حرباً في بني عثمانِ
مَن افسد الاصلاح في ابّانهِ ... وتهدّد الآمالَ بالحرمانِ
أتُرى هو الجهلُ الملمُّ بأرضنا ... ام هل وراء الجهلِ سرٌّ ثانِ
ام هل وراءهما تعدُّد جنسنا ... وتضارُبُ النّزعات والاديانِ
ام هل هنالك للسياسةِ من يدٍ ... ام انَّ هذي سنّةُ العمرانِ
لله اشكو يا ضحايا آدنا ... لله اشكو قسوةَ الانسانِ
اشكو فظائع فتنةٍ في امّةٍ ... سفكتْ دم الاقرانِ بالاقرانِ
وقضت على اجى المدائن والقرى ... حرقاً عن فيها من السكّانِ

ثم عدّد ما جرى هناك من ضروب المآثم وختمها بأبيات جميلة مستنصراً فيها جود المحسنين واهل المروءة لسدّ حاجات الالوف من المنكوبين بعد [illegible] وحرق مساكنهم وختمها بقولهِ :

طوبى لجند المحسنين فانهم [illegible] من رحمانِ
لهم السعادة في الحياة وبعدها ... لهم الخلودُ بجنّة رضوانِ

ومن القصائد المشعرة بعواطف قائلها وغيرتهِ [illegible] قول حبيب افندي [illegible] :

ارمينيا ! . . . نزل القضا بفنائها فقضى على ارمينيا بفنائهـا
رضخت امام السيف خائرة القوى والسيفُ لم يحفظ عهود ولائهـا
هُرِقت دماءُ فتيهـا وفتاتهـا مُزِجت دموعُ شقاتها بدمائهـا
ضجّت ونادت تستغيثُ وتشتكي هل سامعٌ يرثي لحرّ ندائها؟ . . .
فالسيف يلعبُ في رقاب رجالها والنارُ تلعبُ في صروح علائهـا
والموت بينهما يروّعها وقد ضاقت مساحتُها على اشلائهـا
ارمينيـا لا ذنب جاءتهُ سوى دين ابن مريم ملتجى ابنائهـا
فبكت على عود الصليب واعولت تستنجدُ العالي بقطع رجائهـا

وقال الشاعر ميخائيل افندي رستم من تخميس :

يا هل ترى والعصرُ عصرُ تمدُّنِ كيف استحلَّ التركُ قتلَ الارمنِ
أَلِغَيرةٍ في الدين عند المؤمنِ أم كان اكراماً لـذاك المُفْتَنِ
نيرونَ او عبد الحميد الثاني
اسفاهُ قد حرقوا المدائنَ والقُرى ما ضرَّ لو كانت لهم نار القِرى
لحميلهـم كان الحمادُ تأثرا لا للمذابح حيثما ابتلَّ الثرى
بدم القتيل وادمع الجوعان
فـالى متى لا تُصلَح الاحوالُ ويزول من تلك الرُّبَى البلبالُ
حتّى التساوي والاخاء يُنالُ من بعد ما تتعاقبُ الاجيالُ
يوم القيام بحضرة الديّانِ

وكأنَّ صوت دماء اولئك القتلى تصاعد كصوت هابيل الى عرشهِ تعالى فضرب الله ذلك المجرم العظيم الذي كان سبب تلك المجازر واقام لهُ خير خلفٍ

٥ عبد الحميد الثاني – والسلطان رشاد محمَّد الخامس

كان اليوم السابع والعشرون من نيسان يوماً مشهوداً في الاستانة العليَّة فيهِ خُلع سلطان وبويع سلطان. خُلع بفتوى شيخ الاسلام ذلك الرجل المقدام الذي لم يزل بدهائه وشدة مراسه يصارع الدهر حتى اذ قيل انهُ فاز بالمرغوب وقع صريعاً بطعنةٍ قطرته فكادت تذهب بحياته وسلطته معاً ثم نُقل سجيناً الى سلانيك . فكان لهذا الامر الجلل دوي عظيم بلغ صداهُ اقاصي المعمور وقد استرسل الشعراء في وصف تلك الواقعة . فقال امير شعراء العراق معروف افندي الرصافي :

[illegible] الى درك الملوك الظالمينا

فأنزل عن سرير الملك خلعًا   وأُفرد لا نديمَ ولا قرينا
وسيق الى سلانيكَ احتباسًا   لهُ كي يستريح بها مصونا
ولكن كيف راحةُ مستبدٍّ   غدا بديار احرارٍ سجينا
يرام حول مسكنهِ سياجًا   ويعجزُ ان يُتيم لهم عيونا
وموتُ الموت خيرٌ من مقامٍ   لهُ بين الذين سقوهُ هونا

وقال شاعر مصر حافظ افندي ابراهيم الذي طالما مدح عبد الحميد وقت عزّتهِ يصف خلعهُ:

لا رعى الله عهدها من جدودِ   كيف امسيتَ يا ابن عبد الحميدِ
مُشبع الحوت من لحوم البرايا   ومجيع الجنود تحت البنودِ

ثم قابل بينهُ وبين نابوليون الكبير بعد نفيهِ الى جزيرة سنت هيلين:

يا اسيرًا في «سَنْتَ هيلين» رحّب   باسيرٍ في «سالَنيك» جديدِ
قُلْ لهُ كيف زال ملكُكَ لم يَغْـصمكَ اعدادُ عُدَّةٍ او عديدِ
لم تَصُنْكَ الجنودُ تفديك بالارواح والمالِ يا غرام الجنودِ
قُل لهُ كيف كنت كيف ملكت م الارضَ كيف انفردتَ بالتمجيدِ
فتللتَ العروش عرشًا فعرشًا   وصفتَ الصعيد بعد الصعيدِ
كلَّما نلت غايةً لم تلهِها   همَّةُ الدهر قلتَ: هل من مزيدِ
ضاقت الارضُ عن مداك فأرسلـتَ بطَرْفٍ الى السماء عنيدِ
قُل لهُ جلَّ من لهُ الملك لا ملكَ لغير المهيمن المعبودِ

ومنها في بكاء عبد الحميد لما طلبوا منهُ ان يعتزل:

أصحيحٌ بكيتَ لمَّا اتى الوفدُ   وبانت رعشةُ [illegible]
ونسيت الإباء والمجدَ والسؤ ددَ والعز [illegible] كريم الجدود
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن   عسَّها ثروةُ الفؤاد [illegible]
علَّها دمعةُ الوداع لذاك الملـك او ذكرةٌ [illegible] العهود
غسّل الدمعُ عنك حوبة [illegible] [illegible] [illegible]

وقال امام الادب ونابغة شعراء مصر سعادة [illegible] شوقي [illegible]:

سَل يلدزًا ذات القصورْ   هل [illegible] [illegible]
لو تستطيعُ اجابة   لبَكَتْك بالدمع [illegible]
اخنى عليها ما [illegible] [illegible]
ودعا [illegible] الحرية [illegible] [illegible]

ذهب الجميعُ فلا القصو رُ تُرى ولا اهلُ القصورْ
فلكٌ يدور سعودهُ ونحوسهُ بيد المديرْ

ومنها يخاطب عبد الحميد:

عبدَ الحميد حسابُ مثـلكَ في يدِ الملك الغفورْ
سدتَ الثلاثين الطوا ل ولستَ بالحكم القصيرْ
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغيرْ
كم سبَّحوا لك في الروا حِ وألَّهوك لدى البكورْ
خفضوا الرؤوس ووتّروا بالذلّ اقواسَ الظهورْ
ماذا دهاك من الامو رِ وكنت داهية الامورْ
دخلوا السريرَ عليكَ م يحتكمون في رب السريرْ
أعظِمْ بهم من آسريـنَ وبالخليفةِ من اسيرْ .

وقال يصف بسالة شوكت باشا فاتح الاستانة:

يا شوكتَ الاسلام بل يا فاتح البلد العسير
هل كان جدُّك في ردا ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صيَّاد الاسود وصدتَ قنَّاصَ النسورْ
واخذت يلدز عنوةً وملكت عنقاء الثغورْ

وسابق احمدَ شوقي شاعرٌ آخر مصري وهو وليُّ الدين بك يكن فنظم في بحر القصيدة السابقة وقافيتها وجاراها في معانيها وبلاغتها. وقصيدتهُ طويلة نختار منها قولهُ في عبد الحميد:

انَّ الزمان يغرُّ ثمَّ م يُذيق عاقبة الغرورْ
فمشى الزمان اليك بالا م حزانِ من بعد السرورْ
قد كنت ذا القصر الكبير م فصرت ذا البيت الصغيرْ
وربيتَ في مجد الامير م ولم تَمُت موت الاميرْ
لمَّا سلبتَ الحكمَ قلتَ م « الحكم لله القديرْ »
هل كنت ترضى اوَّلا ما قلتَ في الزمن الاخيرْ
ورأت حداثة صارت لهمُ ضراعات الاسيرْ
ان الثلاثين التي مرَّت بنا مرَّ العصور
وهبتك تجربة الامو رِ فعشت في جهل الامور
ووردتَ عاربة الخلا فة بعد ذلك للمعيرْ
من كان ... م فلست عندي الخبيرْ

وكان من فرسان هذه الحلبة الشاعر الحكيم اسماعيل باشا صبري فقال معارضاً لرصفائهِ وملمحاً الى براكين صقلّية وزلزال مسينة :

يا ناظر الترك قد فارت مراجلهم بين الدروب وفي عرض الميادنِ
قل للبراكين كفّي نحن في شغل ذا اليوم عنك بِبركان البراكينِ
هلِ الجبالُ الرواسي عندها خبرٌ بما تصدّع من شُمّ العرانينِ
وهل رأى النَّسرُ شيئاً في السماء حكى ما هزَّ يلدزَ من بأس الشواهينِ
قالوا لقد خرَّ من صرح العلى وهوى ذو السلطتينِ وربُّ الكافِ والنونِ
أهولُ بها صيحةَ في الكونِ قاصفةً تزلزل الارض من حين الى حينِ

ثم قال يخاطب العظيم الساقط :

عبدَ الحميد سيُحصى ما صنعت غدًا بين الأنام ويُلقى في الموازينِ
ان يرجح الخيرُ نعمَ الخيرُ من عمل دخلتَ في زمرةِ الغُرّ الميامينِ
او يغلب الشرُّ لا كانت عصابتهُ عُددتَ في صرحهِ اقوى الاساطينِ
ان لم تكن لا ثناك الله عن أمد شيخ السلاطين كُن شيخَ الفراعينِ
انَّا عهدناك لا ترضى اذا استبقَتْ صيدُ الملوك الى الغايات بالدونِ
يا طَلْسَم المُلك امسى حلُّ عقدتهِ سرَّ الملائك او سرَّ الشياطينِ
لا يرهقَنَّك حكمُ الناسِ فهو غدًا مستأنفٌ عند سلطان السلاطينِ

وقال جناب ادوار افندي مرقص من قصيدةٍ يصف خلع عبد الحميد :

الى صاحب التاج الرفيع مقامهُ الى ابن السلاطينِ المهيبِ مواكبه
الى مالك الأعناق غيرَ مدافعِ الى حاجز الارزاق لا من يحاسبه
الى الواسع النُّعمى الى الهائل الدها الى شاغل الدنيا فليست تعضبه
اتى الوفد عالي الهام والصوتِ عابساً يقول : اخلع الملك الذي انت ناكبه
وكان وراء الوفد جيشٌ وامّةٌ وجرأةُ بأسٍ معجزاتٌ عجائبه
فأذعن جبّارُ الملوك وأُرعدت فرائصهُ واستأذن الجمعَ سربه
وحيّاً بكلتا راحتيهِ تضرُّعاً ليبقي له ذلّ الحياة معاقبه
وكان زمان ان اشار باصبعٍ فتلك حياةٌ او هو الموت حاسبه
فما بالُهُ اذ هدّموا عزّ ملكهِ اضاع اختيارًا عزَّ نفسٍ تصاحبه

وقال المسمى و.خ في مرآة الغرب من قصيدة :

مضى عبد الحميد الى مكانٍ رمت فيهِ أمُّ قَشعمٍ ارحالا
مضى ولهُ بفعل الشرّ ذِكرٌ محا ذكر الالى كانوا مثالا

مليكٌ قد تسربل بالمخازي ... وعمَّ الارض غدرًا واحتيالا
اميرَ المؤمنين دعوهُ زورًا ... فكان الذئبَ لم يعرف حلالا
اتى كل المحارم والدنايا ... وخان الدينَ عمدًا والرجالا
واسهر موجعًا طَرْف الليالي ... فعادت من فعائلهِ حبالى
عدوّ الدين والاسلام هلّا ... علمتَ بانَّ في الدنيا زوالا

ومن القصائد الحسنة التي تليت في ذلك قول بشاره افندي عبدالله الخوري:

تبلّلَ الشرق حاذري ان تميدي ... سقطَ العرشُ عرش عبد الحميدِ
فهوى ربّهُ وكانت على رجـليهِ تهوي قبلًا وجوهُ الصيدِ
سُنّةٌ للزمان عزٌّ وذلٌّ ... قُسما بين سيّدٍ ومسودِ
صاحبَ التاج اين انت من التا ... جِ ومن صولجانك المفقودِ
صاحب العرش اين انت من العر ... شِ وقد كان محكم التوطيدِ
صاحب الدولة التي كنتَ منها ... في مقام المهيمنِ المعبودِ
اين تلك الشفاه تلثمُ رجليـك وتدعو للملك بالتأييدِ
والرؤوس المطأطئات الى الار ... ضِ قياماً بواحمات السجودِ
والارادات اين تلك الارادا ... تُ المبيداتُ كلّ حرّ شهيدِ
ذهبتْ مثلما ذهبتَ وبادت ... مثلما بدتَ يا ابن عبد المجيدِ

ومنها:

ايهِ عبدَ الحميد حدّثْ عن الدهـرِ وحدّث عن يومك المشهودِ
عبرةٌ انت للورى رسمتْها ... اصبعُ الله في كتاب الوجودِ

ومثلهُ لميخائيل افندي رستم من ابيات يصف زحفة جيش سلانيك وعزل السلطان:

اذا بجيوشٍ من سلانيكَ اقبلتْ ... وشوكتُ باشا في الكفاحِ مجرّبُ
احاط وذاك الجيشَ من حول يلدزٍ ... وقد فكّر السفّاحُ من اين يهربُ
فألقوا عليهِ القبض بعد اتّفاقهم ... على خلعهِ والشيخ فتواهُ يكتبُ
وحجّتهم كانت عليهِ بانّهُ ... ملايينَ اموال الرعيّةِ يسلبُ
ألا وابو الاحرار من صوب مكّةٍ ... ينادي: بحنقي انت انت المسبّبُ
وصوتُ دم الاحرار لا زال صارخًا ... امام السما والارض انك مذنبُ
مظالم يبرونَ التي قد اعدّتها ... بنا مثلما عذّبتنا ستعذّبُ
ونجدر في بسفور من تضحياتهِ ... حدوثُ ارتطام كلّما مرَّ مركبُ
وتحت امتحانٍ كيمويّ فتنهُ ... مياهٌ وتلثاهُ دمٌ فتعجّوا
فكم دسّ للاحرار سمّ افتراثهِ ... كأفعى ومن عاداتها تتقلّبُ

كفرعون قسّى قلبهُ فاذا بهِ من الصخر والصوان اقسى واصلبُ
فجوزي بما جازى وهذي حقيقةٌ جزائيّة والله نعم المؤدِّبُ

ولشاعر لبنان شبلي افندي الملّاط قوله:

تباركتِ الفتوى بخلع مملّكٍ تناهت من الدنيا اليها المدائحُ
عليها من الشرع الشريف شمائلٌ ومن سُوَر القرآن ما الدينُ شارح
تهادى بها الاسلامُ تيهاً لانّها مشاعلُ من نور الهدى ومصابحُ
بكى عندها عبد الحميد وطالما توالت عليهِ من ذويها الصائحُ
فاذعن مغلوباً وسلّم كارهاً وطابت من الشورى العيون القرائحُ

ومنها:

فُطمتَ على سفح الدماء وشاهدي ابوك الذي قد قال انك سافحُ
وأنك ان وُلّيت ملكاً يكن بهِ لشعبك يوماً حنظلٌ وصفائحُ
فذق من طعام السجن ثم أبِنْ لنا أحلوٌ طعام السجن ام هو مالحُ
وكفّر عن الماضي وما أثمت بهِ يداك لعلّ الله في الحشر صافحُ

واذ كان ملك الملوك يخذل ذلك الجبّار بعد عتوّهِ وينزلهُ عن كرسيّهِ الى الحضيض والسفال رقّى على عرش آل عثمان اميرًا دهمتهُ باستبداد اخيهِ كوارث الحدثان فعركتهُ سنين طوالًا عرك الاديم ولمّا عرفت قدرهُ سالمتهُ ودعتهُ الى ملك آبائهِ فنودي بالامير رشاد سلطانًا باسم محمد خان الخامس ولمّا جلس على اريكة الخلافة ترطّبت أَلسن الرعايا بالدعاء وانتظمت درر الشعر في اسلاك قصائد المهنئين فقال حافظ افندي ابراهيم:

حيِّ عهد الرشاد يا شرقُ وابلغ ما تمنّيتَ من زمان بعيدِ
قد تولّى محمّد الخامس الملـكَ وأعظِمْ بتاجهِ المعقود
طأطئي للجلال يا امم الأر ضِ سجودًا هذا مقامُ السجودِ
علم الله انَّ عهد رشادٍ خيرُ وَلٍّ مردّ عهد الرشيدِ

وقال شوقي باسم اهل مصر:

المؤمنون بمصر يهـدون السلام الى الامير
ويبايعونك يا محمّـدُ في الضمائر والصدور
قد أمّلوا لهلالهم حسنَ الاهلَّة في المسير
وأبلغ بهِ اوج الكما لِ بقوّة الله النصير
انت الكبيرُ يقلّدو نك سيف عثمان الكبير
بشرى الامامِ محمّدٍ بخلافة الله القدير

بشرى الخلافة بالاما م العادل الغر الجدير
الباعث الدستور في الاو م سلام من حفر القبور
اودى معاوية به وحشته قبل النشور
فعلى الخلافة منكما نور تلألأ فوق نور

وقال سيادة ايليا مطران صور وصيداء على الروم الارثذكس :

بحول الله تمَّ لنا المرادْ وأولانا الامانيَّ الرشـادُ
بشائر ملكه في الكون رنَّت منانيها لهـا طربَ الجمادُ
وقد جلسَ محمَّد في نفوس م الرعايا والرشادُ لهـا عمادُ
ومن يجنِ العلي ارخْ تقبه بنو عثمان فيه لهم رشادْ

وقال الاديب عيسى افندي اسكندر المعلوف يوم تنصيب جلالته من قصيدة نشرت في جريدة العصر الجديد التي كان يحررها بدمشق :

تولَّى عرش عثمانٍ رشادُ فقرَّ الشعب طرًّا والبلادُ
وعزَّ الامن من بعد اضطراب وعمَّ شعوبَ تركيـا اتحادُ
رعى الرحمـان دستورًا معلًّى لهُ في ارضنـا رُفع العمادُ
ووفَّق ملكنا نصرًا ونجحـاً وسار بظلّـه فينـا السدادُ
ألا يا ايهـا الملكُ المفدَّى اليك تشوَّقت هذي البلادُ
وفيك توسَّمت خيرًا وُيمنًا فات بناه ماتلهـا المشادُ
أمل هذي الرعيَّة حسن أمر يدومَ لـهُ بسلطتك امتدادُ
وعزّز مجلس النواب قدرا به يدنو لأُمتنـا المرادُ
وأرهفْ حدَّ سيف الجند حتى يطولَ الامن ما طال النجادُ

وقد أرَّخ جلوسهُ السلطاني بقوله :

ألا يا شعب عثمانٍ هنأ فقد والاك في نَصرٍ مُرادُكْ
وفي يوم الثلاثا أرَّخوهُ أقيمَ بعرش عثمانٍ رشادُكْ

وقال يوسف افندي مراد الخوري في جريدة الوفاء :

ثبتَ لعرش فاعتلاهُ محمَّدْ بين عهدٍ مضى وعهدٍ تجدَّدْ
وانقضت دولة التقهقر لمَّا صدمَ الجيشُ مجدَ يلدز فاخمدْ
فنرى في محمَّد خير ملك يحدمُ الدستور الشريف المشيَّدْ
ورأينا خلاوةً قيل فيهـا عاد مجدُ الاسلام والعودُ احمدُ...
هذه لدولة التي هالت الغر بَ قديمًا فهـالهـا وتشدَّدْ
خاصها الدهر فاستكانت ولكن حانَ ان يرهب الذي يتهددْ

كن على عرشها الرفيع مليكاً مُصلحاً بل مقوّماً ما تأوّدْ
فبك الآمال الكبار أُنيطت وبك الدستور الشريف تأيّدْ
وجنودٌ من حول عرشك سورٌ ومياهٌ عن حوضها الدهرُ يرتدّ
ومقامٌ يستنزل النجمَ طوعاً ونفوسٌ عليك وقفٌ مؤبدْ
ورجالٌ هم مخلصون وما قد قيل عنهم الّا الحديث الممجّدْ
هتفوا مذ نلتَ الخلافةَ شرعاً ثبت العرشُ فاعتلاهُ محمّدْ

وقال حبيب افندي زين مترجماً عن امانيّ الشعب في سلطانه الجديد:

أيا من علا عرش السلاطين سائدًا فقرَّرهُ حيثُ ابن عثمان سيّدا
أزلْ من بنيك الغائثين فطالما عثتهم فمالوا كالسنابل حُصّدا
وميل غيرَ مامورٍ الى بقعةٍ جرتْ دماءُ بنيها وهي تبغيك منجدا
هو الشعب نحو العرش احدق داعياً نصرك فانصرهُ ومدَّ لهُ يدا
وحقّقْ امانيَّ الملا بمحمّدٍ وقاك مقيل العاثرين من الردى

وقال كامل افندي فضُّول في معناهُ :

يا ذا الجلالِ محمّدْ ورشاد امّتنا النيورْ
حقّقْ اماني أمّةٍ لم تثنها عنك الدهورْ
فتحيط عرشك عصبةٌ أُسدٌ ولكن لا تجورْ
فشموس ملكك مذ بدت منها الى الاوطان نورْ
لغمامةِ الظلم نعتْ مع كل اربابِ الفجورْ

وقال آخر:

محمّدُ انت اليوم سلطان دولةٍ تحاولُ بالدستور ان تلحق الدُّوَلْ
ارادك احرارُ الفتاة لعرشها على املٍ سامٍ فحقّق لنا الأملْ
وجدّد لتركيا زمانَ ازدهارها وأرجع لها مجدًا ترى نجمَهُ أفلْ
أسلطاننا للحرِّ المكرَّمِ انَّ من حوايكَ ابطالا هم مجدنا كمل
يُلبّون ما ترجو فيسمُو الى العلى بنا دون إبطاءٍ فيحمد مَن عدلْ
محمّدُ سرْ للمجد بالدولة التي بناها لك الاحرارُ منَّ على الأسلْ
اضاع لنا عبد الحميد كرامةً ونرجو لها عودًا لفضلَ من فضلْ
فكن يا امير العرشِ انت معيدها برأي ذوي رأيٍ يصون من الخلَلْ

وقال علي افندي عبد الله الحساميّ بقولهِ :

هذا الزمان صفا وقد نلنا الهنا بجلوسِ مولاه الرشاد الاكبرِ
بمحمّدٍ سلطاننا وملاذنا فخر الورى في برّها والابحرِ

خاقاننا اضحى خليفتنا الذي يرعى الاناس بحكمة وتدبُّرِ
حقّ علينا يا أكارم ان نجو دَ لشخصهِ بالنفس دون تأخرِ
يا ربّنا انصرْ بالملائك ذخرنا وأدِمْ ملاذ الملك حتى المحشرِ

وقال بشاره افندي عبد الله الخوري مهنئاً :

ذُفنت اعصرُ المظالم يا شر قُ فرحّب بعصرك المولودِ
وابتسم للفلاح فالتاجُ معقو دٌ على مفرقِ الفتى المعدودِ
زال عصرُ السجود يا امم الار ضِ فهذا عصر الاخاء الوطيدِ
طمحت هذه النفوس الى المجـدِ فلا تمنعوا سبيل الورودِ
دونك السيف يا محمدُ واسمُ السمرش فالعرش مِربَضٌ للاسودِ
لا بلغنا ذرى المعالى اذا لم يعلُ عصرُ الرشادِ عصرَ الرشيدِ

٦ عيد العام الدستوري — خوف ورجاء

ترى انَّ الشعر قد مثَّل وقائع السنة الدستوريّة الاولى احسن تمثيل ولما مرّ على هذا الانقلاب تمام العام عاد الشعراء فنظموا القصائد يذكرون فيها الدستور ويعدّدون حسناتهِ وربما ألمّوا ببعض نقائصهِ . قال وطنيّنا محمّد افندي شاكر ياسين من قصيدة دعاها السرور العام لمرور العام :

كوكبُ العدل علينا سطعا وغمام الظلم عنّا انقشعا
وبشير الفوز بالبشرى سعى ورسول الحق للشورى دعا

الى ان قال :

ادرك الملكُ رشادًا حينما لرشادٍ فيهِ حقًا بويعا
ملكٌ جدَّد ذكرى جدّهِ فرجونا الخيرَ فيهِ اجمعا

ومنها :

سنةٌ يا شرقُ مرّت فحلَتْ بعد ان مرّت وساءت مرجعا
فسلِ المحكوم ماذا صنعا وسلِ الحاكم ماذا استصنعا
قد رضينا بدلًا عن هرسكٍ وعن البُسنا بمالٍ دُفعا
غير ا عن كريدٍ لا نرى بدلًا الّا الظُّبا والمدفعا

وقال صاحب الرغائب جناب حكمت شريف من منظومة طويلة غرّاء :

يا عيدُ انَّك اكبرُ الاعيادِ لمّا اتيت بحكمةٍ ورشادِ

احييتَ اوطاناً بها لعبَ البلى دوراً عظيماً دار باستبداد
وبعثت دستوراً به نرقى الى مجدٍ اثيلٍ شامخٍ بسداد
بمحمَّدٍ نلنا الرشاد وحسبنا فالفعلُ محمودٌ مدى الآمادِ
ها «شوكت» الاوطان عادت في الملا والبدر «أنور» في سما الاسعاد
و«نيازي» كم رمت العداةَ بسهمها عن قوسِ عدلٍ حُفَّ بالارشادِ

ومنها في تذكار الشهر الدستوري:

يا شهر تموز المبارك سرمدًا بين البلادِ على اختلافِ عبادِ
قد كانت القدماء تعبدُ ذكرهُ تموز شهر الخيرِ والاسعادِ
ها اننا في عاشرٍ لك دائمًا اعيادنا موصولةٌ الاعيادِ
فلنشكرنَّك دائمًا بلساننا وعيوننا وجوارحٍ وفؤادِ

واحسن الشاعر المطبوع حافظ افندي ابراهيم حيث قال:

مضى العامُ ميمون الشهور مباركًا تُعَدَّد آثارٌ لهُ وتُسطَّرُ
مضى غير مذمومٍ فان يذكروا لهُ هناتٍ فطبعُ الدهر يصفو ويكدرُ
وان قيل أودى بالالوفِ اجاجهم محيبٌ لقد احيا الملايين فانظروا
اذا قيس احسانُ امرئٍ باساءةٍ فأربى عليها فالاساءةُ تغفَرُ
ففيهِ أفاقَ النائمون وقد اتتْ عليهم كأهل الكهف في النوم أعصرُ

وبعد هذا العيد بأيَّام لمَّا عزمت الدول على استرجاع جنودها من كريت ابتدأت حركة اهل الجزيرة اذ نشروا الراية اليونانية على قلعتها فقال الشيخ امين ناصر الدين على لسان غادة كريت تدعو الأمة العثمانيَّة ومجلس نوَّابها لانقاذها من يد العدوّ:

ايملكني اليونانُ والتركُ تنظرُ وللعُرْب اسيافٌ بها الغيدُ تخفرُ
وحول فروقٍ من قنا الخطّ غابةٌ تظلُّ بها أُسد الكتائب تزأر
وفيها سريرُ الملك حُفَّ بجيشه ومجلسُ نوّابِ البلاد موقَّر
بني العُرْب والاتراك اين حميّةٌ يروع العدى منها سطى المتنمّر
واين نفوسٌ ما فتئنَ الى العلى طوامحَ فيهنّ الاباءُ الموفّر
واين مَواضٍ تنتضيها أكفُّكم فيبدو عليهنّ الحِمام المصوّر
واين الجواري تمخرُ اليمَّ هيمًا بجيشٍ حشاها باستخار وتزفر
تميسُ باثواب الحديد كأنها حسانٌ عليهنّ الحرير المحبَّر
أَأُسبى ولي منكم حماةٌ وللورى عيونٌ الى شعب ابن عثمانَ تنظرُ
أبى الله ان ترضى التخاذلَ أمَّةٌ لها في العلى يُتلى رقيمٌ مسطَّر

ثم انتقل الى جواب العثمانيّ فيسكّن روع الغادة ويذكّر اليونان بما اصابهم من الخذلان في حربهم الاخيرة فقال:

رويدكِ يا حسناء أنَّا لَامَّة ... دماء بنيها الصيدِ دونكِ تُهدَرُ
صلابٌ قناة لا تلين لغامزٍ ... أُباةٌ هوانٍ عهدُنا ليس يُخفَرُ
نعانقُ في الحرب المنايا كأنَّها ... أوانس في غضِّ الحدائقِ تخطرُ
وتُزجي الجواري المنشآت مُقِلَّةً ... مـدافعَ منهنَّ الردى يتفجَّرُ
اذا نظمتنا والاعادي معاركٌ ... فهامهمُ بالمشرفيـَّات تُنثَرُ
سنحميكِ يا حسناء من كل معتدٍ ... بيأسٍ لهُ خـدُّ العزيز يُصعَّرُ
فشيمتُنا صونُ العذارى وشأنُنا ... صدامُ الاعادي كلَّما ثار عِثيَرُ
أظنَّ بنو اليونانِ انَّ سيوفنـا ... تثلَّمنَ ام أخفى علينـا التأخُّرُ
ألم يذكروا ما كان بالأمسِ بيننا ... على حين خُضنا الموتَ والموت يزخُرُ
صدمناهمُ تحت العجاجة صدمةً ... كما راع اسرابَ الظبـاء غضنفَرُ
وكانت لنا معهم وقائع لم تزلْ ... احاديثها في الخافقين تكرَّرُ ...
فهـلَّا بني اليونان هل تحسبوننا ... نسينا اقتحام الحرب والجوُّ اكدرُ
أفاتكمُ انَّ الشجاعة خلَّـةٌ ... تميّزنـا عن غيرنا حين نُذكَرُ
وانَّ نفوس الصِّيد تصغُر في الوغى ... اذا صاح جيش الترك «الله اكبرُ»
عُرفنا بصبرٍ في السياسةِ ثابتٍ ... ولكنَّنا في ساحة الحربِ اصبرُ
نودُّ بقاء السلم حتى تسومنا ... هواناً فنبغي الحربَ واللهُ ينصرُ
تحينتمُ وقتاً توالت خطوبهُ ... لادراك امرٍ نيلهُ يتعذَّرُ
وخلتم توالي الظلم اورث شعبنا ... خمولًا واصبحنا على الهونِ نصبرُ
وقد يحجبُ النارَ الرمـادُ وانَّما ... اذا الريحُ هبَّت فوقهـا تتسعَّرُ
قهرناكمُ والملك قد كان ذاوياً ... فكيف وروضُ الملك فينانُ اخضرُ
فذُ ضمَّ اكريتٍ بسهلٍ فدونهُ ... صدامُ الرزايا والهـلاك المقرَّرُ
سلكتم سبيل الغيِّ دون تبصُّرٍ ... ولم تعلموا انَّ الصواب التبصُّرُ

فمن هذه الامثلة الشعريَّة التي انتقيناها يتحقَّق القرَّاء ما صار اليهِ الشعر العصريّ من المتانة وبلاغة المعاني فكأنَّ النظام الدستوريّ اورثهُ حياةً جديدةً فلم يَعُد الشعراء يكتفون كما في السابق بتنميق العبارة وزخرف الكلام واشكال البديع لكنَّهم يطبعون في اذهانهم الاحداث الجارية الى ان تندمج في قلوبهم فيتدفَّق الشعر منهـا تدفُّقاً فيسيل من معين. ولا عجب لانَّ الشعر من الشعور فاذا امتلأ القلب فاض الفم من ملئهِ واضحى اللسان خير ترجمان عمَّا يحويهِ الجنان

فهرس

أعلام الادباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء

الادباء المسلمون

الادباء النصارى

فهرس

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء

اسماؤهم بالعربية

فهرس اسماء المستشرقين بالافرنسية

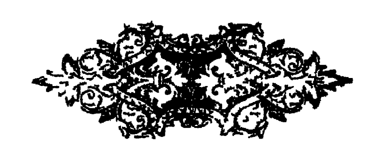
TABLE

des Orientalistes mentionnés dans la 2e partie de l'ouvrage.

فهرس اسماء شعراء الدستور

فهرس

اعلام الامكنة المذكورة في هذا الجزء



فهرس

لمواد الجزء الثاني من الآداب العربية في القرن التاسع عشر

الفصل الأوّل في الاداب العربيّة من السنة ١٨٧٠ الى ١٨٨٠

الصفحة

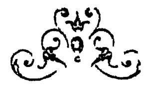
الفصل الثاني في الاداب العربية من السنة ١٨٨٠ الى ختام القرن التاسع عشر

مُلحق لتاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر

مُلحَق ثانٍ لتاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر

فهرس اعلام الأُدباء الذين ورد ذكرهم في هذا الجزء على ترتيب حروف المعجم

اسماء المستشرقين المذكورين في هذا الجزء



voulu donner à nos lecteurs des Spécimens d'une quarantaine de pages de la Littérature qui a actuellement cours dans le monde arabe. Nous avons choisi pour cela des événements bien faits pour inspirer le talent de nos poètes, nous voulons parler du Régime Constitutionnel proclamé en Turquie. Une trentaine de poètes arabes de tous pays sont entrés en lice pour décrire cet heureux événement, chanter les gloires du nouveau Régime, flétrir la tyrannie du précédent et retracer toutes les péripéties de l'Histoire de la Constitution. Leurs poésies ont une tournure toute différente de celles de leurs devanciers. On en jugera par les nombreux Spécimens que nous en avons reproduits.

Dans la nomenclature des Orientalistes d'Europe il a dû nous échapper plus d'un nom célèbre. C'est qu'il n'existe point, que nous sachions, une Histoire des Orientalistes même élémentaire. C'est là une lacune qu'on devrait combler, d'autant plus que le sujet serait bien propre à tenter la plume d'un écrivain.

Nous terminons cette partie comme la précédente par diverses Tables qui facilitent toutes les recherches.

Beyrouth, le 25 *Avril* 1910

PRÉFACE

Il y a deux ans nous livrions au public la 1re partie de ce modeste essai d'Histoire de la Littérature arabe au XIXe siècle, tiré en grande partie d'une suite d'articles publiés dans la Revue al-Machriq. Depuis, nous avons poursuivi ce travail pour les trente dernières années de ce même siècle en une seconde série que nous présentons aujourd'hui aux amateurs de Littérature arabe.

Cette période bien qu'elle soit beaucoup plus courte que la première et n'embrasse à peine que le tiers du dernier siècle, l'emporte sur la précédente où l'Orientalisme assez avancé en Europe n'était en Orient qu'à ses débuts.

Les relations plus fréquentes avec l'Occident l'activité des Missionnaires Catholiques et des Sociétés de Propagande protestante, les Universités, les écoles, les imprimeries créées en grande partie par eux ou sous leur inspiration ont abouti malgré des obstacles sans nombre, à cette magnifique Renaissance à laquelle nous assistons aujourd'hui.

Désormais la Littérature arabe entre dans une nouvelle phase ; il sera plus difficile de suivre ses progrès dans les divers pays où elle exerce son influence. Nous avions nous même songé d'abord à donner à la suite de notre travail une vue d'ensemble sur l'état des études arabes au début du XXe siècle, mais nous avons préféré nous en tenir à notre Programme et nous contenter pour le moment du XIXe. Si parfois nous avons dérogé à ce plan en insérant quelques noms de Littérateurs plus récents, ç'a été à cause des rapports de ces derniers avec leurs confrères au siècle précédent.

Pour combler cependant en partie ce déficit nous avons

LA LITTÉRATURE ARABE

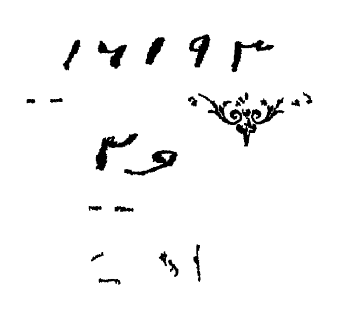
AU XIX^e SIÈCLE



par le P. L. CHEIKHO s. j.

2^e partie

de 1870 à 1900



BEYROUTH

IMPRIMERIE CATHOLIQUE

1910



PAR

Le P. Henri LAMMENS, S. J.

Un fort volume in-8° de 448 pages, avec Tables (XXXIV pp.). Prix, 30 [illegible]. S'adresser à l'*Éditeur des Mélanges de la Faculté Orientale*, Université S^t Joseph, Beyrouth (Syrie);

ou aux librairies CHAMPION (Paris), LUZAC (Londres), HARRASSOWITZ (Leipzig).

Ces Études ont déjà paru sous forme d'articles dans les trois premiers tomes des Mélanges de la Faculté Orientale. Leur éloge n'est plus à faire; les savants les plus compétents ont été unanimes, en effet, à féliciter leur auteur, et à rendre hommage à son sens historique et critique, à sa vaste érudition, et à la belle activité qui lui a permis d'exploiter en peu de temps les documents les plus variés et les plus originaux. Nombre d'entr'eux sont encore inédits et font partie des Mss. de la Bibliothèque Orientale de notre Université et de la Bibliothèque Khédiviale du Caire.

Une chose manquait encore à l'ensemble des trois séries : des *Index* et des *Tables* rendant le plus commode possible l'usage de ce précieux instrument de travail. Nous les donnons aujourd'hui au public, en même temps que les trois séries, réunies en un seul volume de 478-XXXIV pp.

On nous saura peut-être gré de reproduire quelques-uns des titres des XXII chapitres qui composent l'ouvrage. On pourra ainsi se faire une juste idée de la variété et de la nouveauté des sujets abordés.

LA LITTÉRATURE ARABE

AU XIXe SIÈCLE

par le P. L. CHEIKHO s. j.

2e partie

de 1870 à 1900



BEYROUTH

Imprimerie Catholique

1910

6316
5/9